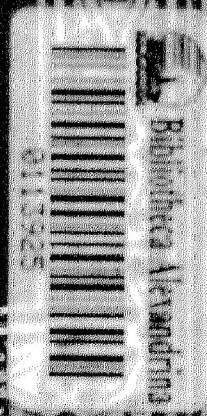


تأليف مؤلف كتاب الاسلام

تأليف
مؤلف
كتاب
الاسلام

الجزء الثالث



ناتج دُورِك الاستاذ

تأليف

ربُّو تَمِيزُوتِ الصَّديقي

بالنبا

الجزء الثالث

« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »
(قرآن شريف)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كل نسخة لا يوجد عليها فتم المؤلف نعلم مسير وقتها
وبماكم ما علمها فانونا

طبع بمطبعة الهلال بالجباله بمصر سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

فهرس الجزء الثالث

٢

صفحة	فصل	
١	٥٥١	(الدولة البصرية الاحمرية بالاندلس)
٢	٥٥٢	الشيخ محمد بن يوسف
٣	٥٥٣	محمد الفقيه ابن محمد الشيخ
٦	٥٥٤	محمد الخلوع ابن محمد الفقيه
٧	٥٥٥	ابو الجبوش نصر بن محمد الفقيه
٨	٥٥٦	ابو الوليد اسماعيل ابن ابي سعيد
٩	٥٥٧	محمد بن ابي الوليد
١٠	٥٥٨	ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد
١١	٥٥٩	الغني بالله محمد بن ابي الحجاج
١٢	٥٦٠	اسماعيل بن ابي الحجاج
١٢	٥٦١	الرئيس محمد بن عبد الله
١٣	٥٦٢	الغني بالله بن ابي الحجاج ثانية
١٦	٥٦٣	ابو الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله
١٦	٥٦٤	بقية اخبار الدولة الاحمرية
١٩	٥٦٥	(الدولة الزيانية بتلمسان)
٢١	٥٦٦	يغمراسن بن زيان
٢٤	٥٦٧	عثمان بن يغمراسن
٢٦	٥٦٨	ابو زيان محمد بن عثمان
٢٧	٥٦٩	ابو حمو بن عثمان
٢٩	٥٧٠	ابو تاشفين ابن ابي حمو
٣٢	٥٧١	ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن
٣٤	٥٧٢	ابو حمو موسى بن يوسف
٣٨	٥٧٣	ابو تاشفين بن ابي حمو

صفحة	فصل	
٣٩	٥٧٤	بقية اخبار الدولة الزبانية
٤٠	٥٧٥	(دولة المالك بمصر والشام)
٤١	٥٧٦	المعز ابيك الجاشنكير
٤٣	٥٧٧	نور الدين علي بن ابيك
٤٣	٥٧٨	المظفر سيف الدين قطز
٤٤	٥٧٩	الظاهر بيبرس البندقداري
٤٦	٥٨٠	السعيد بركة خان بن بيبرس
٤٧	٥٨١	سلامش بن بيبرس
٤٨	٥٨٢	المنصور سيف الدين قلاون
٥٠	٥٨٣	الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون
٥١	٥٨٤	الملك القاهر ييدرا
٥١	٥٨٥	الناصر محمد بن قلاون اولاً
٥٢	٥٨٦	الملك العادل كتبغا
٥٣	٥٨٧	المنصور لاجين
٥٤	٥٨٨	الناصر محمد بن قلاون ثانياً
٥٥	٥٨٩	بيبرس الجاشنكير
٥٦	٥٩٠	الناصر محمد بن قلاون ثالثة
٥٦	٥٩١	المنصور ابو بكر بن محمد
٥٧	٥٩٢	الاشرف علاء الدين كجك بن محمد
٥٨	٥٩٣	الناصر شهاب الدين احمد بن محمد
٥٨	٥٩٤	الملك الصالح اسمعيل بن محمد
٥٩	٥٩٥	الكامل زين الدين شمعان بن محمد
٥٩	٥٩٦	المظفر زين الدين حاجي بن محمد
٦٠	٥٩٧	الناصر حسن بن محمد

فهرس الجزء الثالث

٤

صفحة	فصل	
٦١	٥٩٨	الناصر صلاح الدين بن محمد
٦١	٥٩٩	الناصر حسن بن محمد ثانية
٦٢	٦٠٠	المنصور محمد بن حاجي
٦٣	٦٠١	الاشرف شعبان بن حسن
٦٦	٦٠٢	المنصور علي بن شعبان
٦٧	٦٠٣	الناصر حاجي بن شعبان
٦٧	٦٠٤	الملك الظاهر برقوق
٧٣	٦٠٥	الناصر فرج بن برقوق
٧٤	٦٠٦	المنصور عبد العزيز بن برقوق
٧٤	٦٠٧	الناصر فرج بن برقوق ثانية
٧٥	٦٠٨	الملك المؤيد شيخ
٧٦	٦٠٩	المنظر احمد بن شيخ
٧٧	٦١٠	الملك الظاهر ططر
٧٧	٦١١	الناصر محمد بن ططر
٧٨	٦١٢	الملك الاشرف برس باي
٧٩	٦١٣	العزيز يوسف بن برس باي
٨٠	٦١٤	الملك الظاهر جقمق
٨٠	٦١٥	المنصور عثمان بن جقمق
٨١	٦١٦	الملك الاشرف اينال العلاني
٨١	٦١٧	المؤيد احمد بن اينال
٨٢	٦١٨	الظاهر خشمقدم
٨٢	٦١٩	الظاهر بلباي المؤيدي
٨٣	٦٢٠	الظاهر قمر بغا
٨٤	٦٢١	الملك الاشرف قايت باي

فهرس الجزء الثالث

صفحة	فصل	
٨٦	٦٢٢	الناصر محمد بن قايت باى
٨٦	٦٢٣	الاشرف قانصوه خسماية
٨٧	٦٢٤	الناصر محمد بن قايت باى
٨٨	٦٢٥	الظاهر قانصوه الاشرفى
٨٩	٦٢٦	الملاى الاشرف جان بلاط
٨٩	٦٢٧	الملاى العادل طومان باى
٩٠	٦٢٨	الملاى قانصوه الغورى
٩١	٦٢٩	طومان باى
٩٣	٦٣٠	بقية اخبار الصليبيين
٩٦	٦٣١	(الدولة العلية العثمانية)
٩٧	٦٣٢	السلطان عثمان خان بن ارطغرل
٩٨	٦٣٣	» اورخان بن عثمان
٩٩	٦٣٤	» مراد خان الاول ابن اورخان
١٠٠	٦٣٥	» بايزيد الاول ابن مراد خان
١٠٢	٦٣٦	» محمد جلبي بن بايزيد
١٠٢	٦٣٧	» مراد خان الثانى ابن محمد
١٠٥	٦٣٨	» محمد الثانى الفاتح ابن مراد خان
١٠٩	٦٣٩	» بايزيد خان الثانى ابن محمد
١١٢	٦٤٠	» سليم الاول ابن بايزيد
١١٤	٦٤١	» سليمان خان الاول القانونى ابن سليم
١٢١	٦٤٢	» سليم الثانى ابن سليمان
١٢٣	٦٤٣	» مراد الثالث ابن سليم
١٢٥	٦٤٤	» محمد الثالث ابن مراد
١٢٧	٦٤٥	» احمد الاول ابن محمد

فهرس الجزء الثالث

٦

صفحة	فصل	
١٢٩	٦٤٦	السلطان مصطفى الاول ابن محمد
١٢٩	٦٤٧	» عثمان الثاني ابن احمد
١٣٠	٦٤٨	» مصطفى الاول ابن محمد (ثانية)
١٣١	٦٤٩	» مراد الرابع ابن احمد
١٣٣	٦٥٠	» ابراهيم الاول ابن احمد
١٣٤	٦٥١	» محمد الرابع ابن ابراهيم
١٣٨	٦٥٢	» سليمان الثاني ابن ابراهيم
١٣٨	٦٥٣	» احمد الثاني ابن ابراهيم
١٣٩	٦٥٤	» مصطفى الثاني ابن محمد الرابع
١٤٠	٦٥٥	» احمد الثالث ابن محمد
١٤٣	٦٥٦	» محمود الاول ابن مصطفى
١٤٥	٦٥٧	» عثمان الثالث ابن مصطفى
١٤٥	٦٥٨	» مصطفى الثالث ابن احمد
١٤٨	٦٥٩	» عبد الحميد الاول ابن احمد
١٤٩	٦٦٠	» سليم الثالث ابن مصطفى
١٥٣	٦٦١	» مصطفى الرابع ابن عبد الحميد
١٥٤	٦٦٢	» محمود الثاني ابن عبد الحميد
١٥٨	٦٦٣	» عبد الحميد ابن محمود
١٦٣	٦٦٤	» عبد العزيز بن محمود
١٦٦	٦٦٥	» مراد بن عبد الحميد
١٦٧	٦٦٦	» الغازي عبد الحميد خان الثاني
١٧٥	٦٦٧	(الدولة الوطاسية بمراكش)
١٧٦	٦٦٨	ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا
١٧٧	٦٦٩	محمد بن محمد الشيخ

فهرس الجزء الثالث

صفحة	فصل	
١٧٨	٦٧٠	ابو حسون بن محمد الشيخ
١٧٨	٦٧١	ابو العباس احمد بن محمد
١٨٠	٦٧٢	ابو حسون بن محمد الشيخ (ثانية)
١٨١	٦٧٣	(الدولة الصفوية بايران)
١٨١	٦٧٤	شاه اسمعيل بن حيدر
١٨٣	٦٧٥	» طهماسب بن اسمعيل
١٨٤	٦٧٦	» حيدر بن طهماسب
١٨٥	٦٧٧	» اسمعيل بن طهماسب
١٨٥	٦٧٨	» محمد خدا بندا بن طهماسب
١٨٦	٦٧٩	» عباس الكبير ابن محمد خدا بندا
١٩٠	٦٨٠	» صفي الثاني
١٩١	٦٨١	» عباس الثاني ابن صفي
١٩١	٦٨٢	» سليمان بن عباس
١٩٢	٦٨٣	» حسين بن سليمان
١٩٢	٦٨٤	(الدولة السعدية بمراكش)
١٩٣	٦٨٥	ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
١٩٤	٦٨٦	ابو العباس بن ابي عبد الله
١٩٥	٦٨٧	محمد المهدي بن ابي عبد الله
١٩٦	٦٨٨	ابو محمد عبد الله بن محمد
١٩٧	٦٨٩	محمد بن عبد الله
١٩٨	٦٩٠	عبد الملك بن محمد
٢٠٠	٦٩١	ابو العباس احمد بن محمد
٢٠٤	٦٩٢	ابو المعالي زيدان بن احمد
٢٠٤	٦٩٣	ابو فارس بن احمد

فهرس الجزء الثالث

٨

صفحة	فصل	
٢٠٥	٦٩٤	محمد الشيخ المأمون بن احمد
٢٠٦	٦٩٥	ابو المعالي زيدان بن احمد (ثانية)
٢٠٨	٦٩٦	عبد الملك بن زيدان
٢٠٩	٦٩٧	ابو يزيد الوليد بن زيدان
٢٠٩	٦٩٨	ابو عبد الله محمد بن زيدان
٢١٠	٦٩٩	ابو العباس احمد بن محمد
٢١١	٧٠٠	(الدولة الفيلالية بمراكش)
٢١٢	٧٠١	المولى محمد الشريف
٢١٤	٧٠٢	» الرشيد بن الشريف
٢١٥	٧٠٣	» اسمعيل بن الشريف
٢١٧	٧٠٤	» ابو العباس احمد بن اسمعيل
٢١٨	٧٠٥	» عبد الملك بن اسمعيل
٢١٨	٧٠٦	» ابو العباس احمد بن اسمعيل (ثانية)
٢١٩	٧٠٧	» عبد الله بن اسمعيل (اولا)
٢٢٠	٧٠٨	» علي بن اسمعيل
٢٢١	٧٠٩	» عبد الله بن اسمعيل (ثانية)
٢٢١	٧١٠	» محمد بن اسمعيل
٢٢٢	٧١١	» المستضيء بن اسمعيل
٢٢٣	٧١٢	» عبد الله بن اسمعيل (ثالثة)
٢٢٣	٧١٣	» زين العابدين بن اسماعيل
٢٢٤	٧١٤	» عبد الله بن اسمعيل (رابعة)
٢٢٤	٧١٥	» محمد بن عبد الله
٢٢٦	٧١٦	» يزيد بن محمد
٢٢٧	٧١٧	» سايمان بن محمد

فهرس الجزء الثالث

صفحة	فصل	
٢٢٩	٧١٨	المولى عبد الرحمن بن هشام
٢٣٠	٧١٩	» محمد بن عبد الرحمن
٢٣١	٧٢٠	» الحسن بن محمد
٢٣١	٧٢١	» عبد العزيز بن الحسن
٢٣٢	٧٢٢	(الدولة الغجائية بافغانستان)
٢٣٦	٧٢٣	الامير ويس الفاجي
٢٣٧	٧٢٤	» عبد الله
٢٣٨	٧٢٥	شاه محمود بن ويس
٢٤٤	٧٢٦	» اشرف بن عبد الله
٢٤٦	٧٢٧	* الدولة الحسينية بتونس
٢٤٩	٧٢٨	حسين باي بن علي تركي
٢٥٠	٧٢٩	علي باشا باي بن محمد بن علي تركي
٢٥١	٧٣٠	محمد باي بن حسين
٢٥١	٧٣١	علي باي بن حسين
٢٥٢	٧٣٢	حموده باي بن علي
٢٥٣	٧٣٣	عثمان باشا باي بن علي
٢٥٣	٧٣٤	محمود باشا باي بن محمد الرشيد بن حسين
٢٥٤	٧٣٥	حسين باي بن محمود
٢٥٤	٧٣٦	مصطفى باي بن محمود
٢٥٥	٧٣٧	احمد باي بن مصطفى
٢٥٥	٧٣٨	محمد باي بن حسين
٢٥٦	٧٣٩	محمد الصادق باي بن حسين
٢٥٦	٧٤٠	علي الصادق باي بن حسين
٢٥٧	٧٤١	محمد الهادي باشا باي

فهرس الجزء الثالث

فصل	صفحة	
٢٥٨	٧٤٢	دولة نادر شاه بايران
٢٦٦	٧٤٣	الدولة العبدالية بافغانستان
٢٦٧	٧٤٤	احمد شاه بابا
٢٦٨	٧٤٥	سليمان بن احمد
٢٦٩	٧٤٦	شاه تيمور بن احمد
٢٦٩	٧٤٧	» زمان بن تيمور
٢٧	٧٤٨	» محمود بن تيمور
٢٧١	٧٤٩	» شجاع بن تيمور
٢٧١	٧٥٠	» محمود بن تيمور (ثانية)
٢٧٤	٧٥١	» كمران بن محمود
٢٧٦	٧٥٢	(الدولة الزندية بايران)
٢٧٨	٧٥٣	كريم خان زند
٢٨٠	٧٥٤	زكي خان
٢٨	٧٥٥	صادق خان
٢٨١	٧٥٦	علي مراد خان
٢٨٢	٧٥٧	جعفر خان بن صادق خان
٢٨٢	٧٥٨	اعلف علي خان بن جعفر خان
٢٨٣	٧٥٩	الدولة القاجارية بايران
٢٨٤	٧٦٠	آقا محمد خان
٢٨٦	٧٦١	فتح علي شاه
٢٨٨	٧٦٢	محمد شاه بن عباس
٢٨٩	٧٦٣	ناصر الدين شاه بن محمد
٢٩٣	٧٦٤	جلالة مظفر الدين شاه
٢٩٦	٧٦٥	(الدولة المحمدية العلوية بمصر)

صفحة	فصل	
٣٠٥	٧٦٦	محمد علي باشا
٣٢٥	٧٦٧	ابراهيم باشا بن محمد علي
٣٢٦	٧٦٨	عباس باشا الاول ابن طوسون
٣٢٩	٧٦٩	سميد باشا بن محمد علي باشا
٣٣٣	٧٧	اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا
٣٣٩	٧٧١	توفيق باشا بن اسمعيل والحوادث العراقية
٣٥٦	٧٧٢	سمو الخديو المعظم عباس باشا حلمي الثاني
٣٥٩	٧٧٣	(الدولة الباركرائية بافغانستان)
٣٦	٧٧٤	دوست محمد خان
٣٦٢	٧٧٥	شير علي خان بن محمد دوست خان
٣٦٣	٧٧٦	محمد اعظم خان بن دوست محمد خان
٣٦٤	٧٧٧	شير علي خان (ثانية) وابنه يعقوب خان
٣٦٥	٧٧٨	عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان
٣٦٧	٧٧٩	حبيب الله خان بن عبد الرحمن خان
٣٦٨	٧٨٠	دولة الدراويش بالسودان
٣٧	٧٨١	محمد احمد المهدي
٣٧٩	٧٨٢	عبد الله التمايشي
٣٨٥		جدول مهم

٥٥١ - الدولة النصرانية الاحمرية بالاندلس

(تمهيد) لما فشلت ريج الموحدين وضعف ارمم بالمغرب استبد محمد بن هود الثائر بالاندلس بها واخرج منها الموحدين ولم تطل مدته فيها لان محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ثار عليه ونازعه السلطنة واستمد الافرنج عليه . فانتزح الاسبانيون هذه الفرصة المناسبة وادموا محمد بن يوسف المذكور بجيوشهم الجرارة بعد ان اشترطوا عليه ان ينزل لهم عن جميع بسائط الاندلس وعلى هذا حاربوا معه ابن هود الى ان انقضى امره واستتب الامر لابن الاحمر وانحصرت مملكته في مقاطعة غرناطة ونزل عن جميع مدن الاندلس للاسبانيين كاتفاقه معهم كما ستراه ان شاء الله تعالى

واصل بني الاحمر من ارجونة من حصون قرطبة وكان لهم فيها سلف في
ابناء الجند يعرفون ببني نصر . وكان ابتداء امر محمد بن يوسف بن نصر رأس
دولتهم المعروف بالشيخ سنة ٦٢٩ هـ



٥٥٢ - الشيخ محمد بن يوسف بن نصر

من سنة ٦٢٩ - ٦٧١ هـ او من سنة ١٢٣١ - ١٢٧٢ م

هو محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ويعرف بالشيخ بويع له
سنة ٦٢٩ هـ وكان يدعو أولاً لابي زكريا الحفصي صاحب تونس واستظهر على
امره أولاً بقرابته من بني نصر واصهاره بني اشبيلية . ولما رأى استفحال امر
ابن هود بايع له سنة ٦٣١ هـ ثم ثار باشبيلية ابو مروان الباجي فاتحد معه ابن
الاحمر وقطع خطبة ابن هود واستولى على اشبيلية سنة ٦٣٢ هـ ثم فتك بابن باجي
وقتل . وبعد شهر راجع اهل اشبيلية دعوة ابن هود وثاروا بابن الاحمر واخرجوه
من مدينتهم

ورأى ابن الاحمر ان امره لا يتم الا بملاشاة ابن هود واذا لم يكن في
ذلك الوقت قادراً على ذلك اتفق مع الاسبانيين ان يمدوه بجيش لقتال ابن هود
على ان ينزل لهم عن بسائط الاندلس اذا استتب امره . ورأى الاسبانيون
هذه الفرصة مناسبة فامدوه بما اراد وبمساعدهتهم استولى على غرناطة سنة ٦٣٥ هـ
ونزلها وابتقى بها حصن الجراء ثم تغلب على مالقة والمرية وغيرها . ولما رسمت
قدمه بمقاطعة غرناطة اتحد مع الاسبانيين على حصار ابن هود باشبيلية سنة ٦٤٣ هـ
حتى استولوا عليها ولم يزل يساعدهم على فتح المدائن التي بيد ابن هود حتى انهم
الاسبانيون في هذه المدة الاندلس كورة وكورة وثغراً وثغراً وانحصر المسلمون في
مقاطعة غرناطة التي تمتد ما بين رندة في المغرب الى البيرة في شرق الاندلس
ثم شمر ابن الاحمر بغلظه وعلم ان الاسبانيين لم يساعدهوا الا لفائدتهم الشخصية

وانهم اتخذوه آلة في ايديهم لانتقام مقاصدهم فنقض العهد الذي كان قد عقده معهم وعزم على حربهم واستخلاص الجزيرة منهم وبعد ان حاربهم مراراً لم يظفر بشيء وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة الاف منهم فاجازوا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوم ورجعوا . ثم تابلوا اليه من بعد ذلك من كل بيت من بيوت بني مرين ومعظمهم الاعيان من بني عبد الحق لما تزاخهم مناكب السلطان في قومهم وتعض بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغنيين بها من بأسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان ولم يزل الشأن هذا الى ان توفي محمد بن يوسف ابن نصر الشيخ سنة ٦٧١ هـ

٥٥٣ - محمد الفقيه بن محمد الشيخ

من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ او من سنة ١٢٧٢ - ١٣٠١ م

ولما توفي محمد الشيخ بن يوسف بن نصر قام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالفقيه (لقب بالفقيه لانتقاله طلب العلم في صغره) . وكان ابوه قد اوصاه قبل موته اذا اباه امر من العدو او وصل اليه مكروه ان يستنصر عليه بني مرين سلاطين المغرب ويجمعهم وقاية بين العدو وبين المسلمين فلما تكالب الاسبانيون على الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل باشارة والده واوفد مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب مراكش سنة ٦٧٢ هـ وكان قد تم استيلائوه على بلاد المغرب وتغلبه على مراكش فاجاب صريحه واجاز عساكر المسلمين من بني مرين وغيرهم الى الجهاد مع ابنه منديل ثم جاء هـو على أثرهم وامكنه ابن هشام من الجزيرة الخضراء كان ثائراً بها فقتلها منه ونزل بها وجعلها ركناً لجهاده وينزل بها جيش الغزو . ولما اجاز سنة ٦٧٢ هـ حارب الاسبانيين وهزمهم

ثم حذره ابن الاحمر على ملكه فداخل الاسبانيين في الاتحاد معهم ثم حذر
الاسبانيين فراجعه وهو مع ذلك يده في نحره بشوكة الاعياص الذين نزعوا اليه
من بني مرين ومرض في طاعة قرايئه من بني اشقيلولة كان عبد الله منهم بمالقة
وعلي بوادي آش وابراهيم بحصن قبادش فثاروا عليه وداخلوا يعقوب بن عبد الحق
في المظاهرة عليه فكان لهم معه فتنة وامكنوا يعقوب المذكور من النفور التي بايديهم
مالقة ووادي آش ثم استخلصها محمد الفقيه هذا بعد ذلك وسار بنو اشقيلولة الى المغرب
ونزلوا على يعقوب بن عبد الحق فاكرم مشوام . واستبد الفقيه ابن الاحمر بملك
ما بقي من الاندلس . وكانت اجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق اليه اربع
مرات هزم فيها الاسبانيين مراراً حتى الزمهم بعقد هدنة مع المسلمين سكان الاندلس
الى اجل مسمى ثم توفي السلطان يعقوب المذكور سنة ٦٨٥ هـ وتولى بعده ابنه
يوسف فنقض الاسبانيون عقد الهدنة واغاروا على بلاد المسلمين واذاقوهم الامر
فارسل الفقيه الى السلطان يوسف بن يعقوب يستنجده وكان مشغولاً بفتنه آل
زيان اصحاب تلمسان فاوزع السلطان الى قائد المسالخ بالاندلس علي بن يوسف بن
يزكاتن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الاسبانيين
فنهض لذلك في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ وجاس خلالها وتوغل في اقطارها وابلغ
في النكاية . ثم سار السلطان يوسف في اثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة
واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع
في اجازتهم البحر . فبعث الاسبانيون اساطيلهم الى الزقاق (البوغاز) حجازاً لهم
دون الاجازة فاوزع السلطان يوسف الى قواد اساطيله بالسواحل بمقابلة العدو
ففعلوا وقدمت والتقت مع اساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتلوا
وانكشفت المسلمون وقتل قواد الاساطيل فامر السلطان يوسف باستئناف العمارة
ثم اغزاهم ثانية فقامت اساطيل الاسبانيين عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فلما كته
اساطيل السلطان فاجاز اخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار
الحرب غازياً وبث السرايا في ارض العدو وردد الغارات حتى قضى وطره ثم هجم

فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فرجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة ٥٦٩١ هـ ولما قفل السلطان يوسف من الاندلس وقد بالغ في النكاية عظم على الاسبانيين امره وثقلت عليهم وطأته فشرعوا في اعمال الحيلة بينه وبين ابن الاحمر . وكان السلطان محمد الفقيه ابن الاحمر يتخوف من السلطان يوسف ان يغلبه على بلاده فاتحد مع الاسبانيين على منازلة طريف واستخلاصها من يد عمال السلطان يوسف المريني ليتعذر علي السلطان يوسف الجواز الى الاندلس اذ لا يجد مرفأ ترسو به اساطيله فنزلوا طريقاً والحوا عليها القتال وحاصروها براً وبحراً حتى انقطع المدد والميرة عن اهلها ودام الحصار اربعة اشهر حتى اصاب اهل طريف الجهد فراسلوا الاسبانيين في الصلح والنزول عن البلد فصالحوهم وملكوها اخر يوم من شوال سنة ٥٦٩١ هـ . وكان ابن الاحمر قد اشترط على الاسبانيين ان تكون طريف له فلما استولوا عليها لم ينزلوا له عنها كاتفاقهم فبذل لهم ستة حصون عوضاً عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكان حاله في ذلك كحال صاحب النعامة المضروب بها المثل عند العرب

ولما رأى محمد الفقيه ابن الاحمر تلاعب الاسبانيين به ندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف بن يعقوب المريني فوافده عليه ابن عمه الرئيس ابا سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر في وفد من اهل حاضرت له لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فأبرموا العقد واحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ٥٦٩٢ هـ فوقع ذلك منه اجل موقع واجمع الرحلة الى السلطان يوسف لاحكام العقد فتهنياً لذلك وعبر البحر في ذي القعدة سنة ٥٦٩٢ هـ ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للقائه فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يديه هدية ثمينة كان من احسنها موقعاً لديه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان (رضه) كان بنوامية يتوارثونه بقرطبة ثم خاص الى ابن الاحمر فاتخف به السلطان يوسف في هذه المرة . فقبل السلطان يوسف ذلك وكافاه باضمافه وبالغ

في تكريمه واسعفه بجميع مطالبه . واراد ابن الاحمر ان ييسط العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن سماع ذلك واضرب عن ذكره صفحا ونزل لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغريسة وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل في ملكته وملكه ابيه وعاد ابن الاحمر الى الاندلس اخر سنة ٦٩٣هـ وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربيها لوزيره الشهير الذي ذكر عمر بن السعود بن خرباش الحشمي فنازلها مدة فامتنعت عليه وافرغ عنها . وفي سنة ٧٠١هـ توفي محمد الفقيه بن الشيخ محمد بن يوسف

٥٥٤ - محمد المخلوع بن محمد الفقيه

من سنة ٧٠١ - ٧٠٨هـ او من سنة ١٣٠١ - ١٣٠٨ م

ولما توفي محمد الفقيه بن محمد الشيخ تولى بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كانيه ابو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي . واول ما فعله محمد المخلوع المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف بن يعقوب المريني فاوفد اليه من قام مقامه في تادية هذا الواجب وقابل السلطان يوسف وفده بالاکرام وانتقلوا الى مرساح خير منقلب وطلب السلطان منه ان يده بالرجال من عسكر الاندلس فامده بما طلب . ثم فسد الحال بين السلطان محمد المخلوع والسلطان يوسف المريني وانهض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الاسبانيين وممالاتهم على المسلمين اهل المغرب . ثم اوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الخيلة في الغدر باهل سبتة ففعل ودخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فامكنه من البلد فاقتحمها باساطيله وجنده على حين غفلة من اهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم واركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة . واستبد الرئيس ابوسعيد بمرسبة وثقف اطرافها وسد ثغورها وحاول السلطان ارجاعها فردد اليها العساكر فلم يتمكن من ذلك

وكان بنو الاحمر قد ملوا استبداد ابي عبد الله بن الحكيم كاتب محمد المخلوع
فدخلوا اخاه ابا الجيوش نصرًا في العصيان على اخيه محمد والبيعة له فوافقهم وثاروا
سنة ٧٠٨ هـ وقبضوا على ابي عبد الله بن الحكيم وقتلوه واعتقلوا محمدًا المخلوع
وبايعوا لاختيه ابي الجيوش نصر

٥٥٥ - ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه

من سنة ٧٨ - ٧١٧ هـ او من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٧ م

وبعد ان خلع اهل غرناطة سلطانهم محمدًا المخلوع لاستبداد كاتبه عليه كما
ذكرنا ولوا بعده اخاه ابا الجيوش نصر بن محمد الفقيه . وفي سنة ٧٠٩ هـ خرجت
سبئة من يد بني الاحمر لان عمالهم كانوا قد اساءوا السيرة في أهلها فثاروا عليهم
وكتبوا السلطان ابا الربيع سليمان صاحب فاس في القدوم اليهم لتسليم المدينة فارسل
اليهم بعض ثقاته في عسكر ونسلم المدينة وعم الفرح اهل المغرب لرجوع سبئة
لدولتهم كما كانت . واتصل الخبر بابي الجيوش نصر بن الاحمر فضاق ذرعه
وخشي عادية بني مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها فجنح
الى السلم واوفد رسله على السلطان ابي الربيع راغبين في السلم خاطبين للولاية
وتبرع بالنزول عن الجزيرة وردة وحصونها ترغيبًا للسلطان ابي الربيع في الجهاد
فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما اراد وخطب منه اخته فانكحه ابن الاحمر
اياها . وكان ابو الجيوش نصر سيئ السيرة قليل الدراية ليس اهلاً للملك
واستبدت عليه بطانته لانشغاله عن امور المملكة باللهو واللعب . وكان من ضمن
الذين اجازوا الى الاندلس من بني مرين عثمان بن ابي الملاء وكان بطلاً شجاعاً
وله في الاندلس مواقف مشهورة ومواقع كثيرة وكان شديد الغيرة على صالح
المسلمين بالاندلس فلما رأى ضعف السلطان ابي الجيوش وعدم قدرته المدافعة
عن ملكه داخل ابن عمه ابا الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس صاحب مالقة

فى انتزاع الامر من ابى الجيوش والبيمة للاخير فقبل ابو الوليد ذلك وثار بالقة سنة ٧١٧ هـ وزحف الى غرناطة فمزمو عساكر ابى الجيوش وثارى به الدهاء من اهل المدينة واحيط به وصالحهم على الخروج الى وادى آش فلقى بها ملكاً الى ان توفى سنة ٧٢٢ هـ

٥٥٦ - ابو الوليد اسماعيل بن ابى سعيد الرئيس

من سنة ٧١٧ - ٧٢٢ هـ او من سنة ١٣١٧ - ١٣٢٧ م

هو ابو الوليد اسماعيل بن ابى سعيد الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الاحمر قام بامر مملكة بعد وفاة ابيه ابى سعيد الرئيس ثم داخله عثمان بن ابى العلاء المرينى فى الثورة على ابى الجيوش نصر بن عمه واستخلاص الامر منه لضعفه عن القيام به فكان ما قدمنا من انتصاره على عساكر ابى الجيوش بظاهر غرناطة وخروج ابى الجيوش عنها الى وادى آش فدخل ابو الوليد غرناطة واستبد بملكها واستتب امره فيها وكان ملك اسبانيا فى ذلك الوقت بطرس الاول ابن الفونس الحادى عشر فلما رأى الفتنة قائمة بين مسلمى غرناطة طمع فى الاستيلاء عليها واخراج المسلمين منها فجمع جيشاً جراراً وسار حتى اناخ بظاهر غرناطة وحاصرها حصاراً شديداً . ولما رأى اهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان ابى سعيد عثمان المرينى صاحب المغرب ليدمهم بجيوشه ويفرج كربتهم ولأن عثمان بن ابى العلاء المرينى شيخ الغزاة بالاندلس وبطل الاسلام فيها كان نازعاً على ابى سعيد المذكور وثائراً عليه فشرط عليهم السلطان ابو سعيد ان يكتنوه منه ليتأتى له العبور الى الاندلس فاستصعب اهل الاندلس هذا الشرط فاختفق سعيهم ورجعوا منكسرين . واطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا فى التهامها . ولما رأى عثمان بن ابى العلاء شيخ الغزاة المذكور شدة ما هم فيه من الضيق انتخب بعض شجعانه وهجم على الفرنج على حين غفلة منهم فاقتل مصالهم وهرب شجعانهم واتخن المسلمون فيهم وكان نصراً مبيناً وعدت هذه الواقعة من اغرب الوقائع وغنم المسلمون منهم ما لا يقدرون وذلك سنة ٧١٩ هـ فلما تمت الهزيمة على الفرنج طلبوا عقد هدنة مع المسلمين فاجيبوا الى ذلك

وعظم امر ابي الوليد وبلغت دولته من العز والشوكة شأواً بعيداً الى ان غدر به بعض قرابته من بني نصر سنة ٧٢٧ هـ طعنه غدراً فتوفي لوقته

٥٥٧ - محمد بن ابي الوليد

من سنة ٧٢٧ - ٧٣٣ هـ او من سنة ١٣٢٧ - ١٣٣٢ م

لما قتل ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس تولى بعده ابنه محمد وكان صغيراً فاستبد عليه وزيره ابن المحروق . ولما ادرك السلطان معنى الملك والاستبداد انف من استبداد وزيره عليه فقتله بداره غدراً سنة ٧٢٩ هـ استدعاه للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق وتناوله مع مماليكه طعناً بالخناجر الى ان مات وقام السلطان باعباء ملكه . اما عثمان بن ابي العلاء المريني شيخ الغزاة بالاندلس فرجع الى مكانه من يعسوية الغزاة وزنائة حتى توفي سنة ٧٣٠ هـ فتولى مشيخة الغزاة بعده ابنه ابو ثابت وعظم امر بني ابي العلاء بالاندلس حتى خافهم السلطان محمد علي نفسه : وكان الاسبانيون قد ضايقوه من جهة اخرى حتى ضاق به الامر فاجاز الى المغرب صريحاً للسلطان ابي الحسن علي المريني صاحب المغرب فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة ٧٣٣ هـ فاكبر السلطان ابو الحسن موصله واركب الناس للقائه وانزله بروض المصاراة لصق داره واستبغ في اكرامه . وفأوضه ابن الاحمر في امر المسلمين بالاندلس وما اهمهم من عدوم وشكى اليه امر بني عثمان بن ابي العلاء لاستطاعتهم عليه . وكان السلطان ابو الحسن في ذلك الوقت مشغولاً بفتنة اخيه ومع ذلك فقد امدّه بخمسة الاف من عساكر بني مرين بقيادة ابنه ابي مالك وانفذهم مع ابن الاحمر لمنازلة جبل الفتح الذي كان الفرنج قد استولوا عليه سنة ٧٠٧ هـ فنالوه واستولوا عليه واخرجوا الفرنج منه . ولم يحسن الاتفاق الذي عقد بين السلطان محمد بن الاحمر وبين السلطان ابي الحسن المريني في اعين بني عثمان بن ابي العلاء لانهم خافوا ان يعود هذا الاتفاق عليهم بالضرر فتشاوروا فيما بينهم وفتكوا بابن الاحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا اخاه ابا الحجاج يوسف

٥٥٨ - ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد

من سنة ٧٣٣ - ٧٥٥ هـ او من سنة ١٣٣٢ - ١٣٥٤ م

ولما بويج ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد شمر الاخذ بشار اخيه فاحنل على بني ابي العلاء حتى قبض عليهم واودعهم السجون ثم غربهم الى تونس وقدم على الغزاة مكان ابي ثابت بن عثمان بن ابي العلاء يحيى بن عمر بن رحو فقام بامرهم وطالت رئاسته . وعاد الاسبانيون الى مضايقة المسلمين في بلادهم بتريد السلب والنهب حتى بلغ خوف المسلمين منهم مبلغاً عظيماً ولم يقدر ابو الحجاج يوسف المذكور على منع الاسبانيين من مهاجمة بلاده فارسل الى السلطان ابي الحسن علي المريني يستنجده . وكان ابو الحسن كلفاً بالجهاد الا انه كان مشغولاً بقتال بني زيان اصحاب تلسان فلما انتصر عليهم واستولى على تلسان عزم على الجواز الى الاندلس برسم الجهاد وقدم ابنه ابا مالك في عساكره بنى مريين واجازهم سنة ٧٤٠ هـ لشخص ابو مالك غزباً وتوغل في بلاد الفرنج واكتسحها وخرج منها بالسبي والغنائم واهتم الاسبانيون لهذا الامر واتحدوا معاً بعد ان كانت الفتنة قد اشتغلت بينهم زمناً طويلاً وجمعوا عساكرهم وقاتلوا المسلمين وانتصروا عليهم وقتلوا ابا مالك بن السلطان ابي الحسن المريني . واتصل الخبر بالسلطان ابي الحسن فتجمع لقتل ابنه فجمع عساكره وعزم على الجواز بنفسه الى الاندلس لالاخذ ثار ابنه وكانت اساطيل الاسبانيين واقفة لعساكره بالمرصاد فعاقت حركاتهم كثيراً فاعجز السلطان ابو الحسن لقواد اساطيله بمقاتلة اساطيل الاسبانيين فكانت بينهم موقعة بحرية هائلة انتصر فيها المسلمون انتصاراً مبيناً فتمكن السلطان ابو الحسن من اجازة عساكره بلا معارضة ولا تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ٦٠ ألفاً اجازوه في اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة ٧٤٠ هـ وكان الاسبانيون عقب انهزام اساطيلهم في المعركة البحرية التي تقدم ذكرها قد حصنوا ميناء طريف وشحنوه بالاقوات والسلاح واستعدوا للقاء المسلمين استعداداً كبيراً ولما اجاز السلطان ابو الحسن نزل بساحة طريف واناخ عليها وذلك في ٣ محرم سنة ٧٤١ هـ وشرع في منازلتها ووافاه السلطان ابو الحجاج يوسف صاحب الاندلس في عساكره واتحدوا معاً على حصار طريف وبعد اخذ ورد كثيرين هجم الاسبانيون على المسلمين على غرة منهم فاحتل مصافهم وانهمزوا هزيمة مرة حتى وصل عسكر الفرنج الى خيمة السلطان ابي الحسن وسبوا حرمه وغنموا

امواله وعظم الخطب على المسلمين وذلك يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤١ هـ .
فرجع السلطان ابو الحسن مع من سلم من عسكره الى المغرب وابن الاحمر الى غرناطة
وقوي الاسبانيون على المسلمين بعد هذا الانتصار وطمعوا في الاستيلاء على ما بقي
في يدهم فنازلوا الجزيرة الخضراء واستولوا عليها سنة ٧٤٣ هـ . ولم يزل ابو الحجاج في
سلطانه الى ان توفي سنة ٧٥٥ هـ طعنه في سجنه في صلاة العيد وغد من صفاعة البلد
كان مجتمعاً

٥٥٩ - الغني بالله محمد بن ابي الحجاج

من سنة ٧٥٥ - ٧٦٠ هـ او من سنة ١٣٥٤ - ١٣٥٩ م

ولما توفي ابو الحجاج يوسف تولى بعده ابنه محمد وتلقب الغني بالله وقام بامردولته مولاه
رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم . واستوزر لسان
الدين بن الخطيب الشهير الذكر وجعله رديفاً لرضوان في امره وتشاركاً في الاستبداد معاً
وكان للسلطان الغني بالله اخ اسمه اسمعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من حمراء
غرناطة احتفاظاً به الى ان كان رمضان سنة ٧٦٠ هـ فخرج الغني بالله الى بعض ممتلكاته
خارج القصة ولما كانت ليلة ٢٧ من رمضان المذكور تسوّر جماعة من شيعة اسمعيل
المحبوس عليه القصة ليلاً واخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ثم اقتحموا على حاجبه
رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نساءه وضبطوا القصة واعلنوا بالدعوة . وسمع
الغني بالله قرع الطبول بالقصة في جوف الليل فاستكشف الخبر وأسمع فلم بما تم عليه
من خلعه وتولية اخيه فركب فرسه وخاض الليل الى وادي آش فاستولي عليها وضبطها
وبايه اهلها على الموت . ثم عمد شيعة اسمعيل الثائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه
السجن واكتسحوا داره واصطلحوا نعمته واتلفوا موجوده . واتصل الخبر بالسلطان ابي
سالم المريني صاحب تونس وكانت له مصافاة مع الغني بالله فكتب الى اسمعيل الثائر
وشيعته يامرهم بتخليه طريق الغني بالله للقدوم عليه ويشفع في تسريح ابن الخطيب
وتخليه سبيله فاجابوه الى ذلك فسار السلطان الغني بالله ووزيره ابن الخطيب الى السلطان
ابي سالم في محرم سنة ٧٦١ هـ فاكرم السلطان ابو سالم قدومه وبقي عنده الى ان كان
ما نذكره ان شاء الله تعالى

٥٦٠ - اسماعيل بن ابي الحجاج

من سنة ٧٦٠ - ٧٦١ هـ او من سنة ١٣٥٩ - ١٣٦٠ م

كان الغني بالله قد حبس اخاه هذا اسماعيل بن ابي الحجاج ببعض قصور قلعة الحمراء بغرناطة كما تقدم وكانت له ذمة وصهر من ابي يحيى محمد بن عبد الله ابن اسماعيل بن محمد بن الرئيس ابي سعيد بما كان ابوه انكحه شقيقة اسماعيل المذكور وكان ابو يحيى هذا يدعى بالرئيس . فدخل محمد الرئيس هذا بعض الزعالة من الغوغاء وبث حصن الحمراء وتسوره وولج على الحاجب رضوان في داره فقتله كما تقدم ذكر ذلك واخرج صهره اسماعيل ونصبه للملك ليلة ٢٧ رمضان سنة ٧٦٠ هـ . وقام الرئيس بامر اسماعيل ودبر ملكه ثم ترددت السعيات ونذر الرئيس بالنكبة ففدر باسماعيل وقتله واخوته جميعاً سنة ٧٦١ هـ

٥٦١ - الرئيس محمد بن عبد الله

من سنة ٧٦١ - ٧٦٣ هـ او من سنة ١٣٦٠ - ١٣٦١ م

هو ابو يحيى محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن محمد ابن الرئيس ابي سعيد فرج ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الاحمر فلما غدر بصهره اسماعيل بن ابي الحجاج كما تقدم استبد بملك الاندلس ونبذ اليهود التي كان قد عقد لها سلفه مع الاسبانيين ومنع ما كان سلفه يعطونه من الجزية على بلاد المسلمين . فجهز الاسبانيون اليه المساكر فوقع بهم بوادي آس واشحن فيهم . وفي هذه الاثناء ارسل ملك المغرب الى الاسبانيين في شأن السلطان محمد الغني بالله لخلوع ورده الى ملكه فاجابوه الى مساعدته فاركبه الاساطيل واجازته الى الاندلس فالتقاء الاسبانيون ووعده المظاهرة على امره فخارب محمد الرئيس هذا واقتحم عليه غرناطة وقتل حاجبه وهرب

الرئيس محمد الى بلاد الفرنج ودخل الغني بالله غرناطة واستولى عليها وذلك
سنة ٧٦٣ هـ

٥٦٢ - الغني بالله محمد بهر ابى الحجاج ثانية

من سنة ٧٦٣ - ٧٩٣ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٩١ م

ولما دخل الغني بالله غرناطة وثبت قدمه بها بحث عن مخالفه بغاس من الاطفي
والولد وكان القائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم ابن الخطيب وكان
مقيماً بسلا وبعضهم الى نظره فسر السلطان ابن الاحمر بمقدمه ورده الى منزله
ودفع اليه تدبير المملكة . وتولاه هذا السلطان الغني بالله المخلوع اريكة ملكه بالبحر
متمتعاً بالظهور والترف والعزة على الاسبانيين ومملوك المغرب بالعدوة . اللهم على
الاسبانيين فان الملك بطرس الاول الذي تولى بعد ابيه الفونس الحادي عشر
فكان ملكاً غشوماً ظالماً بهذا المقدار حتى انه قام على امراته الملكة بلانش
البربونيه وقتلها ثم جار على اخيه هنري بالظلم والعدوان حتى الزمان يعاديه ويقضيه
ضرره . فذهب هنري الى كارلوس الخامس ملك فرنسا واستجار به فاجاره لانه
كان يريد ان ينتقم من بطرس المذكور لقتله بلانش وانجده بجيش من
الفرنساوية فحاربوا بطرس وخاعوه عن سرير ملكه . ففر هارباً واستجار بالعدو
الملقب بالامير الاسود وكان يومئذ متولياً اماره الانكليز في اكييتين من الباي
فرنسا فاجاره مراعاة لقوانين الشرف واراد ان يختم له من اعدائه فخرج في قوم
من جنده الى اسبانيا وبطش بالفرنساويين والكاستيليين وكسره كسرة هائلة
واخذ قائدهم اسيراً وارحم بطرس الاول الى سرير ملكه . ولكنه بحال رجوعه
رجع بطرس الى ما كان عليه من السيئات والظلم فاهله الامير الاسود ولم يشأ
ان يساعده بعد . وكان شارل الخامس قد اقتدى قائد جيشه الذي اسره الامير
الاسود فارجه اذ ذاك لنجدة هنري فحارب كلاهما بطرس الاول واستظرا عليه

في وقعة عظيمة وبعد ان قبضا عليه وقتلاه صعد هنري على تخت المماكة تحت اسم هنري الثاني سنة ١٣٦٩ م . فاغتنم السلطان محمد الغني بالله صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فاعتز عليهم ومنع الجزية التي كانوا يأخذونها من المسلمين من عهد سافه . اما على ملوك المغرب المرينيين فكان قد نالهم الهرم الذي ينال الدول وضمف ارمهم واستبد الوزراء والحجاب على الملوك منهم ولما توفي السلطان ابو الحسن اخر العظماء من ملوكهم تولى بعده ابنه عبد العزيز بن ابي الحسن ثم توفي سنة ٧٧٤ هـ فتولى بعده ابنه السلطان السعيد بالله ابو زيان محمد بن عبد العزيز وكان صغيراً لم يناهز الحلم فطمع السلطان محمد الغني بالله في وضع يده على المغرب وكان عنده من بني مرين عبد الرحمن بن يفلوسن فسرجه من الاندلس للاتحاد مع ابي العباس احمد بن ابي سالم اطالب ملك المغرب . واستولى ابراهيم بن احمد بمظاهرة عبد الرحمن بن يفلوسن على فاس وخلص السعيد بالله سنة ٧٧٦ هـ واستقل بملك المغرب واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعل اليه المرجع في نقضهم وابعادهم فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية واصبح المغرب كانه من بعض اعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان ابي العباس على ملك المغرب حتي تم له وبما كان تحت يده من ابناء الملوك المرشعين للامر فكان ابو العباس وحاشيته يصانعونه لاجل ذلك

ولم يزل الحال على ذلك حتى سعى بعض سماسرة الفساد ما بين السلطان الغني بالله والسلطان ابي العباس حتى حملوا الغني بالله على نقض دولة السلطان ابي العباس ببعض الاعياص الذين عنده فاختر من اولئك الفتية موسى بن ابي عنان واستوزر له مسعود بن ماسي فلما كانت سنة ٧٨٥ هـ خرج ابو العباس من فاس قاصداً تلمسان الا ستملاء عليها فانتهز ابن الاحمر فرصة غيابها واجاز موسى ابن ابي عنان ووزيره وامدهم بالعساكر . فنزل موسى بن ابي عنان سبعة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها . واتصل الخبر بالسلطان ابي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادراً

ونزل بتازا فاقام بها ارباً ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركي فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسلوا عنه الى موسى طوائف وافراداً ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره واضرمت النار في خيامه وذلك يوم الاحد ٣٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ ثم بث موسى بن ابي عنان من اتاه بالسلطان ابي العباس في الامان فقدم عليه وقيدته وبعثه الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطاً عليه . واستولى السلطان موسى على المغرب واستبد عليه وزيره مسعود بن ماسي وطالب ابن الاحمر بالنزول عن سبته فامتنع ونشأت بينهما فتنة . ودس ابن ماسي لاهل بيته بالثورة على حامية السلطان ابن الاحمر عندهم فثاروا عليهم وامتنعوا بالقصبة حتى جاءهم المدد في اساطيل ابن الاحمر فسكر اهل بيته واطمانت الحال . ونزع الى السلطان الغني بالله ابن الاحمر جماعة من اهل الدولة وسألوه ان يبعث لهم ماسكاً من الاعيان الذين عنده فبعث اليهم الواثق محمد بن الامير ابي الفضل ابن السلطان ابي الحسن وشيعه في الاسطول الى سبته وخرج الى غمارة فبلغ الخبر الى مسعود ابن ماسي فخرج اليه في المسكر وحاصره بذلك الجبال ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى بن ابي عنان بفاس فارتحل راجعاً ولما وصل الى دار الملك نصب على الكرسي صبيّاً من ولد السلطان ابي العباس كان تركه بفاس . وجاء السلطان ابو عنان ابن الامير ابي الفضل ونزل بجبل زرهون قبالة فاس وخرج ابن ماسي في المساكر فنزل قبائله وكان متولي امره احمد بن يعقوب الصبيحي وقد غص به اصحابه فذبوا عليه وقتلوه امام خيمة السلطان وامتنع السلطان لذلك ووقعت المراسلة بينه وبين ابن ماسي على ان يبايع له بشروط الاستبداد عليه واتفقا على ذلك ولحق السلطان بابن ماسي ورجع به الى دار الملك فبايع له واخذله البيعة من الناس وكانت معه حصّة من جند السلطان ابن الاحمر مع مولى من مواليتهم فحبسهم جميعاً وامتنع لذلك السلطان ابن الاحمر فاركب ابا العباس احمد المعتقل عنده البحر وجاء معه بنفسه الى سبته فدخلها وعساكر ابن ماسي عليها يحاصرونها فبايعوا جميعاً للسلطان ابي العباس ورجع ابن الاحمر الى غرناطة وسار السلطان ابو العباس الى

فاس واعترضه ابن ماسي في الساكر فحاصره بالصفيحة من جبل غمارة وتحدث
اهل عسكره في اللحاق بالسلطان ابي العباس فنزعوا اليه وهرب ابن ماسي وحاصره
السلطان شهرا حتى نزلوا على حكمه فقطع ابن ماسي بعد ان قتله ومثل به وقتل
سلطاناه واستلم سائر بني ماسي بالتسكيل والقتل والعذاب واستولى على المغرب وافرج
السلطان ابن الاحمر عن سبته واعادها اليه وانصلت المولاة بينهما . واستمر
السلطان ابن الاحمر عزيز الجانب عظيم الهيبة قوي السلطان الى ان توفي سنة
٧٩٣ هـ وهو اعظم ملوك هذه الدولة الاحمرية بلا راء ولم يسود صحيفة تاريخه
البيضاء الاسماء الوشية في وزيره لسان الدين بن الخطيب ونكبتة اياه

٥٦٣ - ابو الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله

من سنة ٧٩٣ - ٧٩٤ هـ او من سنة ١٣٩١ - ١٣٩٢ م

ولما توفي الغني بالله محمد بن ابي الحجاج تولى بعده ابنه ابو الحجاج وبايعه الناس
وقام بامرهم خالد مولى ابيه وتقبض على اخوته سعد ومحمد واصر فكان آخر العهد
بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر . ثم سمي عنده في خالد القائم بدواته وانه اعد السم
لقتله وان يحيى بن الصنائع الطبيب اليهودي طبيب دارهم قد داخله في ذلك ففتك
بخالده وحبس الطبيب المذكور فندب في محبسه ثم توفي ابو الحجاج بن الغني بالله سنة ٧٩٤ هـ
لستين او نحوها من ولايته

٥٦٤ - بقية اخبار الدولة الاحمرية

من سنة ٧٩٤ - ٨٩٧ هـ او من سنة ١٣٩٢ - ١٤٩٢ م

لما توفي ابو الحجاج بن الغني بالله تولى بعده ابنه محمد بن يوسف وقام بامرهم
القائد ابو عبد الله محمد الحصاحي من صنائع ابيه . ولم يزل الملك له حق توفي وتولى
بعده غيره من بني الاحمر الى ان كانت دولة السلطان ابي الحسن علي بن السلطان سعد
ابن الامير علي بن السلطان يوسف بن الغني بالله فسارعه اخوه ابو عبد الله محمد بن

سعد المدعو بالزغل وبوبع بمالقة وبقي بها مدة وعظم الخُطْب واشتدت الفتن وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى تفريق كلمهم والتسكن من فسخ عقدهم وذمتهم وذلك اعوام الثمانين وثمانية ثم انقاد ابو عبد الله لاختيه ابي الحسن فسكنت احوال الاندلس بعض الشيء . وكان السلطان ابو الحسن متزوجاً (غير زوجته الشرعية السيدة زريدة وهي ابنة عمه) حظية رومية وكان له منها اولاد وكان شغفاً بهذه الرومية جداً حتى قدم احد اولادها لولاية العهد من بعده وجار على زوجته وابنة عمه السيدة زريدة جوراً عنيفاً فهربت من القصر هي واولادها . فلما رأى الشعب حالها وما افترى به زوجها عليها اغتاظوا جميعاً وبادروا حالاً الى خلع ابي الحسن عن كرسي الملك واقاموا مكانه ابنه ابا عبد الله من زوجته زريدة المذكورة وهرب ابو الحسن الى ملقا فقبضوه هناك بترحاب واحتفال وبايعوه على الموت وهكذا انقسمت المملكة على ذاتها وحصلت بينهما حروب وفتن كثيرة يطول شرحها . ولما استتب الامر للسلطان ابي عبد الله بن ابي الحسن بغرة طة جهز عسكرياً وخرج غارياً في بلاد الاسبانيين وحصلت بين الفريقين مواقع كثيرة أسر في آخرها السلطان ابو عبد الله فعتقه الاسبانيون عندهم . ولما أسر السلطان ابو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة واعيان الاندلس وذهبوا للقاء السلطان ابي الحسن واحضروه الى غرناطة وبايعوه ولانه كان قد ذهب بصره خلع نفسه وقدم اخاه ابا عبد الله بن سعد المعروف بالزغل للامر فاستبد بالملك . وكان ابو عبد الله الزغل هذا شجاعاً حارب الاسبانيين وتنعصر عليهم فلما تحققتوا شجاعته وقوته اتبعوا طريقة سلفهم في افعال الحيلة لاثارة الفتن بين المسلمين حتي يضعفوا عن مقاومتهم فاخرجوا السلطان ابا عبد الله المأسور عندهم وامدوه بالمساكر لطاب الملك نفسه وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ حتى استولى ابن الاخ على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد ففت ذلك في عضده وعطف الى وادي آش وتحصن بها

وفي ذلك الوقت الذي ضمه فيه امر المسلمين بالاندلس بتوالي الفتن كانت مملكة اسبانيا في تقدم . ومما زاد اسبانيا سطوة انضمام اقسامها الى مملكتين قويتين

وهما مملكة كسيلة (قشالة) ومملكة اراغون اللتان انمهرتا فيما بعد في عائلة واحدة بزواج فردينند ملك اراغون بايزالة ملكة كسيلة سنة ١٤٦٩ م . فلما افترن هذان الشخصان اتفقا على ضم الممالك الاسبانية الى واحدة وطرده المسلمين من غرناطة . فانتهزوا حصول هذه الفتنة بين المسلمين واقاموا عليهم حربا عناءا . ونجح الاسبانيون في هذه الحرب اذ كانوا تحت قيادة بطليح عظيمين اي فردينند وايزالة . فان فردينند كان في مقدمة الجيش يقوم بحسن تدبيره وجودة رأيه ويشجعهم على الثبات والمجوع . اما ايزالة فتولت مصاريف الحرب وخدمة المسكر وتدبير المرضى والمجروحين كالام الحنون فكانت تجول في الحرب من مكان الى آخر وعندما كانت قلوب العساكر تستعط وتميط كانت تشجعهم وتطيب قلوبهم بالفاظها العذبة فتفزع منها الخوف والرعب وتمكن فيها الفراسة والحاسة فيجمعون على اعدائهم هجمة الاسود الكواسر فينتهرون ويظفرون فكانت بالحقيقة هي روح تلك الحرب وعلة قوتها . وبعد عدة وقائع انهزم المسلمون ودارت الدائرة على جموعهم فاستولى الاسبانيون على مملكة غرناطة وطردها جميع المسلمين من تلك الاطراف بعد حروب تذكر وكان ذلك سنة ٨٩٧ هـ او سنة ١٤٩٢ م وهي ذات السنة التي اكتشف فيها كولمبوس الشهير قارة اميركا باسعاف وامداد الملكة ايزالة هذه . وقد حصر بعض المؤرخين عدد الوقائع التي جرت بين الاسبانيين والمسلمين منذ دخولهم الى وقت خروجهم فبلغت ٣٧٠٠

ولما استولى الاسبانيون على غرناطة اجاز السلطان ابو عبد الله بن ابي الحسن الذي اخذت غرناطة من يده الى المغرب ونزل بفاس على السلطان محمد الشايخ لوطاسي وبني بفاس بعض قصور على طريق بنبان الاندلس واقام هناك الى ان توفي سنة ٩٤٠ هـ (قال ابو عبد الله المقرئ في نفع الطيب) وعهدي بذريته بفاس الى الآن (سنة ١٠٣٧ هـ) يأخذون من اوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم . والملك لله يوثيه من يشاء وهو العزيز الحكيم



٥٦٥ - الدولة الزيانية بتلمسان

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٥٢٢) ان فيلسوف المؤرخين ابن خلدون قسم جيل زناتة الى طبقتين الطبقة الاولى التي كان منها مفراوة ملوك فاس وقد تقدم الكلام عنهم والطبقة الثانية كان منها بنو مرين ملوك فاس وبنو عبد الواد ملوك تلمسان . وقد ذكرنا تاريخ الدولة المرينية بفاس وبقي علينا ان نذكر اخبار بني عبد الواد بتلمسان فنقول وعلى الله الاتكال

كانت تلمسان في ذلك الوقت قاعدة المغرب الاوسط (الجزائر) ولما ظهرت دولة الموحدين وقتل الخليفة عبد المومن بن علي تاشفين بن علي لمرابطي بوهران (راجع فصل ٤٢٣) خربها وخرب تلمسان بعد ان قتل الموحدين عامة اهلها وذلك اعوام ٥٤٠ هـ ثم راجع رايه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدي على دم ما تثل من اسوارها وخذ عليها لسيان بن وانودين من مشايخ هتانة واخير الموحدين وسبب هذا الحية من بني عبد الواد بما يلي من طاعتهم وانحياسهم . ولم يزل آل عبد المؤمن من بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم واهل بيتهم ويرجمون اليه امر المغرب كله اهتماماً بامره واستمظاناً لملكه وكان هذا الحية من زناتة بنو عبد الواد قد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا في بساطها واجتازوا باقطاع الدولة الكثير من ارضها والطيب من بلادها والوافر للجباية . واقام بنو عبد الواد ضواحي المغرب الاوسط حتى فشل ريج الموحدين وانتزى يحيى بن غانية على جهات قبس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بساط افرريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاتقمها بالغارة وافساد السالمة وانتساف الزرع وحطم النعم الى ان خربت وعقارسمها اعوام سنة ٦٣ هـ وكانت تلمسان نزلاً للعامية ومناخاً للسيد من القرابة الذي يضم نشرها ويذب عن نخاتها . وكل المأمون قد استعمل اخاه السيد ابا سعيد على تلمسان وكان مغفلاً ضعيف التدبير وغاب عليه الحسن بن حيون من مشيخة قومه وكان

عاملاً على الوطن وكانت في نفسه ضغائن من بني عبد الواد فأغرى السيد ابا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فقبض عليهم واعتقلهم . وكان في حامية تلمسان جماعة من بقايا لمتونة تحجفت الدولة عنهم وأثبتهم عبد المؤمن في الديوان وجمعهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشنع عندهم في المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد فردوه فغضب وارغى وازبد واجمع الانتفاض والقيام بدعوة ابن غانية فجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق واغزال الحسن بن حيون لحينه وتقبض على السيد ابي سعيد واطلق المشيخة . بنى عبد الواد ونقض طاعة المأمون وذلك سنة ٦٢٤ هـ وطير الخبر الى ابن غانية فأجده اليه السير . ثم بداله في امر بني عبد الواد وانه لا يستتب له أمر الا بالثغاب عليهم فحث نفسه بالفتك بمشيختهم وبكر بهم في دعوة واعدهم لها ووطن لتديره ذلك جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد فواعده اللقاء وضمير له القدر فلما كان اليوم الموعود خرج ابراهيم بن اسمعيل بن علان الى لقائه ففتك به جابر ودخل تلمسان وكشف لاهاب القناع عن مكر ابن علان فحمدوا رأيه وشكروه على صنيعه وولم يلبثوا وابتعثوا الى المأمون خليفة الموحدين بالمغرب الاقصى ان يوليه عليهم فأجابهم الى ذلك وبعث المأمون لجابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد المذكور بالخلع والعهد وعقد له على تلمسان وسائر المغرب الاقصى ثم انتقض عليه اهل اربونة بعد ذلك فنازلهم وهلك في حصارها سنة ٦٢٩ هـ وقام بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضف عن الامر وتخلى عنه ستة اشهر من ولايته وتولى بعده عمه عثمان بن يوسف وكان سيئ السيرة كثير العسف والجور فثارت به الرعايا بتلمسان فاخرجوه سنة ٦٣١ هـ وارتضوا مكانه ابن عمه زكراي ابن زيان بن زبت لما لب بابي عزة فاستدعوه وولوه على أنفسهم وكان عاقلاً شجعاً لم يهضم لهيئة البلاد وأطاعته العباد فلما استتب أمره حسده بنو مطهر بن زناة وثاروا عليه وكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك في بعض ايامها سنة ٦٣٣ هـ وقام بالامر بعده أخوه يغمراسن بن زيان وكتب له خليفة الموحدين الرشيد بن المأمون

بالعهد على عمله فكان له ذلك سلباً الى الملك الذي اورثه بنيه من بعده مدة طويلة كما ستره أن شاء الله تعالى

٥٦٦ — يغمراسن به زيان

من سنة ٦٣٣ — ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٣٥ — ١٢٨٣ م

هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكرا بن تيدوكس بن طاع الله ابن علي بن القاسم بن عبد الواد تولى على التلمسان بعد وفاة اخيه زكرا بن زيان ولم يكن متولياً عليها على سبيل الاستبداد بل كان عاملاً للموحد بن اصعاب المغرب الاقصى عليها فقط . وكان يغمراسن هذا الي المهمة صادق المزية حسن السيرة فقام باعباء هذا الامر احسن قيام ولما ضعف امر الموحد بن با غرب استبد يغمراسن بتلمسان ورتب بها الجند والوزراء والكتاب ولبس شارة الملا . ومحا اثر الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهي دستها ولم يترك من رسوم دولتهم والقاب ملكهم الا الدعاء لهم على منابر الخليفة بمراكش . ولما رأت قبائل زناتة استبداد يغمراسن بالملك وطهوره بالترف والعز حسدوه فنا بذوه العهد وشقوه الطعة وركبو له ظهر الخلاف والعداوة فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم واحبرهم في امصارهم وكانت له عليهم ايام مشهورة ووقعت معروفة وكان متولي كبر هذه الثورة عبد القوي بن عباس شيخ بني توجين والعباس بن منديل واخوته امراء مغراوة

وكان ابو زكريا بن ابي حفص قد استقل بتونس منذ سنة ٦٢٥ هـ كما ذكرناه وطمع في الاستيلاء على المغرب فراسل يغمراسن ليقربه اليه ليستعين به وقت الحاجة فعقدت بينهما شروط بذلك وكان يغمراسن لما استبد بتلمسان قد اقام الدعوة الحنسية بعمله وتحيز اليهم سلباً لوليهم وحرباً على عدوهم . فلما ثر على يغمراسن من ذكرنا من قبائل زناتة ونازلهم في ديارهم واشحن فيهم لحق عبد القوي بن عباس والعباس بن منديل بتونس مستنصرين ابا زكريا الحفصي على يغمراسن وسهلوا له

امره وسولوا له الاستيلاء على تلمسان فاجابهم الى ذلك وجيز عساكره وسار الى تلمسان سنة ٦٣٩ هـ في عساكر ضخمة وجيوش وافرة فدافع يغمراسن عن تلمسان بقدر ما في امكانه واذا رأى ان لا مقدرة له على دفعهم هرب من تلمسان ولحق بالصحرَاء واستولى الحفصيون على تلمسان ولم يجد ابو زكريا الحفصي من بولييه على تلمسان لان الجميع قد خاموا ذلك لملهم بشدة وشجاعة يغمراسن وان الذي يتولاها لا يأمن على نفسه منه . وفي الاثناء راسل يغمراسن السلطان ابا زكريا الحفصي في الصلح والنزول على طاعته والقيام بدعوته بتلمسان فاجابه الحفصي الى ما اراد وعقد له عليها وعاد الى تونس قرير العين عظيم الجانب

وكان الخليفة براكش من بني عبد المؤمن في ذلك الوقت السعيد علي بن المأمون وكان شهماً حاذقاً يقظاً فلما رأى ما آت اليه حال الدولة من الضعف واستيلاء اصحاب الاطراف كل على مافي يده فالحفصي بتونس ويغمراسن بن زيان بتلمسان وابن هود بالاندلس شمر عن ساعده وجيز العساكر لاعادة هذه الولايات التي انسلخت من الدولة اليها وخرج سنة ٦٤٥ هـ قاصداً تلمسان اولاً

ولما علم يغمراسن بقدومه هرب منها الى قلعة تامزردكت قبله وجدة واعتصم بها فسار اليه السعيد بعساكره وحاصره وضيق عليه وارسل اليه يغمراسن في النزول بالطاعة فلم يقبل الى ان انفرد السعيد ذات يوم عن معسكره وعلم به بعض بني عبد الواد فانقض عليه وقتله وانتهب بنو عبد الواد معسكره ومخلفه وذلك في صفر سنة ٦٤٦ هـ ورجع يغمراسن وبنو عبد الواد الى تلمسان واستقروا بها

وقوي امر يغمراسن بتلمسان حتى طمع في مزاحمة بني مرين الذين استولوا على المغرب بعد انقراض دولة الموحدين فسير العساكر الى اطرافه واستولى على سجلماسة من بلاده وذلك سنة ٦٦٢ هـ وبعد ان عقد عليها لا بنه يحيى رجع الى تلمسان ظافراً فاستمر يحيى عاملاً بها . وكل يعقوب بن عبد الحق المريني في ذلك الوقت مشغولاً بحصار حضرة خلافتهم فلما استولى عليها واطاعته عامة بلاد المغرب وجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن فزحف اليها في عساكره

ونصب عليها آلات الحصار الى ان سقط جانب من سورها فاقتمحوها منه عبوة في صفر سنة ٦٧٣ هـ وقتلوا عساكر بني عبد الواد حاميتها واستولوا عليها . ثم سمت همة يعقوب بن عبد الحق الى تملك تلمسان وانزعاعها من يد بني عبد الواد ففسار على التعمية وحاصرها شديداً فدافع عنها يغمراسن دفاعاً مجوداً فلما رأى يعقوب امتناعها عليه افرج عنها ورجع الى المغرب . واستمر يغمراسن بتلمسان ملكاً على تلمسان يدافع الثائرين عليه من بني توحين وومراوة فكانت بينهم حروب وايام مشهورة حتى الجأهم يغمراسن اخيراً الى الخلود والسكينة بعد ان اثنى فيهم ومثل بهم وجعلهم عبرة للمعتبرين .

ولم يزل يغمراسن وبنوه من بعده آخذين بالدعوة الحفصية واحداً بعد واحد مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة بتونس منهم يوفدون بها كبار ابناءهم وابلي الرأي من قومهم وكان ذلك شأنهم مدة ولما توفي الامير ابو زكريا الحفصي وقام ابنه محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه اخوه الامير ابو اسحق ثم غلبه المستنصر ولحق ابو اسحق بتلمسان في اهله فاكرم يغمراسن نزولهم ثم اجاز ابو اسحق الى الاندلس للجهاد وبقي هناك حتى اذا توفي المستنصر سنة ٦٧٧ هـ واتصل به خبر وفاته رأى انه احق بالامر فاجاز البحر من حينه ونزل بمرسى هفي سنة ٦٧٧ هـ ولقاء يغمراسن مبدة وتوقيراً واحتفل لقدومه واركب الناس لتلقيه واتاه بدمته على عادته مع سلفه ووعده النصر على عدوه والمواررة على امره واصهر اليه يغمراسن في احدى بناته بابنه عثمان ولي عهده واسمعه واجل في ذلك وعده وانقض محمد بن ابي هلال عامل بجية على اللوائق وخلع طاعته ودعا للامير ابي اسحق واستحثه للقدوم فغدا اليه السير من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه في اخلاء الدولة الحفصية فراجعه هناك

فلما استقر ابو اسحق على كرسي الخلافة الحفصية في تونس اوفد اليه يغمراسن ابنه ابراهيم المعروف ببرهوم ويكنى ابا عامر في رجال من قومه لاحكام الصهر بينهما فاكرم وفادته وفي هذه لائناء كانت فتنة ابن ابي عمارة فاتحد ابو عامر برهوم بن يغمراسن مع ابي اسحق في مطاردته وظفر من شجاعته في هذه الحرب

ماخلد له ذكراً جميلاً واخيراً انساب بظلمته محبوباً محبوباً وكار السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة ٦٨١ هـ واستعمل عليها ابنه عثمان وتوغل في بلاد مغراوة وملك ضواحيهم ونزل له ثابت بن منديل بن مدينة نفس فتناولها بن بده ثم بلغه الخبر باقبال ابنه ابي عامر برهوم من تونس بابنة السلطان ابي اسحق عرس ابنه عثمان فتلوم هنالك الى ان لحقه بظهر مليانة فارتحل الى تلمسان فمضى في طريقه وعند ما احل سريره اشتد به وجعه فتوفي هنالك اخر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ فنقله ابنه ابو عامر الى تلمسان . وكان يغمراسن عاقلاً حسن السياسة شجاعاً عاماً بامور المملوكة

٥٦٧ عثمان بن يغمراسن

من سنة ٦٨١ - ٧٠٣ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٣٠٣ م

لما توفي يغمراسن بن زيان باح بنو عبد الواد من بعده ابنه عثمان بن يغمراسن ثم كتب الى الخليفة ابي اسحق بتونس بوفاة ابيه وبعث اليه ببيعتيه فراجعهم بالقول وعقد له على عمله . ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين بخطب منه السلم لما كان ابوه يغمراسن اوصاه به واوعد اخاه محمد بن يغمراسن اليه بمكانه من المدوة الاندلسية في احازته الرابعة اليها فخص اليه البحر ووصله باركش فلقاه السلطان يعقوب بالاحتراف والتكريم وعقد له على السلم ما احب وانكفأ راجعاً الى اخيه فطابت نفسه وفرغ لا فتتاح البلاد الشرقية كما نذكره

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى البلاد الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وماوراءها من اعمال الموحدين فنازلهم في اصارهم وانجس فيهم واستولى على جميع مدنهم وضمها الى مملكته فانظم له بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة ورجع الى تلمسان ظافراً منصوراً ثم كان ما نذكره

قد ذكرنا خبر ظهور الدعي ابن ابي عمارة بتونس ، ثورته على الدولة الحفصية (راجع ذلك في تاريخ الدولة الحفصية) فلما كانت سنة ٦٨٢ هـ كانت وقعة بين الدعي المذكور وبين الحفصيين مما جنة اتصفت فيها الدعي ونحس في الحفصيين

حتى لم يبق ولم يذر ونجا من هذه الوقعة من آل حفص الامير ابو زكريا بن ابي اسحق فلحق بتلمسان ونزل على السلطان عثمان بن يغمراسن خير نزل برًا واحتفاءً وتكريماً . ثم هلك الدعي ابن ابي عمارة واستقل عمه الامير ابو حفص بالخلافة وبعث اليه عثمان بن يغمراسن بطاعته على العادة . ودس الكثير من اهل بجاية الى الامير ابي زكريا (النازل بتلمسان) يستحثونه للقدوم ويعمدونه اسلام البلد اليه وفأوض عثمان بن يغمراسن فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعنه الخليفة بحضرة تونس فلم يقاتله في ذلك ثانية وتردد في النقض مدة ثم لحق باحياء زغبة في محلاتهم بالقفر ونزل على داود بن هلال بن عطاف . فأرسل اليه عثمان بن يغمراسن يطلب تسليمه له فأبى ابن عطاف عليه ذلك . وارتحل ابو زكريا بن ابي اسحق ومعه داود بن هلال بن عطاف الى بجاية واستولوا عليها في خبر طويل ذكرناه في تاريخ الدولة الحفصية فأراد عثمان بن يغمراسن ان يظهر حسن ولائه لخليفة تونس فسار في عساكره الى بجاية وحاصرها سبعة ايام ثم افرج عنها منقلباً الى المغرب الاوسط ثم اشتغل بفننة بني مرين كما نذكره

قد تقدم معنا ان عثمان بن يغمراسن عقد مع يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين صلحاً على مداومة السلم بينهما فلما توفي يعقوب بن عبد الحق وتولى بعده ابنه يوسف بن يعقوب نقض ما كان ابوه قد عقده وطمع في الاستيلاء على تلمسان وانتزاعها من يد بني عبد الواد فقدم اليها سنة ٦٨٩ هـ ونازلها فامتنعت عليه فأفرج عنها وانكسرا راجعاً الى المغرب فلما افرج بنو مرين عن تلمسان نهض عثمان بن يغمراسن الى بلادهم فدوخها . ثم عاد يوسف بن يعقوب الى منازلة تلمسان ثانية سنة ٦٩٥ هـ وثالثة سنة ٦٩٦ هـ ورابعة سنة ٦٩٧ هـ فقاتل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا في البناء ثم افرج عنها لثلاثة اشهر ثم عاد اليها سنة ٦٩٨ هـ واناخت عساكره بها في شعبان من السنة واحاط المعسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجاً من الاسوار وفتح فيه ابواباً مداخل لحربها واخطت لنزله الى جانب الاسوار

مدينة سماها المنصورة واقام على ذلك سنين يفادها القتال ويراوها وسرح عسكره
لافتتاح المغرب الاوسط وثغوره فملك بلاد مغراوة وبلاد توجين وجثم هو بمكانه
من حصار تلمسان لا يمدوها كالاسد الضاري على فريسته . وأنحصر بها عثمان بن
يفمراسن وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنفهم وتوفي عثمان لخامسة السنين من
حصارهم سنة ٧٠٣ هـ

٥٦٨ - ابو زيان محمد بن عثمان

من سنة ٧٠٣ - ٧٠٧ هـ أو من سنة ١٣٠٣ - ١٣٠٨ م

لما توفي عثمان بن يفمراسن ويوسف بن يعقوب لا يزال محاصراً بتلمسان
اجتمع بنو عبد الواد وبايعوا لابنه ابي زيان محمد بن عثمان وبرزوا الى قتال عدوهم
على العادة فكان عثمان لم يت وبلغ الخبر الى يوسف بن يعقوب بمكانه من
حصارهم فتجمع لثمان وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره ايام الى
ثمانية سنين وثلاثة اشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد ما لم ينل امة من الامم
واضطروا الى اكل الجيف والقطط والغبيران حتى قيل انهم اكلوا فيها اشلاء الموتى
من الناس واستهلك الناس اموالهم وموجودهم وضائق احوالهم وهلك الجند
حامية بني يفمراسن وقبيلتهم واشرفوا على الهلاك فاعزموا على الالتقاء باليد
والخروج بهم للاستماتة فكيف الله لهم الصنيع الغريب ونفس عن مخنفهم بهذه
السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من العبيد . فلما هلك يوسف ابن
يعقوب تطاول للامر الاغياص من اخوته وولده وحفدته وتحيز ابو ثابت حافده
الى بني ورتاجن لحولة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصو صوبوا عليه وبعث الى
ابي زيان بن عثمان ان يساعده على امره ويكون مغزاً له ومأمناً ان اخفق مساعاه
على انه ان تم امره قوض عنهم عسكر بني مرين فعاقداه ابو زيان على ذلك ووفى

له لما تم امره ونزل له عن جميع الاعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتائب التي انزلها في ثغوره وعاد بهم الى المغرب وخرج ابو زيان محمد من تلمسان بعد ان افرج بنو مرين عنها وساح في المغرب الارسط مستفسراً عن احواله وبعد ان وقف اطرافه ومعانته أثر العصاة رجع الى تلمسان واستمر ملكاً بها الى ان توفي سنة ٧٠٧ هـ في اخريات شهر شوال منها

٥٦٩ - ابو مسعود عثمان

من سنة ٧٠٧ - ٧١٧ هـ أو من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٧ م

لما توفي ابو زيان محمد تولى بعده اخوه ابو حمو وكان صارماً يقظاً داهية قوي الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وافتتح شانه بعقد السلم مع السلطان ابي ثابت المريني ثم صرف وجهه الى بي توجين ومغراوة فردد اليهم العساكر حتى دوح بلادهم وذل صوابهم واستولى على مدينة الجزائر من ابن علان المتغلب عليها سنة ٧١٢ هـ ثم عاد الى تلمسان ظافراً غنائماً ثم كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان سلطان المغرب في هذا الوقت ابا سعيد عثمان بن يعقوب المريني فاستراب منه اخوه يعيش بن يعقوب لما سعى فيه عنده فنزع عنه الى تلمسان واجاره السلطان ابو حمو على اخيه فاغتاظ أبو سعيد لذلك ونهض الى تلمسان سنة ٧١٤ هـ واكتسح بساطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان وضايق ابا حمو فيها . فاعمل ابو حمو الحيلة حتى افسد بين السلطان ابي سعيد وبين وزرائه حتى استراب بعضهم ببعض واستراب السلطان بالخاصة والاولياء وعاد الى المغرب بخفي حنين ولما رجع ابو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان سميت همة ابي حمو الى

الاستيلاء على بعض اعمال افريقية فجمع عساكره وعقد مسعود ابن عمه ابى عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وما وراءها لتدوين البلاد وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخيم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية حتى انتهوا الى بلاد بونة ثم انقلبوا من هناك ومروا في طريقهم بتسطينة ونازلوها اياماً واكتسحوا سائر مامروا عليه ثم حدثت بينهم الفتن والمنافسة فافترقوا ولحقوا بالسلطان الا مسعود بن برهوم فانه استمر محاصراً بجاية ولم يزل يفاديهها ويروحها القتال حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فاجفل عنها كما نذكره الان

كان محمد بن يوسف ابن عم السلطان ابى حمو قائداً على جيش من هذه الجيوش التي ارسلها السلطان ابو حمو للاستيلاء على البلاد فلما حدثت الفتنة بين قواد هذه الجيوش لحق موسى بن علي الكردي بالسلطان ابى حمو وسعى في محمد بن يوسف عنده فعزل السلطان ابن عمه محمد بن يوسف عن عمله من مليانة وقبض عليه واعتقله ثم تحايل محمد بن يوسف حتى هرب من محبسه ولحق بالاربية ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان ابى حمو وداخله في الانتقاض على السلطان ووعده ومناه حتى اطاعه واخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان وعلم السلطان بقدمهم فخرج لقتالهم فالتقوا واقتتلوا فانهمز السلطان ولحق بتلسان وغلب محمد بن يوسف على بني توجين ومغراوة ونزل مليانة . وخرج السلطان من تلسان لا يام من انهمزاه وقد جمع الجوع وازاح العلل واوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار بجاية بالوصول اليه بالعساكر فافرج مسعود عن بجاية وقدم كامر سلطانه . وخرج محمد بن يوسف من مليانة لاعتراضه بعد ان استخلف على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقية ببلاد مليكش وانهمز محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم اياماً ثم افرج عنه ولحق بالسلطان

فنازلوا جميعاً مليانة وافتتحها السلطان عنوةً وجيء بيوسف بن حسن بن عز يزاسيراً من مكمنه ببعض المسارب فعفا عنه السلطان واطلقه ثم زحف الى المرية وملكها واخذ الرهن من اهل تلك النواحي ورجع الى تلمسان . وبقي محمد بن يوسف طريداً بجبل مرصالة . ووجد السلطان ابو حمو ابن عمه مسعود بن برهوم شجاعاً واهلاً لان يملك بعده فعهد اليه بولاية العهد من بعده فاغتازا ابنه ابو تاشفين ابن ابي حمو منه لتقدمه ابن عمه عليه ودخله بعض الاوغاد في الفتك بابيه ومسعود ابن برهوم ابن عمه وترقب ابو تاشفين الفرص في ذلك الى ان كان بعض ايام جمادى الاولى سنة ٧١٧ هـ وقد اجتمع السلطان ابو حمو وابن عمه مسعود بن برهوم والوزراء في دار السلطنة وعلم ابنه ابو تاشفين باجتماعهم فاقتحم عليهم الدار في اوغاده وقتل السلطان وابن عمه والوزراء

٥٧٠ - ابو تاشفين بن ابي حمو

من سنة ٧١٧ - ٧٣٧ هـ او من سنة ١٣١٧ - ١٣٣٧ م

ولما مات ابو تاشفين بابيه تولى الامر بعده وبايعه الناس واتوه طاعتهم وقلد حجابته موته هلالاً فاستبد بالحل والعقد . وشاد ابو تاشفين القصور الشاهقة واتخذ الرياض والبساتين واتبعه اهل دولته في ذلك حتى صيروا تلمسان جنة الله في ارضه وفي هذه الاثناء قوي امر محمد بن يوسف الذي ثار على السلطان ونقلب على جبل وانشر يس ونواحيه فاهتم ابو تاشفين بأمره وجمع عساكره وسار قاصداً محمد بن يوسف المذكور بمكانه من جبل وانشر يس وقد اجتمع بنو توجين وبغراوة مع محمد بن يوسف فاقتحم السلطان عليهم الجبل فانهمزم اصحاب محمد بن يوسف ووقع هو اسيراً وجيء به الى السلطان اسيراً فامر بقتله فقتل وحمل راسه الى تلمسان ونصب بها . ثم زحف ابو تاشفين الى الشرق فأغار على احياء رياح وم بوادي الجنان فاكتسح اموالهم ومضى في وجهه الى بجاية ونزل بساحتها وحاصرها ثلاثاً

وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتدعت عليه فافرج عنها ورجع الى تلمسان
فدخلها سنة ٧١٩ هـ

ثم ازداد طمع ابي تاشفين في الاستيلاء على بجاية واعمالها فردد اليها البعوث
مراراً الى ان كانت سنة سنة ٧٢٣ هـ فوفد على السلطان ابي تاشفين حمزة بن
عمر بن ابي أيل كبير البدو بافريقية صريحاً على صاحب افريقية السلطان ابي بكر
فبعث معه العساكر انظر قائده موسى بن علي الكردي فقصدا افريقية وخرج
السلطان ابو بكر للقائهم فانهمزوا بنواحي مرماجة وتخطفتهم الايدي ورجع موسى
ابن علي الى تلمسان مغلولاً فاتهمه السلطان ابو تاشفين بالادهان وفكك به . وفي
سنة ٧٢٥ هـ وفد على السلطان شيخ بني سليم حمزة بن عمر بن ابي أيل واستخذه
للعركة على افريقية فبعث معه العساكر ونصب لهم ابراهيم بن ابي بكر
الشهيد من اعياص الحفصيين . وخرج السلطان ابو بكر من تونس للقائهم وخشيهم
على قسنطينة فسبقهم اليها فاقام عسكر بني عبد الواد على قسنطينة وتقدم ابراهيم
ابن ابي بكر الشهيد في احياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه في اخبارهم . وامتدعت
قسنطينة على عساكر بني عبد الواد فاقلموا عنها خمس عشرة ليلة من حصارها
وعادوا الى تلمسان . وفي سنة ٧٢٦ هـ سير ابو تاشفين عساكره بقيادة موسى بن
علي لتدوين الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وافسد نواحيها ثم رجع الى
بجاية فحاصرها وارتاد موضعاً ينزله عسكره بوادي بجاية وجمع الايدي على بناء هذه
المدينة فتمت لاربعين يوماً وسموها قمرزكت وانزل بها عساكر تناهز ثلاثة
الاف واوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها
حيث كانت والادم حتى الملح واخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا
جبايتهم فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت اسعارها . واتصل خبرهم
بالسلطان ابي بكر الحفصي فارسل عساكره سنة ٧٢٧ هـ فزهمهم بنوعيد الواد وغنموا
معسكرهم . وفي سنة ٧٢٩ هـ وفد حمزة بن عمر على السلطان ابي تاشفين صريحاً
ووفد معه او بعده عبد الحق بن عثمان من اعياص بني مرين فبعث السلطان معهم

عساكره بقيادة يحيى بن موسى ونصب عليهم محمد بن ابي بكر بن عمران
من اعيان الحفصيين . وخرج السلطان ابو بكر الحفصي للقائهم والتقى الجمعان
بالدياس من نواحي بلاد هواره وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو بكر الحفصي
وانكشفت جموعه واستولى بنو عبد الواد على طعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه
احمد وعمر فبعثوا بهم الى تلمسان . ولحق السلطان ابو بكر بقسنطينة وقد اصابه
بعض الجراحة في حومة الوضى . وسار يحيى بن موسى وابن ابي عمران الى تونس
واستولوا عليها . ورجع موسى بن يحيى عنهم بجموع زناتة لاربعين يوماً من دخولها
ففعل الى تلمسان وبلغ الخبر الى السلطان ابي بكر برجع زناتة الى بلادهم فنهض
الى تونس واخرج عنها ابن ابي عمران . ثم داخل بعض اهل بجاية السلطان
ابا تاشفين ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن
سيد الناس فسايقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم
الدأ واقلم ابو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخية بني عبد الواد على
الجيش الذي بتمردت وأوعز اليه ببناء حصن اقرب الى بجاية من تمرز دكت
فبناء بالياقوتة من أعلى دار قبالة بجاية فأخذ بمخيمتها واشتد الحصار الى ان اخذ
السلطان ابو الحسن المريفي بججزتهم فاجفلوا جميعاً الى تلمسان ونهض السلطان ابو
بكر بجيشه من تونس الى تمرز دكت سنة ٧٣٢ هـ فخر بها في ساعة من نهار كان
لم تكن بالامس حسباً ذكرنا ذلك في اخباره (راجع فصل ٥٠٨) وكان سلطان
بني مرين في ذلك الوقت ابا الحسن علي بن عثمان (راجع فصل ٥٣٣) فلما
ضايق بنو عبد الواد السلطان ابا بكر الحفصي استنجد به عليهم وخرج ابو الحسن
من فاس الى تلمسان معاضداً لابي بكر سنة ٧٣١ هـ فنزل بتاسات منتظراً لقدم
السلطان ابي بكر الحفصي . واتصل الخبر بابي تاشفين بقدم ابي الحسن لقتاله
فدس الى اخيه الامير علي عامل سجلماسة في اتصال اليد به والاتفاق معه على
اخيته ابي الحسن فوافقه على ذلك ونخالف على اخيه السلطان ابي الحسن
وانتقض بسجلماسة ودعا لنفسه ثم تقدم الى درعة وقتل عاملها وولى عليها عاملاً

من قبله ثم سرح العساكر الى مراکش واجلب عليها بخيله ورجله . واتصل الخبر بالسلطان ابى الحسن بمكانه من تاسالت فانكفا راجعاً الى حضرته مجمعة على الانتقام من اخيه فاغذا السير الى سجلماسة ونزل عليها واخذ بمخيمتها واقام محاصراً لها حولاً كاملاً . وفي الاثناء نهض ابو تاشفين صاحب تلمسان في عساكره يريد الغارة على اطراف المغرب كي يشغل ابا الحسن عن اخيه بذلك فارسل اليه ابو الحسن ابنه تاشفين في عساكر بني مرين فاجلوه عن المغرب الاقصى وردوه على عقبه الى تلمسان . ثم تغلب ابو الحسن على اخيه الامير علي واقتحم عليه سجلماسة وقتله سنة ٧٣٢ هـ . ولا استقام ملك الغرب للسلطان ابى الحسن نهض سنة ٧٣٥ هـ من فاس الى تلمسان لينتقم من ابى تاشفين لمساعدته لاختيه علي على ما تقدم فاغذا السير الى تلمسان وبعد ان فتح جميع المدن التي في طريقه وصل اخيراً الى تلمسان واحياء معالم المنصورة التي كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان كما تقدم فادار عليها سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق وانصب المجانيق وحاصر تلمسان وشدد عليها القتل . ودافع ابو تاشفين عن تلمسان دفاعاً محموداً . واستمرت منازلة السلطان ابى الحسن اياها الى اخر رمضان من سنة ٧٣٧ هـ فاقتحمها في اليوم السابع والعشرين منه ولجأ السلطان ابو تاشفين الى باب قصره في لمة من اصحابه ودافعوا عن انفسهم مستميتين حتى قتلوا عن اخرهم وقتل السلطان ابو تاشفين في من قتل ولم ينج من آل زيان الا كل طويل العمر وانقرضت الدولة الاولى لبني عبد الواد وصار المغرب الاوسط تابعاً لبني مرين ملوك المغرب الاقصى الى ان كان ما ذكره انشاء الله تعالى

٥٧١ ابو سعيد وابو تابت ابنا عبد الرحمن بن يغمراسن

من سنة ٧٤٩ - ٧٥٣ هـ او من سنة ١٣٤٨ - ١٣٥٢ م

لما استولى ابو الحسن المريني على المغرب الاوسط واتخذ في بني عبد الواد

طمع في الاستيلاء على افريقية (تونس) فتقدم اليها واصطحب معه الفل القليل الذين بقوا من بني عبد الواد وكان بينهم ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن ابن يغمراسن بن زيان واستولى على تونس كما تقدم ذكر ذلك في تاريخه (راجع فصل ٥٣٣) ثم انتقض عليه عرب سليم واتحد معهم بنو عبد الواد وقتلوا السلطان ابا الحسن فانهمزم ولحق بالقيروان ثم ركب البحر وبعد ان راي من المحن في طريقه ما لا يقدر وصل اخيراً الى المغرب الاقصى فوجده كشعلة نار اتسعت فيه دائرة الفتن بانتماء كل حزب الى شخص من اعياص بني مرين ليولوه على الامر . وكان الامير ابو عنان ابن السلطان ابي الحسن بتلمسان مقيماً بها دعوة ابيه فبلغه الخبر بنكبة ابيه وبالغ الخبر فزاد علي الخبر وفاة السلطان ابي الحسن فخاف الامير ابو عنان ضياع الامر منه بعد ابيه فخرج من تلمسان في عساكر بني مرين ولحق بالمغرب ودخل فاساً واستولى عليها قبل وصول ابيه من افريقية ثم اتى ابوه بعد ذلك وحصلت بينهما فتنة طويلة تقدم ذكرها . فلما اشتغل بنو مرين بهذه الفتن اجتمع بنو عبد الواد واخباروا من اعياص آل زيان ابا سعيد وابا ثابت ابني عبد الرحمن وبايعوهما معاً واشركوهما في الامر وتقدموا جميعاً من افريقية حيث كانوا مع السلطان ابي الحسن وقصدوا تلمسان ودخلوها بلا معارض لان جيش المرينيين كان قد خرج منها كما تقدم واجلسوا ابا سعيد وابا ثابت على كرسي اجدادها ولم يكن لابي سعيد من الامر الا الاسم فقط اما المقد والحل والنقض والابرار فكان لابي ثابت . وبعد ان استتب امرهما بتلمسان خرج ابو ثابت في عساكر بني عبد الواد واخرج عساكر بني مرين من جميع المغرب الاوسط واعاد ملك اجداده الى ما كان عليه من السطوة والقوة . الا ان السعد لم يخدم ابا سعيد وابا ثابت طويلاً لان فتنة بني مرين انتهت بتغلب السلطان ابي عنان على المغرب الاقصى فلما استتب امره اجتمع رايه على غزو تلمسان واعادتها الى المملكة المرينية كما كانت ايام ابيه السلطان ابي الحسن وبعد ان جمع عساكره نهض سنة ٧٥٣ هـ يريد تلمسان . واتصل خبر خروجه بابي سعيد وابي ثابت فجمعوا عساكرهما واستعدا

لمدافعتهم وخرجوا من تلمسان ليصدا ابا عنان عن التقدم فالتقى الجمعان ببسيط انكاد
آخر ربيع الثاني من السنة وبعد قتال شديد انهزم بنو عبد الواد ووقع السلطان
ابو سعيد بن عبد الرحمن اسيراً في يد بني مرين فامر سلطانهم ابو عنان بقتله فقتل
وفر اخوه ابو ثابت وجمع كثيرين من اشياعهم واتباعهم وحدث نفسه باسترجاع
ملكهم فسير اليه ابو الحسن جيشاً فانهمز ابو ثابت وفر حتى وصل الى بجاية من عمل
افريقية فقبض عليه اميرها ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الحفصي وكان مخالفاً
للسلطان ابي عنان فاعتقله عنده حتى وفد به على السلطان ابي عنان بلمدية فاخذ
السلطان ابو عنان ابا ثابت واعتقله وهكذا انقرضت الدولة الزيانية الثانية

٥٧٢ - ابو صمو موسى بن يوسف

من سنة ٧٥٩ - ٧٩١ هـ او من سنة ١٣٥٨ - ١٣٨٩ م

لما استولى السلطان ابو عنان المريني على تلمسان طمع في الاستيلاء على افريقية
وسار في عساكره اليها لهذا القصد وبعد ان دخلت جنوده تونس حاصب بينهم
فتنة تأمروا فيها على قتل السلطان ابي عنان وانصل بابي عنان خببروا امرتهم فخاف
على نفسه وانكفاً راجعاً الى المغرب وبعد قليل ظهر منصور بن سليمان المريني ودعا
لنفسه وحصلت بينه وبين ابي عنان فتنة يطول شرحها وقد تقدم ذكرها ثم ظهر
ابو سالم ابراهيم بن ابي الحسن المريني ودعا لنفسه ايضاً واستولى على المغرب الاقصى
بعد ان انتصر على ابي عنان ومنصور بن سليمان . فانتهز بنو عبد الواد مدة
اشتغال المرينيين بهذه الفتنة وبايعوا لابي صمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن
ابن يفراس بن زيان وذهبوا معه الى تلمسان واخرجوا منها عساكر بني مرين
واستقر ملك ابي صمو بها . ولما استتب امر ابي سالم بن ابي الحسن المريني بالمغرب
الاقصى ومحا اثر الخوارج منه طمع في الاستيلاء على تلمسان كما كان لايه واخيه
من قبل فجهز عساكره ونهض من حضرته سنة ٧٦١ هـ قاصداً تلمسان . واتصل

خبر بنو حو به بالسلطان ابي حو بن يوسف فجمع اهله وشيعته وخرج من تلمسان الى الصحراء . وتقدم ابو سالم ودخل تلمسان بلا معارض واستولى عليها فخافه ابو حو في اصحابه الى المغرب فنزلوا اكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطمو ازرعها وانتسفوا بركتها وخرّبوا عمرانها . وبلغ السلطان ابا سالم الخبر فاهمه امر المغرب وكان في جملة من بني زيان محمد بن عثمان بن ابي تاشفين ويكنى ابا زيان فعقد له على تلمسان واعطاه الالة وجمع له جيشاً من مغراوة وبني توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفأ راجعاً الى مغربه فاجفل ابو حو واصحابه امامه ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها وثبت قدم ابي حو بها . وعاد ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابي سالم فقبله . ثم عقد ابو سالم مع ابي حو صلحاً واستقر كل منهما على عمله . وفي سنة ٧٦٢ هـ توفي ابو سالم بن ابي الحسن المريني وتولى بعده ابو عمر تاشفين الموسوس ثم خلع سنة ٧٦٣ هـ وتولى بعده ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن فانتهز ابو حو الفرصة وطعم في الاستيلاء على بعض بلاد المغرب الاقصى فنهض الى المغرب فاتح سنة ٧٦٦ هـ وانتهى الى دبدو واكرسيف وانتهب الزروع وشمل بالتخريب والعيث تلك النواحي وانكفأ راجعاً الى حضرته وقد عظمت في ثغور بني مرين ونحوهم نكايته وثقلت عليهم وطأته فمعدوا معه هدة فانصرف عزائم ابي حو الى بلاد افريقية فكانت حركتها الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

كان صاحب بجاية الامير ابو عبد الله محالفاً للسلطان ابي حو حتى انه اصهر اليه في ابنته وكان الامير ابو عبد الله المذكور شديداً الوطأة على اهل بلده مرهف الخلد لهم بالمعاقب الشديد حتى لقد ضرب اعناق خمسين منهم قبل ان يبلغ سنتين في ملكه فاستحككت النفرة بينه وبين الرعية وعضل الداء وفزع اهل بجاية الى مداخلة ابن عمه السلطان ابي العباس صاحب قسنطينة باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك فنهض الى بجاية آخر سنة ٧٦٧ هـ وبرز الامير ابو عبد الله لقاته وبعد قتال شديد انهزم ابو عبد الله وقتل في الوقعة واستولى ابو العباس على بجاية .

وباغ الخبر الى السلطان ابي حمو فامتعض لهلاك الامير ابي عبد الله واخذ على نفسه القيام بثاره فجهز عساكره وقصد بجاية وبرز السلطان ابو العباس لقتاله وبعد اخذ ورد اختل مصاف ابي حمو وانهمز عسكره وانتهب اصحاب ابي العباس بخلفه واسروا حرمه ونجا ابو حمو بنفسه بعد شق الانفس الى الجزائر ثم خرج منها ولحق بتلمسان . وفي سنة ٧٦٨ هـ قتل ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن سلطان بني مرين بالمغرب الاقصى وقام بالامر بعده ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن فانشغل لاول امره بتثقيف اطراف ملكه حتى اذا تم له ما اراد سميت همته الى الاستيلاء على تلمسان فنهض من فاس سنة ٧٧٢ هـ واحتل بتازا . وانصل خبر نهوضه بالسلطان ابي حمو موسى بن يوسف فجمع جموعه وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة اصحابه وتفرق عنه اكثرهم فاجفل هو في من بقي معه عن تلمسان ودخلوا الصحراء وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من السنة وسير جيشاً بقيادة وزيره ابي بكر بن غازي بن الكلس في اتباع ابي حمو فادركوه ببعض بلاد زناتة فاجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب بامرهم وهرب ابو حمو ناجياً بنفسه الى القفر . واستتب امر المغرب الاوسط للسلطان عبد العزيز واقام بتلمسان حتى توفي سنة ٧٧٤ هـ وبايع بنو مرين من بعده لابنه السعيد بالله ابى زيان بن عبد العزيز وانكفأوا بسلاطنتهم الجديد وشلو سلاطنتهم القديم الى فاس

ولما رجع بنو مرين عن تلمسان رجع ابو حمو من مكانه الى تلمسان والتف حوله بنو عبد الواد واخرجوا حامية بني مرين من المدينة واستتب امرهم بها وفي سنة ٧٧٦ هـ خلع بنو مرين سلاطنتهم السعيد بالله لصغر سنه وانقسمت مملكة بني مرين من بعده الى قسمين فاس في مملكة ابي العباس احمد بن ابي سالم ومراكش في مملكة عبد الرحمن بن ابى يفلوس ثم حصلت بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها خروج ابى العباس من فاس سنة ٧٨٤ هـ قاصداً مراكش فوصلها ونازلها وضيق عليها ودافع عنها عبد الرحمن بقدر ما في امكانه واذا رأى نفسه غير قادر على حفظها اوعز الى السلطان ابى حمو ليهجم بجموع بني

عبد الواد على اطراف المغرب فيأخذ بحجزة السلطان عنه وينفس من مخنقه فاغار ابو حو على اطراف المغرب ودخل في جموعه احواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعا وخربوا قصر الملك هناك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم في ذلك بلغهم الخبر بانتصار ابي العباس على عبد الرحمن ومقتله فعاد ابو حو بين معه الى تلمسان . اما السلطان ابو العباس المريني فانه لما استولى على مراکش عاد الى فاس واراح بها اياما ثم اجتمع النهوض الى تلمسان لينتقم من ابي حمو وعلم هذا بنهوضه فاضطرب وجمع امواله وحرمه ولحق ببلاد مفرات وجاء السلطان ابو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها اياما وهدم اسوارها وقصور الملك بها جزاء بما فعله ابو حو في تخريب قصر تازروت . ثم خرج من تلمسان في اتباع ابي حو فبلغه الخبر باجازه موسى بن ابي عثمان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا الى المغرب ورجع ابو حو الى تلمسان بعد خروج ابي العباس منها واستقر ملكه بها الى ان كان ما ذكره

كان لابي حمو المذكور خمسة اولاد كبيرهم ابو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده اربعة لام واحدة وهم المنتصر وابوزيان محمد وعمر ويوسف . وكان ابو حو قد عهد بولاية العهد من بعده لكبير ولده ابي تاشفين فاغتناظ اخوته لذلك وحدث بينهم منافسات وقتل كثيرة حتى دس اخوة ابي تاشفين المذكور الى ابيهم بانه يريد التوثب به فسمع السلطان وشايتهم وشعر ابو تاشفين بذلك فخاف ضياع الامر منه بعد وفاة ابيه فعصى على ابيه وتبعه جمع كثير واخرج اياه من تلمسان واستولى عليها سنة ٧٨٩ هـ وتقبض على ابيه واعتقله ثم احتال ابو حو الى ان خرج من سجن ابنه وجمع اشيائه واخرج ابنه من تلمسان واستقر بها فذهب ابو تاشفين الى المغرب صريحا على السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم المريني فامده ابو العباس بابنه الامير ابي فارس ووزيره محمد بن يوسف عقد لهما على جيش كثيف من بني مرين وغيرهم . وخرج السلطان ابو حو لمدافعتهم وبعد قتال شديد انهزم بنو عبد الواد اصحاب ابي حمو وكبا بالسلطان ابي حمو فرسه فسقط وادركه بعض

فرسانهم وعرفه فقتله وجاء برأسه الى ابنه ابي تاشفين فسيره هذا الى ابي العباس
احمد صاحب فاس وذلك سنة ٧٩١ هـ

٥٧٣ - ابو تاشفين به ابي محمو

من سنة ٧٩١ - ٧٩٥ هـ او من سنة ١٣٨٩ - ١٣٩٣ م

لما انهزم ابو محمو امام بني مرين المعاضدين لابنه ابي تاشفين وقتل كما تقدم
دخل ابو تاشفين تلمسان اواخر سنة ٧٩١ هـ وخيم الوزير وعساكر بني مرين
بظاهر البلد حتى دفع اليهم اشارتهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب واقام هو
بتلمسان يقيم دعوة السلطان ابي العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر
ويبعث اليه بالضرية كل سنة كما اشترط على نفسه . وكان السلطان ابو محمو قد
ولى ابنه ابا زيان على الجزائر فاقام واليا عليها الى ان قتل ابو ابو محمو كما تقدم
فثار هو بالجزائر ودعا لنفسه وعزم على اخذ ثار ابيه فجمع عساكره وسار الى تلمسان
سنة ٧٩٢ هـ ولكنه لم يظفر منها بطائل ثم اجتمع رأيهم على الوفاة الى صاحب المغرب
فوفد عليه صريحا فتلقاته وبر مقدمه ووعدته النصر على اخيه فاقام عنده منتظرا
وفاء وعده حتى تغير السلطان ابو العباس على ابي تاشفين في بعض النزعات الملوكية
فاجاب داعي ابي زيان وجهره بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة
٧٩٥ هـ وكان ابو تاشفين قد طرقة مرض ازم به ثم توفي منه في رمضان من
السنة وكان القائم بدولته احمد بن المعز من صنائع دولتهم فولى بعده مكانه صبيا
من ابناؤه وقام بكفالاته . وكان يوسف بن ابي محمو واليا على الجزائر من قبل
اخيه ابي تاشفين فلما علم بموته اسرع بالمسير الى تلمسان فقتل احمد بن المعز والصبي
المكفول ابن اخيه ابي تاشفين وجلس على كرسي المملكة . فلما بلغ الخبر الى السلطان
ابي العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هناك ابنه ابا فارس في

العساكر ورد ابا زيان بن ابي حمو الى فاس ووكل به . وسار ابنه ابو فارس الى تلمسان فملكها وهرب منها يوسف بن ابي حمو . واقام السلطان ابو العباس بتازا يشارف احوال ابنه الى ان مرض بمكانه من تازا وتوفي في محرم سنة ٥٧٩٦ هـ ففعل ابنه ابو فارس من تلمسان الى المغرب للاستيلاء على ملك اجداده

٥٧٤ - بقية أخبار الرواة الريانية

من سنة ٧٩٦ - ٩٣٢ هـ او من سنة ١٣٩٣ - ١٥٢٥ م

لما رجع ابو فارس من تلمسان الى المغرب واحتل بفاس واستقر امره بها اطلق الامير ابا زيان بن ابي حمو من اعتقاله وبعث به الى تلمسان اميراً عليها وقائماً بعد السلطان ابي فارس فيها فساد اليها وملكها ومحا اثار الثورة والفن من انجائها واستقامت امور دولته الى ان توفي ولم يزل الملك بها في عقبه حتى ظهر في اوائل القرن العاشر للهجرة خير الدين باشا واخوه اوروج باشا واصلها من اروام جزيرة متيلين (مدالي) احدى جزائر الروم وكانا يشتغلان بحرفة القراصين ببحر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحمصي سلطان تونس لهذا الوقت واستقرا في حرفتهما وهي اسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ كافة ما فيها من البضائع وبيع ركبها وملاحها بصفة رقيق فاغتنيا مع قناري الايام من اموال النهب والسلب حتي صار لهما في وقت قريب عمارة بحرية . وكانت الدولة العثمانية العلية في ذلك الوقت قد استفحل امرها جدا وارهب سلطانهم سليم الاول بقوته ممالك اوربا فارسل اليه خير الدين (خير الدين هذا هو المشهور في كتب الفرنج باسم بروس اي ذي اللحية الحمراء) واخوه احدى المراكب المأسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانها فقبلها منها وارسل لهما خلعاً سنياً وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقيوت شوكتهما واشترأت اعناقهما لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فنازل خير الدين ثغر شرشل باقليم الجزائر واستولى عليه و تقدم

اخوه اوروج الى داخلية البلاد ونازل تلمسان واستولى عليها وقتل اعياص بني عبد الواد المستولين عليها لذلك الوقت . وكانت محبة بني عبدالواد متمكنة في قلوب اهل تلمسان حتى لم يقدرُوا ان يحتملوا بان يملك عليهم غيرهم فراسلوا الملك شارلكان ملك اسبانيا واستنجدوا به على اخراج العثمانيين من مدينتهم فاجاب شارلكان طلبهم وارسل جيشاً من اسبانيا لهذا القصد وقاتل الاسبانيون اوروج باشا ومن معه فهزموهم وقتلوا اوروج باشا لكنهم لم يتمكنوا من استخلاص تلمسان من ايدي العثمانيين لان خير الدين لما بلغه خبر هذه الواقعة وقتل اخيه اسرع في من معه الى تلمسان واجلى الاسبانيين عنها وذلك سنة ٩٣٢ هـ . ومن ذلك الوقت صارت تلمسان والمغرب الاوسط المعروف الان باقليم الجزائر احدي ولايات الدولة العثمانية الى ان استولى عليها الفرنسيون سنة ١٨٣٠ م (سنة ١٢٤٦ هـ) في خبر طويل ولا يزال الحال على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٥٧٥ - دولة المماليك بمصر والشام

(تمهيد) هذه الدولة استولت على مصر والشام بعد انقراض الدولة الايوبية وسبب اتصاهاهم بالملك ان الملك الصالح نجم الدين بن الكامل بن العادل الايوبي كان قد استكثر من المماليك وبني لهم قلعة بين شحبي النيل ازاء المقياس وسماه البحرية . وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصاة سلطانه وخوفا داره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير التركاني ورديفه فارس الدين اقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري ولما توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧ هـ بكانه بالمنصورة وهو يحارب الفرنسيين (راجع فصل ٤٦٧) وكان ابنه توران شاه بخفضن كيفا طمع الفرنسيون في المسلمين بعد وفاة سلطانهم وهجموا عليهم على حين غفلة فانكشف اوائل المسكر فاتحد هؤلاء المماليك على اقامة شجرة الدر زوج الصالح

بالنيابة عن ابنه توران شاه الحين حضوره ففعلوا ونوهوا باسمها واعصوبوا لها وصبر المسلمون امام الفرنسيين وفي الاثناء وصل المعظم توران شاه فبايعوا له واعطوه صفقة ايديهم وانتظم الحال وانتصر المسلمون على الفرنسيين واسروا ملكهم كما تقدم ذكر ذلك (راجع فضل ٤٦٨) . ثم رحل المعظم اثر هذا الانتصار الى مصر وكان قد احضر معه من حصن كيا بعض مماليكه فتناولوا على ممالك ابيه واغروه بقتلهم لاستبدادهم عليه فسمع المعظم وشايتهم وعزم على الفتنك بهم فنفرت قلوبهم منه واتفق كبراء البحرية وهم ابيك واقطاي وبيدرس على قتله قبلما يفتك بهم فقتلوه كما مر ونصبوا للملك شجرة الدر ام خليل وخطب لها على المنابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم وقام ابيك الجاشنكير باتابكية العسكر ولعدم سبق ولاية المرأة في الاسلام لم يستمر امرها واتفق المصريون على ولاية كبير البحرية ابيك الجاشنكير فبايعوا له وخلصوا ام خليل ولقبوه بالمعز فقام بالامر وانفرد بملك مصر وذلك سنة ٦٤٨ هـ

٥٧٦ - المعز ابيك الجاشنكير

من سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

ولم يستتب امر ابيك المذكور طويلاً لان الدولة الايوبية وان كانت انقرضت من مصر في ذلك الوقت ولكن كان منها افراد في الشام واليمن وكان كبير بني ايوب في الشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن ايوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها فلما بلغه الخبر باستبداد المماليك بمصر سار الى دمشق وطلب الامر لنفسه فبايعه اهل الشام واغروه بملك مصر . واتصل الخبر بالمماليك في مصر فاعتزموا على ان ينصبوا بعض بني ايوب فيكفوا به السنة النكير عنهم فبايعوا لموسي الذي كان ابوه صاحب اليمن وهو يوسف اطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وتعين

ايبك اتابكاً له غير ان ازمة الاحكام ما برحت في يده ولم يكن الاشرف الا اسماً بلا رسم . ومع ذلك لم يكف الناصر صاحب الشام عن التقدم الى مصر بل جمع باقي امراء الايوبيين وارتحل من دمشق سنة ٦٤٨ هـ قاصداً مصر وبلغ المصر بين الخبر فجمع المعز ايبك عساكره وخرج للقائهم فالتقوا بالعباسة وبعد قتال شديد انكشف المصريون بادى بدء ثم ثبتوا واعادوا الكرة فانهمز الشاميون وولوا الادبار ورجع ايبك الى مصر منصوراً . وكان من شجعان المماليك فارس الدين اقطاي فظهر في هذه الحرب شجاعة وبسالة غريبين وكان فارس الدين هذا زعيماً لحزب من المماليك الصالحين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما زالوا حتى نالوا مظلوميهم وغص به ايبك واجمع على قتله فاستدعاه في بعض الايام للعصر للشوري سنة ٦٥٢ هـ وقد اكن له ثلاثة من مواليه فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيف وقتلوه حينه واتصلت الهبة فركبوا وطافوا بالقلعة وطلبوا فارس الدين اقطاي ظناً منهم انه مأسور فرمى اليهم برأسه فانقضوا واستراب امراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاوون الصالح وسيف الدين سنقر الاشقر وغيرهم ولحقوا بالشام فيمن انضم اليهم من البحرية واختفى من تخاف منهم واستصفيت اموالهم وزخائرهم . فلما تخلص المعز ايبك من طائفة الصالحين قبض على الملك الاشرف وخلعه والقاه في سجن مظلم وخطب لنفسه وتزوج شجرة الدر زوجة الصالح وكانت شجرة الدر عقيمة لم تلد فزوج عليها سنراري اخريات فولدت له احداً ولد دعاه نور الدين علياً ثم عزم على مصاهرة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فاثار ذلك غيرة من زوجته شجرة الدر واغرت به جماعة من الخصيان فقتلوه يوم ٢٣ ربيع اول سنة ٦٥٥ هـ



٥٧٧ - نور الدين علي بن ايبك

من سنة ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ او من سنة ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م

ولما قتل الممزن ايبك اجتمع امراء المماليك وبايعوا لابنه نور الدين علي ولاول دولته امر بقتل شجرة الدر قاتلة ابيه ففتلت . وفي هذه الاثناء اخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الى الشام فارتاب الامراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم نور الدين علي بن الممزن ايبك عن مدافعة العدو لعدم ممارسته للحروب واتفقوا على البيعة لاسيف الدين قطز المعزي (من مماليك الممزن ايبك) وكان معروفًا بالصرامة والاقدام فبايعوا له واجلسوه على الكرسي وخلعوا نور الدين عليًا لستين من ولايته واهتلوه في اواخر ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ

٥٧٨ - المظفر سيف الدين قطز

من سنة ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ او من سنة ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م

وأستولى سيف الدين قطز على مملكة مصر وتلقب المظفر ويقال أن نسب قطز هذا يتصل بالملوك الخوارزمية . وحالما استلم زمام المملكة قبض على نور الدين علي وقتله . وكان التتار بعد استيلائهم على بغداد قد تقدموا بقيادة بطلم الشهير هولاء كوخان بن تولي خان وعبروا الفرات سنة ٦٥٨ هـ ووصلوا الى الشام ودكوها دكاً وحرثوها حرثاً ولم يبقوا على شيء منها وبدخلهم أنقرض بنو أيوب من الشام كما أنقرضوا من مصر . ولما ضاق أهل الشام ذرعاً أرسلوا الى السلطان سيف الدين قطز صاحب مصر يستنجذونه وفي الاثناء وصل رسل هولاء كوخان الى قطز أيضاً حاملين رسالة مؤداها أن يخضع قطز لهولاء كوخان ويخطب له في مصر فغضب قطز أعنق الرسل ونهض بمساكر مصر الى الشام لاجراج النثر منها وتقديم كتبها قائد النثر بن معه وسار الى لقاء المسلمين والنقي الجمعان بالفرع على عين جالوت وأقتلوا قتلاً شديداً فانهمز النثر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين

وقتل قائدهم كتبغا وفر من بقي منهم الى رؤوس الجبال وتبعهم المسلمون فانهم
وهرب من سلم منهم الى المشرق وقال بعض الشعراء في ذلك
هالك الكفر بالشام جميعاً وأستجد الاسلام بعد دحوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتزنا بسمره ويضيه
أوجب الله شكر ذلك علينا دائماً مثل واجبات فروضه
وقال آخر

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكتهم وبدد شملهم ولكل شي آفة من جنسه
وساق بيبرس البندقداري وراء التتار الى حلب وطردهم من البلاد وأظهر
شجاعة فائقة في الفتنك بهم حتى وعده السلطان المظفر بحلب ثم نقض السلطان وعده
فتأثر بيبرس جداً ووقعت الوحشة بينهما وأضر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع
جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه على الطريق يوم ١٦ ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ

٥٧٩ - الظاهر بيبرس البندقداري

من سنة ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ او من سنة ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

ولما قتل المظفر اجتمع امراء المماليك وبايعوا بيبرس البندقداري ولقبوه الظاهر
ثم تقدموا الى مصر فدخلوها في اواخر سنة ٦٥٨ هـ واستقر بيبرس على كرسي
السلطنة بها وازال ما كان احداثه سلفه من المكوس . وكان قطز قد استناب علم
الدين ستقر الحلبي بدمشق فلما قتل قطز طمع علم الدين في الاستيلاء على الشام
ودعا الناس الى البيعة له فاجابوه الى ذلك واستقر امره بدمشق وبلغ الخطر للملك
الظاهر بيبرس البندقداري فارسل عسكرياً سنة ٦٥٩ هـ مع علاء الدين البندقداري .
(وهو استاذ الملك الظاهر) لقتال علم الدين فخرج علم الدين اليهم واقتتلوا في ظاهر
دمشق فانهمز الشاميون ودخل المصريون دمشق واستولوا عليها وهرب علم الدين

الى بعلبك فتبعه عسكر المصريين وقبضوا عليه وحمل الى مصر واعتقل بها واستتب الشام ومصر للملك الظاهر

وفي سنة ٦٦٠ هـ قدم الى مصر جماعة من القرب ومعهم شخص اسمه احمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر العباسي فيكون عم المستنصر الذي قتله التاتار سنة ٦٥٦ هـ ببغداد . فمقد الملك الظاهر يبرس مجلساً حضر فيها كبار العلماء واثبت القاضي نسب احمد المذكور وبايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فاصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلطتهم لم تكن تعتبر الا من وحها الديني فقط وكانوا يلقبون بالائمة

ثم اراد الملك الظاهر يبرس ان يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين فانفق مالا جسيماً في اعداد المعدات واستخدم العسكر ثم نهض من مصر ومعه الخليفة المستنصر بالله المذكور فلما احتلوا دمشق عاد يبرس الى مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل ان يصل اليها وصلت اليه التبر وقتلوه وغالب اصحابه ولم تكن خلافته الا خمسة اشهر وعشرين يوماً . وكان في حلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباسي بن علي نجا مختفياً من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الى مصر وبويع له بالخلافة ولقب الحاكم بامر الله

وكان الصليبيون في ذلك الوقت لا يزالون مالكين مدناً كثيرة في بلاد فلسطين فعزم يبرس على اخراجهم منها وتجهز للمسير لقتالهم ونهض سنة ٦٦٣ هـ من مصر ونازل قبهريه في ٩ جمادى الاولى من السنة وضايقها وفتحها بمد ستة ايام وامر بها فهدمت ثم سار الى ارسوف ونازلها وفتحها في جمادى الآخرة من السنة وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٦٤ هـ خرج الملك الظاهر من مصر ثانياً وسار الى الشام وجيز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرفا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ولاحق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين ثم فتحها بالامان وقتل اهلها عن آخرهم . وسير عسكره الى الارمن ووصلوا

الى بلاد سويس فانتصروا على صاحبها وقتلوا احد اولاده واسروا الاخر ورجعوا
وايديهم ملأى من الغنائم ثم عاد الظاهر الى مصر ظافراً منصوباً . وفي سنة
٦٦٦ هـ استأنف الظاهر الحرب مع فلسطين فاستولى على يافا والشقيف وطبرية
وارصوف وانطاكية وبقراس والقرين وصافيتا ومرقية وياياس ثم عاد الى مصر
وفي سنة ٦٦٨ هـ عاد الظاهر الى الشام واغار على عكا فأرأى ان لا مطعم له فيها
وقبض فتوجه الى دمشق ثم الى حماة وجيز عسكرياً الى بلاد الاسماعيلية فتسلموا
مصيفاً وعاد الى دمشق ومنها الى مصر . وفي سنة ٦٦٩ هـ عاد الملك الظاهر من
مصر الى الشام ونازل حصن الاكراد وهو للفرنج وجد في حصاره واشتد القتال
عليه ومادكه بالامان ثم رحل عنه الى حصن عكار وبعد ان نازله استولى عليه
بالامان ايضاً ثم تسلم قلعة المليقة وبلادها من الاسماعيلية . ثم جهز اسطولاً لغزو
قبرس فتكسر الاسطول في مرسى اليبسوس واسر الفرنج من كان فيه فاهتم الظاهر
ببناء اسطول اخر فعمل في مدة يسيرة اسطولاً اعظم واقوى من الذي تكسر
وفي سنة ٦٧٦ هـ توفي الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بدمشق ودفن فيها قرب
الجامع الاموي وكنتم مملوكه بدر الدين بلباي (ييلى باي) المعروف بالخاندار
موته وارتحل بالعساكر ومعهم الخيمة مظهرًا ان الملك فيها وانه مريض ولا وصل
بدر الدين بالعسكر الى القاهرة اظهر موت الملك الظاهر وبايع لابنه بركة خان
وكانت مدة ملك الملك نحو سبع عشرة سنة

٥٨٠ - السعيد بركة خان به بيبرس

من سنة ٦٧٦ - ٦٨٨ هـ او من سنة ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

واستقر بركة خان في السلطنة بعد ابيه ولعب بالسعيد وقام بامر دولته
مملوك ابيه بدر الدين بلباي ولحسن ظن السعيد به سلمه مقاليد الامور فسمعت
البلاد في ايامه الا ان مدته لم تطل لانه توفي بعد مدة قليلة ولم يكن السعيد يركن

الى غيره من امراء الممالك بل كان يحنسبهم اعداء له ويتهمهم بقتل بلباي ثم وقع اختياره على اق سنقر فولاه الاتابكية وبعد يسير خنقه في احد ابراج الاسكندرية فتباعد الامراء عن هذا المنصب واضمروا سوء للملك السعيد وفي سنة ٦٧٧ هـ سار الملك السعيد من مصر الى الشام للنظر في مصالحه فلما وصل بمسكته الى دمشق جرد منها عسكرياً بقيادة الامير سيف الدين قلاوون الصالحى وارسلهم للاغارة على سبى في بلاد الارمن فشنوا الغارة عليها وعادوا غانمين وقد اجمعوا على الخلاف على الملك السعيد وخلصوه وعبروا على دمشق ولم يدخلوها فارسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم بوالدته فلم يلتفتوا الى ذلك واتموا السير الى مصر فركب الملك السعيد وسبقتهم الى القاهرة ودخل الى قلعة الجبل فدخلت العساكر بعده في ربيع الاول سنة ٦٧٨ هـ فحاصروا الملك السعيد بالقلعة وخامر عليه من كان معه واخذ احدهم يهرب بعد الآخر وينضم الى عسكر المحاصرين ولما رأى السعيد ذلك طأوعهم على الانخلاع من السلطنة وطلب ان يعطى الكرك فاعطوه اياها فصار اليها وتسلمها

٥٨١ - سلاطين بن بيسر

سنة ٦٧٨ هـ او سنة ١٢٧٩ م

واتفق اكابر الامراء الذين خلعوا الملك السعيد على اقامة اخيه سلامش في المملكة فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذ ذلك سبع سنين وشهراً واختاروه صديقاً ليكون الامر طوع ايدىهم واقاموا الامير سيف الدين قلاوون الالفى الصالحى وصياً عليه . وجهز الامير سيف الدين قلاوون شمس الدين سنقر الاشقر وارسله الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام . ولم تطل مدة حكم سلامش لان الامراء الذين بايعوه انقلبوا عليه في ذات السنة فخلعوه وبعثوه منفياً الى قلعة الكرك

٥٨٢ - المنصور سيف الدين قلاوون

من سنة ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ او من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م

ولما خلع امراء المماليك سلامش كما تقدم بايعوا اللامير سيف الدين قلاوون وأجلسوه على منصة الملك ولقبوه الملك المنصور . ولما علم بذلك سنقر الاشقر الذي كان اللامير قلاوون قد أرسله الى دمشق خرج عن طاعته بعد سلطنته وحلف له الامراء والعسكر الذين عنده بدمشق واستبد بالملك وتلقب الملك الكامل شمس الدين سنقر نجيز عليه الملك المنصور قلاوون عساكر مصر مع علم الدين سنقر الحلبي (الذي تقدم ذكر سلطنته بدمشق بعد موت قطز) ولما قاربت عساكر مصر دمشق برز اليهم سنقر الاشقر بعساكر الشام واقتتلوا بظهر دمشق فانهمز الشاميون وولوا الادبار ونهبت العساكر المصرية اثقالهم . وكذب سنجر الحلبي الى الملك المنصور قلاوون يخبره بالنصر . اما سنقر الاشقر فهرب الى الرحبة وكاتب ابا قبا بن هولاء ملك التتر واطمعه في البلاد وسار من الرحبة الى صهيون واستولى عليها وعلى برزنة والشفر وبكاس وعكار وشيزر وقامية وصارت هذه الاماكن له وكثر الارجاف في الشام بان التتر قادمون الى حلب يجمعوهم فسار قلاوون من مصر ووصل الى غزة قاصداً دفع التتر عن البلاد وكان التتر قد وصلوا الى حلب فعاثوا ثم عادوا فلما علم المنصور بعودهم عاد هو ايضا الى مصر . ثم عاد الى الشام سنة ٦٨٠ هـ واقام بدمشق يصالح احوالها . وفي هذه السنة (٦٨٠ هـ) حشد ابا قبا ابن هولاء ملك التتر جيوشا كثيفة وسار بها قاصداً الشام فلما وصل الرحبة اقام هو وبعض عساكره يحاصرها وقدم باقي جيوشه بقيادة اخيه منكوتر بن هولاء فساروا الى جهة حمص . وكان الملك المنصور قلاوون بدمشق فجمع عساكره وخرج لقتالهم والتقى الفريقان بظاهر حمص الساعة الرابعة من يوم الخميس ١٤ رجب الفرد من السنة وبعد قتال شديد انتصر المسلمون انتصارا باهرا وولى التتر الادبار واتصل خبر الهزيمة بابا قبا بن هولاء بمكانه من حصار الرحبة فولى منهزما وصرف

وصرف الملك المنصور قلاون العساكر الاسلامية فرجع كل منهم الى محله وعاد هو الى دمشق ومنها الى الديار المصرية . وفي سنة ٦٨١ هـ توفي ابنه (ابا قبا) ابن هولاكو وتولى الملك بعده اخوه تكدار بن هولاكو ولما جلس في الملك اسلم وتسي احمد وارسل رسلاً الى الملك قلاون يعلمه باسلامه ويطلب منه الصلح بين المسلمين فتخوف قلاون من الغدر ولم ينتظم ذلك

وفي سنة ٦٨٤ هـ سار الملك قلاون من مصر الى الشام وبعد ان استراح بدمشق اياماً خرج منها بالعساكر المصرية والشامية ونازل حصن المرقب وكان للصليبيين واستولى عليه . وفي سنة ٦٨٦ هـ كان الملك قلاون قد جهز عسكراً كثيراً مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرناطي وارمهم بالمسير الى قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الاشقر كما مرّ فنصبت العساكر عليها المجانيق وضائقوها بالحصار فاضطر سنقر الى تسليمها بالامان وحلف له حسام الدين قائد الجيش بان السلطان سيكرمه . وسار حسام الدين الى اللاذقية وكان بها برج للفرنجة يحيط به البحر من جميع جهاته فالتقى في البحر حجارة عبر عليها الى البرج فحصره وتسليمه بالامان وهدمه . وتوجه بعد ذلك وصحبته سنقر الاشقر الى الديار المصرية ولما وصلا الى قرب قاعة الجبل في القاهرة ركب السلطان قلاون بنفسه والتقاها واكرمها ووفى بالامان الذي اعطاه حسام الدين لسنقر المذكور

وفي سنة ٦٨٨ هـ خرج الملك المنصور قلاون من مصر الى الشام ثم سار بالعساكر المصرية والشامية ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الاول من السنة ويحيط البحر بفالب هذه المدينة وليس عليها قتال في البر الا من الجهة الشرقية . ونصب السلطان عليها عدة كثيرة من المجانيق ولازمها بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من السنة بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب اهلها الى الميناء فحبا اقلهم في المراكب وقتل اكثر رجالها وسبيت ذراريهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة ثم عاد الملك المنصور قلاون الى مصر واخذ يتجهز لفتح عكا فجمع العساكر

وهم بالخروج من مصر لكن لم يمهله القضاء حتى يتم قصده فتوفي يوم السبت ٦
ذى القعدة من سنة ٦٨٩ هـ بعد ان ملك احدى عشرة سنة وثلاثة اشهر

٥٨٣ - الاشرف صلاح الدين خليل بن قنوق

من سنة ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ او من سنة ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م

لما توفي الملك المنصور قلاوون تولى بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل
وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا . واقاماً لبقا صديقه خرج من مصر
سنة ٦٩٠ هـ بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى امراء الشام ان يقدموا عليه
بالجيش والأت الحصار فقدم امراء الشام وفي طريقتهم نازلوا حصن الاكراد
واستولوا عليه ثم وصلوا اخيراً الى عكا واتحدوا مع الملك الاشرف على حصارها
ومنازلتها حتى اقتحموها عنوة يوم الجمعة ١٧ جمادى الاخرى من السنة وفلك
المسلمون بالفرنجة فيها فتكاً ذريعاً وغموا منها شيئاً كثيراً يفوق الحصر

ولما استولى المسلمون على عكا وكانت احصن مدن الفرنجة وقع الوعب في
قلوب الفرنجة وأخذ منهم الخوف كل مأخذ فاخلوا صيدا ويبروت بغير قتال
وتسلمها الشجاعي نائب السلطنة بدمشق في اواخر رجب سنة ٦٩٠ هـ وكذلك
هرب اهل صور فارسل السلطان وتسلمها ثم عاد الى مصر . وفي سنة ٦٩١ هـ سار
الملك الاشرف من مصر الى الشام وبعد ان اتحدت عساكر الشام مع العساكر
المصرية توجه الى قلعة الروم (وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة)
ونازلها ففتحها عنوة وقتل اهلها ونهب ذراريهم وعاد الملك الاشرف الى حلب ثم
حماة ثم دمشق ثم رجع الى الديار المصرية واستتاب بدمشق عز الدين ايبك الحموي
وعزل علم الدين سنجر الشجاعي . وكذلك عزل قرا سنقر المنصور نائب السلطنة
بحلب واصطاحبه معه وولى موضعه سيف الدين بلباي وعند وصوله الى مصر قبض
على سنقر الاشقر وآخرين من امراء المماليك فكان اخر العهد بهم

وفي سنة ٦٩٣ هـ كان مقتل الملك الاشرف خليل بن قلاون و بيان ذلك انه ركب للصيد في نفر يسير من اصحابه فقصده بعض امراء الممالك بينهم بيدرا ولاجين وقرا سنقر وغيرهم وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على قتله فابتدروا بيدرا بطعنة في كتفه ثم اردوها لاجين باخرى فوقع الملك الاشرف قتيلاً وتركوه مرمياً على الارض فحمله ايدمر الفخري الى القاهرة . وكان مدة حكمه ثلاث سنوات وشهرين واربعة ايام . واليه ينسب الخان المشهور بخان الخليل او الخان الخليلي في السكة الجديدة في القاهرة وكان في مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبني على انقاضها . وفي هذا الخان تباع الان جميع انواع الاقمشة السورية والهندية وما شاكل ذلك

٥٨٤ - الملك القاهر بيدرا

سنة ٦٩٣ هـ او من سنة ١٢٩٣ م

واتفق القاتلون على سلطنة بيدرا فنادوا به وتلقب بالملك القاهر وسار نحو القلعة ليلكمها لكنه لم يملك الا يوماً واحداً لان محالبك السلطان المقتول اجتمعوا وانضم اليهم غيرهم وساروا في اثر بيدرا ومن معه فلحقوهم على الطرانة واقتلوا فانهزم بيدرا وتفرق اصحابه وتبعوا بيدرا فقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستتر لاجين وقرا سنقر

٥٨٥ - الناصر محمد بن قمرود (اورد)

من سنة ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ او من سنة ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م

واتفق امراء السلطنة على سلطنة محمد بن قلاون اخي الملك الاشرف فبايعوه واقبوه الملك الناصر واذا كان سنة لا يزيد عن ٩ سنوات جعلوا الامير

ز بن الدين كتبغا المنصوري وصياً عليه . ثم ظهر لاجين وقرا سنقر من الاستتار
واخذ كتبغا لهما من السلطان الامان واقر لهما الاقطاعات الجبلية وكان ذلك
لفرض سياسي عند كتبغا لانه في سنة ٦٩٤ هـ هجر على السلطان الملك الناصر في
قاعة بقلة الجبل وحجب الناس عنه . ثم استخاف الناس على سلطنته فبايعوه
وخلعوا محمداً ونفوه الي الكرك

٥٨٦ - الملك العادل كتبغا

من سنة ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ او من سنة ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م

وجلس كتبغا على سرير الملك ولقب نفسه العادل ونخطب له بمصر والشام
ونقشت السكة باسمه وجعل لاجين المذكور نائباً له في السلطنة . وفي هذه السنة
التي جلس فيها العادل على سرير الملك حدث غلاء عظيم لجذب الارض حتى
اكل الناس الميتة والقطط واشتد ضيق الناس للدرجة لا تطاق
وفي سنة ٦٩٥ هـ خرج الملك العادل كتبغا من مصر وسار الى الشام فوصل
الى دمشق وتوجه الى جهة حمص وقدم الى جوسية وهي قرية على طريق بعلبك
من حمص وكانت خراباً فاشتراها وعمرها فوصل اليها ورآها وعاد الى دمشق
وعزل عز الدين ايبك الحموي عن نيابة السلطنة بالشام وولى موضعه سيف الدين
غرلو مملوكه

وفي سنة ٦٩٦ هـ خرج الملك العادل كتبغا من دمشق متوجهاً الى مصر
ووصل الى نهر العوجا فركب لاجين نائبه وأنضم اليه جماعة وبغت الملك العادل
في دهليزه وقتل اثنين من مماليكه وولى كتبغا هارباً راجعاً الى دمشق فالتقاءه
مملوكه غرلو ودخل العادل قلعة دمشق واهتم بجمع العسكر لقتال لاجين فلم يوافقه
عسكر دمشق على ذلك فخلع نفسه عن السلطنة واقام في قلعة دمشق وارسل
يطلب الامان من لاجين وموضعاً يأوى اليه فاعطاه صرخد فسار اليها

٥٨٧ - المنصور لاجين

من سنة ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ او من سنة ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م

اما لاجين فبعد ان فرّ كتبنا نزل بدلهيزه على نهر العوجا واجتمع معه الامراء الذين وافقوه على ذلك وشرطوا عليه شروطاً فالتزمها . منها ان لا ينفرد برأي ولا بساطة مما ليكه عليهم كما فعل بهم كتبنا فاجابهم لاجين الى ذلك . ثم رحل بالعساكر الى مصر واستقر بقاعة الجبل ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين وارسل الى دمشق سيف الدين قبجق المنصوري وجعله نائب السلطنة بالشام موضع غرلو مملوك كتبنا

وفي سنة ٦٩٧ هـ جرد الملك المنصور لاجين جيشاً كثيفاً من مصر سيره الى الشام وارسل الى عماله في الشام ان يجردوا عسكرهم وتحمل العساكر الشامية والمهرية على بلاد الارمن فساروا الى حلب ثم اجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الاغارات على بلاد سيس وغنموا وعادوا . فامر لاجين ان يجتمعوا ثانية بحلب ويسيروا الى سيس ايضاً فساروا الى حموص وضايقوها واقتنحوها عنوة فخاف ملك الارمن من المسلمين وارسل اليهم يطلب الطاعة الى ما يرسمه سلطانهم فطلب منه الاسكر ان يكون نهر جيحان حداً فاصلاً بين املاك المسلمين والارمن وكل ما كان جنوبيه من البلاد والحصون للمسلمين فاجابهم الى ذلك فتسلم المسلمون مدناً وحصوناً كثيرة وجعل الملك المنصور لاجين بعض الامراء نائباً فيها وفي سنة ٦٩٨ هـ وثب على الملك المنصور لاجين جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج بعد ان ملك ستين وثلاثة اشهر

٥٨٨ - الناصر محمد بن قلاوون (ثانية)

من سنة ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ او من سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٨ م

وبعد مقتل لاجين اجتمع الامراء واتفقوا على احضار الملك الناصر من الكرك فاهضروه بعد ان استمر تحت الملك خالياً من السلطنة احد واربعين يوماً فحضر الملك الناصر وجلس على تخت المملكة للمرة الثانية وتصرف في المملكة باتم رأي واحسن تدبير . وفي سنة ٦٩٩ هـ خرج قازان بن ارغون ملك التتر بجموع عظيمة من الغل والكرج وغيرهم وعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ثم نزل على وادي مجمع المروج بين حمص وحماة واتصل خبير خروجههم بالملك الناصر فجمع العساكر الاسلامية وبرز بهم من مصر فساروا حتى وصلوا الى ظاهر حمص ثم ساروا الى مجمع المروج والتقى العسكران عند المعبر من نهار الاربعاء ٢٧ ربيع الاول من السنة في شرقي حمص على نصف مرحلة منها وبعد قتال شديد انهزم المسلمون وتأخر السلطان الى جهة حمص وهرب المسلمون الى مصر وتبعهم التتر واستولوا على دمشق وساقوا في اثر الجفال الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيئاً كثيراً . وعاد الملك الناصر الى مصر واخذ بتجهيز العساكر لاعادة الكرة على التتر فجمع العساكر وانفق الاموال وازاح الغل ونهض من مصر سنة ٧٠٢ هـ وحمل على التتر فاجلهم عن الشام بعد ان كسرهم كسرة هائلة وولوا هاربين وعاد السلطان الى مصر مؤيداً منصوراً

وفي هذه السنة (٧٠٢) حدثت زلزلة عظيمة بالشام ومصر اجريت قمياً عظيماً من البلاد واخرجت المياه من الآبار الى سطح الارض فاغرقت خلقاً كثيراً واستبد سلار نائب السلطنة ويبرس الجاشنكير بالامور وتجاوزوا الحد في الانفراد بالاموال والامر والنهي ولم يبق للسلطان منهما الا الاسم فقط فسئمت نفس السلطان الملك الناصر هذا التطاول فخرج من مصر سنة ٧٠٨ هـ مظهراً انه يريد الحج وخرج معه من مصر عدة من الامراء فلما وصل الكرك امر الامراء

الذين حضروا معه ان يمدوا الى مصر وكشف لهم انه جعل السفور الى الحجاز
وسيلة للقيام بالكرك

٥٨٩ - بيرس الجاشنكير

من سنة ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ او من سنة ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م

ولما وصل الامراء الى مصر واعلموا من بها باقامة السلطان بالكرك اشتوروا
فيما بينهم واتفقوا ان تكون السلطنة لبيرس الجاشنكير وان يستمر سلاسل على نيابة
السلطنة كما كان وحلفوا على ذلك وركب بيرس بشعار السلطنة الى قلعة الجبل
بالقاهرة وجلس على سرير الملك وتلقب بالملك المظفر ركن الدين وارسل الى
نواب السلطنة بالشام فحلفوا له عن آخرهم وكتب تقليداً للملك الناصر بالكرك
ومشوراً بما عينه له من الاقطاع وارسلها اليه

ولم يكن كل امراء المماليك مخلصين لطاعة لبيرس الجاشنكير وان اظهروا
طاعته خوفاً منه فمؤلاً ابتدأوا يستميلون الناس في الباطن الى طاعة السلطان
الملك الناصر ويتبعون عندهم طاعة لبيرس حتى كثرت احزابهم فلما تحققت قوتهم
ساروا الى الكرك واعلموا السلطان الملك الناصر بما الناس عليه من طاعته ومحبته فآعاد
خطبته بالكرك ثم استدعاء عسكر دمشق ميينين له انهم باقون على طاعته فلما
تحقق الملك الناصر صدقهم سار الى دمشق واستولى عليها واخرج منها نائب
بيرس الجاشنكير ثم ابتدأ بتجهيز العساكر للسير بها الى مصر واخراج بيرس منها
فلما تكاملت عساكره سار بهم من دمشق قاصداً مصر وبلغ بيرس الجاشنكير
ذلك فاستعد للقتال وجمع عسكراً ضخماً وساروا الى الصالحية . ولما وصل الملك
الناصر الى غزة قدم الى طاعته عسكر مصر اولاً . فالولاً . فلما رأى بيرس ذلك
خاع نفسه من السلطنة وارسل يطلب الامان ويطلب من السلطان ان يعطيه أما
الكرك او حماة او صهيون فاجابه السلطان الى ما طلب ورغب ان يعطيه صهيون

اما بيبرس فعاود نفسه وطمع في الملك فهرب الى مصر العليا طامعاً في الاستيلاء عليها فارسل اليه الناصر من تعقبه وقبض عليه فأعتقل في قلعة الجبل وكان ذلك سنة ٧٠٩ هـ وكانت مدة ملك بيبرس احد عشر شهراً

٥٩٠ - الملك الناصر محمد قهوه (ثالثة)

من سنة ٧٠٩ - ٧٤١ هـ او من سنة ١٣٠٩ - ١٣٤١ م

وتقدم الملك الناصر ودخل القاهرة وجلس على سرير الملك للمرة الثالثة وكان قد تعلم مما لقيه فيما سبق كيف يدبر امور المملكة بنفسه . ولم يحدث في ايامه حروب او فتن لا خارجية ولا داخلية فصرف جل اهتمامه الى تنشيط الزراعة والصناعة فراجت التجارة في مدته واغنت الناس وكثرت الحاصل حتى بيع اردب القمح بخمسة دراهم واردب الشعير بثلاثة دراهم واستمر الحال على ذلك الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ بعد ان جلس على منصة السلطنة ثلاث مرات كما تقدم واستمر في السلطنة الاخيرة من حين استبد وصفا له الملك اثنتين وثلاثين سنة

٥٩١ - المنصور ابو بكر به محمد

من سنة ٧٤١ - ٧٤٢ هـ او من سنة ١٣٤١ - ١٣٤١ م

ولما توفي الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى بعده ابنه ابو بكر ولقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير ابيه بتدبير مملكتة . ولم يكن الملك المنصور ابو بكر اهلاً للسلطنة لانه مذ جلس على تخت المملكة نزع على لذاته وانهمك في شرب الخمر وعشرة النساء وصار يمشي في سكك المدينة متكرراً مخالطاً السوقة فنكر الامراء

ذلك عليه وخلفه قوصون مدبر دولته اسبعة وخمسين يوماً من ولايته وذلك اوائل
سنة ٧٤٢ هـ

٥٩٢ - الاشرف علاء الدين كجك بن محمد

سنة ٧٤٢ هـ او سنة ١٣٤١ - ١٣٤٢ م

وبعد خلع ابي بكر ولي قوصون بعده اخاه علاء الدين كجك بن محمد وتلقبه
الملك الاشرف واستبد عليه . ولما بلغ الامراء بالشام الخبر باستبداد قوصون على
الدولة غصوا من مكائله واعتزموا على البيعة لاحد ابن الملك الناصر اخي ابي بكر
وكجك (وكان مقيماً بالكرك لان اياه كان ولاده امارتها) فكاتبه طشتمر نائب
حمص واخضر نائب حلب وحثاه على الملك . وبلغ الخبر الى مصر فارسل
قوصون قطلوبغا الفخري في العساكر لخصار الكرك وكتب الى طنبغا الصالحى
نائب دمشق للمسير في عساكره للقبض على طشتمر نائب حمص واخضر نائب
حلب . وكان قطلوبغا مستوحشاً من صاحبه قوصون لاستبداده عليه فلما خرج
بالجنود من مصر بعث يبيته الى احمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشام
يستدعي الناس لمبايعة احمد المذكور . فاستولى قطلوبغا على الشام اجمع بدعوة
احمد وبعث الى الامراء بمصر فاجابوه اليها وهيجوا الشعب لخنل قوصون فنهبوا
بيوته وخربوها واتقحموا القلعة وقبضوا على قوصون وبشوا به الى الاسكندرية
فأت في محبسه . وخلفوه الاشرف علاء الدين كجك بن محمد . وكانت مدة
حكمه خمسة اشهر

٥٩٣ - الناصر شهاب الدين احمد بن محمد

من سنة ٧٤٢ - ٧٤٣ هـ او من سنة ١٣٤٢ - ١٣٤٣ م

وقدم السلطان احمد من الكرك الى مصر في رمضان سنة ٧٤٢ هـ ومعه طشتمر نائب حصن واخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخري فاستوى على عرش السلطنة ولقب الملك الناصر وولى طشتمر نيابة السلطنة بمصر وبعث قطلوبغا الفخري الى دمشق وقبض على اخضر والي حلب وولى عليها مكانه ايدغمش وبلغ الخبر الى قطلوبغا الفخري قبل وصوله الى دمشق فعدل الى حلب وقبض على ايدغمش وبعث به الى مصر فاعقله السلطان واعتقل معه طشتمر نائب السلطنة لريبة فيه فاستوحش الامراء من السلطان وارتاب هو بهم فارتحل الى الكرك بعد ثلاثة اشهر من بيعته واخذ معه طشتمر وايدغمش معتقلين . وبعث اليه الامراء بمصر بالرجوع الى دار ملكه فامتنع وقال « هذه مملكتي انزل من بلادها حيث شئت » ثم عمد الى طشتمر وايدغمش فقتلها فاجتمع الامراء بمصر وخاموه وبايعوا لاختيه اسمعيل في محرم سنة ٧٤٣ هـ .

٥٩٤ - الملك الصالح اسمعيل بن محمد

من سنة ٧٤٣ - ٧٤٦ هـ او من سنة ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م

وجلس اسمعيل على كرسي السلطنة ولقب الملك الصالح وولى اقسنقر السلاوي نيابة السلطنة بمصر . وفي سنة ٧٤٤ هـ سرح المساكر لحصار الكرك والقبض على اخيه الملك الناصر . ونزع عن الملك الناصر بعض المساكر ولحقوا بمصر وكثر القتال بالكرك الى ان اقتحمت مساكر الملك الصالح الملك الناصر وقتلوه سنة ٧٤٥ هـ واستبد الملك الصالح بالسلطنة لكنه ارتاب بكثير من الامراء وثقبض على نائبه اقسنقر السلاوي وبعث به الى الاسكندرية فقتل هناك . وولى مكانه انجاح

الملك . وفي سنة ٧٤٦ هـ توفي الملك الصالح ختف انفه بعد ان اقام بالملك ثلاث سنين وثلاثة اشهر

٥٩٥ - الكامل زينه الدين شعبان بن محمد

من سنة ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ او من سنة ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م

وبويع بعده اخوه زين الدين شعبان بن محمد ولقب بالملك الكامل فجعل النيابة بمصر لارغون العلاوي وارسل النجاح الملك ليكون نائباً بصفتهم استرده من طريقه وبعثه معقلاً الى دمشق وتوفي بعد ذلك في محبسه . وارهف السلطان الكامل حده في الاستبداد على اهل دولته فراراً مما يتوهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الامراء بمصر والشام . وانتفض عليه طنبغا البختيارى نائب السلطنة بدمشق سنة ٧٤٧ هـ وبرز في العساكر يريد مصر فجرد الكامل العساكر الى الشام واعتقل حاجي وحسينا اخويه بالقلعة وثار الامراء بمصر وركبوا الى قبة النصر فركب السلطان اليهم في مواليه واقتتلوا فقتل ارغون العلاوي نائبه فرجع السلطان الى القلعة منهزماً ودخل من باب السر مخفياً وقصد محبس اخويه ليعتقلها فخال الخدام دونهما واغلقوا الابواب . ودخل الامراء القلعة من بعده فاخرجوا حاجي اخا السلطان من معتقله فبايعوه . وافقدوا الكامل فوجدوه واعنقوه مكان حاجي اخيه وقتل في اليوم الثاني في السنة المذكورة وكان ملكه سنة وشهراً واياماً

٥٩٦ - المظفر زين الدين حاجي بن محمد

من سنة ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ او من سنة ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م

واستقر زين الدين حاجي بن محمد الناصر ولقب الملك المظفر وهو سنا دس الاخوة ابنا محمد بن قلاون الذين تولوا الملك من بعده . وحال جلوسه على كرسي

السلطنة عهد النيابة له بمصر الى ارغون شاه والحجازي وولي طقتمر الاحمدي
النيابة بحلب والصلاحى النيابة بمحصر . ولم يكن المظفر اقل استبداداً من اخيه
الكامل لانه لم يمض على جلوسه على كرسي السلطنة ٤٠ يوماً حتى قبض على
الحجازي والناصري وقتلها وارسل ارغون شاه نائبه الى صفد للنيابة بها وارهف
في الاستبداد فاستوحش الامراء بمصر والشام واتفق اليحيوي نائب دمشق
وتبعه نواب الشام في الخلاف وبلغ الخبر الى مصر فتواعد الامراء بها للوثوب على
المظفر وبما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد الى القصر وقبض على كل من اتهمه منهم
بالخلاف وهرب بعضهم فادركوا واعتقلوا جميعاً فقتل بعضهم . وبعث بعضهم الى
الشام فقتلوا في الطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر اميراً ووصل الخبر الى
دمشق فلاذ اليحيوي بالمغالطة وقبض على جماعة من الامراء . وكان الملك المظفر
قد ارسل احد خاصته الى دمشق يستطلع الاخبار فحمل الناس على طاعة المظفر
واغرام يقتل اليحيوي وقتلوه وبعثوا براسه الى مصر . وسكنت الفتنة واستوثق
الملك للمظفر . ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الامراء الى قبة النصر فركب المظفر
في مواليه اليهم وبعض الامراء الذين معه يرون ما يراه خصومه من خلعه ولما
تورط في الزحف اليهم اسلمه من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه على
تربة امه خارج القلعة ودفن هناك في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ هـ بعد ان ملك
سنة وثلاثة اشهر

٥٩٧ - الناصر حسن بن محمد

من سنة ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ او من سنة ١٣٤٧ - ١٣٥١ م

و بعد مقتل المظفر تشاور الامراء في من يولونه ثم اجمعوا على مبايعة حسن
ابن محمد الناصر وهو شابع الاخوة الذين ملكوا بعد ابيهم فبايعوه ولقيوه الملك
الناصر وقام بيقاروس القاسمي بامر دوله . ثم شرع الناصر بالاستبداد على عادة

اخوته فعزل امراء واستعمل غيرهم وقتل ونفى كثيرين منهم واخيراً قبض على
بيقاروس القائم بامر دولته واعتقله بالاسكندرية واستعمل مكانه احد الامراء
المدعوظاز . ثم استوحش طاز من الناصر وداخل الامراء في الثورة فاجابوه اليها
فركبوا ودخلوا القلعة من غير ممانع وقبض طاز على الناصر واعتقله وكان ذلك
سنة ٧٥٢ هـ . وكانت مدة ملك الناصر ثلاث سنين ونحو عشرة اشهر

٥٩٨ - الصالح صلاح الدين بن محمد

من سنة ٧٥٢ - ٧٥٥ هـ او من سنة ١٣٥١ - ١٣٥٤ م

ولما اعتقل الناصر بايع طاز لاخيه صلاح الدين بن محمد ولقبه الملك الصالح
وهو ثامن الاخوة ابنا محمد الناصر . ولم يلبث طويلاً حتى وقع بينه وبين
الامراء فن فركبوا عليه فظفر بهم فاخذوا الى السكينة . وفي ايامه كثر فساد
العربان في الصعيد فجورد لهم الامير شيوخ فكسروهم وابادهم بالقتل . وفي ايامه ايضاً
منعت اليهود والنصارى ان يباشروا بالدواوين وان تكون عمائمهم دون العشرة
اذرع ولا يدخل احد منهم الحمام الا بصليب في رقبته ولا يدخلن نساؤهم مع
نساء المسلمين وان تكون ازر النصارى زرقاء واليهود صفراء فنالهم من جراء ذلك
شدة عظيمة . ثم داخل الملك الناصر حسن المعتقل بعض الامراء في خلع اخيه
الصالح واعادته هو فوافق الامراء على ذلك ودخلوا على الملك الصالح فخلعوه
يوم ٢٢ شوال سنة ٧٥٥ هـ

٥٩٩ - الناصر محمد بن محمد (ثانية)

من سنة ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ او من سنة ١٣٥٤ - ١٣٦١ م

ثم جلس الملك الناصر حسن على كرسي المملكة ثانية فعزل وولى كثيرين

من الامراء واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالامر والنهي وكان سرغتمش رديفه في
الولاية الى ان وثب يوماً بعض الموالى سنة ٧٥٨ هـ على شيخو بمجلس السلطان
وضربه بالسيف ثلاثاً اصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فحمل الى منزله . وأمر
السلطان بقتل المملوك الذي ضربه . ثم مات شيخو وهو اول من سمي بالامير
الكبير بمصر واستقل سرغتمش رديفه بتدبير مهام المملكة الى ان استوحش منه
السلطان فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء سنة ٧٥٩ هـ وحبسهم بالاسكندرية
واستبد السلطان بملكه . وجعل السلطان مملوكه يلغا امير الف . وكان هذا
السلطان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم في داره مبتدلاً ويفاوضهم في مسائل
العلم ويصلهم ويحسن اليهم

ثم استوحش يلغا من السلطان فلزم مخيمه ولم يخرج منه مدة فركب عليه
السلطان ليلاً لا غنياه وكان يلغا قد علم بالخبر فخرج عن خيامه واكن للسلطان
ومن معه فلما كبس السلطان عليه بالخيـم خرج يلغا ومن معه من خلفهم فكسروهم
وهرب السلطان ومن معه الى القلعة والبس مما ليكه فلم يجد لهم خيولاً لان
خيولهم كانت في الربيع وحجز يلغا ما يدينهم وبينها فتقن السلطان المزيمه فلبس
لبس العرب هو وايدمر الدويدار ونزلا من القلعة في آخر الليل بمفردهما قاصدين
الشام فلقبهما بعض المماليك فاحضروهما الى الامير يلغا فكان آخر العهد بالملك
الناصر وذلك سنة ٧٦٢ هـ وبه انتهى ملك ابناء السلطان الناصر الثانية

٦٠٠ - المنصور محمد بن مايجي

من سنة ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٦٣ م

وبعد وفاة الملك الناصر حسن بن محمد نصب يلغا نائب السلطنة المذكور
محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون واقبه المنصور وقام بكفالاته وتدير دولته
فاستبد بالتمس والابرار . ولما اتصل بالشام ما فعله يلغا وانه استبد بالدولة وكان

اسندمر نائباً بدمشق امتنع لذلك وعول على الانقراض ووافقه عليه بعض اصحابه فاستولى على قلعة دمشق

وعلم يلبغا بذلك فسار في العساكر من مصر ومعه السلطان المنصور ووصلا الى دمشق فاعنصم المخالفون بالقلعة وترددت بينهم القضاة بالشام حتى نزلوا من القلعة على الامان بعد ان حلف لهم يلبغا . فلما نزلوا بعث بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها . وولى الامير المارداني نائباً بدمشق وقطلو بغا الاحمدي نائباً بحلب ثم عاد السلطان ويلبغا الى مصر

وبدا يلبغا استرابة في الملك المنصور فخلعه سنة ٧٦٤ هـ في منتصف شعبان من السنة وحبس به بالقلعة وكانت مدة ملكه سنتين وثلاثة اشهر وستة ايام

٦٠١ - الاشرف شعبان بن حسن

من سنة ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ او من سنة ١٣٦٣ - ١٣٧٧ م

وانصب يلبغا مكان المنصور محمد بن حاجي شعبان ابن الناصر حسن وكان عمره عشر سنين ولقب الملك الاشرف وتولى كفالته . وفي سنة ٧٦٧ هـ قصد ملك قبرص الاسكندرية في اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركباً مشحونة بالعدة والعدد وانزل عسكره الى البر وزحفوا الى المدينة وحاصروها قليلاً حينئذ واسوارها خالية من الرماة ونائبها غائب . ووصل الفرنج الى الباب فاحرقوه واقتحموا المدينة فاضطرب اهلها وماج بعضهم في بعض واجفلوا الى جهة البر بما امكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من اموالهم وشعر بهم الاعراب اهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوغل الفرنج في المدينة فنهبوا وملاؤا سفنهم من المال والمتاع والبضائع وسبوا وأسروا كثيرين . وكثر اليهم الصريح من العرب وغيرهم فانكفأوا الى اساطيلهم واقبلوا من القد . واتصل الخبر بمدير الدولة يلبغا العمري فخرج لوقته بساطانه وعساكره ومعهم ابن عوام نائب الاسكندرية فبلغهم الخبر في

طريقهم باقلاع العدو فلم يشنهم ذلك عن السير الى الاسكندرية . وشاهد يلبغا ما وقع بها من معرة الخراب واثار الفساد وقد امتلأت جوانحه غيظاً وحنقاً على اهل قبرص فامر بانشاء مائة مركب واعزم على غزو قبرص وبعد ان قاربت العمارة على التمام في بيروت بالحل المعروف بالسطبة الآن لم يقدر على اتمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما سيجي

كان استبداد يلبغا على السلطان قد طال وثقلت وطأته على الامراء واهل الدولة وخصوصاً ممالكه وارهف جده في التأديب لهم حتى يجردع الانوف واصطلام الاذان وكان كبير خواصه اسندمر . وكان يلبغا قد اوقع في بعض الايام مثل هذه العقوبة باخي اسندمر فاستوحش له وداخل سائر الامراء في الثورة على يلبغا . وكاشفوا السلطان في ذلك سنة ٧٦٨ هـ فسرح يلبغا الى البحيرة واخذ الامراء يتشاورون في نكبته فلما انظر اليه فعاد الى القاهرة وجمع من كان بها من الامراء والحجاب فخلع الاشرف ونصب اخاه اتوك ولقبه الملك المنصور واستعد للعرب وكان السلطان الملك الاشرف غائباً عن دار ملكه واراد العود اليها فالتقاء يلبغا واصحابه يرشقونه ومن معه بالسهام ويرسلون عليهم الحجارة من الخناييق فاجتمعت العساكر مع السلطان وهاجوا الخونة فانتفض اصحاب يلبغا عنه وتركوه اوحش من وقد في قلاع فولى منهمماً الى بيته فاستحضره السلطان وجبسه بالقلعة ثم ضربه بعضهم وهو مقبل للضرع فقطع رأسه . وقام بتدبير امور الدولة اسندمر الناصري ورديفه بيبغا الاحدي وغيرهما من الامراء وابدوا الاستهتار بالسلطان والرعية ونادوا بخلع السلطان . فركب السلطان في ثيابه وبعض الجند والعامة فهرم هؤلاء المنتفضين وحيء باسندمر اسيراً وشفع به الامراء فاطلقه السلطان باقياً على اتابكيته . ثم استأنفوا الانتفاض فركب اليهم السلطان والامراء فهزمهم وقتل كثيرين منهم وارسل بعضهم الى الحبس بالاسكندرية . واستبد السلطان بامر واستدعى سنكلي بغا من حلب وجمعه اتابكاً وأحضر الامير عليا المارداني من دمشق و ولاية النيابة وكان ذلك سنة ٧٦٩ هـ

وفي سنة ٧٧٤ هـ توفي سنكلي بغا الانابك وكان الجاثي اليوسفي امير سلاح عند السلطان فجعله اتابكاً فاستخط السلطان وغمط نعمته وانتقض فلاحه السلطان فبطر . فارسل اليه مماليكه واذنهم بقتاله فقاتلوه وانهزم امامهم حتى غرق في البحر واستدعى السلطان ايدمر العزي وكان نائباً بطرابلس فولاه الانابكية مكان الجاثي المذكور ورفع رتبته . وولى في نيابة السلطنة منحك اليوسفي نائب السلطنة بالشام . واستقر السلطان الاشرف في دولته على اكل حالات الاستبداد واذعن الناس اطاعته

واراد الملك الاشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة ٧٧٨ هـ فلما انتهى الى عقبة ايلة انتقض عليه بعض ممالك يلبغا الذين كان قد ردهم الى خدمة الدولة وجاھروا بالخلاف فركب السلطان في خاصته يظن انهم يروعون او يمنح اليه بعضهم فابوا الا قتاله فرجم السلطان الى خيامه منهزماً وركب البحر في افيف من خواصه قاصداً العود الى القاهرة . وكان عند سفره عنها استخلف بها ابنه علياً بكفالة قرطاي الطازي فسولت لقرطاي نفسه الانقراض وداخل بعض الامراء به وحضر بجيم غفير الى القلعة فحمل الامير علي بن الاشرف وبايمه واستدعى الامراء القائمين بالقاهرة فبايموه وأخذ هو كفالة السلطان وجعل ايبك البدري رديفاً له واما السلطان فعرف في طريقه بواقعة القاهرة فاسرع في الرجوع بن معه اليها وانتھوا الى قبة النصر ليلاً وغشيبهم النعاس فناموا وانفرد السلطان عنهم واخفى وعرف بهم اهل الثورة فوثبوا عليهم وقتلوه . وجاءت امرأة الى ايبك فدلته على السلطان في بيت جاريتها فاستخرجوه من ذلك البيت وسلوه الى ايبك فامتنحه حتى دلهم على الخزينة ثم قتلوه خنقاً في خامس ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ . وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة



٦٠٢ - المنصور علي بن شعبان

من سنة ٧٧٨ - ٧٨٣ هـ أو من سنة ١٣٧٧ - ١٣٨١ م

وبعد مقتل الاشرف شعبان تم الامر لابنه علي بن شعبان ولقب الملك المنصور وقام بالدولة قرطاي الطازي ورد يه ايبك البديري . وكان قرطاي غير مهتم بامور الدولة بل منعكماً على لذاته فانتخب رد يه ايبك البديري المذكور الفرصة للاستبداد بامور الدولة وداخل السلطان في ذلك فوافقه وعهد اليه نيابة المملكة وعلم قرطاي بذلك فلم يمرض وغاية ما فعله انه طلب من ايبك الامان لنفسه فامنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ايبك بالدولة . ثم انتفض طشتجر بالشام ووافقه على الانتفاض كثيرون من الامراء فنادى ايبك في الناس بالمسير الى الشام فتجهزوا وسرح مقدمتهم مع ابنه احمد واخيه قنطولغا ثم خرج بالاساقفة مع السلطان والامراء والعساكر . فثار الامراء الذين كانوا في المقدمة مع اخيه فرجع اليه منهزماً فاجفل ايبك راجعاً الى القلعة ومعهم السلطان والعساكر فخرج اليه ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم للعساكر مع اخيه فوقعوا به وقبضوا عليه فسرح ايبك اليهم من بقي معهم من الامراء ولما تواروا عنه فرّ هارباً مخفياً ثم ظهر من الاخفاء وجاء الى بلاط احمد الامراء فبهشوا به الى الاسكندرية فحبس بها . واقام الامراء ببيت النساطري مكانه لكنهم لم يمضوا له الطاعة وبقى امرهم مضطرباً وأرادهم مختلفة فاستدعوا طشتجر من الشام ووضعوا زمام الدولة في يده فصار اليه الامر والنهي ثم انتفضوا عليه واستدعوه الى القلعة فقبضوا عليه وبهشوا به الى الاسكندرية . وقام بالدولة من بعده الاميران برقوق وبركة ثم وقع الخلاف بينهما وتغلب برقوق على بركة وبهشوا الى الاسكندرية فحبس بها ثم قتل . واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرام ولم يكن للسلطان معه سوى الاسم فقط ولم يزل الحال كذلك الى ان توفي السلطان المنصور علي في صفر سنة ٧٨٣ هـ

٦٠٣ - الصالح حاجي بن شعبان

من سنة ٧٨٣ - ٧٨٤ هـ او من سنة ١٣٨١ - ١٣٨٢ م

ولما توفي الملك المنصور علي بن شعبان استدعى برقوق نائب السلطنة الامراء واتفقوا على تولية اخيه الامير حاجي ولقبوه الملك الصالح وكان صغير السن فقام برقوق بكفالته فولى كثيرين من الامراء اصحاب يلغا الذين كانوا انصاره لانه منهم فطمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك وسمت احوالهم ان يستقل اميرهم بالدولة ويستبد بها . وانس برقوق الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته . فامتعض جماعة من الامراء المخلصين بالسلطان وتفاوضوا في الغدر به وفما الخبر الى برقوق بذلك فقبض عليهم وغرب بعضهم الى دمشق وبعضهم الى قوص فاعقلوا بها . ثم تفاوض الامراء اصحاب برقوق في قيامه بامر الدولة مستقلاً فجمعهم لذلك في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ فحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وارباب الشورى واجمعوا على يزمة برقوق وعزل السلطان الصالح وبعث برقوق اميرين من الامراء فادخلا السلطان الى بيته وتناولا السيف من يده واحضره الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة وجلس على تخت المملكة واتاه الناس ببيعتهم وكان الملك الصالح اخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

٦٠٤ - الملك الظاهر برقوق

من سنة ٧٨٤ - ٨٠١ هـ او من سنة ١٣٨٢ - ١٣٩٩ م

هو اول ملوك دولة المماليك المعروفة بالجراكسة ودعيت هذه الدولة كذلك نسبة الى منشأ سلاطينها فانهم من الشعب الجركسي (الشركسي) وهم قبيلة مواطنها في نواحي بحيرة بيكال بسبيريا

اما برقوق فهو مملوك منهم اشتراه يلبيغا يوم كان نائب السلطنة بمصر فربي في اطباق بيته وتعلم الفقه وسائر العلوم الاسلامية حتى لقبه يلبيغا بالشيخ . وتعلم ايضاً اداب الملك واتقن الرماية والثقافة وما زال في خدمة يلبيغا المذكور الى ان قضى الله على يلبيغا بما قضى وتشتت مماليكه وقبض على بعضهم وسجنوا . فسجن برقوق هذا في الكرك هو وامير اخر يقال له بركة خمس سنين ثم اطلقا فدخلا في خدمة منجك حاكم الشام يومئذ . واستمر برقوق عنده الى ان استدعاه الملك الاشرف واستضافه لولده الامير علي . فلم يزل برقوق معه حتى صار في دولة علي المذكور نائب السلطنة ولما توفي السلطان علي نصب برقوق اخاه السلطان حاجي ثم طمع في الجلوس على تخت المملكة فتم له ما اراد وخلع السلطان الصالح حاجي وجلس على تخت المملكة يوم ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ كما مر ذكر ذلك ولقب الملك الظاهر

ولما استتب الامر للملك الظاهر برقوق قبض على بيبقا الناصري واعتقله في الاسكندرية ثم افرج عنه فسار الى حلب وداخل بعض الامراء في الانتقاض على السلطان . وبلغ ذلك الى السلطان فاعتقل هؤلاء الامراء فاستراب الناصري واضطرب وشرع في اسباب الانتقاض . واجتمع الامراء الى الناصري واعصو صلبوا عليه ودعاهم الى خلع الطاعة فاجابوه الى ذلك سنة ٧٩١ هـ واتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الامراء يزومون الانتقاض فعمدوا الى الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة بها وحبسوه . وفعل مثل ذلك اهل حمص وغيرها وبلغ الخبر الى السلطان الملك الظاهر برقوق فسرح العساكر لقتال هؤلاء المنتقضين ولما وصلت عساكر السلطان الى دمشق اختاروا من القضاة وفدأ اوفدوه على الناصري وعلى اصحابه بحلب فلم يجيبوا وامسكوا الوفد عنهم وساروا للقاء عسكر السلطان ولما تراءى الجمعان التحم القتال بينهما ودارت الدوائر على عساكر السلطان وتشتت شملهم . ودخل الناصري دمشق واستولى عليها وعاثت عساكره في نواحيها . واستعد السلطان برقوق للمدافعة واقام روساء لعاكره مكان من خسرهم بدمشق واقام الناصري واصحابه اياماً بدمشق ثم عمدوا على المسير الى مصر ونهضوا

اليها بجمعهم وخفيت اخبارهم حتى اطلت مقدمتهم على بليدس ثم تقدموا الى بركة الحاج . وبرز السلطان في مماليكته ووقف امام القلعة بقية يومه والناس من العساكر والعامه يتقاطرون الى الناصري . واستأن من اكثر الامراء الذين مع السلطان الى الناصري فأمهم . فارتاب السلطان بامرهم وعان انحلال عقده فندس الى الناصري بالصلح وبمث اليه بالملاطفة . فأشار عليه الناصري ان يتواري بشخصه مخافة ان يصيبه احد بسوء . فلما غشبه الليل صرف من بقي من مماليكته وخرج متنكراً . وباكر الناصري واصحابه القلعة فاستولوا عليها واستدعوا السلطان حاجي ابن الاشرف شعبان (الذي تقدم ذكره وهو الذي خلفه برقوق واستولى على كرسي المملكة مكانه) فاعادوه الى الكنت كما كلف ولقبوه الملك المنصور واستدعوا الجوباني والامراء المعتقلين بالاسكندرية فاتوا وركب الناصري واصحابه لقايتهم واشرك الناصري الجوباني في تدبير الدولة . ثم نادوا بطلب الملك الظاهر برقوق حتى دل عليه بعض المماليك وجاؤا به الى القلعة واشتوروا في امره وكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبى الناصري والجوباني الا الوفاء بهمد الناصري له ثم قرأهم على ارساله الى الكرك فارسلوه اليها واعتقلوه بها ووكل الناصري به احد خواصه واوصاه بخدمته ومنعه ممن يريد به سوء

واما الامراء الثائرون فحملوا الجوباني اتابك السلطان المنصور والناصرى رأس النوبة الكبرى (أي مدير الدولة) ثم بعثوا بذلار نائبا على دمشق وكشيقا نائبا على حلب . وقبضوا على جماعة من الامراء الذين كانوا مع السلطان برقوق منهم النائب سودون والطارنطاي نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بعضهم بالاسكندرية وبعضهم بالشام . وتبعوا ممالك السلطان برقوق فحبسوا اكثرهم واشتخصوا بقيتهم الى الشام

وكان منطاش مذ دخل مع الناصري الى مصر متر بصاً بالدولة طاوياً جوانحه على الغدر برجالها لانهم لم يوفرهوا حظه من الاقطاع ولم يجعلوا له اسماً في الوظائف . فلم يزل يداخل الامراء والمماليك في الثورة على الناصري والجوباني حتى وافقه كثيرون

منهم . ونما الخبر الى الناصري والجوباني فبرزوا على اشخاص منطاش الى الشام فنارض واقام في بيته اياماً يطاولهم ليحكم التدابير عليهم . ثم عدا على الجوباني وكان قد اكن في بيته رجالاً للثورة فقبضوا على الجوباني وقتلوه لحينه . وركب منطاش الى الرملة واجتمع اليه من داخله بالثورة . وبرز الناصري فيمن حضر وامر الامراء بالحلة على اصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الى ذلك فاحجم الناصري عن الحلة في ذلك النهار . وفي الغد تزايدت جموع منطاش فاقبحم الناصري فانهمزم وانفض اصحابه عنه فذهب مختاراً . واستقل منطاش بتدبير الدولة ونصب في وظائفها من شاء من اصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بان يقتل السلطان برقوق وكان الناصري قد اوصاه كما مر ان يمنعه ممن يريد به بسوء فلم يفعل . وتشرع برقوق ان منطاش يروم اغتياله وعلم باستقلاله بالدولة فخاف على نفسه منه فارسل غلمانه الذين معه لقتال حامية الكرك فهزمهم وقتلوا قائدهم واستولى السلاطان برقوق على قلعة الكرك وبايعه نائبها واهلها . وفشا الخبر بالنواحي فتسارع اليه مماليكه من كل جهة . وبلغت اخباره الى منطاش فاعز الى ابن باكيش نائب غزة ان يسير في العساكر الى الكرك وتردد السلطان برقوق بين لوائه والنهوض الى الشام وعزم على المسير الى دمشق فسار من الكرك في ألف رجل او يزيدون من العرب والترك فسرح جنتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فالتقوا به حمل يشمي شقحب وكانت بينهم وقعة عظيمة اجلت عن هزيمة اهل دمشق وقتل الكثيرين منهم واتبعهم السلطان الى دمشق ثم احس بان ابن باكيش وعساكره يتبعونه فكر اليهم ليلاً وصحبهم على غفلة فانهمزموا ونهبت عساكر السلطان ما معهم . واستفحل امر السلطان ورجع الى دمشق ونزل بالميدان واغلق الدمشقيون ابواب المدينة فاقام يحاصرهم الى محرم سنة ٧٩٢ هـ كما سيأتي

وعزم منطاش على المسير الى الشام فنادى في المسكر واخرج السلاطان الملك المنصور حاجي والخليفة والقضاء والعلماء في اخر سنة ٧٩١ هـ . ولا بلغ خبر

مسيرهم الى السلطان برقوق وهو محاصر دمشق ارتحل في عساكره للقائهم ونزل قريباً من شقحب ولما تراءى الجمعان كانت بينهما وقعة هائلة اجلت عن انتصار السلطان برقوق واستحوازه على الملك المنصور والخليفة والقضاة ودخولهم في حكمه وهزيمة منطاش وجموعه وحقوقه بدمشق . ولما وصل منطاش اليها وهم نائبها جنيش من ان الظفر له وان الملك المنصور مواف على اثره . فركب السلطان برقوق في عساكره من شقحب فهزم منطاش وجمعه واتخذ فيهم ثم عاد الى شقحب وحمل الملك المنصور على التبري . من الملك والهجز عنه واحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان برقوق والبيعة له والعود الى كرسيه . واقام السلطان بشقحب تسعة ايام ورحل الى مصر وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه لكنه لم يحسر ان يناوئه وعاد الى دمشق . وواصل السلطان المسير الى مصر حتى اصبح يوم الثلاثاء ٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ في ساحة القلعة في القاهرة وقتله الخليفة الملك وعاد الى سريره وافرغ عن الامراء الذين كان منطاش قد حبسهم بالاسكندرية وانتظم امر دولته في مصر واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشام وتلافيه من فساد منطاش فولى بعض الامراء نواباً عنه في مدن الشام وسيرهم اليها بالمسكر وكان منطاش قد استتب امره بالشام فحصلت بينه وبين عساكر السلطان برقوق فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها استيلاء عساكر السلطان برقوق على الشام واجلاء منطاش عنه . فهرب منطاش وخلق بجي من العرب يقال له آل فضل ونزوح منهم واقام بينهم فدافعوا عنه بقدر ما في امكانهم وحاربوا معه مراراً ولكن بلا فائدة . واخيراً دفع على السلطان برقوق احد امراء آل فضل واستأمن اليه ووعدته بتسليم منطاش وقت طلبه فاحسن السلطان اليه ووعدته ومناه فرجع الامير وقبض على منطاش وبعث الى نائب حلب في من يستلمه فبعث اليه بعض امرائه فسلمه اليهم وارسل معهم الفرسان والرجال حتى اوصلوه الى حلب وبعث السلطان اميراً من القاهرة فاحتز رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الى القاهرة سنة ٧٩٥ هـ فعلق على باب القاهرة ثم دفع الى اهله

قد فوزه وانتهت به الفتن والثورات

وفي سنة ٧٩٦ هـ فر احمد بن اويس صاحب بغداد امام تيمورلنك التتري الذي كان قد ملك اكثر البلاد الشمالية وأثنى فيها وحاصر بغداد فانهمز احمد المذكور الى الرحبة ثم الى حاب ومصر مستعصماً بالملك الظاهر برقوق على طلب ملكه والانتقام من عدوه فاجاب السلطان صريخه وجهاز عساكره وسار فيها الى الشام ومعه احمد بن اويس المذكور. وكان تيمورلنك بعد ان استولى على بغداد قد زحف في عسكره الى تكريت وحاصرها اربعة ايام ومملكها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها فملكوها . وكتب السلطان الظاهر الى جليان نائب حاب بالخروج الى الفرات واستيعاب العرب والتركمان للاقامة هنالك رصداً للعدو ثم ارسل اليه العساكر من دمشق مع كشيكا الاتابك وغيره . وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردن فاقام عليها اشهرًا ثم ملكها وامتنعت عليه قلعته فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الكراد فاغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقي السلطان الى شعبان من السنة المذكورة متربصاً ليرى ما يكون من تيمورلنك اما تيمور فبدأ له حينئذ ان يقصد بلاد الهند فقصدتها وشغل بتدوينها فعاد السلطان الظاهر برقوق الى مصر

وفي سنة ٨٠١ هـ ارسل تيمورلنك الى الملك الظاهر رسالة يطلب منه ان يخطب له بمصر والشام ويهدده ان ابى فارسل اليه الملك الظاهر جواباً مزدرياً بتهديداته ومبدياً العزم على قتاله . وابتدأ الظاهر يجمع العساكر والسلاح وتأهب للدفاع او الهجوم لكنه لم يكذبتم هذه الاستعدادات حتى ادركته الوفاة بداء الصرع في يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١ هـ المذكورة



٦٠٥ - الناصر فرج بن الظاهر برقوق

من سنة ٨٠١ - ٨٠٨ هـ او من سنة ١٣٩٩ - ١٤٠٥ م

ولما توفي الملك الظاهر برقوق اجتمع الامراء و بايعوا لابنه فرج واقره الملك
الناصر وكان عمره عشر سنين فظن الناس انه ستكون فتنة عظيمة بعد موت والده
فلم يحرك احد ساكنا وانشد ابن الاوحد في ذلك

مضى الظاهر السلطان اكرم ماله الى ربه يرقى الى الخلد في الدرج
وقالوا ستاتي شدة بعد موته فاكنهم ربي وما جا سوى فرج

وفي سنة ٨٠٣ هـ اغار تيمورلنك التتاري على الشام ونازل حلب وضايقة
وافتحها عنوة ومثل باهلها تمليلاً شنيعاً فخاف اهل الشام ارسلوا بطاعتهم هكذا
فعل اهل حماة وحمص . اما اهل بعلبك فامتنعوا بها فصار اليها بتورلنك وضيق
عليها فطلب اهلها الامان فلم يؤمنهم ولم يلتفت الى مقامهم ولم يرث اندلهم بل
ارسل فيهم جوارح النهب والاستئصال

وانصل الخبر بالملك الناصر فرج فخرج من مصر في العساكر ولما وصل الى
دمشق بلغ تيمور اليها بجيشه الجرار واقام في غربي المدينة بداريا وما يليها
وحصلت بين الفريقين مناوشات ليست بذات بال . ثم دخل الخائف عساكر
السلطان فماد فريق منهم الى مصر . ودخل على السلطان احد خواصه فخوفه
من بطش تيمور ان هو وقع في قبضة يده فآثر كلامه في السلطان فخرج ليلاً من
القلمة قاصداً الرجوع الى مصر ومر بالبقاع العزيزة وبات في سفح لبنان بين قريتي
نيحا وجباع الحلاوة لئلا يعلم به احد وسار في طريق الساحل الى مصر

ولما علم تيمور بهرب السلطان احتاط دمشق بالعساكر فملكها وقتل اعيانها وسبي
نساءها واحرقها مع الجامع الاموي وكان فيه جم غفير من النساء والاطفال فهلك
جميعهم واخرب المساجد والمدارس والمعابد ودك القلمة وارتكب جنوده بها الفظائع
وسار تيمور نحو دمشق الى جهة اردن وبغداد فملكها سنة ١٤٠١ م وحارب

بايزيد السلطان العثماني سنة ١٤٠٣ م . وفي هذه السنة (١٤٠٣ م) ارسل تيمور رسلاً وهدايا نفيسة الى السلطان فرج واعتذر عما صدر منه بسورية ووقع الصلح بينهما وفي سنة ٨٠٨ هـ وقعت فتن بين الامراء بمصر فغاف السلطان فرج على نفسه واختفى ولم يعلم احد اين ذهب بعد ان ملك ست سنين بواشهرًا

٦٠٦ - المنصور عبد العزيز بهه برقوق

سنة ٨٠٨ هـ او سنة ١٤٠٥ م

فاجتمع القضاة والامراء عند الخليفة وتشاوروا في من يولونه فقرروا عليهم على مبايعة اخيه عبد العزيز بن برقوق غلبايموه ولقبوه الملك المنصور . ثم ظهر الملك الناصر فرج فامسك اخاه المنصور عبد العزيز وحجسه في الاسكندرية ثم قتل سنة ٨٠٩ هـ وكانت مدته ولايته ٤٧ يومًا

٦٠٧ - الناصر قنبرج بن برقوق (ثانية)

من سنة ٨٠٨ - ٨١٥ هـ او من سنة ١٤٠٥ - ١٤١٢ م

وعاد الناصر فرج الى عرش ملكه . وفي ذات السنة وثب يعبر بن مهني امير العرب في خلق كثير من العرب على دمشق فالتقاه نائبها خارج المدينة والتجم بين الفريقين القتال فانهمز النائب واستولى يعبر على دمشق . وشكت الناس من جورده وظلمه فخرج اليه السلطان الناصر فرج من مصر في العساكر المصرية فازاحه عن دمشق وعن الامصار الشامية وجدد بناء الجامع الاموي وامن الناس ورتب امور البلاد وعاد الى مصر

وفي سنة ٨١٥ هـ اتفق الامير شيوخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء على العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصل الى غزة خامر عليه عسكره

ولحقوا بالامير شيخ ونوروز الى حص فنوجه السلطان في طلبهم فلما قرب من حص قصدوا القاهرة من على بعابك ووادي النيم فعاد السلطان في طلبهم الى ان وصل الى اللجون (بقرب الناصرة) واقتتلوا قتالاً شديداً فانكسر السلطان وهرب الى دمشق فتابعوه وحاصروه بقلعتها اياماً ثم اشتد الحصار على السلطان فطلب الامان فامنوه . فلما نزل من القاعة قبضوا عليه وسجنوه وادعى عليه احدهم بقتل اخيه ظلماً فحكموا بقتله عوضه فقتلوه وبقي ثلاثة ايام مرمياً على مزبلة عرياناً . وأضيفت السلطنة الى الخليفة المستعين بالله ابي الفضل العباس بن محمد العباسي وصار خليفة وساطتاً مدة سنة اشهر . وكان الامير شيخ الحمودي الذي ثار على الناصر فرج كما تقدم انما يجبر النار لقرصه فلما ولي الخليفة السلطنة ولي هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام . ثم طمع الامير شيخ المذكور بانتزاع الامر من الخليفة خوف ثبوت قدمه بها فدخل امراء الممالك في ذلك وبين لهم الاضرار التي تلحقهم من انتزاع الملك منهم فجاهروا بالعصيان على الخليفة ونادوا بالامير شيخ سلطاناً عليهم فخلعوا المستعين بالله من خلافة والسلطنة معاً وتولى الخلافة بعده الفضلي داود العباسي وتولى السلطنة السلطان الرابع من الجراكسة وهو الملك المؤيد شيخ الآتي ذكره

٦٠٨ - الملك المؤيد شيخ

من سنة ٨١٥ - ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤١٢ - ١٤٢١ م

كان الامير شيخ بن عبد الله الحمودي الظاهري من مماليك الملك الظاهر برقوق اعتقه وقدمه في المراتب الى ان صار مقدم الف في دولة الملك الناصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام ايضاً واسره تيمورلنك في حلب ثم نجاً من الاسر . وكانت له امور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم التف الى نوروز نائب الشام في عصيانه المار ذكره ولما قتل الملك الناصر وتسلطن الخليفة العباسي كان

شيخ اتابك العسكر بمصر فخلع الخليفة من السلطنة وتسلطن مكانه سنة ٨١٥ هـ كما تقدم وتسمى الملك المؤيد

وكان السلطان الملك المؤيد عاقلاً حسن السياسة فسعدت البلاد في أيامه ولم يكدر ملكه الا عصيان نوروز نائب الشام عليه لانه لما رأى استبداده بالملكة وخيانتة اليهود التي كانت بينهما بقي يخطب باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق واستمر واضماً يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات الى سنة ٨١٧ هـ التي فيها سار الملك المؤيد بالعساكر من مصر الى الشام ومعه الخليفة المنصور بالله داود والقضاة الاربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد وطال الحصار وفي اخر الامر سلم نوروز نفسه الى الملك المؤيد فقطع رأسه وارسله الى القاهرة فملق على باب زويلة ثلاثة ايام ثم دفن . وكان مقتل نوروز سنة ٨١٨ هـ واقام الملك المؤيد بعد ذلك بدمشق اياماً فنظم البلاد الشامية ثم عاد الى مصر . واستمر الملك المؤيد سلطاناً على مصر والشام الى ان طرقة المرض سنة ٨٢٤ هـ فتوفي يوم الاثنين ٩ محرم من السنة . ومن اثاره جامع المؤيد بالقرب من باب زويلة

٦٠٩ -- المظفر احمد بن شيخ

سنة ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤٢١ م

لما توفي الملك المؤيد شيخ اجتمع الامراء وابعوا لابنه احمد بن شيخ وكان طفلاً رضيعاً لم يتجاوز الثانية من عمره فعارض الخليفة في توليته ولكنه اذعن الى قبول ذلك لما رأى اصرار المماليك فبايع له ولقبه الملك المظفر . وقام الامير ططر بتدبير الدولة ثم طمع في الملك فخلع الملك المظفر وتسلطن مكانه وذلك في ١٩ شعبان سنة ٨٢٤ هـ

٦١٠ - الملك الظاهر ططر

سنة ٨٢٤ هـ او سنة ١٤٢١ م

واستتب الامر للامير ططر (ويقال تتر) وخطب باسمه على منابر مصر والشام وتلقب الملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لانه توفي يوم الاحد ٤ ذي الحجة من السنة

٦١١ - الصالح محمد بن ططر

من سنة ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ او من سنة ١٤٢١ - ١٤٢٢ م

ولما توفي الملك الظاهر ططر بويع بالسلطنة بعده ابنه محمد وتلقب الملك الصالح وكان عمره حينئذ احدى عشرة سنة فقام بتدبير دولته جاني بك الصوفي فصار صاحب الحل والعقد والابرار والنقض فاستوحش لذلك باقي الامراء ووئب الامير برس باي على الاتابك جاني بك فهرب منه فقبض عليه بعض المماليك واحضروه الى الامير برس باي فقيده وارسله الى السجن في الاسكندرية . ونزل منزلته وتولى الحل والعقد مكانه . ثم وقعت نفرة بين برس باي والامير طراباي حاجب الحجاب فقبض برس باي عليه وارسله الى السجن بالاسكندرية وقويت شوكة برس باي وتعصب له جماعة من الامراء فخلعوا الملك الصالح محمد ابن ططر من الملك ونادوا باسم برس باي ملكاً فكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً

٦١٢ - الملك الأشرف برسبه باي

من سنة ٨٢٥ - ٨٤١ هـ أو من سنة ١٤٢٢ - ١٤٣٨ م

وجلس برس باي علي كرسي السلطنة يوم الاربعاء ٨ ربيع الاخر سنة ٨٢٥ هـ
واقب الملك الاشرف . وكان برس باي عاقلاً حسن السياسة فازال المظالم التي
احدثها سلفه وسعدت البلاد في ايامه واغتني الفقراء . ومن اعماله التي تستحق
المدح منعه الناس من تقبيل الارض بين يديه كمادة الملوك قبله واهدال ذلك
تقبيل اليد فقط

وفي سنة ٨٢٩ هـ ارسل السلطان الاشرف تجر يدة الى قبرس لقتال ملكها
وبلغوا اولاً الى الماغوصة ثم الى الملاحه وكان قتال شديد بين الجديشين
ودارت الدوائر على عسكر ملك قبرس فهبت عساكر السلطان واسرت نحو ٧٠٠
اسير وملكوا حصن لاسون وانهمز القبرسيون وقتل اخو الملك واسروا الملك
نفسه واتوا به الى مصر بعد ان نهبوا داره واحرقوها واحرقوا دوراً اخرى كثيرة
واخذوا من الغنائم شيئاً كثيراً . ولما بلغوا بملك قبرس الى القاهرة اصطحفت العساكر
امام باب القلعة صفين ودخل الملك بينهما مقيداً راكباً بغلاً وامر السلطان
بسجنه . ثم اتفق ملك قبرس مع السلطان ان يوذي اليه ٢٠٠ الف دينار يدفع
نصفها وهو بالقاهرة والنصف الثاني بعد عوده الى قبرس ويدفع كل سنة ٢٠ الف
دينار فافرج السلطان عنه وعاد الى بلاده

وفي هذه السنة كملت عمارة المدرسة الاشرفية التي بناها الاشرف هذا عند
سوق الوراقين بالقاهرة . وفي سنة ٨٣٣ هـ وقع طاعون شديد الوطأة في مصر
واستمر اربعة اشهر فمات به من الناس كثيرون حتى قيل انه مات في يوم واحد
نحو ٢٤ الف شخص وضح الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضاً وقال شاعر
في ذلك

قد نقص الطاعون ثالث الوري واهلك الوالد والوالدة
 كم منزل كالشمع سكانه اطفالهمو في نفخة واحدة
 وفي سنة ٨٤١ هـ مرض السلطان الملك الاشرف برس باي وحصل له ملقوبيا
 فامر بنفي الكلاب من القاهرة الى بر الجيزة فاقموا امره . ورسوم ان لا تخرج امرأة
 من بيتها فكانت المرأة اذا ارادت الخروج من بيتها لحاجة اخذت ورقة من
 الخدشب وجعلتها برأسها لتباح ان تمشي بالسوق الى غير ذلك من الاوامر التي
 لا طائل تحتها . ثم اشتد مرضه وتوفي يوم السبت ١٢ ذى الحجة من السنة المذكورة
 بعد ان ملك ١٧ سنة وستة ايام

٦١٣ - العزيز يوسف بن برسمه باي

من سنة ٨٤١ - ٨٤٢ هـ او من سنة ١٤٣٨ - ١٤٣٩ م

فتولى بعده ابنه يوسف بن برس باي ولقب الملك العزيز وكان عمره يوم
 توليته اربع عشرة سنة فقام بتدبير دوائه الاتابك جقمق فاستبد بامور الدولة وصار
 صاحب الحل والعقد . وفي سنة ٧٤٢ هـ دبت عقارب الفتنة بين الاتابك جقمق
 وبين الامراء الاشرفية واخذوا يعاكسون الاتابك في ما يعمل من الامور . وكان
 الملك العزيز يريد جقمق كاواب يحركه كيف شاء وليس له من السلطنة الا الاسم
 فقط . وقصد الامراء مرات قتل الاتابك جقمق ولكن النف جاءت من الامراء
 المؤيدية والناصرية عليه وتمصبوا له ووثبوا على الملك العزيز ومعهم كثيرون
 من المماليك السيفية وانتشب القتال بين هؤلاء وبين الامراء الاشرفية فلم تكن
 ساعة حتى انهزم الامراء الاشرفية وتشنوا . واتفق محازبو جقمق على تملكه
 واستدعوا الخليفة المتضد بالله داود وقضاة المذاهب الاربعة فخلعوا الملك العزيز
 من السلطنة وولوا الاتابك جقمق الآتي ذكره

٦١٤ - الملك الظاهر مجتمق

من سنة ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ او من سنة ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م

فجلس جتمع على كرسي السلطنة وتلقب بالملك الظاهر . وبعد سلطنته وزع المناصب والاقطاعات كيف شاء فولى نيابة السلطنة بمصر اقبغا التمراري وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بمصر اذا ابطوا هذه المرتبة وفي سنة ٨٤٣ هـ خرج اينال الحكمي نائب الشام عن الطاعة واظهر العصيان وتابعه على ذلك تغري برمش نائب حلب فارسل السلطان اليهما العساكر ونصب الاتاك اقبغا التمراري المذكور نائباً بالشام عوضاً عن اينال الحكمي . فسار التمراري الى الشام وحارب النواب المنتقضين فكسبرهم واسرهم وقطع رؤوسهم وارسلها الى القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفي سنة ٨٥٧ هـ توفي الملك الظاهر جتمع الملائي ولما شعر بثقل مرضه دعا الخليفة القائم بامر الله حمزة وقضاة المذاهب الاربعة وعهد بالملك الى ولده عثمان وخلع نفسه من السلطنة . وقد انشأ الملك الظاهر كثيراً من المساجد والمعابد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويصلهم ويحب الفقراء ولا سيما الايتام منهم

٦١٥ - المنصور عثمان بن مجتمق

سنة ٨٥٧ هـ او سنة ١٤٥٣ م

هو فخر الدين عثمان بن جتمع جلس على سرير الملك في حياة ابيه اذ خلع نفسه عن السلطنة كما مر سنة ٨٥٧ هـ وتلقب بالملك المنصور . وكان اتاك عسكرياً اينال الملائي

ولم يكن في الخزينة مال فأنقص الملك المنصور من نفقة العساكر وضرب دنانير ذهباً بنقص كل دينار منها عن الاشراف في قبراطين واراد ان ينفق هذه الدنانير

على المساكر فتأب المالك الاشرفية والمؤيدية والتف اليهم جماعة من الممالك
السيفية وقصدوا بيت الاتابك اينال العلائي فاركبه على كره منه ودعوا الخليفة
القائم بامر الله حمزة وكتبوا محضراً شهد فيه جماعة بما يوجب خلع الملك المنصور
وبايعوا الاتابك اينال العلائي بالسلطنة ووثبوا على الملك المنصور وحاصروه في
القلعة واستمرت الحرب بينهم من يوم الاثنين الى يوم السبت وقطعوا الماء عنه
ومنعوا الاقوات عن عسكره حتى يئس الملك المنصور وانهم من كان معه فقبض
اينال على الملك المنصور وقيدة وارسله الى الاسكندرية وسجنه بها فكانت مدة
سلطنته ٤٣ يوماً

٦١٦ - الملك 'لوشرف' اينال العلوي

من سنة ٨٥٧ - ٨٦٥ هـ او من سنة ١٤٥٣ - ١٤٦١ م

اما اينال العلائي فبعد مبايعته بالسلطنة سمي الملك الاشرف وكني ابا نصر
ولقب سيف الدين . وكان عاقلاً حسن السيرة فسعدت الدولة على يده ولم يحصل
في ايامه ما بهم ذكره الى ان توفي سنة ٨٦٥ هـ فكثرت عليه الجزن والاسف كما قيل
هي الدنيا اذا كملت وتم سرورها خذات
وتفعل بالدين بقوا كما في من مضى فعلت
وكانت مدة ملك الملك الاشرف اينال ثمانية سنين وشهرين وستة ايام
وكان عمره ٨١ سنة

٦١٧ - المؤيد احمد بن اينال

سنة ٨٦٥ هـ او سنة ١٤٦١ م

وبويع بعده ابنه احمد بن اينال ولقب الملك المؤيد وكان عمره لما انتوى

على منصة الملك ٣٨ سنة . وكان اهلاً للسلطنة وبصيراً بهالغ الزهية لكن خانه الزمان وغدر به مماليك ابيه لاربعة اشهر من ملكه فخلعوه من السلطنة وابعوا اتابك العسكر خشقدم

٦١٨ - الظاهر خشقدم

من سنة ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ او من سنة ١٤٦١ - ١٤٦٧ م

هذا الملك ليس جركسي الاصل كباقي ملوك هذه الدولة بل هو رومي جلبه التجار ناصر الدين فرغ بالناصري واشتراه منه الملك المؤيد شيخ الماز ذكره واعنته وصار جاداراً وبقي خاسكاً في دولة الملك المظفر احمد بن المؤيد شيخ الى ان صار مقدم الف بدمشق ولما تغير خاطر السلطان على الامير قاني بك حاجب الحجاب ونفاه استجضر خشقدم من دمشق وانعم عليه باقطاع الامير قاني بك سنة ٨٥٤ هـ . ثم صار خشقدم امير سلاح في دولة الملك الاشرف اينال ولما توفي هذا الملك وتولى بعده ابنه المؤيد احمد استعمل خشقدم اتابك العسكر . ثم خلع المماليك المؤيد وعهدوا بالسلطنة الى خشقدم فبيع بها في ١٧ رمضان سنة ٨٦٥ هـ ولقب الملك الظاهر

وكان الملك الظاهر خشقدم المذكور حكيماً باراً حليماً محباً لرعيته ساهراً على راحتهم فاحبته الرعية واجمعوا على طاعته والاختلاص له فحكم ست سنوات ونصفاً كلها سلام وانعم وتوفي في ١٠ ربيع اول سنة ٨٧٢ هـ

٦١٩ - الظاهر بلبياس المؤيد

سنة ٨٧٢ هـ او سنة ١٤٦٧ م

لما توفي الملك الظاهر خشقدم اتفق الامراء على مبايعة اتابك عسكره الامير

بلباي المؤيدي (نسبة الى الملك المؤيد شيخ) وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه بالسلطنة وسمي الملك الظاهر وكفي بابي نصر ولقب بسيف الدين . فلما جلس على منصة الملك جعل تمر بفا اتابك المساكر ووزع باقي المناصب على من اراد وقبض على بعض الامراء وارسلهم الى السجن بالاسكندرية وقطع نفقة بعض الخدام . فنفرت منه قلوب الرعية وحصلت فتنة بين المماليك افضت الى اجتماع الامراء يوم السبت ٧ جمادى الاولى من سنة ٨٧٢ هـ واحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلصوا الملك الظاهر بلباي واتفقوا على ان يبايعوا بها الاتابك تمر بفا ثم قبضوا على بلباي وقيدوه وارسلوه الى السجن بالاسكندرية فكانت مدة سلطنة الملك انظار بلباي المذكور شهرين الا اربعة ايام

٦٢٠ - الظاهر تمر بفا

سنة ٨٧٢ هـ او سنة ١٤٦٧ - ١٤٦٨ م

فاستقر الامير تمر بفا بالسلطنة (وهو رومي الاصل) ولقب بالملك الظاهر وكفي بابي سعيد وكان كفوا للسلطنة وله المام ببعض العلوم والفنون . توليا استوى على عرش السلطنة جعل الامير قايت بابي اتابك المساكر ووزع المناصب والاقطاعات على من شاء من الامراء ثم وقعت الوحشة بينه وبين المماليك الخشقدمية . فاتفق مقدمهم خير بك مع باقي المماليك على تخلع الملك الظاهر والبيعة له فجمعوا على قصر السلطان ليلة الاثنين ٦ رجب وقبضوا على السلطان وحلي جماعة من امرائه وسجنوهم . وظن الامير خير بك ان الامر تم له واخذ يوزع المناصب في تلك الليلة ولسان الحال ينادية « كلام الليل يمحوه النهار » وكان الاتابك قايت بابي غائبا ولما بلغه الخبر اسرع الى المدينة وشجع جماعة الظاهرية واستمال الاينالية على الامير خير بك ووعدهم ومناهم فاتفقوا تلك الليلة

نفسها على خلع السلطان قمر بنو وتولية الاتابك قايت باي . وعند الفجر اركبوه وساروا به نحو القلعة فلما رأى خير بك ذلك اضطرب وضاق به الامر فاخرج السلطان قمر بنو من السجن واجلسه على منصبه وقبل الارض قدماه مستغفراً واستلقى امامه وقال « اقتلني فانا كنت باغياً عليك » فاجابه السلطان « لا انا ولا انت بقي لنا بقاء » ودافع الخشقدمية وخير بك قايت باي وجماعته بقدر طاقتهم ولكنهم انكسروا ونشئتوا وقبض قايت باي على خير بك وبعض عصبته فقيدهم ونهجنهم بمحل بالقلعة وارسل السلطان قمر بنو الى ثغر دمياط دون قيد مكرماً . ودعوا الخليفة والقضاة الاربعة وبايعوا قايت باي بالسلطنة . وكانت مدة سلطنة قمر بنو ٥٨ يوماً

٦٢١ — الملك الاشرف قايت باي

من سنة ٨٧٢ — ٩٠١ هـ او من سنة ١٤٦٨ — ١٤٩٦ م

اصل قايت باي جركسي جلبه الى مصر تاجر اسمه محمود فنسب اليه فقيل المحمودي واتصل الى الملك الظاهر جقمق فنسب اليه ايضاً فقيل الظاهري . والملك الظاهر جقمق هو الذي اعتقه وصيره جداراً ثم خاصيكياً ثم داوداراً كبيراً ولما توفي الظاهر جقمق وتسلطن الظاهر بلباي جعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر قمر بنو جعله اتابك العساكر الى ان اتفق المسكر على سلطنته وبايعه بها الخليفة والقضاة الاربعة سنة ٨٧٢ هـ وسمي الملك الاشرف وكني ابا نصر ولقب سيف الدين

ولما جلس الاشرف على كرسي المملكة كانت البلاد في غاية الاضطراب لتوالي الفتن بها فاستعمل الصرامة والحزم في معاملة المفسدين حتى استتب امره وعادة السكينة الى البلاد وساد الامن وعم العدل ولم يحصل في داخلية البلاد مدة فلكه الطويلة شيء من الفتن . فالتفت الاشرف الى خارجة البلاد

ورأى ان بلاده وان امنت من الفتن الداخلية فلا تأمن من عدو خارجي متربص لها يريد ابتلاعها وضمها الى بلاده الواسعة يعني به بايزيد العثماني الذي بعد ان اتسعت دولته بما فتحه من بلاد الروم طمع في الاستيلاء على الشام ومصر وسير عساكره سنة ٨٩٣ هـ . فلما وصل العسكر العثماني الى اذنة اتصل الخبر بالملك الاشرف فجند عسكراً لصددهم فكانت بين العسكرين وقعة قتل فيها خلق كثير من الفريقين وعاد العثمانيون الى اذنة فنبههم المصريون اليها وحاصروها وتسلموها اخيراً بالامان . وعاد المصريون ظافرين

وفي سنة ٨٩٤ هـ لما رجع المصريون طمع العثمانيون في الاستيلاء على البلاد الحلبية فاهتم الملك الاشرف بارسال تجريدة اخرى أمرت عليها قانصوه الشامي احد مقدمي الالوف فاستولوا في السنة التالية على بعض الاماكن من الدولة العثمانية ولكن حصل في العسكر المصري قلق من قبل النفقة فعادوا الى مصر سنة ٨٩٦ هـ وبعد قليل حصل الصلح بين بايزيد العثماني والملك الاشرف واطلق الاسرى من الفريقين

وفي سنة ٨٩٧ هـ كان بمصر طاعون شديد الوطأة مات به الوف من السكان وقيل كان يموت بهذا الوباء كل يوم اكثر من الف شخص . وعم الوباء الشام ولم يكن عدد الموتي بدمشق اقل من الموتي بالقاهرة

وفي سنة ٩٠١ هـ حم السلطان الاشرف قايت باي وزاد مرضه فاجتمع يوم السبت ١٦ ذي القعدة من السنة الخليفة والقضاة الاربعة وخاموه من السلطنة وهو في النزاع وبايعوا ابنه محمداً بالسلطنة ولما كان يوم الاحد ١٧ من الشهر المذكور توفي الملك الاشرف وعمره نحو ٨٦ سنة ومدة سلطنته ٢٩ سنة واربعة اشهر واياماً ولم تنفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة . وقد خلف كثيراً من الآثار التي تحيي ذكره منها مدرسة بمكة المكرمة وعمارة المسجد الشريف فيها ومدرسة بيت المقدس ومدرسة بدمشق واخرى بقرية واخرى بدمياط واخرى بالاسكندرية والجامع الذي بالصحرى والجامع الذي بالروضة الى غير ذلك من معاهد العلم والدين

٦٢٢ - الناصر محمد بن قلايت باي

من سنة ٩٠١ - ٩٠٢ هـ او من سنة ١٤٩٦ - ١٤٩٧ م

بويج بالسلطنة يوم السبت ١٦ ذي القعدة بحياة ابيه ودون رضاه لانه كان في النزاع وكان له من العمر عند مبايعته ١٤ سنة واشهر وكني ابا السعادات ولقب بالملك الناصر وحاملا جلس على كرسي السلطنة وزع الوظائف والاقطاعات على من شاء من الامراء وولى وعزل كثيرين . وانغمس في الشهوات البهيمانية وانعكف على الالعب الصبيانية حتي ثقلت وطأته على رعيته . فاجتمع الامراء عند قانصوه خمسمائة (لقب بخمسمائة لانه اتبع بالاصل بخمسمائة دينار) اتاهل العسكر واحضروا الخليفة والقضاة الاربعة فهاجموا الملك الناصر بصورة شرعية وبايعوا قانصوه خمسمائة الآتي ذكره

٦٢٣ - الاشرف قانصوه خمسمائة

سنة ٩٠٢ هـ او سنة ١٤٩٧ م

واستقر قانصوه خمسمائة المذكور بالسلطنة ولقب الملك الاشرف وارسل بعض الامراء لقبض على الملك الناصر واعتقاله فتنصب له جماعة من المماليك وتمعوا الامراء من دخول القلعة وانتشب القتال بين الفريقين واستمد قانصوه خمسمائة الناس فلم يدوه بل حاصره مما ليك الناصر في باب السلسلة ومنه الخليفة والقضاة الاربعة واستمر الحال على ذلك يومين وفي آخر القتال جرح قانصوه خمسمائة واغمي عليه فجمله بعض غلمانه . ونزل مماليك الناصر الى باب السلسلة وهزموا من كان به وانتهبوا كل ما فيه وانتصر الناصر وعاد الى كرسي مملكته

٦٢٤ - الناصر محمد بن قلاوون (ثانية)

من سنة ٩٠٢ - ٩٠٤ هـ او من سنة ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م

وعاد الناصر الى المملكة بعد هزيمة قانصوه خمسمائة كما تقدم وفي ثاني يوم توجه الخليفة والقضاة الاربعة الى قصر الناصر وهناك بالتصاريح وغدا الناصر الى ما كان عليه من شرب الخمر وغشوة النساء واللبس والجمب واهمل امر السلطنة ولم يتعلم مما حدث كيف يحسن سيرته حتى اوفر عليه مدور المالك ثانية وترهبوا الفرص لاغتيا له وفي سنة ٩٠٤ هـ سار السلطان الى بر الجيزة واقام هناك ثلاثة ايام في ارغد عيش وقد خرج عن الحد في اللهو والحلاعة والطيش . وكان لسان الحال يقول له .

تزود من الدنيا فانك لا تدري اذا جن ليك هل تمشي الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من غليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتي يمشي ويصبح آمناً وقد نسجت اكفانه وهو لا يدري
ثم ركب السلطان في آخر تلك الايام ولم يكن معه الا ابنا عمه وبعض سلع داريته
ومر على الطالبيه وكان هناك طومان باي متوجهاً الى البحيرة فخرج مسرعاً للاقاء
السلطان وسأله ان يحمل عنده فأبى فقدم له طومان باي جفنة من لبن فاخر فوقف
السلطان وهو راكب على فرسه وأخذ يتناول من اللبن وطومان باي ضابط الجام
فرسه واذا بنحسين مملوكاً خرجوا من الخيام التي هناك وعاجلوا السلطان بالجسام
قبل الكلام فقتلوه شز قتلة ونسب قتله الى طومان باي



٦٢٥ - الظاهر قانصوه الاشرقي

من سنة ٩٠٤ - ٩٠٥ هـ او من سنة ١٤٩٨ - ١٥٠٠ م

ولما توفي الناصر اختلف الامراء في من يولونه السلطنة بعده ثم اتفقوا على مبايعة قانصوه الاشرقي (وهو خال الملك الناصر) فبايعوه وثلّقب بالملك الظاهر وكني ابا صعيد ولما استقر له الملك اسند الى الاميرجان بلط اتابكية العسكر بمصر واستعمل دولات باي في نيابة حلب والامير قسروه في نيابة الشام وبلباي في نيابة طرابلس

وكان طومان باي يطمع في السلطنة فلما تولى الملك الظاهر هرب الى الصعيد فارسل اليه السلطان يستدعيه وحاف له انه لا يهينه اذا قابله ولا يقبض عليه فلم يثق طومان باي بذلك الحلف واظهر العصيان . فحقيق الملك الظاهر الثورة عليه واخذ يحصن القلعة ويستعد للحصار بها وفرق السلاح على مماليكه وقبض على بعض الامراء الذين وقعت له بهم الشبهة . وتوجه طومان باي الى الاز بكية بمن معه من الامراء وكان الاتابك جان بلط ساكناً هناك واتفقوا على خلع الملك الظاهر وساروا يهاصرون القلعة . ولم يكن عند الملك الظاهر الا نائب القلعة وبعض الامراء ونحو الف رجل ومع ذلك استمرت الحرب بين الفريقين ثلاثة ايام وبعدها دخل طومان باي باب الساسلة وانهزم الملك الظاهر وتشتت من كان معه بالقلعة . ودخل الملك دار الحريم وابس زي امرأة وتوجه نحو الترب فاخفى وبقى مختفياً نحو نصف شهر وبعد ذلك ظفر به الملك جان بلط (الذي تولى بعده كما يأتي) فقيده وارسله الى الاسكندرية ووضع في البرج فاستمر محبوساً ١٧ سنة وولد له هناك اولاد . وكانت مدة ولايته عاماً واحداً وثانية اشهر ويومين



٦٢٦ - الملك الاشرف جان بلاط

من سنة ٩٠٥ - ٩٠٦ هـ او من سنة ١٥٠٠ - ١٥٠١ م

وبعد خلع الملك الظاهر قانصوه الاشرفي المتقدم ذكره اجتمع الامراء وقرروا عليهم على مبايعة الامير جان بلاط فبايعوه يوم ١٢ ذي الحجة سنة ٩٠٥ هـ ولقب الملك الاشرف فمعهي قسروه نائب الشام فارسل له عسكرياً بقيادة اتابك عسكره الامير طومان باي ولكن هذا عوضاً عن ان يقاتل العاصي اتفق معه وعاد الى القاهرة مع العساكر المجهزة الى الشام فحاصروا القلعة واستمرت نار الحرب ثلاثة ايام وظهر اخيراً ان الدائرة ستدور على الاشرف جان بلاط فاخذ الامراء والجنود ينسحبون من القلعة ويحضرون الى طومان باي . ولا ضاق الامر على الاشرف جان بلاط دخل الى دور الحريم واختفى . ودخل طومان باي وجماعته القلعة وقبضوا على جان بلاط وقيدوه بقيد ثقيل ثم ارسلوه الى السجن بالاسكندرية ثم خنقوه بالسجن . وكانت مدة سلطنته ستة اشهر وثمانية عشر يوماً

٦٢٧ - الملك العادل طومان باي

سنة ٩٠٦ هـ او سنة ١٥٠١ م

بويغ له أولاً بدمشق يوم الجمعة ١٥ جمادى الاولى سنة ٩٠٦ هـ ولقب الملك العادل وبعد ان صلى الجمعة بالجامع الاموي دخل قلعة دمشق وسكن بها وخطب له بالشام . ثم سافر من دمشق الى مصر وفي خدمته قسروه اتابكه الذي كان نائب الشام . وفي ١٩ جمادى الاخرى طاع الملك العادل طومان باي الى قلعة مصر واحضر القضاة والخليفة وقرئت عليهم مبايعته بدمشق فامضى له الجميع وفرح الناس بذلك لبعضهم لجان بلاط لخبث طويته ورجاء لعدل هذا الملك . ولما تمكن من الملك بعد نصف شهر قتل قسروه واستخف بالامراء المتقدمين فمقتدوا عليه

واتفق الامير قنبل امير السلاح والاشرف الغوري الدودار الكبير وغيرها
فركبوا عليه في ١٧ رمضان من السنة فنزل في آخر نهاره من القلعة هارباً واخفى
قتيمه المسكر الى ان ظفروا به فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي اعدّها
لنفسه ايام امارته في اطراف الصحراء من جهة القبلة فكانت مدة سلطنته ثلاثة
اشهر ونصفاً

٦٢٨ - الملك قانصوه الغوري

من سنة ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ او من سنة ١٥٠١ - ١٥١٦ م

وبعد خلع الملك العادل طومان باي اتفق الامراء على تولية الامير قانصوه
الغوري الدودار الكبير فبايعوه ولقبوه الملك الاشرف وقد اختاره امراء مصر
للسلطنة لانه كان لين المريكة سهل الازالة اي وقت ارادوا عزله عزله لانه
كان اقلهم مالاً واضعفهم حالاً واوهنهم قوة ولما عرضوا عليه السلطنة قال « لا
اقبل السلطنة الا بشرط ان لا تقتلوني فاذا اردتم خلعي فاخبروني وانا وافقكم وانزل
لكم عن الملك » فعاذوه على ذلك فقبل وفرح العسكر بولايته . وكان كثير
الدناء ذا فطنة ورأي الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم فاخذ يلقي الفتنة
بين الامراء ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم في الطعام حتى افني كبراءهم
ودهانهم . ولم يحدث في داخلية البلاد في ايامه امر يستحق الذكر

وفي سنة ٩٢٢ هـ بلغ الملك الاشرف قانصوه الغوري ان السلطان سياياً
الاول العثماني عازم على ان يحمل على سورية ومصر لينتزعها من ايدي الملوك
الجراسكة . فتجهز الملك الاشرف وخرج بالساكن المصرية الى الشام فسار الى
دمشق ومنها الى حلب وهناك وصله وفد من السلطان سليم العثماني للمفاوضة في
الصالح (وكان ذلك خدعة حربية من السلطان سليم ليمنع قانصوه من الاستعداد)
فجاء الملك الاشرف على وفد السلطان العثماني وارسل الى السلطان سليم الامير

مغلباي الدوادار للمفاوضة بامر الصلح . فقبض السلطان سليم عليه ووضعهم في الحديد وقصد شنته فشدفع به بعض وزرائه . ثم امر السلطان سليم عساكره ان يسيروا نحو حلب فوصلوا الى عنتاب وملكوا قلعة ملطية وغيرها . فلما بلغت هذه الاخبار الملك الاشرف خرج من حلب وسير امامه النواب والعساكر . وعاد اليه الامير مغلباي هائلاً وقص عليه ما انزل به السلطان سليم من التعذيب والتهديد ثم خلى سبيله وقال له « قل لسلطانك ان يلاقينا الى مرج دابق » فاضطرب الاشرف من ذلك

وفي يوم الاربعاء ١١ رجب سنة ٩٢٢ هـ رحل الاشرف الى مرج دابق . وفي ١٥ من الشهر المذكور اقبلت عليه جيوش السلطان سليم وحصلت بين الفريقين معركة شديدة انجحت عن هزيمة المصريين وقتل الملك الاشرف قاصده الغوري ووثب عسكر العثمانيين على من بقي من عساكر الغوري فقتلوا من ادركوا وشذبوا الباقين شذباً مذبذباً وغنموا ما كان في معسكرهم . وكانت مدة سلطنة الغوري ١٥ سنة و٩ اشهر . ومن آثاره جامع الغورية ومدرسة الغورية في اول شارع السكة الجديدة بالقاهرة

ثم دخل السلطان سليم حلب فلحقها دون معارض ثم توجه الى حماة فلحقها الى حمص فاستولى عليها ثم قدم الى دمشق فخرج اهله الى لقائه وطالبوا منه الامان فامنهم وضبط حصون المدينة ومهد امورها . وكذا استحوذ على سورية كلها واقام بها عمالاً من خواصه وسار منها نحو مضر

٦٢٩ - طومان باي

من سنة ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ او من سنة ١٥١٦ - ١٥١٧ م

وبعد وفاة الغوري وعود من سلم من الامراء في وقعة مرج دابق الى مصر اجتمع الامراء في القاهرة واتفقوا على تولية طومان باي ابن اخي الغوري الذي

كان يدبر الملك في غيبة الغوري فبايعوه ولقبوه الملك الاشرف . وحال جلوسه على كرسي السلطنة ابتداء يستعد بتجهيز المساكن لتخليص الشام من العثمانيين . ولكن السلطان سليماً العثماني لم يمهله ريثما يتم قصده لانه لما تم فتح سورية تقدم الى مصر وقسم عسكره فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة صدمت المصريين في الريدانية فهزموهم وشتتوا شملهم وثبت الملك الاشرف طومان باي يقاتل بنفر قليل الى ان خاف القبض عليه فولى واختفى . ودخل القاهرة جماعة من العثمانيين شاهرين سيوفهم واحرقوا بعض الدور ونهبوا بعضها وذلك في اواخر سنة ٩٢٢ هـ

وفي افتتاح سنة ٩٢٣ هـ امر السلطان سليم بالكف عن النهب . واشتغوا لديه من قبضوا عليهم من الجراكسة فامر بضرب اعناقهم . وفي يوم الاثنين ٣ محرم سنة ٩٢٣ هـ دخل السلطان سليم القاهرة في موكب حافل . اما طومان باي فلما هرب جمع عسكراً كثيراً ووثب يوزم الاربعاء ٥ محرم على محلة السلطان سليم واحتاطها من جميع الجوانب فاندشت الحرب وحي وطيسها ودامت الليل كله واستأنف القتال في اليوم التالي فانهمز المصريون بعد ان دافعوا دفاع الابطال ولولا البارود والمدافع التي مع العثمانيين وكان المصريون لا يعرفونها لذلك الوقت لما انهزم المصريون ولكن هي الاقدار فاذا اراد الله امرأهياً اسبابه

ولما ظهر لطومان باي عجزه عن مقاومة العثمانيين هرب الى الصعيد ولحق به هناك كثيرون من الامراء والعسكر حتى قوي جمعه فتقدم الى بر الجيزة وبرز اليه العثمانيون من القاهرة وحصلت بين الفريقين موقعة أخرى هائلة تغلب في اولها المصريون ولكن دارت عليهم الدوائر في آخرها وولى طومان باي منهزماً للاقاه حسن بن مرعي في ضيعة اسمها البوطة وكان حسن المذكور صديقاً قديماً لطومان باي فنزل عليه ضيفاً بعد ان حلف له ان لا يخونه ولا يدل عليه نواذا بالعربان احتاطوا عليه من كل جهة وهو لا يدري واعلموا السلطان سليماً فارس جماعة من عسكره فقبضوا عليه وغلاوه واتوا به اليه فاقامه مقيداً عنده اياماً . وفي يوم ١١ ربيع

اول سنة ٩٢٣ هـ شنقه على باب زويلة في القاهرة وكانت سلطنته ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً وانقضت به دولة المماليك الجراكسة واصبحت سورية منذ ذلك الحين الى الان في قبضة سلاطين آل عثمان الفخام واستمرت مصر كذلك مدة طويلة الى ان ظهر محمد علي باشا رأس الدولة المحمدية العلوية فاستولى عليها ولم تزل مصر الى اليوم تحت حكم الدولة المحمدية العلوية ادام الله ظله . والملايك لله يوثيه من يشا وهو العزيز الحكيم

٦٣٠ - بقية اخبار الصليبيين

من سنة ٦٥٩ - ٦٩٠ هـ او من سنة ١٢٦١ - ١٢٩١ م

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين في فصل (٤٧١) بهزيمة الملك لويس ملك فرنسا ووقوعه اسيراً في ايدي المصريين الى ان فدى نفسه وسار بن سلم من رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوربا سنة ١٢٥٤ م . ثم اغار التتر على سورية فشتغل المسلمون عن الفرنج بهم وكان التتر يأمنون احياناً الفرنج عند غزواتهم لسورية كيلا يتجشموا حرب المسلمين والنصارى معاً . ولم يكن الفرنج المقيمون بسورية على وفاق بينهم بل كانت عداوة شديدة بين اهل جنوة واهل البندقية المتوطنين بمكا . ولم يكن لاورشليم ملك الا بالاسم فقط . وكانت اوربا في اسوأ حال من تهديد البربر لها ومن الاختلافات بين ملوكها والانقسامات الداخلية ايضاً في بعض ممالكها . وزاد في الطينة بلة وفي الطنبور نخمة سقوط مملكة اللاتين في القسطنطينية لان الملك ميخائيل باليولوغوس طرد منها الملك بودين اثاني سنة ١٢٦١ م . ففي هذه الحال السيئة قام في السلطنة الاسلامية الملك الظاهر بيبرس وفي سنة ١٢٦٣ م بعد ان اخرب بلاد انطاكية سار بعساكره المتوافرة الى فلسطين فارتاع الفرنج من ذنوه اليهم وارسلوا يطلبون منه الامان فارسل واحرق كنيسة الناصرة ونهبت عساكره كل البلاد التي بين

نايين وجبل طابور راتوا فحلوا قحاه عكا ومن الغريب ان الملك الظاهر استطاع ان يفرى امير صور الافرنجي ليعاونه على عكا فوعده بالاجابة الى ذلك واتفق مع اهل جنوة وحاصر عكا بجزاً حين كان بيبرس يحاصرها بـ ١٣٠٠ على ان امير صور راجع نفسه وكف عن حصار عكا فاستشاط بيبرس من اخلاف الامير وعده له وجاهر انه سوف ينتقم من الفرنج فاخرب القرى والازارع وقام سكان المدن على اسوارها ينتظرون يوماً قديماً قدوم المسلمين اليهم

وفي سنة ١٢٦٥ م قصد بيبرس قيسارية فدافع اهلها شديد الدفاع ولما يشوا تركوا المدينة وامتنعوا بالقلمة لكنها مع مناعتها لم تقو على مهاجمات عسكر بيبرس فافتتحوها وساروا منها الى ارسوف وبعد ان حاصروها اربعين يوماً اظهر فيها الفرنج شجاعة فائقة افتتحوها عنوة ودخل المسلمون اليها فصالوا في كنائسها التي حولها جوامع وقتلوا الكثيرين من سكانها واشتبعدها الباقين منهم ثم عاد بيبرس الى مصر . وفي سنة ١٢٦٦ م خرج بيبرس قاصداً فلسطين ونازل صفد وافتتحها بعد قتال شديد ثم تقدم الى يافا فلحقها ودك اسوارها سنة ١٢٦٧ م . وفي سنة ١٢٦٨ م ساق بيبرس عساكره الى انطاكية وبعد ان نازلها ودافع الفرنج عنها بقدر ما في امكانهم دخل المسلمون المدينة عنوة فلم يبقوا على احد ممن وجدوا من سكانها واستحلوا دم الفرنج وعرضهم واموالهم . ولما امسى الفرنج بسورية بهذه الحال السيئة سار رئيس اساقفة صور اللاتيني ورئيس الفرسان الهيكليين والاسبتيالين الى اوربا يستصرخون البابا والملوك والشعوب لانجادم فكان جل من لبي دعوتهم لويس التاسع ملك فرنسا فنهض ثانياً سنة ١٢٧٠ م بجيش عظيم (وهذه هي التجارة التاسعة والاخيرة للصليبيين) وقصد اولاً شطوط افريقية لينتقم من التونسيين قبل مسيره الى فلسطين لانهم كانوا قد ازعجوا واقلعوا امنية البحر بتواتر غزوات مراكبهم القرصانية وسلبوا اكثر الذخائر والمهمات التي كانت ترسل من اوربا اسعافاً الى فلسطين . فحاصر لويس التاسع المذكور مدينة قرطاجنة وضيق عليها وهزم جيوشها وافتتحها ولكنه توفي في اثناء ذلك مع جانب من جيشه

من امراض وبائية اصابتهم . وبعد وفاة لويس انتصر ابنه الملك فيليب وعساكره على سلطان تونس وارغموه على معاهدة مع الفرنج مذلة له ومشرقة للفرنج وفي جملة موادها اباحة النصارى مباشرة امور دينهم وبناء المعابد لهم . وكان ادوارد بن انريكس الثالث ملك انكلترا قد لحق بلويس التاسع ملك فرنسا الى تونس وبعد وفاته سار الى عكا ومعه نحو ثلثاية فارس والاف راجل وانضم اليهم فرسان الهيكل والاسيبتال وجماعة من الفرنج حتى صار عسكرهم نحو سبعة الاف مقاتل فزحفوا اولاً الى فونيقي لاعادة الاتصال بين مدن النصارى وكان المسلمون قد قطعوه فعانوا مضض الحر وافرط بعضهم في اكل الفواكه والعسل فمات بعضهم . ثم توجهوا الى الناصرة فلكوها وتذكروا تدمير بيبرس لكنيسة سنا فقتلوا من وجدوا فيها من المسلمين ونهبوا بيوتهم . وبعد هذا الانتصار لم يشاء الامير ادوارد ان يستأنف القتال اما لانه لم يرق قوة كافية للثبات في القتال واما لانه رأى الافرنج المقيمين بسورية لا يرغبون فيه فمقد هدنة مع الملك الظاهر بيبرس الى مدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات وبعد التوقيع عليها عاد الى انكلترا سنة ١٢٧١ م وهكذا انتهت هذه الحملة التي هي التاسعة والاخيرة من حملات الفرنج على سورية . وانحصرت اخيراً فتوحات الصليبيين في سواحل فلسطين مثل طرابلس وعكا وصور وبيروت وغيرها ولكنهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى وافاهم الملك المنصور قلاون ونازل طرابلس وبعد قتال شديد استولى عليها سنة ١٢٨٩ م ثم تجهز للمسير الى عكا لكنه وافاه القضاء قبل اتمام قصده حيث توفي سنة ٦٨٩ هـ او سنة ١٢٩٠ م وتولى بعده ابنه الملك الاشرف صلاح الدين بن قلاون ولم يكن اقل رغبة من ابيه في اخراج الافرنج من فلسطين فخرج من مصر في ذات السنة في جيش عظيم بلغ عدده ٤٠ الف فارس و ٢٠٠ الف راجل وتوجه توجاً قاصداً عكا ونازلها وحاصرها حصاراً شديداً وضربها بالمنجنيق ودافع الفرنج عنها بكل ما في قوتهم واخيراً اقتحم المسلمون عكا ودخلوها بالسيف والثخنوا في الفرنج واشتدت نكايتهم فيها الى درجة لم يسبق لها

نظير حتى تكرست جيش الافرنج وولأت الشوارع واحرقوا كنائسها ودورها
فاحرق فيها جمع كثير . وامر السلطان اخيراً بهدم كل القلاع والحصون
والابرجة والكنائس واست عكاً قاعاً صفصفاً وكوم انقاضاً من نجا من الفرنج
من عكاً فنفرقوا شذر مندر وقل من نجا منها ولحق بأوربا

ولما فتح المسلمون عكاً وقع الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام
فاخلوا صيدا وببروت وتسلمها نائب السلطان وهكذا خرجت سواحل الشام من
أيدي الفرنج بعد ان استمرت في أيديهم نحو ١٩٣ سنة . ومن ذلك الحين انمحت
اخبار الصليبيين من بلاد فلسطين وكان عدد من مات وقتل منهم في هذه الحروب
من باب التقرير نحو مليوني نفس فسبحان المبسدي المعيد الفاعل ما يريد
(تنبيه) اخبار الصليبيين تفرقت في هذا الكتاب في الفصول الآتية (٥٤)
(٥٦) و (٥٩) و (٦٠) و (٦٢) و (٤٧١) و (٦٣٠) فاذا اردت الوقوف
على اخبار الصليبيين جملة فاقرا هذه الفصول الواحد بعد الآخر حسب الترتيب المتقدم

٦٣١ - الدولة العلية العثمانية

(تمهيد) العثمانيون فصيلة من الاتراك سمو بهذا الاسم نسبة الى عثمان
ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان سليمان شاه المذكور سلطاناً في بلاد ماهان قرب
بلخ ولما ظهر جنكزخان التتري واخرب بلاد بلخ واخرج منها خوارزم شاه
سنة ٦١٧ هـ ارتحل سليمان في عشيرته الى جهة بلاد الروم ففرق في احد الانهر عند
عبوره به وعاد ابنه ارطغرل فقام في جهات ارزروم وكان ينجد علاء الدين
السلجوقي سلطان قونية في حروبه فكافاه باقطاعه اياه عدة اعمال ومدن وهو
اخذ لنفسه من ملك الروم مدينة قره حصار وغيرها ، ثم توفي ارطغرل سنة ٦٨٧ هـ

٦٣٢ - السلطان عثمان بن ارطغرل

من سنة ٦٨٧ - ٧٢٦ هـ او من سنة ١٣٨٨ - ١٣٢٦ م

ولما توفي ارطغرل عين الملك علاء الدين السلجوقي اكبر اولاده مكانه وهو « عثمان » مؤسس دولتنا العلية العثمانية . ولما اغار التتار سنة ٧٠٠ هـ على اسيا الصغرى وقتل علاء الدين السلجوقي سلطان قونية اسفل من كان تحت سلطته من الامراء وثقاصموا الممالك بينهم فكان نصيب الامير عثمان جزءاً من مملكة بورصة وبعض بلاد بر الاناضول فتولى احكام البلاد المذكورة وقرر لها قواعد وتنظيمات وبنى باديشاه (اي سلطان) آل عثمان وجعل قصبه ملكه ايكي شهر واخذ في تحصينها وتحسين ابنتها وتوسيع مملكته وحارب الروم في نيكومدية وظهر بهم وبعد ان استتب امره وقوي ملكه ارسل الى جميع امراء الروم ببلاد اسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة امور الاسلام او الجزية او الحرب فاسلم بعضهم وانضم اليه وقبّل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعواهم لنجدتهم . ولما علم السلطان عثمان بذلك جهز جيشاً لمحاربتهم وارسله بقيادة ابته اورخان وبعد قتال عنيف انهزم التتار وتشتت شملهم فقويت شوكة العثمانيين بهذا الانتصار وسمت همة السلطان عثمان بالاستيلاء على اسيا الصغرى جميعها وقبل ان يشرع في ذلك قسم بلاده بين اولاده واقطعهم اياها وابقى هو لنفسه مدينة ايكي شهر . ولما اطمأن باله من جهة داخلية بلاده وجه همه الى توسيع نطاق مملكته ففتح سنة ٧٠٧ هـ ناحية مرمره وحصن كته وحصن افكه وحصن آقي حصار وحصن قوج حصار . وفي سنة ٧١٢ هـ افتتح حصن كبوه وحصن يكيبنه طراقلوا وحصن تكور بيكارني وغيره . وفي سنة ٧١٧ هـ ابتدأ بمحاصرة مدينة بورصة ولما طال حصارها امر بينا قلعين في طرفي المدينة واسكن فيها الجنود وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مدينة ايكي شهر تاركاً ابنه اورخان لاتمام فتح مدينة بورصة فحاصرها نحو عشر سنوات ودخلها

اخيراً بلا قتال اذ ارسل ملك قسطنطينية اوامره الى عامله على هذه المدينة بالانسحاب فاخلاها ودخلها اورخان وغساكره ولم يتعرض لاهلها بسوء مقابل دفع ٣٠ الفاً من عملتهم الذهبية . وذلك سنة ٧٢٦ هـ . وفي هذه الاثناء توفي السلطان عثمان بن ارطغرل بعلة النقرس وكان شجاعاً كريماً حتى كان لا يسك شيئاً ولم يترك عند موته من جميع الاموال والتحف النفيسة التي استعوز عليها في حروبه ومغازيه سوى بعض ملبوسات وامتعة لا تذكر من جملتها سبعة كان يحملها دائماً يقال انها لم تزل موجودة في دار التحف في القسطنطينية

٦٣٣ - السلطان اورخان به عثمان

من سنة ٧٢٦ - ٧٦١ هـ او من سنة ١٣٢٦ - ١٣٦٠ م

ولما توفي السلطان عثمان تولى بعده ابنه اورخان وفي اول ولايته نقل كرسي سلطنته الى مدينة بورصة لحسن موقعها . ومن اهم اعمال السلطان اورخان وضعه نظاماً للعبوش العثمانية اذ كانت قبل ذلك الوقت لا تجمع الا وقت الحرب وتصرف بعده . فحشي السلطان اورخان من تحزب كل فريق من الجند الى القبيلة التابع اليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيه في ايجادها فاشار عليه احد فحول ذلك الوقت واسمه قره خليل (وهو الذي صار فيما بعد وزيراً اول باسم خير الدين باشا) باخذ الشبان من اسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكركم بجنسهم واصابهم وتربيتهم تربية اسلامية بحيث لا يعرفون لهم ابا الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله ولعدم وجود اقارب لهم بين الاهالي لا يخشى من تحزبهم معهم . فاعجب السلطان اورخان هذا الرأي وأمر بتنفيذه في الحال ودعا هذا الجيش المنتظم بالتركية « يكيچاري » اي الجيش الجديد ثم صرف في العريية وصار انكشاري وملك السلطان اورخان مملك ابيه في توسيع نطاق مملكته فحارب الروم

واخذ منهم نيقية سنة ١٣٣٠ م وساقس سنة ١٣٣٤ م . وما زال يتقدم في فتوحاته حتى اشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز غليبولي وكانت الامبراطورية الرومية يومئذ في حالة الانحطاط الكلي واركانها متزعزعة بسبب الحروب الداخلية التي حدثت فيها بين سنة ١٣٤١ - ١٣٤٧ م في زمن وكالة يوحنا كنتا كوزين الذي كان نائباً للامبراطور يوحنا بابيلوغوس مدة حياته فكان ذلك داعياً الى دخول الدولة العثمانية الى بلاد اوربا . وذلك ان النائب المذكور لما رأى نفسه مبغوضاً ومرفوضاً من طوائف الروم استعان عليهم بأل عثمان فامدوه وانتصروا له عند دخولهم اوربا وبهذه الوسطة استولوا على جملة حصون وبلدان في تلك الجهات . وفي سنة ١٣٥٩ م اجتاز الامير سليمان ابن السلطان اورخان بوغاز شناق قلعة وفتح مدينة غليبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم توفي في عنفوان شبابه سنة ١٣٦٠ م (٧٦١ هـ) فحزن عليه ابوه السلطان اورخان حزناً عظيماً ومن فرط حزنه استوات عليه الهموم والامراض ولم يمكث بعده الا يسيراً وتوفي في السنة نفسها ودفن بمدينة بورصة

٦٣٤ - السلطان مراد خان الاول ابنه اورخان

من سنة ٧٦١ - ٧٩١ هـ او من سنة ١٣٦٠ - ١٣٨٩ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد خان الاول وكان من شجمان الرجال مجاهداً في نصرته دين الاسلام . وكانت فاتحة اعماله احتلال مدينة اققرة مقر سلطنة القرمات وذلك ان سلطان هذا الاقليم واسمه علاء الدين اراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان اورخان الى ابنه السلطان مراد لاثارة حمية الامراء المستقلين باسيا الصغرى ونحر يضهم على قتال العثمانيين ليقوضوا اركان مملكتهم الآخذة في الامتداد يوماً فيوماً فكانت عاقبة دسائسه انه فقد اهم مدائنه وبعد ضياعها منه ابرم

الصلح مع السلطان مراد وزوجه ابنته لتتكن عرى الاتحاد بينهما وبذلك انضمت مدينة كوتاهية الى المملكة العثمانية لان امير قرمان وهبها لابنته عند زفافها اما في اوربا ففتح البكر بك لالة شاهين مدينة ادرنة (ادريانا بوليس) في سنة ١٣٦١ م وجعلها السلطان مراد عاصمة المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الى ان فتحت مدينة القسطنطينية . وفتح ايضا مدينة فيليبية (فيليمبوليس) قصبة الرومي الشرقي .

وفتح القائد افرينوس بك مدينتي وردار وكلجينا باسم السلطان مراد خان واضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية فالتحد في سنة ١٣٨٨ م اهل الصرب والفلاخ ودماطيا والمجر والبلغار وتحزبوا جميعا على السلطان مراد خان قاصدين بذلك تعطيل فتوحاته وتوقيفه عن التقدم . ولما علم السلطان مراد بالتحاد ساق جيوشه اليهم والتقى الفريقان في سهل قوص أوه . وبعد قتال شديد انهزم الفرنج وانتصر العثمانيون انتصارا باهرا خلد لهم ذكرا جميلا واستولوا على بلاد الصرب . وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان مراد ير بين القتلى اذ قام من بينهم جندي اسمه ميلوك كوفوفيش فطعن السلطان بمديقة قتله . وكانت وفاته في ١٥ شعبان سنة ٨٧٩١



٦٣٥ - السلطان بايزيد الاول ابن مراد ثمانية

من سنة ٧٩١ - ٨٠٤ هـ او من سنة ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م

ونخلفه ابنه السلطان بايزيد الاول وكان على جانب عظيم من الشجاعة وقد تعود مقاساة الخطوب ومشقات الحروب فتبع خطوات ابيه في الغزو والجهاد . وكان اول امر شرع فيه افتتاحه الممالك التركية الصاعدة التي كانت مستقلة في جهات الاناضول . ثم افتتح ايلات الرومي ومكدونيا والبلغار . وبعد هذه الانتصارات صمم على فتح القسطنطينية واخضاع الممالك الافرنجية فزحف بجيش عظيم الى نواحي

اوربا واستولى على مدينة سالونيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيش
الافرنج في وقعة عظيمة حدثت في ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م . ثم حول وجهه
نحو القسطنطينية وشرع في حصارها . وكان امبراطور هايو مئذمانوئيل باليولوغوس
فاضطرب وبعث الى من جاوره من الملوك يطلب اليهم المساعدة والامداد على
المسلمين . وكان السلطان بايزيد قد خاف من اتحاد الملوك النصارى وتحزبهم
عليه فقدم مع الروم صلحاً على عشر سنين بشرط ان يدفعوا له ٣٠ الف ريال وان
يجعل في القسطنطينية قاضياً من قضاة الاسلام وان يبنى بها مسجداً للمسلمين
غير انه لم يكت الا قليلاً حتى عاد الى حصار القسطنطينية ثانية وضيق عليها
حتى كاد يفتحها ولكن لما بلغه قدوم تيمورلنك التتري بمساكره على مملكته وافتتاحه
كثيراً من بلدانها اضطرب وعظم الامر عليه والتزم ان يرفع الحصار عن القسطنطينية
و يقفل راجعاً ليصد هجمات التتري عن بلاده . وسبب اغارة تيمورلنك التتري على
الدولة العثمانية ان سلطان بغداد المدعو احمد بن اويس التجأ الى الساطان
بايزيد حينما هاجمه المغول في بلاده . فارسل تيمورلنك الى السلطان بايزيد
بطلبه فابى تسليمه . فاغار تيمورلنك بجيوشه الجرارة على بلاد اسيا الصغرى وافتتح
مدينة سيواس بارمينية واخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل وقطع رأسه
ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمخاربه تيمورلنك فتقابل الفريقان في
سهل انقره وبعد قتال شديد انهزم العثمانيون ووقع السلطان بايزيد اسيراً بيد التتار
وذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ فاعتقله تيمورلنك الى ان توفي في اعتقاله في
في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ . وبعد وفاة السلطان بايزيد وقع الخلاف والشقاق
بين اولاده ودامت بينهم المنازعة نحو ١١ سنة وكان ولده الامير عيسى قد وضع
يده على جميع البلاد الواقعة بالقرب من انقره وسينوب والبحر الاسود فوثب عليه
اخوه الامير محمد جلبي فقتله واستولى على تلك الاقاليم اما اخوها سليمان فاختاره
العثمانيون ان يكون سلطاناً عليهم في اوربا فبايعوه بعد موت ابيه السلطان بايزيد
وكان اخوه الامير موسى يترقب فرصة لكي يفتك به فانقض عليه ذات يوم وهو

راقد في فراشه وطمعته بخنجر في صدره قتلته وكان ذلك سنة ١٤١٠ م ثم اقتسم السلطنة مع اخيه محمد جلبي المتقدم ذكره . وفي سنة ٨١٦ هـ الموافقة ١٤١٣ م وقع بين الاخوين خلاف افضى الى القتال فتحاربوا وكانت الدائرة على الامير موسى فولى هارباً فتمتعه فارس من فرسان اخيه محمد جلبي وقبض عليه واحضره بين يدي اخيه فامر بقتله

٦٣٦ - السلطان محمد جلبي به بايزيد

من سنة ٨١٦ - ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤١٣ - ١٤٢١ م

وبعد ذلك انفرد السلطان محمد الاول بالسلطنة وصفت له الايام وتوافد اليه رسل ملوك الفرنج والروم مقدمين له التهاني بالنيابة عن ملوكهم فاحترمهم واكرمهم ثم شرع في تهذيب الامور وعقد الصلح مع الدول الاجنبية وقوى معهم روابط المحبة والاتحاد ايتمكن من التفرغ لاصلاح داخلية بلاده . فاعاد رونق السلطنة بعد ذبوله ووسع نظامها ونظم امورها وجعلها على امن اساس بعد ذلك الخراب الذي اصابها من وقائع تيمورلنك والمنازعات التي وقعت بين الاخوة ابناء السلطان بايزيد كما تقدم . وبالجملة كان سميد الطالع عادلاً كريماً شفوفاً على الرعية واستمر عزيزاً جليلاً الى ان توفي سنة ٨٢٤ هـ

٦٣٧ - السلطان مراد ثانياً الثاني ابنه محمد

من سنة ٨٢٤ - ٨٥٥ هـ او من سنة ١٤٢١ - ١٤٥١ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثاني ولاول ولايته عقد صلحاً مع امير قرمان وعقد هدنة مع ملك المجر الى خمس سنين . وقد طلب منه عمانوئيل ملك الروم ان يتعهد له بان لا يجار به مطلقاً وان يسلمه اثنين من اخوته رهينة لقيامه بهذا التعهد

والا فيطلق سبيل الامير مصطفى (عم السلطان مراد الذي كان في حوزة هذا الملك) واذا لم يجبه السلطان الى طلبه أطلق الملك عما نوئل الامير مصطفى واعطاه عشرة مراكب بامرة ديتريوس لاسكاريس فاتي مصطفى بها وحاصر كليوبولي فسلمت اليه القلعة . فتركها وقصد ابن اخيه السلطان مراد بادرنة فخافه بعض قواده وتركه اكثر جنوده فاضطر الى الانهزام وعاد الى كليوبولي فسلمه بعض اتباعه الى ابن اخيه السلطان مراد فكان اخر العهد به

وسار السلطان مراد الى القسطنطينية ليأخذ بثأره من ملك الروم الذي اطلق عمه فحاصر هذه المدينة في ٢٤ اغسطس سنة ١٤٢٢ م الموافق ٣ رمضان سنة ٨٢٥ هـ فلم يتمكن من فتحها لعصيان احد اخوته عليه واستعانت به بعض امراء اسيا فاخذ السلطان مراد هذه الفتنة ايضا بقتل اخيه وارهاب محازبيه واسترد الولايات التي كان تيمورلنك قد اعادها الى استقلالها وانصرف عزمه الى استرداد ما كان للعثمانيين في اوربا فكانت له محاربة شديدة مع ملك المجر فانتصر عليه واجبره على معاهدة من فحواها ان ينحلي ملك المجر عن كل ماله على عدوة نهر الدانوب اليمنى ليكون هذا النهر فاصلا بين املاك الدولة العلية والمجر . ولما رأى امير الصرب جورج برنكوفيتش عجزه عن مناوأة السلطان مراد عاهده ان يدفع اليه كل سنة ٥٠ الف دوك ذهباً وان يقدم له فرقة من جنوده في وقت الحرب . وفي سنة ١٤٣٠ م اعاد السلطان مراد فتح سالونيك التي كان ملك الروم قد تخلى عنها الى جمهورية البندقية وقصد البانيا فاطاعه سكان يانية وغيرهم مشرطين عدم التعرض لهم في امور دينهم وعوائدهم . وفي سنة ١٤٣٣ م اعترف امير الفلاخ بسيادة العثمانيين عليه تخاضعاً من غوائل الحرب ثم ثار هو وامير الصرب على السلطان مراد بتحسين ملك المجر لها الاتفاض على السلطان فحاربهما وقهرهما . وحارب ملك المجر والشجن في مملكته وعاد سنة ١٤٣٨ م من هذه الحرب بيجم غفير من الاسرى . ثم حاصر بلغراد عاصمة الصرب ولم يتوفق الى فتحها . فلما ذاع في اوربا خبر فتوح الاتراك ارتعدت فرائص الممالك الافرنجية خوفاً من ضياع القسطنطينية وتقدم العثمانيين

على باقي الممالك النصرانية فنهض البابا اوجينيوس وشرع في عقد تحالف بين الدول
الافرنجية لاجل مقاومة المسلمين فتصدى لذلك لادسلاس ملك المجر وبولونيا وتقدم
بمسارحه تحت قيادة رئيسهم يوحنا هونيادس الشهير وانضم اليهم جم غفير من
المجاهدين الفرنساويين والجرمانيين وصدموه الا تراك في معركةين عظيمتين
واستظهروا عليهم حتى اضطر السلطان مراد ان يعقد معهم صلحاً وينسحب وكان
ذلك سنة ١٤٤٣ م . فلما سكنت الفتن والقتال تنازل السلطان مراد عن كرسى
السلطنة الى ولده محمد الثاني (الملقب بالفاتح) وانقطع في داره منفرداً عن
الناس وعكف على العبادة . فانهز لادسلاس ملك المجر تلك الفرصة لفسخ
الهدنة المذكورة وتقدم ثانية لمحاربة الا تراك بعد ان حرض ملك القرمانيين على مقاتلتهم
ولما رأى السلطان مراد هذه الاحوال خاف من عواقب الامور واضطر ان يعود
الى الملك ثانية فجهز جيشاً عرماً وسار لمصادمة الافرنج فالتقى الفريقان في ١٠
نوفبر سنة ١٤٤٤ م تجاه مدينة فارنا على سواحل البحر الاسود فشبت بينهمايران
القتال وثبتت جيوش النصراني امام صفوف المسلمين في تلك المعركة الهائلة
وقاومت الجيوش العثمانية اشد المقاومة مع انهم اقل عدداً منهم بسبب انسحاب
معاضديهم الفرنساويين والجرمانيين الذين كانوا قد رجعوا لبلادهم بعد الانتصار
الاول . ولكن حمية لادسلاس ملك المجر وبولونيا وشجاعته الخالية من التبصر جعلته
على اقناعهم مواكب الاعداء فقتل في ساحة المعركة وبجوته انهزمت جنوده وتفرق
شملمهم . فاخذ هونيادس قائدهم يجمع شتيت العساكر ويحرضهم على الرجوع
والثبات فلم ينجح لان الرعب كان قد استولى عليهم وكان عدد قتلاهم عشرة الاف
نفس . وبعد تمام النصر واستخلاص مدينة فارنا رجع السلطان الى عزله وتنازل
عن الملك ثانية الى ابنه السلطان محمد الثاني الفاتح ولكنه لم يلبث في عزله طويلاً
لان الانكشارية ازدروا ملكهم محمداً وعصوه ونهبوا ادرنة فعاد السلطان مراد
واستد فتنهم سنة ١٤٤٥ م ولكي يشغلهم بالحرب اغار على بلاد اليونان وقصد
مدينة كورنثية (كورنثوس) وكانت محصنة ففتحت مدافع العثمانيين (هذا كان

اول استعمال العثمانيين المدافع) فلما في اسوارها دخلت منه الجنود الى هذه المدينة وماكوها واسكنهم لم يتأدوا باخذ باقي البلاد لثورة اسكندر بك واثارته الغتن في بلاد البانيا كما نذكره الان انشاء الله

اسكندر بك هذا ابن رجل يدعى يوحنا كاتريو كان حاكماً بالارث على قسم صغير من تلك البلاد فلما رأى قدوم السلطان بالعساكر الجرارة لمحاربته خاف سوء العواقب وعقد معه صلحاً وعاهده على دفع الجزية وانه ينقاد لجميع اوامره بشرط ان يبقيه في ولايته وان يكون من جملة عماله فاجابه السلطان الى ذلك بعد ان اخذ اولاده الاربعة رهينة عنده فاخלט ثلاثة منهم بماليك السلطان حتى صاروا لا يمتازون عنهم في العوائد والملابس واما الرابع وهو اصغرهم المسمى جورج فارتقى في باب السلطان الى درجة سامية بسبب ذكائه وشجاعته ثم اسلم بعد ذلك واقب باسكندر بك وصرف معظم ايامه في الحروب في خدمة الدولة العثمانية ولكنه ندم اخيراً على ما فرط منه في محاربة الطوائف المسيحية فارتد الى مذهبه الاصلى ودخل البانيا ودعا رؤساء قبائل الالبانيين فوافقوه على استخلاص بلادهم من يد العثمانيين وجمعوا الرجال وطردهوا العثمانيين من اكثر مدن بلادهم فسار السلطان في جيش كثيف وحاصر مدينة آتى حصار مدة ولما لم يجد سبيلاً الى فتحها لضعف جيوشه بسبب هذه الحروب المتواصلة اراد ان يتفق مع اسكندر بك على الصلح بان يقلده اماره البانيا في مقابلة جزية سنوية ولما لم يقبل اسكندر بك هذا الاقتراح رفع السلطان الحصار عن المدينة وعاد الى ادرنة عاصمة ممالكه ليجهز جيوشاً جديدة لقمع هذا الثائر ولكنه توفي في يوم ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ

٦٣٨ - السلطان محمد الثاني الفاتح ابن مراد خان

من سنة ٨٥٥ - ٨٨٦ هـ أو من سنة ١٤٥١ - ١٤٨١ م

وخلفه ابنه السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (لقب بالفاتح) لانه فاتح

مدينة القسطنطينية) ولد سنة ١٤٢٩ م واسماوى على عرش الملك وله
اثنان وعشرون سنة فنقل جثة ابيه الى بورصة وأخذ يتأهب لفتح ما بقي
من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية وكان يومئذ على القسطنطينية الامبراطور
قسطنطين دراغاسيس ابن الامبراطور عمانوئيل فلما بلغه هذا الخبر انزعج وتأثر
وارسل الى السلطان محمد يلاطفه بالكلام فطرد رسله وجعل يبني حصونا وابراجا
على جهات بوغاز القسطنطينية ثم بعث اليه سفارة ثانية يقول له « أن بنا هذه القلاع
والحصون ما وراءها الا الخصاص وجيوش الشر والحرب فان لم تحملك اليهود
والمواريق على عقد الصلح بيننا فذاك اليك وقد فوضت امري الى الله تعالى فان
هداك وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قد قضى لك بفتح
القسطنطينية فلا مرد لقضاء احكامه والا فلا ازال اداغم عنها بكل طاقتي وجهدي
الى آخر نسمة من حياتي » فلم يلتفت السلطان محمد الى ذلك المقال بل حاصر
مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م من جهة البر بجيش لا يقل عن مائتي الف جندي
ومن جهة البحر باسطول مؤلف من ١٨٠ سفينة . وكان الامبراطور قسطنطين
المذكور قد استمد ملوك اوربا فلي دعوته جمهورية جنوة وارسات اسطولا بارة
جوستينياني فكانت حرب هائلة بين الاسطولين انهم فيها الجنوبيون ورفع الروم
لهم السلاسل الحديدية المأتمنة لدخول سفن العثمانيين فدخلت سفن جنوة واعادوا
تلك السلاسل وراءهم . فهد السلطان محمد طريقا في البر وورصفه بالواح صب
عليها زيتا ودهنا لتزاق السفن عليها وبهذه الطريقة تمكن في ليلة واحدة ان يدخل
سبعين سفينة الى البحر داخل السلاسل . وفي اليوم التالي هاجم المدينة بجيشه
البري وبين كانوا بالسفن فاقتحموا بعد أن قتل امبراطورها قسطنطين في المعركة
وذلك في ٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٥٧ هـ (سنة ١٤٥٣ م)

وأرخ بعض الشعراء هذا الفتح بقوله:

رام امر الفتح قوم أولون حازه بالنصر قوم آخرون

ودخل السلطان محمد كنيسة أجيا صوفيا شاهراً سيفه في يده قائلاً « اشهد ان لا اله الا الله وشهد ان محمداً رسول الله » وأمر ان يؤذن فيها اعلاناً بجعلها جامعاً للمسلمين . وبعد الفتح عزم السلطان محمد على جعل القسطنطينية مقر سلطنته فرفض الكل من اراد الرجوع اليها من الروم ان يبقى على دينه . رغبة في عمارها لكن لما كان ذلك غير كافٍ لترميمها وتحسينها امر بجمع نحو عشرة الاف عائلة من ولايات مختلفة لياتوا اليها ويسكنوها . وولى على الاروا بطريركاً واعطاه عصا البطريركية وخاتمها حسبما جرت به عادة القياصرة في الازمنة السابقة وقسم باقي المدينة بين كنائس ومجايد بين النصارى والمسلمين وجعل لكل من الفريقين حدوداً لا يتعداها

ومن ذلك الوقت دعت مدينة القسطنطينية لاسلامبول (تحت الاسلام او مدينة الاسلام) . وبعد فتح السلطان القسطنطينية سار قاصداً فتح المورة فارسل ديمتريوس وتوماس اخوا قسطنطين الملك حاكما المورة يعرضان عليه قبول دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر الف دوك فاكتفى بالسلطان بذلك وسار الى بلاد العرب فسأل اميرها الصليح مع السلطان على ان يدفع كل سنة ثمانين الف دوك فاجابه السلطان اليه وكان ذلك سنة ١٤٥٤ م لكنه اعاد الكرة في السنة التالية على بلخراد عاصمة العرب وحاصرها . وكان هونيادس القائد المجري الشهير قد دخل اليها قبل الحصار فدافع عنها حتى اضطر للسلطان الى رفع الحصار عنها سنة ١٤٥٥ م . وكان هونيادس قد اصيب بجراح مات بسببها بعد رفع الحصار فارسل السلطان بعد موته الصيدر الاعظم محمود باشا فاتم فتحها من سنة ١٤٥٨ - ١٤٦٤ م وزال استقلال العرب قطعياً . وفي هذه المدة عاد السلطان الى المورة فاستحوذ عليها وهرب توماس الى ايطاليا ونفى ديمتريوس اجاه الى جزيرة في الارخبيل وبعد عوده من المورة صالح اميكندر بك (الذي تقدم خبر ثورته على السلطان مراد) وترك له ولاية البانيا وايبيروس . وسار الى اسيا الصغرى يدوخ ما بقي بها غير خاضع له ففاز بما تمنى ودخل مدينة طرايزون دون مقاومة شديدة واتى

بصاحبها داود كورين اسيراً الى القسطنطينية

وقصد السلطان بعد ذلك بلاد الفلاخ فتظاهر ملكها بطالب الصلح على ان يدفع كل سنة عشرة الاف دوك فاجابه السلطان الى ذلك . لكن هذا الملك اتحد مع ملك المجر وانتفض على السلطان فسار اليه بجائة وخمسين الف مقاتل فهزمه وشنت جمعه وانتهى الى بخارست عاصمة ملكه وانهزم ملك الفلاخ الى ملك المجر فعزله السلطان ونصب اخاه مكانه وضم بلاده الى املاك الدولة العلية . وفي سنة ١٤٦٢ م حارب السلطان امير البشناق لامتناعه عن دفع الجزية واسره هو وابنه وامر بقتلها فدانت له البشناق . وفي سنة ١٤٦٤ م حاول ملك المجر اخذ البشناق فهزمته جيوش السلطان واصبحت البشناق ولاية عثمانية وخسرت ما كان لها من الامتياز . ومنذ سنة ١٤٦٣ م ابتدأت العداوة بين السلطان وجمهورية البندقية فاستحوذ الممانيون على مدينة ارغوس وكانت للبنادقة فارسلة الجمهورية اسطولاً الى المورة فثار سكانها وقتلوا الحامية التي بها وحاصروا قرنتية واستردوا ارغوس فهب السلطان اليهم في ثمانين الفاً فارجعوا ما كان البنادقة قد اخذوه . ولكن ثار اسكندر بك الشهير والي البانيا وحارب العثمانيين في مواقع كثيرة وشغل العثمانيين عن قتال البنادقة مدة حتى توفي سنة ١٤٦٧ م . ثم استئناف القتال بين العثمانيين والبنادقة فافتتح العثمانيون اجريوس مركز مستعمرات البنادقة في بحر الروم سنة ١٤٧٠ م . وفي هذه السنة ضم السلطان بلاد قرمان الى مملكته وفي سنة ١٤٧٥ م حاربت العساكر العثمانية بلاد البغدان فلم تفز بالنصر فعزم السلطان على فتح بلاد القرم ليستعين بفرسانها على فتح بلاد البغدان فدانت له بلاد القرم واصبحت ولاية من ولاياته وعاد جيشه الى البغدان فاشتهر اسطغانوس الرابع اميرها بالمداغة سنة ١٤٧٦ م فلم تنل العساكر العثمانية مأرباً من هذه البلاد . ثم جرت معاهدة صلح بين السلطان والبنادقة سنة ١٤٧٩ م . بعد تجليهم عن اشقوردة للسلطان

وفي سنة ١٤٨٠ م صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فإرسل لها

عمارة بحرية مشحونة بمائة الف مقاتل تحت قيادة ميشطس باشا الذي هو من العائلة الباليولوجية وكان قد اعتنق الديانة الاسلامية بعد فتح السلطان محمد مدينة القسطنطينية فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة اشهر بدون نتيجة ثم ارتحل عنها . وفي هذه السنة فتحت عساكر السلطان الجزر الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا ومدينة اوترانت في جنوبي ايطاليا

وكان هذا السلطان العظيم لا تكل همته ولا تفتر عن الفتوحات وشن الغارات فجهز سنة ١٤٨١ م جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرص تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني بنفسه لقتال المعجم وبينما هو في اثناء الطريق ادركته الوفاة فمات بمدينة ازنكيد وذلك يوم ٤ ربيع الاول سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو سنة ١٤٨١ م . وكان هذا السلطان من اشهر سلاطين آل عثمان موصوفاً بالشجاعة وقوة الجنان وطلو الهمة وقد قال فيه بعض واصفيه

تاج الملوك محمد من درخت هام الملوك من العدا سطواته
فخر السلاطين المظام وبابه شرف الانام رفيعة درجاته
ملكه طاب الزمان وقد صفت اوقاته واستعدت ساعاته

وكانت مدة ملكه ٣١ سنة تم في خلالها مقاصد اسلافه ففتح القسطنطينية ووسع السلطنة

٦٣٩ — السلطان بايزيد ثمانه بن محمد

سنة ٨٨٦ - ٩١٨ هـ أو من سنة ١٤٧١ - ١٥١٢ م

وخلفه في الملك ابنه السلطان بايزيد الثاني الذي كان حاكماً باماسية وكان ميالاً الى السلم اكثر من ميله الى الحرب . وكان له أخ يسمى جم (ويسميه الفرنج زيزم) كان حاكماً بقرمان فلما بلغه خبر وفات ابيه سار في من لاذ به فدخل مدينة بورصة عنوة وراسل اخاه السلطان بايزيد في ان يفتسها المملوكة بينهما فلم

يجبه اخوه الى ما طلب . فعزم جم على اغتصاب المملكة من يداخيه وتقدم بحازبيه نحوه وبرز السلطان بايزيد لقتاله فالتقى المسكران في المسكان المعروف بسلطان أوكي على شاطي نهر ايكبي شهر فوقم بينهما قتال شديد تم انتصر السلطان بايزيد وانهمز أخوه جم الى طرف حلب مستنصرأ بالملك الاشرف ثابت باي ولا وصل الى مدينة القاهرة اكرمه السلطان قايت باي اكراماً عظيماً ثم بدا له ان يحج الى بيت الله الحرام ولا اتم مناسك الحج عاد الى البلاد القرمانية وجمع لنفسه احزاباً ونهض بهم الى قتال اخيه ثانية وعزم على حصار مدينة قونية فصدده واليها عنها وراسل اخاه في ان يقطعه بعض الولايات فأبى . فالتجأ الامير جم الى فرسان القديس يوحنا برودس طالباً أن يساعده على نيل اغراضه فقبلوه بالتجلة والاكرام فارسل السلطان بايزيد الى رئيس هولاء الفرسان أن يبقی أخاه عندهم ويتمهد له بعدم التمرض لاستغلال جزيرتهم مدة ملكه ويدفع لهم كل سنة ٥٤ الف دوك قبل الفرسان ذلك ووفوا بعهدهم وارسلوا الامير محفوظاً الى نيس ثم الى شبيري وبقی متنعلاً في فرنسا الى سنة ١٤٨٩ م ثم انتقل الى رومة . وفي هذه الاثناء حاصر ملك فرنسا رومة وطلب من البسا با تسليم الامير جم فسلمه اياه وبقی مع جيش فرنسا الى سنة ١٤٩٥ م حين توفي بنابولي ونقلت جثته الى بورصة . اما السلطان بايزيد فقل ما كان له من الفتوحات ولكن كانت له وقعات مع بعض المتأخمين لمملكته فصددهم عن السطو عليها . وحصلت بينه وبين قايت باي سلطان مصر وسورية حرب وذلك لان الاخير كان قد آوى أخاه جم واکرمه فابغضا من ذلك السلطان بايزيد وجهز جيشاً لقتال قايت باي وبرز قايت بالعاكر المصرية والشامية لقتال السلطان بايزيد والتقى الفريقان عند جبل امان في قرمان وبعد قتال شديد انتصر قايت باي وعاد السلطان بايزيد بدون فائدة ثم قصد بلاد اوروا سنة ١٤٨٦ م واستولى على جانب عظيم من بلاد البغدان وغيرها من اقاليم تلك الاطراف . وفي سنة ١٤٩٧ م زحف على بلاد بولونيا فالوقع بها واستولى على جانب عظيم منها . وكانت للسلطان بايزيد علاقات حسنة مع روسيا وكانت مغابرات بين

السلطان وبين البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودوك مدبولان وجمهورية فلورنسا طمعاً بمساعدة العساكر العثمانية لهم بشؤونهم . ثم استجد الخلفاء بين السلطان والبنادقة . وارسل البنادقة فحاصروا جزيرة مدالي (متيلين) ليمنعوا العثمانيين عن السطو على بلادهم فالتصر العثمانيون على البنادقة ولكن اضطربت احوال المملكة الداخلية لمصيان أولاد السلطان عليه فاضطر أن يبتد صلحاً مع محاربيه ليتفرغ لتهديد داخلية بلاده

وكان للسلطان بايزيد ثمانية أولاد مات خمسة منهم صغراً وبقي له ثلاثة وهم كركود واحد وسليم وكان كركود من اهل العلم والادب لاهتم بالسياسة والحرب فلم يكن له معهم شأن يذكر وكان احمد محبوباً من الاعيان والامراء امام سليم فكان بطلاً شجاعاً فاحبته الجنود عامة والانكشارية خاصة . وخشي والدهم ان يختلف النزعة بينهم يؤدى بهم الى النزاع فنصب كلاً منهم في ولاية . وكان نصيب سليم طرابزون فلم يرعه وطلب الى ابيه ان يوليه احدى ولايات اوربا فأبى السلطان اجابة طلبه . فانتفض سليم على والده وجاهر بالمصيان وسار في جيش من قبائل التتر الى الروملي وأرسل والده جيشاً لارهابه فلم يرهب وسار الى ادرنة وسمى نفسه ساطاناً عليها فأرسل أبوه جيشاً فانهزم منه لكن أرغم والده على العفو عنه للاحاح الانكشارية فمعا عنه ونصبه والياً على سمندرية وبينما هو سائر اليها التفت اليه الانكشارية في طريقه واتوا به الى القسطنطينية باحتفال عظيم وساروا به الى القصر وسألوا السلطان أن يتنازل عن الملك فقبل واستقال في يوم ٧ صفر سنة ٩١٨ هـ سنة ١٥١٢ م وسافر للاقامة بديموتيا فتوفي في طريقه في ١٠ ربيع الاول من السنة



٦٤٠ - السلطان سليم الاول ابنه بايزيد

من سنة ٩١٨ - ٩٢٦ هـ او من سنة ١٥١٢ - ١٥٢٠ م

وحالما جلس السلطان سليم الاول على كرسي المملكة نازعه اخوه الامير احمد وبرز السلطان سليم لقتاله فقتلوا امام مدينة ايكي شهر فانتصر السلطان سليم على اخيه وامر به فخنق وحملوا جسده ودفنوه في مدينة بورصة . وبعد ان اخمد السلطان هذه الثورة الداخلية عزم على قصد بلاد العجم لقتال شاه اسماعيل سلطان العجم لانه كان يساعد الامير احمد بن بايزيد سرًا ويجهد ان يتحد مع ملك مصر على قتال السلطان سليم . فلما رأى السلطان هذه المظاهر العدوانية نهض في جيش كثيف في سنة ٩٢٠ هـ قاصداً بلاد العجم وبرز شاه اسماعيل بظاهر تبريز للدفاع عن بلاده فحصلت بين الفريقين معركة شديدة دامت ساعات طويلة وكانت الدائرة فيها على الاعجام فولوا الادبار واركضوا الى الفرار بعد ان قتل منهم عدد عظيم وقتل من العثمانيين اربعون الفا حتى عدوا ذلك اليوم الذي انتصروا فيه من الايام المشؤمة ثم دخل السلطان مدينة تبريز وهي لذلك الوقت كرسي المملكة وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وبعد ان استراح بها ثمانية ايام قام بجيوشه واخلى مدينة تبريز لاعداءه وجود المؤنة الكافية لجيوشه بها مقدفياً اثر الشاه اسماعيل حتى وصل الى شاطئ نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاستعداد البرد وعدم وجود الملابس والمؤنة اللازمة لهم فقفل راجعاً الى مدينة اماميا بآسيا الصغرى للاستراحة زمن الشتاء والاستعداد للحرب في اوائل الربيع

وعندما اقبل فصل الربيع رجع السلطان الى بلاد العجم ففتح قلعة كوماس الشيرة ثم عاد الى القسطنطينية وترك قواده يستكملون فتح باقي مدن الشاه اسماعيل ففتحوا مارد بن والركة والموصل وكان ذلك سنة ٩٢١ هـ الموافقة سنة ١٥١٥ م

وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) سار السلطان سليم قاصداً فتح الشام ومصر واستخلاصهما من ايدي المماليك الجراكسة . وكان سلطان مصر في ذلك الوقت قانصوه الغوري فلما علم بتقدم السلطان سليم الى الشام خرج من مصر في جيش كثيف المدفعة عن بلاده فتقابل الجيشان في مرج دابق وبعد قتال شديد انهزم المصريون والشاميون وقتل سلطان الجراكسة قانصوه الغوري في المعركة وعلى اثر هذا الانتصار دخل السلطان سليم مدينة حلب واستولى عليها وبغير كثير عناء وضع يده على مدائن حمص وحماة ودمشق وفي مدة قريبة صارت الشام احدى الايلات العثمانية اما مصر فبعد مقتل الغوري بايعوا السلطان طومان باي فوضع يده عليها وابتدأ بالاستعداد لاجراج العثمانيين من الشام . ثم ارسل السلطان سليم الى طومان باي المذكور يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الدولة العثمانية على القطر فظن طومان باي انه لولا ضعف العساكر العثمانية وعدم قدرتهم قطع الرمال المحرقة بين الشام ومصر لما ارسل اليه السلطان سليم بطلب الصلح فتكبر وتغطرس واظهر الاستعداد لاجراج العثمانيين من الشام أيضاً . فلما عاد الرسول الى السلطان سليم واعلمه بما كان من هذا الجرکسي تقدم مسرعاً الى الديار المصرية بجيشه الظافر ولم يمض طويل وقت حتى اطلت مقدمته على القاهرة فعسكر بجيشه بالخانقة (الخانكة) في اواخر ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ . وفي ٢٩ ذي الحجة من السنة المذكورة انتشب القتال بين الطرفين بجهة العادلي (جهة الوايلي) ودام القتال والمناوشات مدة حتى تم الظفر للعثمانيين ودخل السلطان سليم القاهرة في ٨ محرم سنة ٩٢٣ هـ . اما طومان باي فالتجأ في من بقي معه الى بر الجزيرة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من يأسره منهم لكنه لم يلبث ان وقع في ايدي العثمانيين بخيانة بعض من معه وشنق بامر السلطان سليم في يوم ٢١ ربيع الاول سنة ٩٢٣ هـ الموافق ابريل سنة ١٥١٧ م ومن ذلك الوقت انقرضت دولة المماليك الجراكسة وصارت مصر ولاية عثمانية

وكانت مدينة القاهرة مقر الخلافة الاسلامية من بني العباس بعد دخول

بغداد في حوزة التتر وكان الخليفة منهم في ذلك الوقت المتوكل على الله محمد أفلا دخل السلطان سليم القاهرة تنازل له هذا الخليفة عن حقه في الخلافة الاسلامية وسلمه الاثار القبوية الشريفة وهي الراية والسيف والبردة وسلمه ايضاً مفاتيح الحرمين الشريفين . ومن ذلك الوقت صار كل سلطان عثماني اميراً للمؤمنين . وصارت اليهم السلطة الدينية والدنيوية معاً

وفي اوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ م سافر السلطان سليم من القاهرة عائداً الى القسطنطينية التي صارت من ذلك الوقت مقراً للخلافة الاسلامية العظمى وكان سفره عن طريق بلاد الشام فوصل الى دمشق في ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣ هـ ومكث بها الى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤ هـ ثم سافر الى مدينة حلب فاقام بها شهرين يدير شؤنها ثم سار الى القسطنطينية عاصمة ملكه ولم يبق بها الا عشرة ايام للاستراحة وارتحل الى ادرنة فوصلها في ١٧ رجب سنة ٩٢٤ هـ (سنة ١٥١٨ م) . وهناك اتاه صغير من قبل ملك اسبانيا يسأله اباحة النصارى الخبيج الى اورشليم كما كان في دولة المماليك الجراكسة فاجابه السلطان انه على شرط دفع المبلغ الذي كان يدفع قبلاً للمماليك . وأخذ السلطان في تجهيز عمارة بحرية للعملة على رودس واعداد عساكر لحاربة شاه العجم ثانية ولكن عاجلته المنية قبل انجاز ذلك فتوفي في ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ ٥ سبتمبر سنة ١٥٢٠ م

٦٤١ - السلطان سليمان عليه السلام الاول القانوني ابنه سليم

من سنة ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ او من سنة ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م

وتوفي بعده ابنه السلطان سليمان خان الاول الملقب بالقانوني . ولما وصل خبر اتقائه تحت السلطنة الى دمشق سولت للفرالي واليهما نفسه الخروج وجاهر بالمصيان واستولى على قلعة دمشق وارسل احد اتباعه ليحتل بيروت وجد في استمالة خير بك والي مصر الى غرضه مبيناً له سهولة النجاح ابعدهما عن مقر الخلافة وحدائهما

سن السلطان فلم يجبه خيراً بك الى ما طلب بل ارسل للسلطان كتاب الغزالي اليه
 فبعث السلطان فرحات باشا احد وزرائه في جيش كثيف لكبت الغزالي واخذ
 نار ثورته قبل امتدادها . فسار فرحات باشا في آخر ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ ولما
 وصل الى حلب وجد الغزالي محاصراً لها فعاد الغزالي دون قتال الى دمشق
 فتحصن بها فتأثره فرحات باشا وحاصره بدمشق وخرج الغزالي لقتاله في ١٧ صفر
 سنة ٩٢٧ هـ فهزم وقتل اغلب من كان معه وفر هو متنكراً ولكن خانه بعض
 اصحابه وقبض عليه وسلمه الى فرحات باشا فقتله وارسل رأسه الى القسطنطينية .
 وكان السلطان سليمان قد ارسل سفيراً الى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية
 او الحرب فقتل ملك المجر هذا السفير . فاغتاظ السلطان سليمان لذلك جداً
 وزحف بمسكرو جوار سنة ١٥٢١ م على بلاد المجر واقام الحصار على مدينة بلغراد
 وبعد قتال شديد استولى عليها ومع ان هذه النهرية فتحت له الباب للتقدم الى اوربا
 اثني راجعاً وصمم على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها ٢٠٠ الف مقاتل مع
 عمارة بحرية موءلفة من ٤٠٠ سفينة تحت قيادة صهره ويبري باشا فاقاموا عليها
 الحصار ولم يكن فيها يومئذ من العساكر الا ٦٠٠ و٦٠ من الفرسان وفاق شغالييرية
 ماري يوحنا المدعوين انصار بيت المقدس وكان قائدهم اذ ذلك يسمى شغالييردي
 ليل آدم وكان من شجعان ابناء زمانه موصوفاً بالذكاء والحزم فمظلم عليه الامر وارسل
 من يومه يستعين بالامبراطور شارلكان ملك اسبانيا وفرنسيس الاول ملك فرنسا
 ويطلب اليهما المساعدة والامداد فلم يجيباه الى هذا الطلب بسبب المنازعات الواقعة
 بينهما في ذلك الوقت . فاستمر الحصار عليها نحو ستة اشهر واظهر ليل آدم المذكو
 في اثناء هذه المحاصرة من البسالة والثبات ما لا مزيد عليه حتى كلفت همة الانكشارية
 وبينما كانوا قد عولوا على الانسحاب اتاهم السلطان سليمان بنفسه وشدد الحصار
 وانقض العزائم وضايق المحصورين من كل جهة غير مبالٍ بنحسهم ان الرجال . فاضطر
 اخيراً رئيس تلك الجزيرة ان يسلم بعد ان امست خراباً . فتمجيب السلطان سليمان
 من شجاعته فاحترمه ومدحه على شهامته وعزاه على مصيبتة واجابه الى الشروط التي

كان قد عرضها عليه وهي ان تبقى الكنائس على حالها وان يكون للنصارى الصيانة والحرية في دينهم وان لا يتكلفوا الى دفع شيء مدة خمس سنين . ثم انسحب ليل آدم من الجزيرة وتبعه ٤٠٠٠ من اهل رودس فاعطاهم البابا مدينة وتيررية فاقاموا بها الى ان تغلبهم الامبراطور شارلكان سنة ١٥٣٠ م الى جزيرة مالطة فاقاموا بها الى ان استخلفها منهم بونابرت وهو آت الى مصر سنة ١٧٩٨ م . وبعدما فرغ السلطان سليمان من هذه الحرب عاد الى القسطنطينية

وفي هذه الاثناء كانت حرب بين شارلكان ملك اسبانيا وهولاندا والمانيا وبين فرنسيس الاول ملك فرنسا انهزم فيها ملك فرنسا ووقع أسيراً بين يدي الامبراطور شارلكان فاعتقله مدة ثم خلى سبيله . فلما عاد فرنسيس الاول المذكور الى بلاده من اسره راسل السلطان سليمان وطالب اليه أن يعقد معه معاهدة هجومية دفاعية ضد الامبراطور شارلكان فيحاربه السلطان سليمان من المشرق وفرنسيس الاول من المغرب . فاحتفى السلطان سليمان بسفير الملك فرنسيس الاول واجاب ملك فرنسا الى ما طلب وجهز في سنة ١٥٢٢ م جيشاً يبلغ عدده ٣٠٠ الف مقاتل وزحف به الى بلاد المجر فالتقاء ملكها لويس الثاني بثلاثين الف مقاتل فقط واهدم معرفته بإدارة الحروب قلد بولس طوموري احد اساقفة بلاده قيادة الجيش وسار معه لمصادمة الاتراك فالتقيا بهم بأزاء مدينة موهاكز واشتبك القتال بين الفريقين فكانت واقعة عظيمة قتل فيها الملك لويس وهلك أكثر من عشرين الفا من جنوده وانهزم الباقون واستولى السلطان سليمان على الحصون والقلاع الواقعة على الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية محمواً بالظفر . اغتائهم وبعد موت الملك لويس المذكور اقام السلطان سليمان قائد جيوشه يوحنا زابولي حاكماً على المجر من قبله على مال يؤديه اليه فلما رجع السلطان الى القسطنطينية طمع الملك فردينند ملك النمسا في استخلاص المجر من يد يوحنا زابولي المذكور وسار في جيش كثيف ونازل مدينة بود (من ضمن مقاطعة المجر التي يحكمها يوحنا زابولي) فاستنجد يوحنا زابولي بالسلطان فأمدّه في سنة ١٥٢٨ م

بجيش بقيادة ابراهيم باشا . ثم سار السلطان بنفسه في جيش عرمرم وانتهى الى مدينة بود فتركها الملك فردينند ولحق بقينا عاصمة ملكه فتتبعه السلطان اليها وحاصرها وسلط مدافعه على اسوارها ولكن طال الحصار واقبل الشتاء يبرده القارس فماد السلطان في جيشه الى المجر ثم الى الاسنانة

وفي سنة ١٥٣١ م ارسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة مدينة بود واستخلاصها فلم يقو على فتحها . واتصل الخبر بالسلطان سليمان فخرج من القسطنطينية بمائة وعشرين الف مقاتل واربع مائة مدفع وعند وصوله الى مدينة فينا نصب خيامه بالقرب منها واقام عليها الحصار وكان ملك النمسا قد استعد للمدافعة عن المدينة استعداداً كبيراً فلم يقو السلطان على فتحها ودنت أيام الشتاء فافرج السلطان عنها وعاد الى القسطنطينية . وفي سنة ١٥٣٣ م راسل ملك النمسا السلطان بعقد الصلح فقبل السلطان أن يعقد اولاً هدنة على شروط اختارها ولما قبلت عقدت معاهدة الصلح في ٢٢ يونيو سنة ١٥٣٣ م . ومن بنودها ان ترد النمسا مدينة كورون للسلطان ولا يرد السلطان شيئاً مما فتحه في بلاد المجر

وفي سنة ١٥٣٤ م ارسل السلطان سليمان الصدر الاعظم ابراهيم باشا الى بلاد العجم للتمكين بشريف بك خان مدينة بدليس . وقبل وصوله كان شمس الدين ابن والي اذربيجان قد قتل شريف بك المذكور وجاء برأسه الى ابراهيم باشا . ففضى الصدر الاعظم فعصر في ايام الشتاء في حاب ثم سار منها الى تبريز فدخلها بالامان وبني بها قلعة واقام بها حامية عثمانية ثم افتتح مدينه بغداد . ثم خرج السلطان بنفسه بالعساكر تابعا اثر الصدر الاعظم حتى انتهى الى تبريز ومنها سار الى بغداد ثم انثنى راجعاً الى القسطنطينية وهناك وشوا له على وزيره ابراهيم باشا المذكور فامر بقتله وفي هذه الاثناء كان قد اشتهر خير الدين باشا المعروف في كتب الفرنج باسم بروس (أي ذي اللحية الحمراء) وأصله من اروام جزيرة مدالي (ميتلين) احدى جزائر الروم وكان هو واخ له يدعى اوروج يشتغلان بالقرصانية بهجر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس واستمرا في

القرصانية وهي اسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ ما بها من البضائع وبيع ركايبها وملاحيا بصفة رقيق . وفي ذات يوم ارسل الى السلطان سليم الاول احدى المراكب المأسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانها فقبلها منها وأرسل لها خالماً سنوية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتها وأشرأت اعناقها لاحتلال بعض سواحل الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين باشا على ثغر شرشل باقليم الجزائر . اما اخوه اوروج فبعد ان استولى على مدينة الجزائر نفسها فتح أيضاً مدينة تلمسان سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) وقتل بمد قليل في محاربة الاسبانيين الذين ارسلهم شارلكان لمساعدة صاحب تلمسان . لكن لم يتمكن هؤلاء من استخلاص تلمسان والجزائر بل حفظها خير الدين باشا وقتل أمير الجزائر . وارسل من قبله احد اتباعه الى السلطان سليم (وكان قد اتم فتح مصر) ليخبره بفتح الجزائر باسمه الشريف فقبله السلطان وعين خير الدين باشا المذكور كركبكا على اقليم الجزائر وبذا صار هذا الاقليم ولاية عثمانية

وبعد ذلك استمر خير الدين باشا في غزو مراكب الفرنج والنزول على بعض شواطئ إيطاليا وفرنسا واسبانيا واخذ كل ما وصلت اليه يده من اموال واهالي الى ان استدعاه السلطان سليمان سنة ١٥٣٣ م واتفق معه على انشاء مراكب لفتح اقليم تونس . وبعد انشائها سار بها خير الدين باشا سنة ١٥٣٤ م وحاصر تونس سنة ١٥٣٥ م واحتلها ولكن استخلصها منه شارلكان ملك اسبانيا . وفي سنة ١٥٣٨ اتفق السلطان سليمان مع ملك فرنسا على محاربة النمسا فجمع السلطان جيشاً كبيراً في البانيا قاصداً شن الغارة على إيطاليا من الشرق وارسل عمارة بحرية بقيادة خير الدين باشا المذكور فدخلت العمارة البحرية الارخبيل الرومي واسنولت على عدة جزائر لجمهورية البنادقة بعد ان شنت خير الدين باشا عمارتهم . ثم حصلت هدنة بين ملك فرنسا والامبراطور شارلكان فعاد السلطان الى القسطنطينية

وفي سنة ١٥٤٠ م توفي زابولي والي المجر من قبل السلطان فاغارت جيوش النمسا على المجر واحتلوا بست وحاصروا مدينة بود المقابلة لها . فنهض السلطان

تتباين بنفسه فرفع حصار النمساويين عن بود ودخلها وجعل بلاد المجر ولاية عثمانية وتعد كتابة لارملة زاوي ان لا يحتل المجر الا مدة طفولية ابنا فاذا باغ رشده ردها اليه

وفي سنة ١٥٤١ م عاد النزاع بين ملك فرنسا والامبراطور شارلكان فارس ملك فرنسا المسمو بولان الى الاستانة يستنجد السلطان . فتردد السلطان اولاً لروثيته تغلب فرنسيس الاول ملك فرنسا لكنه سير اخيراً خير الدين باشا في اسطولة مع السفير فباع الاسطول العثماني مرسيليا وهناك انضم الى الاسطول الفرنسي واقلعوا الى مدينة نيس ففتحوها سنة ١٥٤٣ م ولكن لم يحتلوها للخلاف بين العسكريين . وفي سنة ١٥٤٤ م ابي ملك فرنسا مساعدة لاسطول العثماني له لياج النصارى عليه ونسبتم له المروق لاستعانته بالمسلمين وعقد الصلح مع شارلكان فعاد خير الدين باشا باسطولة الى القسطنطينية فتوفي بها سنة ١٥٤٦ م

وفي سنة ١٥٤٧ م عقدت هدنة بين السلطان سليمان وفردينند ملك النمسا اجلها خمس سنوات بعد ان تعهد فردينند ان يدفع الى السلطان سليمان جزية سنوية قدرها ٣٠ الف دوك . وفي سنة ١٥٥١ م استئنفت الحرب بين السلطان سليمان وملك النمسا لان ايزابلا وصية ملك المجر تخلت لملك النمسا عن اقليم ترانسلفانيا خلافاً للعهد . وفي سنة ١٥٥٢ م انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة مواقع ولكن اضطرهم فصل الشتاء على العود الى الاستانة وفي سنة ١٥٥٣ م بعد وفاة فرنسيس الاول ملك فرنسا وخلافة ابنه هنري الثاني عقدت بين السلطان سليمان وهنري المذكور معاهدة على ضم الاسطول العثماني الى الاسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا . فسارت مراكب الدولتين وفتحت الجزيرة ولم يستمر الاحتلال بها لوقوع النفرة بين القائدين وعاد الاسطول العثماني الى الاستانة . وفي سنة ١٥٦٥ م ارسل السلطان عمارة بحرية لافتتاح جزيرة مالطة تحت قيادة مصطفى باشا وبعد حصار شديد وهجمات متعددة ارشد هذا الوزير راجعاً من غير طائل بعد ان فقد من جيشه نحو عشرين الفا

وفي سنة ١٥٦٦ م عاد السلطان الى بلاد المجر لان مكسيميليان بن فردينند ملك النمسا اخذ مدينة توكاي من الشاب امير المجر فقصد السلطان كبت ملك النمسا وسار ليأخذ قلعة ارلو الشهير ولكن بلغه في طريقه ان امير سكندوار (في المجر) تغلب على فرقة في جيشه فاراد ان يكبح جماحه قبل حصار ارلو فحاصر مدينته فاخلها اهلها وتحصنوا بقلعتها فاقام السلطان محاصراً لها وفي اثناء ذلك مرض وتوفي في ٣٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ (١٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦ م وله من العمر ٧٦ سنة . وكانت مدة سلطنته ٤٦ سنة فحزن عليه الناس حزناً شديداً وراثه الشعراء بكل اسان فن ذلك مرثية المفتي ابي السمود التي يقول في مطلعها
اصوت صاعقة ام نفخة الصور فالارض قد ملئت من نقر ناقور
ومنها

ام ذاك نعي سليمان الزمان ومن قصت اوامره في كل مامور
ومن ومن ملأ الدنيا مهابة وسخرت كل جبار وتيمور
وكان السلطان سليمان رحمه الله رفيع القدر موصوفاً بالحكمة والحزم ولقب
بالتقانوني لانه انشأ قوانين جديدة وبها ضبط سلطنته واحسن سياستها وقسم ممالكه
الى عدة ولايات واقام في كل ايلة فرقة من العساكر للمحافظة ورتب مع غاية
الاتقان جميع ما يلزم لضبط العساكر . ونظم ايضاً منوالاً جديداً لدخل الدولة
وخرجها . واقام فيها جملة ابنية فاخرة فازدادت شوكة الدولة في ايامه وتحسنت
احوالها جداً

وبالجملة نقول ان السلطان سليمان كان سلطاناً عظيماً لم يقر بين سلاطين آل
عثمان اعظم منه حتى ان جميع اهل الارض كانت ترثد فرائضهم عند استماع اسمه
وتقدمت الفلوحات في ايامه تقادماً عظيماً لم تصل اليه بعده وبلغت الدولة اوج
سعادتها واخذت بعدها في الوقوف تارة والتقهتر اخرى حتى وصلت الى الحالة
التي عليها الآن

و بعد وفاة السلطان سليمان ، كتب الوزير خبر موته خوفاً من فشل الجيش

وبعد ثلاثة ايام فتح العثمانيون القلعة ودخلوها وكان المحصورون قد لغموها فانفجرت الارض وسقط بناء القلعة فاهلك من كان بها ومن دخلها واعلن الوزير هذا الانتصار بكافة الجهات باسم السلطان سليمان حرصاً على عدم اذاعة موته الذي لم يذعه الا بعد ان اتت اليه اخبار اكيدة من الاستانة بوصول ولده السلطان سليم اليها واستلامه مهام الاعمال بها

٦٤٢ - السلطان سليم الثاني ابن سليمان

من سنة ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ او من سنة ١٥٦٦ - ١٥٧٤ م

وكان السلطان سليم الثاني في ايام ابيه اميراً على اماره كوناية فلما توفي ابوه بظاهر سكندوار كما تقدم ارسل اليه الوزير يعلمه الخبر سراً ويطلب اليه الاسراع الى القسطنطينية فنص السلطان سليم ودخل القسطنطينية على حين غفلة من اهليها وجلس على سرير الملك يوم الاثنين ٩ ربيع الاول سنة ٩٧٤ هـ . وبعد ان اقام السلطان بالاستانة يومين اسرع الى سكندوار للاحتفال بنقل جثة المغفور له والده الى القسطنطينية

ولم يكن السلطان سليم اهلاً للسلطنة كايه بل كان محباً للذات والملاهي ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقلي المدرب على الاعمال الحربية والسياسة من ايام السلطان سليمان للحق الفشل بالدولة لا محالة ولكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب اعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة فتم الصالح بينها وبين النمسا بمعاهدة مورخه ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ م ومن شروطها حفظ النمسا املاكها في المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتابعية ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان للدولة العلية . وتجددت ايضاً الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذي حصل بين ملك بولونيا وامير البغدان . ثم تجدد الاتفاق مع شارل التاسع ملك فرنسا تأييداً لما كان بين ملوك فرنسا والسلطان سليمان الاول وزيد على ذلك اتفاق الدواتين على ترشيح هنري دي

قالوا اخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهما نصيراً ضد النمسا من جهة وروسيا من اخرى

وفي سنة ١٥٧٠ م امر السلطان سليم الثاني بفتح جزيرة قبرس وكانت بيد البنادقة وتوجهت اليها المراكب الحربية وقيل ان عدد ما حملته من العساكر كان مائة الف جندي يقودها مصطفى باشا فاخذوا الملاحة اولاً ثم انتقلوا الى حصار الافسية وبنوا عليها برجاً ودام الحصار عليها من أول الصوم الى آخر شهر اغسطس ثم حاصروا الماغروسة وقيل انه كان فيها نحو الف مدفع ودافع اهلها والحامية التي كانت فيها مدافعة الابطال . ودنا فصل الشتاء فعمدت نار الحصار ثم اضطربت في ابريل سنة ١٥٧١ م ولم تفتح الا في ٦ اغسطس من السنة المذكورة اذ عاز المحصورين القوت والبارود فالتجوا الى التسليم . واستمرت قبرس تحت ولاية الدولة العلية الى ان احتلها الانكليز سنة ١٨٧٨ م

ولما رأى البنادقة تغلب العثمانيين خافوا انبساط سطوتهم في غير قبرس من املاكهم فاتفقوا مع ملك اسبانيا وفرنسا مألطة وجبروا اسطولاً يزيد على ٢٠٠ سفينة وقصدوا الاسطول العثماني الذي كان نحو ٣٠٠ سفينة وتسمرت نار الحرب بين الاسطولين بقرب ايبانتا فانتهر المتحدون على العثمانيين واخذوا منهم نحو ٣٠ سفينة وغرقوا سفناً اخرى واخذوا ٣٠٠ مدفع وبعض الاسرى فكانت عند الافرنج افراح عظيمة وصنعوا تذكراً لتلك الغلبة عيداً يعيدونه في اليوم السابع والعشرين من شهر اكتوبر . ولما بانغت هذه الاخبار الى الاستانة هم المسلمون بقتل المرسلين فتدارك الامر الوزير محمد باشا صقلبي واخرج المرسلين آمنين بناء على طلب سفير فرنسا . ثم أخذ الوزير المذكور ينشيء سفناً حديثة وبذل قصاري جهده في تجهيزها وتسليحها حتى جهز في سنة واحدة مائتين وخمسين سفينة . وفي غضون ذلك ارسات مشيخة البندقية تعذر اليه وتطلب منه الصلح على وجه آئل الى شرف السلطنة فاجابها الى ذلك واوقف الحرب

اما الاسبانيون فقصد اسطولهم تونس في آخر سنة ١٥٧٢ م فاحتلوها دون

معارضة ولا مقاومة واعادوا اليها ساطانها المولى الحسن الذي كان قد التجأ اليهم عند احتلال العثمانيين بلاده . ولكن لم تمض ثمانية اشهر حتى استردها سنان باشا للدولة العلية . وفي ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢ هـ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٥٧٤ م توفي السلطان سليم الثاني وعمره ٥٢ سنة قريه ومدة حكمه ٨ سنين و ٥ أشهر

٦٤٣ - السلطان مراد الثالث ابنه سليم

من سنة ٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ او من سنة ١٥٧٤ - ١٥٩٥ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث . وكانت باكورة اعماله انه حظر شرب الخمر الذي كان قد استغرق وفشا استعماله ولا سيما عند الانكشارية فثار هولا . وباعة الخمر وصانعوه حتى غض النظر عن تناول مقدار منه لا يتأتى منه ذهول العقل والاخلال براحة العموم ونصب رئيساً على الانكشارية رجلاً اسمه شيكالا اصله ايطالي واسلم من عهد قريب فازداد الشعب والفاق في هذه الجوقة . وكان بين الدولة العلية والنمسا في ذلك الحين نوع من السلم وان طرأت حيناً بعد حين مناوشات ومنازعات بين عساكر الالبيين لكنها لم تكن لتقضي الى اعلان حرب بل كانت مصلحة الفريقين تقضي ببقاء الوفاق واهرمت بينهما مهادنة لمدة ثمانية سنين بدوها سنة ١٥٧٧ م . وكانت العلاقات بين السلطان مراد ودولة فرنسا حسنة جداً وكذلك بينه وبين جمهورية البندقية وأيد لهما الحقوق القنصلية والتجارية بل زاد وازاد اليها مواد اهمها ان يكون سفير فرنسا مقدماً على سائر سفراء الدول في المقابلات والحفلات الرسمية . واتفق مع ايزابال ملكة انكلترا ان ترفع مراكب الانكليز العلم الانكليزي عند دخولها المرافئ العثمانية وكانت جميع السفن الاوروبية لا تدخل بلاد الدولة الا وعليها العلم الفرنسي وكانت بةتقضى عهود كانت في ايام السلطان سليمان وابنه السلطان سليم الثاني . واهم الحروب التي كانت في ايام السلطان مراد الثالث هي حربه مع العجم فكانت المناوشات

بين رجال الدولتين قد تواترت من مدة طويلة على التقوم وكان السلطان يرغب في ابعاد الانكشارية عن العاصمة واشغالهم بالحروب عن سطوتهم وشغبهم فيها . وكان شاه المعجم المسمى طهباسب قد توفي سنة ١٥٧٦ م وخلفه ابنه حيدر فقتل للحال وخلفه اخوه اسماعيل فأت مسموماً سنة ١٥٧٧ م وخلفه اخوه محمد وكانت البلاد منقسمة عليه . فرأى محمد باشا صقالي الصدر الاعظم حينئذ انتهاز فرصة هذه الفتن في المعجم فحسن للسلطان اعلان الحرب فارسل السلطان جيوشه بقيادة مصطفي باشا فسار فيها الى بلاد الجركس التابعة للمعجم ففتحها واحتل مدينة تفليس سنة ١٥٧٨ م ونصب في هذه البلاد عمالاً من امراء الكرج ومضى يصرف فصل الشتاء في مدينة طرابزون فحشد ملك المعجم في الشتاء جيشاً امر عليه حمزة ميرزا فاسترد بعض المدن من العثمانيين ولكنه لم يقو على اخذ تفليس . ثم توفي مصطفي باشا قائد الجيش العثماني فاقام السلطان مكانه عثمان باشا فاستولى على طاغستان على شاطئ البحر الخزر سنة ١٥٨٢ م وبعد ان انتهت في حروب اخرى عاد الى الاستانة فنصبه السلطان صدراً اعظم وقائداً للجيش الذي في بلاد الكرج فسار في جيش يربو على ٢٠٠ الف مقاتل فدخل مدينة تبريز عاصمة المعجم بعد انحصاره على حمزة ميرزا . وبعد ان استمرت هذه الحروب سجالاً ست سنين عقد الصلح بين الدولة العلية والمعجم في ٢١ مارس سنة ١٥٨٥ م وتحت دولة المعجم للدولة عن اعمال الكرج وشروان ولورستان وبعض اذربيجان ومدينة تبريز وعاد بعض الجيش الى الاستانة

وعاد الانكشارية الى تعنتهم وشغبهم وثاروا على ناظر المالية مدعين انه دفع اليهم ذرام ناقصة العيار وانه لم يوفهم كل ما لهم فقتلوه في داره . ثم ثاروا مرة اخرى سنة ١٥٩٣ م واتفقوا مع غيرهم من العساكر ودخلوا الى ديوان السلطان وارسلوا يطلبون محمداً الشريف الدفترى يومئذ مدعين انه لم يتقدم جوامعهم فامتنع السلطان من تسليمه اليهم خيفة ان يقتلوه فاصروا على طلبهم فخرج عليهم بعض الحامية والخدم والغلمان واخذوا يرمونهم بالحجارة فاندفعوا مذعورين

وتراكموا في الباب ووطىء بعضهم بعضاً وقتل منهم ١١٧ رجلاً وتمرد
الانكشارية في بودابست وقتلوا واليها وصنعوا كذلك في القاهرة وتبريز وكثر
الشغب والقلق في المملكة كلها وغلت ايدي الولاة وضعفت سلطتهم

ولم يجد السلطان مراد حيلة للتخلص من هذه الحال الا بان يشغل
الانكشارية والعسكر بالحرب فاعلم الحرب على النمسا التي كانت قد ملت شعها
وجددت قواها في مدة ٣٠ سنة قضتها بالسلم . واوعز سنان باشا الصدر الاعظم
في ذلك الوقت الى حسن باشا والي البشناق ان يخترق بمسكوه تخوم المجر اعلاناً
للحرب . واتقدت نار الحرب في المجر سنة ١٥٩٣ م فكانت سجالاً وكان النصر
طوراً للعثمانيين وطوراً للمجرين والنمساويين ثم قتل من العثمانيين حسن باشا
والي المرسك وانهمزم الجيش الى بودابست وفتحت جيوش النمسا عدة قلاع
عثمانية ثم استرد بعضها سنان باشا سنة ١٥٩٥ م . ومما زاد في الطينة بلة وفي
الطنبور نفمة اشهار الفلاح والبغدان وترنسلفانيا العصيان على الدولة ومخالفتهم
لرودلف الثاني ملك النمسا وامبراطور المانيا فسار اليهم سنان باشا الى مدينة
بوخارست سنة ١٥٩٥ م ولكن انتصر عليه ميخائيل امير الفلاح ودخل بعض
المدن العثمانية وقتل حاميتها ونكل باهلها فاضطر العثمانيون الى التقهقر الى ما وراء
الدانوب وتبعهم الامير ميخائيل المذكور وانتصر عليهم مرة اخرى واخذ منهم
عدة مدن منها مدينة نيكوبولي . ثم مرض السلطان مراد الثالث وتوفي مساء
٨ جمادي الاولى سنة ١٠٠٣ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٥٩٥ م

٦٤٤ - السلطان محمد الثالث ابنه مراد

من سنة ١٠٠٣ - ١٠١٢ هـ او من سنة ١٥٩٥ - ١٦٠٣ م

وتولى بعده ابنه السلطان محمد الثالث وكانت المملكة معفوفة بالمخاطر من
الخارج مرتكبة في الداخل من جراً مطامع الوزراء وتعنت الانكشارية وغيرهم من

الجنود . وكان ميخائيل امير الفلاخ قد طرد العثمانيين الى ما وراء الدانوب بمساعدة جنود النمسا فارسل اليه السلطان محمد جيشاً بقيادة سنان باشا . ولما بلغ سنان باشا الى اخر تخوم المملكة التقاه الامير ميخائيل وعساكر النمسا ومن التحد معهم فرأى من نفسه العجز عن المقاومة لم فارسل الى السلطان يطلب منه ارسال نجدات فاستهزت الحمية والنخوة السلطان محمداً فنهض بنفسه وسار في جيش كثيف الى باغراد ثم الى ساحة الحرب آخذاً بنفسه قيادة جيوشه فعاودتهم الحمية والبسالة والرغبة في الاستحواث امام سلطانهم ففتح قلعة ارلو الشهيرة سنة ١٥٩٧ م بعد ان انتصر على جيوش النمسا والمانيا . وكانت له وقائع اخرى مع عساكر المتحدين ولكن لم تكن الوقائع فاصلة ثم مات سنان باشا واراد السلطان العود الى الاستانة فترك قيادة جيشه لسيكالا المعروف عند العرب والأتراك بجفالا وهو ابن القائد جفالا باشا الجنوي الاصل

اما جفالا باشا فسرح فريقاً من الجيش من اسيا الصغرى ليعودوا الى اوطانهم وقبل وقعت له مظنة فطردهم وفي الحالين اضعف قوة جيشه . ولما وصل هؤلاء الى بلادهم رفعوا راية العصيان على الدولة وبمقدمتهم رجل يسمى قره يازيجي وتغلبوا على بعض ولاية قرمان فاتبعوا الدولة مع انشغالها بحرب المجر والنمسا خاصة وارسات اليهم الجنود فخرج قره يازيجي ومات من جراحه ولكن قام اخوه والي حسن الاخذ بثأره واخذ عدة مدن فحاربته الجيوش السلطانية واكرهته اخيراً ان يرمي سلاحه وعين والياً في الهشناق فسار اليها في اخلاط جنوده حيث بادوا في حربهم مع المجر والنمسا . وعصى ايضاً والي القرم فارسل السلطان اليه ابراهيم باشا الذي كان محافظاً على تخوم المملوكة فنكل باهل القرم واخرب بلادهم . وعقب ذلك ثورة الفرسان في القسطنطينية طالبين النعوض عما فاتهم من اقطاعاتهم في الاناضول بسبب ثورة قره يازيجي واخيه والي حسن وحاولوا نهب ما في المساجد من التحف الذهبية والفضية فاحمدت الدولة ثورتهم بواسطة

الانكشارية . وفي يوم ١٦ رجب سنة ١٠١٢ هـ الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٦٠٣ م توفي السلطان محمد الثالث ابن السلطان مراد وعمره ٣٧ سنة ومدة حكمه ٩ سنين

٦٤٥ - السلطان احمد الاول ابنه محمد

من سنة ١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ او من سنة ١٦٠٣ - ١٦١٧ م

وبعد وفاة السلطان محمد الثالث تبوأ كرسي الخلافة ابنه السلطان احمد الاول ولم يكن له من العمر سوى ١٥ سنة . وكان له أخ يسمى مصطفى فلم يشأ أن يفتله كما جرت عادة بعض اسلافه . وبعد ارتقائه مسند الخلافة ببضعة أشهر توفي وزيره الاول فلم يبق عوضاً عنه من الوزراء المقيمين بدار الخلافة بل بعث الى مراد باشا بكرك بك المقيم بمصر وكان شيخاً مسنناً ذا دراية وحذق وامانة خارقة العادة فحضر واستلم زمام منصبه الرفيع . ثم أخذ السلطان احمد في اقام ما كان قد شرع فيه سلفه من حرب الاعجام واصدر الاوامر في التجهيزات اللازمة وارسل جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا فانصر على العجم في اول الامر ولكنه تواني اخيراً وعاد من غير طائل فغضب السلطان عليه واراد قتله ثم عفا عنه . وكان السلطان قد ارسل تحت قيادة علي باشا جيشاً لمحاربة المجر فمات في اثناء الطريق فميت مكانه محمد باشا المذكور . وكان السبب في هذه الحرب لا طائل فتحته . ثم سعى مراد باشا بين السلطان والمجر في الصلح على مدة عشرين سنة وتكررت الحرب بين الدولة والامبراطور روداف ملك المانيا تحت شرط ابطال دفع الحزبة التي كانت دولة النمسا تدفعها سنوياً للدولة وانه من ذلك اليوم قصاعد تكون التحارير التي ترسل من السلطان الى الامبراطور المذكور حاوية شعائر الوداد والاعتبار المتبادل ككتابة الاخ لاختيه وان يقام سفراء من العارفين في عاصمة كل من الدولتين وجرت العادة على ذلك من ذلك اليوم . ثم عقدت مثل هذه المعاهدات مع دولة فرنسا وكان ذلك سنة ١٦٠٦

ثم سعى السلطان احمد في قطع دابر البغاة الذين عصوا الدولة في ايام والده وايامه أيضاً منهم حسين باشا الذي كان والياً على الحبشة وقرة سعيد وجان بولاد حاكم الاكراد وامير فخر الدين الذي كان حاكماً على جبل لبنان وغيرهم من الخوارج فبعث بمراد باشا مع جيش عظيم فبدد شملهم وقبض على بعضهم وقتلهم وامتزع منهم ما كانوا يستملكونه من البلدان بطريق التعمدي والطفانيان

وفي بداية سنة ١٦١١ م امر السلطان مراد باشا ان يقود الجيوش لمحاربة الاعجام فامتلأ امر سيده كرهاً واخذ نصوح باشا اول معاون حرب معه . وكان مراد باشا لا يؤمل بهزيمة فائدة من هذه الحرب ولذلك سار سيراً بطيئاً فبعث نصوح باشا برسالة سرية الى السلطان احمد بها يقول له ان مراد باشا نظراً لشيخوخته لم يعد يصلح لركوب الاخطار ومشقات الحروب وبها لمع للسلطان انه هو يكون اصلح امثل ذلك اما السلطان فاذا كان يجب مراد باشا لاماته ونشاطه بعث اليه برسالة لطيفة العبارة وضمنها رسالة نصوح باشا وفوض اليه ان يفعل به ما يشاء . ولما وُفد مراد باشا على الرسالة المشار اليه استحضر نصوح باشا واطلعه عليها وعلى رسالة السلطان مولاهما فارتعدت فرائص نصوح باشا عند ذلك . علي ان مراد باشا عامله معاملة الاب لابنه وقل « اني قد طعنت في السن ولا عدت اصلح حسب زعمك لركوب الاخطار وما انني قد تنازلت لك عن منصبى السياسي والحربي معاً » ووجه قيادة الجيش وكتب الى السلطان بذلك وانسحب الى بلاد ديار بكر حيث قضى باقي ايامه ومات هناك بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر وله من العمر ٧٩ سنة . اما نصوح باشا فتقدم لمحاربة الاعجام واستظهر عليهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب الشاه عباس والتجأ ببعض الجبال وارسل يطلب الصلح فاجابه نصوح باشا الى ذلك بعد ان اشترط عليه ان يخطب للسلطان احمد في جوامع بلاد المعجم وان تدفع الدولة الفارسية مصاريف الحرب وتقوم بترجيع الحسارة التي احدثتها في بلاد الدولة العثمانية . فعلى هذا الوجه تمت المصالحة وانسحبت العساكر الشاهانية من تلك البلاد . غير انه في سنة ١٦١٦ هـ نكث شاه المعجم تلك العهد

ولم يف بالشروط ففتحت الحرب ثانية بين الدولتين واستولت الجيوش العثمانية على بعض القلاع بعد حصار شديد ثم تأخرت من كثرة الثلوج والبرد وهلك منهم جانب عظيم واضطرت الدولة ان تنعهد للشاه عباس بترك كل ما فتحته من بلاد العجم من عهد السلطان سليمان الاول . واعتفى السلطان احمد كثيراً بالحرمين واصلاح مآثر كثيرة بمكة والمدينة وارسل هدية لقبر النبي فصين من الماس قيمتهما على ما قيل ثمانون الف دينار فوضعا فوق الكوكب الدرري وهو مسمار من الفضة في الجدار . وكان لا يفتر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات ومن آثاره في القسطنطينية الجامع المعروف باسمه له ست منارات حسنة الوضع . وفي يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧ م توفي السلطان احمد الاول بعد ان اوصى بالخلافة من بعده لاختيه مصطفى لصغير سن ابنه عثمان

٦٤٦ - السلطان مصطفى الاول ابنه محمد

من سنة ١٠٢٦ - ١٠٢٧ هـ او من سنة ١٦١٧ - ١٦١٨ م

فاقام القوم بحق الوصية وبايعوا اخاه السلطان مصطفى الاول ابن محمد ولكنه لم يلبث في الملك الا ثلاثة اشهر تقريباً ثم عزله ارباب الغايات من اركان الدولة في اول ربيع الاول سنة ١٠٢٧ هـ الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٦١٨ م

٦٤٧ - السلطان عثمان الثاني ابن احمد

من سنة ١٠٢٧ - ١٠٣١ هـ او من سنة ١٦١٨ - ١٦٢٢ م

وانصبوا مكانه السلطان عثمان الثاني ابن السلطان احمد الاول ولم يكن له من العمر اذ ذاك سوى ١٢ سنة . وكان عمه السلطان مصطفى قد اعتقل في السجن سفير فرنسا وكاتب سره وترجمانه بسبب ان كاتب السفارة ساعد احد اشراف بولونيا على الفرار من السجن الذي كان فيه واوشكت نار الحرب ان تضطرم بين فرنسا والدولة العلية فلما تبوأ

السلطان عثمان نخت المملكة اخرج السفير وترجمانه وكتبه من معتقلهم وارسل حسين جاوش مندوباً من قبله الى ملك فرنسا يعتذر عما حصل فانحسنت بذلك النازلة وفي هذه الاثناء تداخلت بولونيا في شؤون امارة البغدان فاتخذ السلطان عثمان هذا التداخل سبباً في اشهار الحرب على مملكة بولونيا وتحقيق امنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلاً بين املاك الدولة العلية ومملكة روسيا واراد ان يهد لذلك بالتجسس من بعض علائق داخلية فانقص ما كان للمقي من السلطة في تعيين اصحاب المناصب وعزلهم وقصرها على الافناء فقط لئلا من شر دسائسه لئلا يعزله كما عزل عمه السلطان مصطفى فكان الامر بخلاف ما تمنى كما ستراه ان شاء الله تعالى ثم سير الجيش لمحاربة ملك بولونيا وهاجم العثمانيون البولونيون في عدة حصون لكنهم ارتدوا خامسين وطلب الانكشارية الكف عن الحرب . فاضطر السلطان عثمان ان يعقد الصلح مع البولونيون فتم ذلك في يوم ٦ اكتوبر سنة ١٦٢٠ م وعاد السلطان الى القسطنطينية وقد اخذ منه الخلق على الانكشارية كل مأخذ لعدم سماعهم اوامره ولمعارضتهم له وعزم على الفتك بهم وافنائهم وارسل يمشد جيوشاً في اسيا وينظمها ويدربها على القتال ليسهل له بواسطتهم ما اراد من ملاشاة الانكشارية . ودرى الانكشارية بذلك فهاجوا وماجوا واتفقوا على خلع السلطان ونسب لهم ذلك بعد موافقة المفتي في يوم ٩ رجب سنة ١٠٣١ هـ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٦٢٢ م

١٦٢٨ - السلطان مصطفى الاول ابن محمد (ثانية)

من سنة ١٠٣١ - ١٠٣٢ هـ او من سنة ١٦٢٢ - ١٦٢٣ م

واعادوا الى الملك السلطان مصطفى الاول الذي تقدم خبرخلعه ولم يكتفوا بذلك بل حملتهم الجسارة والتجعة على ارتكاب فظيعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدولة العثمانية فانهم ادخلوا السلطان عثمان الى القلعة المعروفة بحصن سبعة الابراج وقتلوه وصارت الحكومة بعد ذلك العوبة في ايدي الانكشارية فكانوا ينصبون من يشاؤون ويولون المناصب من اجزل لهم المواهب واصبحوا فوضى ليس لهم وازع ولا رادع وسرت عدوى هذا الوباء الى سائر ولايات المملكة واشهر بعض الولاة الانتفاض على السلطنة

والاستقلال بولاياتهم . وسمعت نفوس اهل الاستانة هذه الاحوال . فقرروا بهم
اخيراً على تولية علي باشا كآنكش منصب الصدارة العظمى فاشار بعزل السلطان
مصطفى ثانية لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في ١٥ ذي القعدة سنة ١٠٣٢ هـ
الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٢٣ م وولوا مكانه السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول

٦٤٩ - السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول

من سنة ١٠٣٢ - ١٠٤٩ هـ ومن سنة ١٦٢٣ - ١٦٤٠ م

وكان عمره اذ ذاك ١٥ سنة ومع ذلك كان ذا عقل ثاقب تلوح عليه علامات
الشجاعة وقوة الجنان والقلب وحسن المستقبل . وكانت الدولة يومئذ في احتياج عظيم
الى رجل فيه اللياقة والكفاءة لادارة مهامها اذ باتت في خطر عظيم من قرد الانكشارية
والعصيان في الداخل وفي الخارج . وكان الشاه عباس ملك العجم قد انتهم فرصة هذه
الارتباكات وسطا على املاك الدولة العلية قاصداً التهامها . واخذ خانات التتر ايضا في
نواحي القرم وازوف يتعدون على حدود الدولة ويوقعون فيها الساب والنهب . وبالجملة
نقول ان السلطان مراداً عندما تبوأ مسند الخلافة كان في مركز صعب جداً لا سجا
وهو صغير السن . فاخذ يسعى في سد الاختلال الواقع في كل الجهات فابتدأ اولاً في
استئصال دابر العصاة الذين كانوا سبباً لقتل اخيه السلطان عثمان وبردع تعديات التتر
وعصيان وكلاء الدولة في اسيا وبعد ان اهدأ الشائنة ارسل جيشاً سنة ١٦٢٤ م
بقيادة حافظ باشا الصدر الاعظم لقتال العجم واسترداد مدينة بغداد التي كانوا قد
قد استولوا عليها من زمن غير بعيد . فسار حافظ باشا الى بغداد وحاصرها وضيق عليها
مدة الا انه لم يبل منها مارباً فتدمر الانكشارية وامتنعوا عن الحرب حتى اضطر الصدر
الاعظم الى رفع الحصار والرجوع الى الموصل ثم الى ديار بكر حيث ثار الجنود ثانية
فعزل السلطان حافظ باشا الصدر الاعظم وولى مكانه خليل باشا . وكان اباطله باشا
والي ارضروم قد اظهر الانتقاد والعصيان فسار خليل باشا اليه وحاصره فلم يقوَ عليه
فعزله السلطان واقام مكانه خسرو باشا فسار هذا الى ارضروم وداخل اباطله باشا في
سلك الطاعة ونصبه والياً في البشناق سنة ١٦٢٨ م

وفي هذه الاثناء توفي الشاه عباس وتولى مكانه ابنه الشاه ميرزا وكان صغير السن فسار خسرو باشا الى العجم طامعاً ان يستولي عليها وبلغ الى مدينة همدان فدخلها فجأة سنة ١٦٣٠ م ثم قصد بغداد وبعد ان انتصر في طريقه ثلاث مرات على جيوش العجم بلغ الى بغداد وحاصرها ودافع عنها قائد حاميتها دفاعاً شديداً واضطر خسرو باشا ان يرفع الحصار عنها لقرب فصل الشتاء وان يرجع الى الموصل . و اراد في الربيع العود الى بغداد فلم يمثل جنوده امره فسار الى حلب خوفاً من مهاجمة الاعداء له في الموصل وهو غير واثق بجنوده فعزل السلطان خسرو باشا عن منصبه واقام به حافظ باشا . فظهر خسرو باشا لجنوده انه لم يعزل الا لانه رفق بهم وطوعهم على ما يرغبون فثاروا وارسلوا الى الاستانة يطلبون بقاءه في منصبه ولما لم يجبههم السلطان الى ذلك ساروا الى الاستانة وقاموا سنة ١٦٣٢ م بثورة كبرى خيف منها على حياة السلطان وقتلوا حافظ باشا الصدر الاعظم الجديد فاغتاز السلطان لوقاحتهم وامر بقتل خسرو باشا لاعتماده انه سبب هذه الفتنة

ولي السلطان في منصب الصدارة بيران محمد باشا ومن ذلك الوقت اخذ السلطان مراد يظهر شديد العزم والقسوة في مجازاة رؤساء الانكشارية وغيرهم من الملقين العائين ويأمر بقتل كل من ثبت عليه الاشتراك في ثورة او فتنة فتوات مهاينة القلوب وخشيته الاكبر والاصغر وأمن الناس على نفوسهم واموالهم من التعدي واستتبت الراحة بالاستانة وسائر انحاء المملكة . وفي سنة ١٦٣٥ م سار السلطان مراد بنفسه الى بلاد العجم ففتح مدينة روان وتبريز وعاد الى الاستانة فتغلب العجم ثانية على روان سنة ١٦٣٦ م فسار السلطان ثانية في جيش كثيف قيل بلغ ٣٠٠ الف مقاتل وحاصر مدينة بغداد اباماً طويلة وافتتحها عنوة بعد ان هلك نحو ٢٠ الفا من جيش العجم ونحو ثلث جيشه وعاد الى القسطنطينية تاركاً كبير وزرائه للخبايا بشأن الصلح . وفي سنة ١٦٣٩ م تفررت شروطه تحت ارجاع مدينة روان للعجم وبقاء بغداد لدولة آل عثمان واقام فيها وزير . وقد اكرت الناس من نظم الاشعار في فتح بغداد فن ذلك قول بعضهم

خليفة الله مراد غزا قلعة بغداد فارداها

وعند ما حاصرها جيشه اندك للأسفل اعلاها

واعاد السلطان مراد الى الدولة العلية سابق هيبتها وسطوتها الا ان المنون لم تمسه طويلاً اذ قصفت عود حياته الرطيب وهو في مقتبل الشباب فتوفي يوم ١٦ شوال سنة

١٠٤٩ هـ الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ م وسنه ٣١ سنة ومدة حكمه ١٦ سنة واشهرًا

٦٥٠ - السلطان ابراهيم الاول ابن احمد

من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ او من سنة ١٦٤٠ - ١٦٤٨ م

وتولى بعده اخوه السلطان ابراهيم الاول ابن احمد ولم يكن تولى منصبًا في الدولة كغيره من السلاطين بل عاش بين الحرم ولم يكن ميالًا للحرب فاعز الى امير ترانسلفانيا ان لا يحرك ساكنًا يثير النمسا . لكنه كان شديد الوطأة علي من يتعدى على شرف الدولة ولذلك لما سطا القوزاق سنة ١٦٤٢ هـ على مدينة ازوف واحتلوها ارسل اليهم جيشًا لكل بهم واسترد المدينة من ايديهم بعد ان كانوا قد احرقوها . وجيز اسطولًا عظيمًا وسيره بقيادة يوسف باشا لفتح جزيرة كريت من يد البنادقة لانهم قبضوا على اغاث السراري (فيزلراغامي) وزوجته وابنه وقتلوا اغاث السراري واعتقلوا امرأته ونصروا ابنه وربوه تربية مسيحية وكان السلطان ابراهيم مغرمًا بامرأة اغاث السراري هذه فلما بلغه الخبر جهز الاسطول وسيره فاقلع الاسطول من الاستانة باحتفال عظيم ولما وصل الى الجزيرة القت سفنه مراسيها امام مدينة خانيا في ٢٩ ربيع الاخر سنة ١٠٥٥ هـ الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٦٤٥ م فاستحوذ العثمانيون على المدينة المذكورة لتأخر سفن البندقية عن الوصول اليها في الوقت المناسب . فلما علم البنادقة بهذا الاعتداء حملوا على املاك الدولة في بلاد اليونان فاحرقوا بتراس وكورون ومودون بالمورة . ويقال ان السلطان ابراهيم اراد في مقابلة ذلك ان يهلك النصارى في مملكته فعارضه المفتي اسعد زاده ابو سعيد افندي في ذلك وقيل ان الفرنج حشوا هذه القصة في توار يخهم وليس لها اصل والله اعلم

وفي سنة ١٦٤٦ م فتحت عساكر السلطان ابراهيم اكثر الجزيرة وفي السنة التالية حاصرت مدينة كنديا عاصمة هذه الجزيرة فحال دون فتحها ثورة الجنود في الاستانة وتفصيل الخبر ان السلطان ابراهيم سئم من عسف جوقه الانكشارية لتذمرهم وانتقادهم اعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون المملكة فاراد ان يفتك برؤسائهم في ليلة زفاف احدي بناته فاعلموا بمقصد السلطان واثتمروا عليه واجتمعوا بمسجد يقال

له اوربطه جامع وانضم اليهم بعض العلماء والمفتي عبدالرحيم افندي . وهيجوا الانكشارية
وغيرهم من العسكر وقرر واجمعا عزله نتم لهم ما ارادوا وعزلوا السلطان ابراهيم يوم ١٨
رجب سنة ١٠٥٨ هـ الموافق ٨ اغسطس سنة ١٦٤٨ م

٦٥١ -- السلطان محمد الرابع ابنه ابراهيم

من سنة ١٠٥٨ — ١٠٩٩ هـ او من سنة ١٦٤٨ — ١٦٨٧ م

ونصبوا في كرسي الخلافة ابنه السلطان محمد الرابع ولم يكن له من العمر اكثر من
٧ سنوات وبعد عشرة ايام اظهرت العساكر عدم رضاها بما تم وطلبوا اعادة السلطان
ابراهيم الى حرش الخلافة فغشي رؤساء العصابة مما عساه ان يكون واسرعوا بسفك دم
السلطان ابراهيم برأ فراح شهيد المطامع والغايات . فوكت الفوضى في الدولة وصارت
الجنود لا ترحم صغيراً ولا توفّر كبيراً وسرت عدوى هذا الفساد الى الجنود الذين
كانوا محاصرين كنديا عاصمة كريت حتى اضطر قائدهم السركس حسين باشا ان
يرفع الحصار عن المدينة واتصل الخلل الى جميع الجنود البحرية حتى تمكن اسطول البنادقة
من الانتصار على الاسطول العثماني سنة ١٦٤٩ م واحتل البنادقة بنندوس وبنوس
وغيرهما من الجزر والثلثور ومنعوا السفن الحاملة المؤن من الوصول الى الانستانة فغلت
الاسعار واستقرت هذه الحال الى ان قيسض الله ان يتولى منصب الصدارة محمد باشا
كو برلي وكان رجلاً مسناً حاذقاً ذا اختبار لان طول الايام علمه مالم يعلم غيره .
وحالما استلم عنان مأموريته شرع في سد الخلل الذي كان قد اوقع الدولة في الانحطاط
وعامل الانكشارية بالقسوة وقتل منهم خلقاً كثيراً عند ما ثاروا كعادتهم فخدمت
جدوة تعديهم وعنتهم . وارسل سنة ١٦٥٧ م اسطولاً لمحاربة سفن البنادقة المحاصرة
للدردايل فحاربها ولم يتح الله حينئذ النصر للعثمانيين ولكن بعد ان توفي موشنجو قائد
الاسطول البندي انتصر الاسطول العثماني واسترد من البنادقة ما اجتلوه من الجزر والثلثور
واراد الوزير ان يجعل حكم سيده ذا شهرة واعتبار فاخرجه الى عالم الشهرة وجهز
جيشاً وأشار على السلطان ان يأخذ قيادته وبذهب به الى دلماتيا لمحاربة اهل البندقية .
فذهب السلطان الى مدينة ادرنة ليستلم قيادة الجيش سنة ١٦٥٨ م واقام محمد باشا

بمنصبه بالعاصمة . وبعد وصول السلطان الى ادرنة ببضعة شهور حدثت ثورة عظيمة في نواحي حلب والموصل بدسيسة ابراهيم باشا واليها وذلك ان رجلاً ادعى انه ابن السلطان مراد الرابع وسمي نفسه بايزيد زاعماً انه نجا من القتل عند ما أمر بقتله وعضده جمهور غفير فبعث محمد باشا بجيش صغير لمحاربة ذلك المدعي زوراً ولاطفاء نار الثورة فانكسر الجيش ولم يثبت فاضطر الى اعادة الجيش الذي ذهب به السلطان الى ادرنة وارسل كل قوة الدولة لاختاد نار العصاة فانهمزم المارعي المذكور وتمزق جمعه ونفرق ثم قبض عليه في الاسكندرية مع ابراهيم باشا الذي كان سبباً في ذلك وقتلا وعادت الراحة الى الدولة . وفي سنة ١٦٥٨ م انتفض راکوتزكي صاحب ترانسلفانيا على الدولة وحارب جنودها وظهر عليهم فسار اليهم محمد باشا كوبرلي الصدر الاعظم فقمعه وطرده من البلاد ونصب مكانه والياً شارطاً عليه ان يدفع كل سنة ٤٠ الف دوك . ثم انتفض امير الفلاخ ايضاً واتحد معه امير ترانسلفانيا المذكور فعاد اليهما الصدر الاعظم وانتصر عليهما نصراً ميبهاً وبينما كان محمد باشا كوبرلي الصدر الاعظم راجعاً من هذه الحرب دهمته الوفاة في ادرنة سنة ١٦٦١ م . وحزن السلطان جداً لفقدته فاقام مكانه ابنه احمد فاضل باشا وكان كاييه في الذكاء والحنق فسلك مسلك ابيه في تحسين امور الدولة ونجاحها . وكاشفته دولة النمسا وجمهورية البندقية بالصلح فاباه وقاد الجيوش بنفسه لمحاربة النمسا وحاصر قلعة ثمغرل ومع حصانتها ومناعتها اكره احمد باشا حاميتها على التسليم بشرط خروجهم منها سالمين وتركهم فيها كل ما كان عندهم من السلاح والذخائر واخلوها فعلاً في ٢٥ صفر سنة ١٠٧٤ هـ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٣ م . فارتاعت دول اوربا من سطوة العثمانيين ولا سيما ليوبولد ملك المانيا واستغاث بالبابا اسكندر السابع سائلاً اياه ان يرسل لوليس الرابع عشر ملك فرنسا لينجده فوافع البابا الى ملك فرنسا بذلك فارسل اليه ستة آلاف جندي افرانسي و٢٤ الفاً من محالفيه الالمانيين بقيادة الكونت كولينى . وانضم هؤلاء الى الجيش النمساوي وتسعرت نار الحرب فانتصر العثمانيون اولاً واحتلوا بعض المدن ولكن انتصر عليهم اخيراً القائد النمساوي العام مونتيكوكولبر سنة ١٦٦٤ م فاجمعوا جميعاً على عقد الصلح وقبل ليوبولد ذلك بمزيد الفرح سنة ١٦٦٥ م

وكان السلطان محمد الرابع قد جعل دار اقامته من سنة ١٦٥٨ م مدينة ادرنة كما كان قد اشار عليه وزيره السابق فتدمر اهل القسطنطينية لسبب غيابه منها واظهروا

عدم الرضاء فاشار عليه وزيره احمد باشا بالرجوع اليها فعاد ولم يلبث الا اياماً قلائل حتى عاد الى مكانه بحجة طلب الصيد والقنص لانه امسى يخشى غدر المفسدين كما غدروا قبلاً بسلفائه . وفي سنة ١٦٦٨ م ذهب احمد باشا الصدر الاعظم الى كريت لانجاز امر الحرب هناك وافتتاح ما كان باقياً في ايدي مشيخة البندقية . فارسلت المشيخة المذكورة تستعين بدول الفرنج فانجدهم الفرنسيون والبابا وسائر دول ايطاليا وفرنسا مالطة فلم يأت كل ذلك بادنى فائدة بل فتح العثمانيون الجزيرة بعد حرب شديدة وبعد ان اقام الصدر الاعظم فيها المحافظين وبني ما كان قد تهدم من حصونها وابراجها قفل واجمعا بباقي الجيش الى العاصمة سنة ١٦٧٠ م

وفي سنة ١٦٧٢ م فتحت الحرب ثانية في المانيا وبولونيا ودامت الى سنة ١٦٧٥ م وكانت تارة لهم وتارة عليهم . وفي السنة نفسها توفي الصدر الاعظم احمد باشا فخرن السلطان لفقده لانه كان من افضل الوزراء الذين قاموا في دولة آل عثمان الى ذلك العصر . فخلفه قره مصطفى باشا ولم يكن في السطوة دون سلفه علي انه كان بينه وبين ذاك بون عظيم في الحدق والدراية فوقع بينه وبين قوزاق اوكرينية نفور افضى الى حمل السلاح فطلب هؤلاء الاعانة من دولة روسيا فلبت دعوتهم ووقعت الحرب سنة ١٦٧٨ م فغار القوزاق والروسيون على العثمانيين ولما بلغ السلطان محمداً ذلك خرج بنفسه الى ساحة القتال فلم يأت خروجه بالمرغوب ولما رأى وزيره تلك الحال خامره الخوف والوجل وكان القيصر الروسي قد عرض عليه الصلح فقبل به حالاً

وفي سنة ١٦٨١ م سار هذا الوزير الى المجر قاصداً محاربة النمسا وبعد ان انتصر على عساكرها قصد مدينة فينا عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٦٨٣ م واستحوذ على قلاعها الخنازرجية وهدم اسوارها بالمدافع ولم يبق عليه للتسعة الفتح الا المهاجمة الاخيرة اذ اقبلت طلائع سويساسكي ملك بولونيا وقد انضم اليه جماهير غفيرة من اقطار المانيا كبافاريا وسكسونيا وغيرها وهجموا دفعة واحدة على صفوف العساكر العثمانية واشتبك بينهما قتال هائل دام من الصباح الى المساء حتى تخلصت الارض بالدماء وتغطي كبد السماء من الدخان وقد فعل سويساسكي وجهه وفعلاً تكل عنها صناديد الرجال وقاومت العساكر العثمانية مقاومة الاسود ولكن اضطر اخيراً مصطفى باشا ان يطلب الفرار وتشتت جيشه في تلك البراري والقفار بعد ان هلك منهم خلق كثير . ولما عاد مصطفى باشا الى بلغراد اخذ الناس وقواد العساكر يثمدون عليه ويطلبون قتله اذ كان

هو السبب في ذلك الانهزام فامر السلطان بقتله واقيم مكانه قره ابراهيم باشا وبعد انهزام العثمانيين في وقائع فيينا تألبت النمسا والبندقية وبولونيا وروسيا على محاربة الدولة العليسة وزحفت عساكر الدول المتحدة على المملكة العثمانية من كل صوب فسارت عساكر سويسياكي ملك بولونيا نحو بلاد البغدان وسفن البندقية ومالطة الى بلاد اليونان والمورة فاحتلت جيوش البنادقة اكثر مدن اليونان سنة ١٦٨٦ م . وزحفت عساكر النمسا الى المجر فاحتلت عدة حصون وقلاع سنة ١٦٨٥ م . فعزل السلطان ابراهيم باشا الصدر الاعظم ونفاه الى جزيرة رودس وولى مكانه السر عسكر سليمان باشا . وكان مشهوراً بشجاعته وحسن تدبيره ولكن تعسر كثيراً عليه انهاض الدولة بعد هذا التمهقر . وكانت جيوش النمسا بقيادة الدوك دي لورين الشهير وهو في ذلك الوقت محاصر لمدينة بودا فاسرع سليمان باشا لانقاذ المحصورين بمدينة بودا فلم يتمكن من رفع الحصار عنها بل دخلها الدوك دي لورين سنة ١٦٨٦ م وقتل حاكمها واربعة آلاف من جنوده فخرجت هذه المدينة من املاك الدولة الى اليوم وجمع سليمان باشا من بقايا الجنود العثمانيين جيشاً مؤلفاً من ٦٠ الف جندي يعززهم ٧٠ مدفعاً وصرف مدة الشتاء في تدريب العساكر وتجهيز المعدات ثم هاجم عساكر الدول المتحدة في سهل موهاكر في ٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (١٢ اغسطس سنة ١٦٨٧ م) واشتد القتال فانهمز العثمانيون وغنم الفرنج مدافعهم وسلاحهم وذخائرهم واحتلوا اقليم ترانسلفانيا وعدة قلاع من غرواسية . ولما بلغ خبر هذا الاندحار الى الاستانة هاج الجنود الباقون بها وارسلوا الى بقايا عسكر سليمان باشا ان يثوروا عليه فناروا ولولا فراره الى بلغراد لقتلوه . ثم ارسلوا وفداً الى الاستانة يطلبون من السلطان ان يأمر بقتل سليمان باشا فامر بقتله اخمداً الثورتم وتقادياً من حقنهم وخيف على المملكة من الداخل والخارج فقرّر بعض الوزراء والعلماء خلع السلطان محمد الرابع فخلعوه في يوم ٣ محرم سنة ١٠٩٩ هـ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ م بعد ان حكم ٤٠ سنة قرابة وخمسة اشهر . ثم توفي معزولاً سنة ١١٠٤ هـ الموافقة ١٦٩٣ م



٦٥٢ - السلطان سليمان الثاني ابن ابراهيم

من سنة ١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ او من سنة ١٦٨٧ - ١٦٩١ م

وبايعوا بالخلافة بعده السلطان سليمان الثاني ابن السلطان ابراهيم الاول فكان مبدأ حكمه مشوشاً من الداخل ومن الخارج . ولما رأى السلطان تلك الحال والاختار المهددة بالدولة بعث الى حكومتي النمسا والبندقية يطلب اليهما الصلح فلم يجيباه الى طلبه فاضطر الى دفع القوة بالقوة وعزم ان يقود الجيش بنفسه . ولما وصل الى بلغراد خاف ان يتقدم اكثر من ذلك لجهله فن الحرب فولى قائدًا خلفه سنة ١٦٨٩ م فكسره الفرنج وشتوا جيشه . وتولى الصدارة يومئذ مصطفى باشا كوبرلي المشهور وكان قد ورث من ابيه وجده جرأتها الحربية والسياسية فأخذ قيادة الجيش وانصرف الى النمسا سنة ١٦٩٠ م وسنة ١٦٩١ م واستخلص منها بلغراد واماكن اخرى كانت ربتها قبل ذلك . ومن جهة اخرى كانت الاعلام العثمانية فائزة ايضا في البندقية . وفي اثناء ذلك توفي السلطان سليمان الثاني في يوم ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ هـ الموافق ٢٣ يوليو سنة ١٦٩١ م عن غير عقب بعد ان حكم ثلاث سنوات وثمانية اشهر

٦٥٣ - السلطان احمد الثاني ابن ابراهيم

من سنة ١١٠٢ - سنة ١١٠٦ هـ او من سنة ١٦٩١ - ١٦٩٥ م

فارلى كرسي الخلافة بعده اخوه السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم الاول فابق الصدر الاعظم على منصبه لاعتماده عليه في التدبير والحرب على ان المنية عاجلت هذا الوزير الخطير فتوفي في ١٨ اغسطس سنة ١٦٩١ م في ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية فكانت وفاتهما كبرى على الدولة لعدم كفاءة عريه جي علي باشا الذي اخلفه في منصب الوزارة . ولم يحدث في ايام هذا السلطان شيء يستحق الذكر سوى احتلال البنادقة جزيرة ساقس سنة ١٦٩٤ م . ثم توفي السلطان احمد الثاني في يوم ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠٦ هـ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٩٥ م بعد ان حكم ٤ سنين و ٨ اشهر

٦٥٤ - السلطان مصطفى الثاني ابن محمد

من سنة ١١٠٦ - سنة ١١١٥ هـ او من سنة ١٦٩٥ - ١٧٠٣ م

فتولى بعده السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع . وكان السلطان مصطفى شجاعاً ثابت الجأش فاعلن بعد سلطنته بثلاثة اشهر رغبته في ان يقود الجيش بنفسه لمحاربة بولونيا وسار اليها مستعيناً بفرسان القوزاق والتصر على البولونيين في عدة وقائع وبلغ الى مدينة لمبرج وكانت في غاية المناعة فلم ييسر له حربها . وحارب ايضاً بطرس الاكبر قيصر روسيا اذ كان محاصراً مدينة ازوف ببلاد القرم واضطره الى رفع الحصار عن هذه المدينة سنة ١٦٩٥ م ولكن تغلب عليها القيصر سنة ١٦٩٦ م ولم تنزل تابعة لروسيا

ثم اغار السلطان مصطفى بجيوشه على بلاد المجر وفتح بعض حصونها وانتصر على قراني قائد جيوش النمسا وقتل من جيشه ٦ آلاف واخذه اسيراً الا ان الامير اوجان دى سافوا الذي تولى قيادة جيوش النمسا سنة ١٦٩٧ م دهم الجنود العثمانية عند عبورهم احد الانهر فقتل منهم خلقاً كثيراً وفي حملتهم محمد باشا الصدر الاعظم وغرق منهم كثيرين في النهر ثم تتبع الامير اوجان الباقين ودخل بلاد البشناق فاتحاً . واقام السلطان في منصب الصدارة حسين باشا كوبرلي فاوقف الامير اوجان عن التوغل باملاك الدولة بل اجبره على التقهقر وترك بلاد البشناق . واستند قائد الاساطيل العثمانية جزيرة ساقس بعد انتصاره في موقعتين على اساطيل البندقية ثم تدخل لويس الرابع عشر ملك فرنسا في اصلاح ذات البين بين المتحاربين وبعد تغبرات طويلة تم عقد الصلح بين الدولة العلية والنمسا وروسيا والبندقية في معاهدة كارلوفتش في ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩ م وكان من شروط هذه المعاهدة ان تخلى الدولة العلية عن بلاد المجر برهتها وعن افليم ترانسلفانيا للدولة النمسا وان تنزل عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا وان ترد الى مملكة بولونيا بعض المدن التي كانت قد تملكتها . وتخلت للبندقية عن المورة وافليم دلماسيا على البحر الادرياتيكي تخسرت الدولة بهذه المعاهدة قسماً كبيراً من املاكها باوربا وازدادت مطامع الدول الاوروبية ببلادها . وفي سنة ١٧٠٢ م استقال حسين باشا كوبرلي من منصب الصدارة فعين السلطان مكانه مصطفى باشا وهذا كان ميالاً للحرب وغير راضٍ عما تم عليه الاتفاق مع دول الفرنج وعزم ان يخرق معاهدة

كارلوفتش المذكورة وان يثير الحرب علي النمسا . ولما شعر اعيان المملكة وجنودها بمضار هذه السياسة وما تسببه من تألب دول اوربا على الدولة العلية ثانية سألوا السلطان عزله فعزله وعين مكانه رامي محمد باشا فسار على خطة حسين باشا كوبرلي وطلق يبطل المفاسد ويعاقب اصحاب الرشوات ويمنع المظالم فنار عليه الانكشارية وسألوا السلطان عزله فلم يجهمهم الى ما طلبوا وارسل لقمهم فرقة من الجنود فانضموا الى الثائرين وخلعوا السلطان مضطئ في الثاني في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ هـ الموافق ١٥ اغسطس سنة ١٧٠٣ م . وكانت مدة حكمه ٨ سنوات و ٨ اشهر

٦٥٥ - السلطان احمد الثالث ابنه محمد

من سنة ١١١٥ - ١١٤٣ هـ او من سنة ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م

واقاموا بعده اخاه السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع . ولما تبوأ هذا السلطان . مسند الخلافة كان السلام سائداً في جميع انحاء الدولة العلية . وكانت يومئذ الحرب قائمة على ساق وقدم بين بطرس الاكبر قيصر روسيا وكارلوس الثاني عشر ملك اسوج ودامت الحرب بينهما الى سنة ١٧٠٩ م حين افكسر اخيراً كارلوس المذكور في معركة بليتوفا وفاز عليه بطرس الاكبر فانهمز ودخل حدود الدولة ونزل في بندر . فامر السلطان وقتئذ بان يكرم غاية الاكرام وان تكون مصاريف كل تبعته من خزينة الدولة . اما كارلوس فاخذ يطلب من السلطان نجدة . لقتال القيصر الروسي فلم يجبه الى ذلك نظراً للماهدة التي كانت بين الدولتين ولكن لمداومة كارلوس الالحاح على هذا الطلب ولشهرته القائمة التي نالها في بلاط السلطان حتى كانت ام السلطان تميل اليه وتلقبه بالاسد اعتمدت الدولة اخيراً على اجابة طلبه وشهرت الحرب على روسيا سنة ١٧١١ م وارسلت جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر يزوث وبعد كفاح شديد تفقر جيش القيصر وامسى الامبرطور في خطر مبین ولولم تدارك الامر زوجته كاترينا بحذقها ودرايتها لاصبح زوجها اسيراً ولكنها

بذات كل مرتخص وغال في ارضاء خاطر الوزير العثماني الذي لما امتلأت يده من الاصفر الوهاج رفع الحصار عن القيصر واكتفى بتوقيع القيصر على معاهدة فلكرن التي تجلّى بمقتضاها عن مدينة ازوف وتعهد بان لا يتدخل في شؤون بولونيا . ولو اخلى الوزير لنال من القيصر في هذه الفرصة ما هو اعظم من ذلك كثيراً ولذلك كاد كارلوس الثاني عشر ملك اسوج يتمزق غيظاً من عقد الصالح على هذه الشروط وسعى لدى السلطان بعزل الوزير عن منصبه وابعاده الى جزيرة لمنوس ففعل السلطان ذلك وولى الصدارة بعده يوسف باشا وهذا لم يكن ميالاً للحرب فوقع مع القيصر على معاهدة جديدة تقضي بهدنة مدة ٢٥ سنة فيئس عندئذ كارلوس الثاني عشر ملك اسوج من مساعدة الدولة له على روسيا وترك بلاد الدولة بعد ان اقام بها سنتين

وتولى في هذه الاثناء منصب الصدارة علي باشا داماد وكان ميالاً الى الحرب هائماً بان يرد الى الدولة ما أخذ من املاكها فانار الحرب على جمهورية البندقية فاسترد منها المورة وما كان باقياً لها من المدن في جزيرة كريت ولم يبق للبنداقية في بلاد اليونان الا جزيرة كورفو فاستنجد البنداقية بكارلوس الثالث ملك النمسا فاسرع لانجادم وطالب الى السلطان ان يرد عليهم كل ما اخذه منهم والاً فيكون امتناعه عن الاجابة اعلاناً للحرب فابى السلطان قبول ما اقترحه فتأججت نار الحرب وكان قائد جيش النمسا اوجان دي سافوا الشهير فاتصر على العثمانيين في ٥ اغسطس سنة ١٧١٦ م وقتل الصدر الاعظم لاقتحامه ساحة القتال بنفسه مؤثراً الموت مجاهداً على الانهزام واستحوذ جيش النمسا على عدة مدن عثمانية ودخلوا بلغراد في ١٩ اغسطس سنة ١٧١٧ م عنوة . ثم دارت المحابر بين الدولتين لمقد الصالح وتم ذلك وعقدت بينهما المعاهدة المعروفة بمعاهدة يشاروفتش ووقع عليها في ٢١ يوليو سنة ١٧١٨ م ومن شروطها ان تأخذ النمسا بلغراد وقسماً كبيراً من بلاد الصرب وقسماً من بلاد الفلاخ وان يبقى البنداقية محتلين ثغور دلماسيا وان تبقى المورة في حوزة الدولة العلية

واراد السلطان احمد ان يمتاض عما خسره من ولاياته باوروبا فانتز فرصة الاضطرابات التي حدثت في ذلك الوقت في بلاد المعجم لغارة الافغانيين بقيادة سلطانهم محمود بن ويس واستيلائهم على عاصمة المعجم ونزول الشاه حسين الصفوي شاهنشاه المعجم للسلطان محمود الافغاني المذكور عن كرسي المملكة فارسل جيشاً كثيفاً للاغارة على بلاد المعجم ودخل جيش الدولة بلاد ايران واستولى على مدن وقلاع اهمها همدان واروان وتبريز . ثم انتصر شاه طهماسب بن شاه حسين على اعداء ابيه وغب جلوسه على سرير الملك ارسل يطلب من السلطان ان يرجع الاملاك التي كان استولى عليها واذ لم يلتفت السلطان الى ذلك الطلب اغار الاعجام على تبريز واستولوا عليها

ولعدم ميل السلطان الى الحرب ورغبته في الصلح ثار الانكشارية واهاجوا الاهالي فاطاعوهم طمعاً بالسلب والنهب في ١٥ ربيع الاول سنة ١١٤٣ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٧٣٠ م وطلب زعيم هذه الثورة المدعو بترونا خليل من السلطان قتل المصدر الاعظم والمفتي واميرال اساطيل البحرية بحجة انهم مائلون لمسالمة المعجم فامتنع السلطان عن اجابة طلبهم ولا رأى منهم التصميم على قتلهم طوعاً او كرهاً فخوفاً من ان يتعدى اذاهم الى شخصه سلم لهم بقتل الوزير والاميرال دون المفتي فقبلوا واتقوا جيشهم الى البحر لكن لم يمنهم انصياع السلطان لطلباتهم من التطاول اليه بل جازاهم تساهله معهم على العصيان عليه جهاراً فاعلنوا استقاطه في مساء اليوم المذكور عن منصة الاحكام ونادوا بابن اخيه السلطان محمود خليفة واميراً للمؤمنين فنزل السلطان عن كرسي المملكة دون معارضة وعاش معزولاً الى سنة ١٧٣٦ . وفي ايام هذا السلطان دخل فن الطباعة في بلاده واسست دار الطباعة في الاستانة بعد اصدار المفتي الفتوى بذلك مشروطاً عدم طبع القرآن الشريف خوفاً من التحريف



٦٥٦ - السلطان محمود الاول ابنه مصطفى

من سنة ١١٤٣ - ١١٦٨ هـ او من سنة ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م

لما خلع الثائرون السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع اقاموا بعده ابن اخيه السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني ولما جلس هذا السلطان على كرسي الخلافة كان النشوء حينئذ لبطرنا خليل زعيم الثائرين يولي من يشاء ويعزل من يشاء على حسب اهوائه حتى عيل صبر السلطان واعتدى هذا الزعيم على بعض روساء الانكشارية فتألبوا للغدر به تخلصاً من شره فقتلوه ولم يقو محاربوه على الاخذ بشاره فعادت السكينة واستتب الامن

واستأنف السلطان محمود الحرب مع العجم وتغلبت الجيوش العثمانية في عدة مواقع على جنود شاه طهماسب المار ذكره حتى طلب الصلح فعقد بين الدولتين في ١٠ كانون الثاني سنة ١٧٣٢ م (الموافق ١٢ رجب سنة ١١٤٤ هـ او ١٠ يناير سنة ١٧٣٢ م) على ان يترك العجم للدولة العلية كل ما فتحته ما عدا تبريز واردهان وهمدان فلم يقبل نادرخان (صار فيما بعد نادر شاه وهو الفاتح الشهير وتجد ترجمته فيما يأتي بفصل ٧٤٢ ان شاء الله) اكبر قواد العجم هذا الصلح وقلب المجن لاشاه طهماسب وقصده بجيشه الى اصفهان وخلعه وولى مكانه ابنه عباساً القاصر واقام نفسه وصياً عليه وزحف الى المدن العثمانية حتى حصر مدينة بغداد . فامرع الوزير طوبال (الاعرج) عثمان باشا لكتبته فكانت عدة وقائع قتل في احداها عثمان باشا المذكور . واخيراً عقدت معاهدة صلح بين الدولتين في ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٣٦ م ومن شروطها ان تعترف الدولة العلية بأن نادر شاه ملك العجم وترد اليه ما اخذته منه وان تكون التتوم بين الدولتين كما تقررت في معاهدة سنة ١٦٣٩ م في عهد السلطان مراد الرابع

وبينا كانت الدولة العلية منشغلة في هذه الحرب انتهزت الروسيا الفرصة فاتفقت مع النمسا على اذلال بولونيا او ملاشاة دواتها تبعاً لسياسة بطرس الاكبر

وكان اوغست الثاني ملك بولونيا قد توفي سنة ١٧٣٣ م وانتخب اعيان المملكة ستاناسلاس ملكا عليها فاعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا واقامت اوغست الثالث ابن اوغست الثاني ملكاً على بولونيا ولم ينتخبه الشعب فاعلنت فرنسا الحرب على النمسا انصاراً للعدل ولبولونيا وسعت لدى الباب العالي لتحمل الدولة على مساعدة بولونيا في الدفاع حفظاً لهذا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا فلم يلق معتمد فرنسا اذناً صاغية لدى وزراء الدولة ولذلك تغلبت روسيا على ستاناسلاس واحتلت جنودها بولونيا . ولما شعرت النمسا بسعي فرنسا في الاستانة خافت عقد محالفة بين فرنسا والدولة العلية فيحبط مسعاها مع روسيا في بولونيا فاسرعت الى ارضاء فرنسا وأبرمت بينهما معاهدة في فيينا سنة ١٧٣٥ م وأخذت تنأهب للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة العلية واوعزت الى روسيا لتفتتح الحرب . فوجدت روسيا حجة لاعلان الحرب سنة ١٧٣٦ م واغارت جيوشها على بلاد القرم واحتلت الثغور التي على شاطئ البحر الاسود فكان ذلك داعياً للدولة الى الصلح مع نادر شاه العجم على شروط محجبة بحق الدولة

ولحسن حظ الدولة العلية تقلد منصب الوزارة في هذا الوقت الصعب رجل حنكه الدهر واشتهر بالسياسة وسمو المدارك وهو الحاج محمد باشا فحشد الجيوش واعد المعدات الحربية حتى استطاع في وقت وجيز إيقاف الروس عن التقدم في بلاد البغدان بل اضطرهم الى التقهقر وانتصرت الجنود العثمانية في جهة اخرى على عسكر النمسا الذي كان قد اغار على بلاد البشناق والصرب والفلاخ فتقهقر النمساويون الى ما وراء الدانوب سنة ١٧٣٧ حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا فعقد هذا الصلح في ٤٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ م بين الدولة العلية والنمسا وروسيا ووقعت هذه الدول على المعاهدة المعروفة بماهدة بلغراد ومن شرائطها ان تمنح النمسا للدولة العلية عن بلغراد وعما اعطي لها قبلاً من بلاد الصرب والفلاخ بتمتضي معاهدة كارلوفتش المار ذكرها وتعهدت روسيا بهدم قلاع ميناء ازوف وبعلم انشاء سفن حربية او تجارية بالبحر الاسود او بحر ازوف وبان

ترد للدولة كل ما فتحته من بلادها فاستردت الدولة العلية جزءاً كبيراً مما كانت قد فقدته من بلادها . وهكذا انتهى الحال وزال الشقاق والاختلال وعظم السلام في السلطنة الى ان توفي السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ هـ الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٧٥٤ م

٦٥٧ - السلطان عثمان الثالث ابنه مصطفى

من سنة ١١٦٨ - ١١٧١ هـ او من سنة ١٧٥٤ - ١٧٥٧ م

وتولى بعده اخوه السلطان عثمان الثالث ابن السلطان مصطفى الثاني وهذا كان يجب الانفراد فلم يحصل في ايامه شيء يذكر الى ان توفي يوم ١٦ صفر سنة ١١٧١ هـ الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٧٥٧ م

٦٥٨ - السلطان مصطفى الثالث ابنه احمد

من سنة ١١٧١ - ١١٨٧ هـ او من سنة ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م

وخلفه السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث وكان ميالاً الى الاصلاح رغباً في تقدم مملكته فاخذ حالاً في تنظيم احوال السلطنة وسلك احسن سلوك مع الرعايا وكان يعتمد على وزيره محمد راغب باشا الموصوف بحسن السياسة والتدبير وهو صاحب الجامع والمكتبة الوقفية الشهيرة المعروفة الان باسمه في مدينة القسطنطينية ولكن لم تطل ايام هذا الشهم اذ توفي سنة ١٧٦٨ م

وبعد موت هذا الوزير انتشبت نار الحرب بين الدولة العلية وروسيا فان اوغست الثالث ملك بولونيا توفي في تلك الاثناء فسمعت كاترينا الثانية قيصرية الروس باقامة ستانسلاس بونياثوسكي ملكاً خلفاً لما نعمدت روسيا للدولة العلية ان لا تتدخل بشؤون بولونيا وبحجة تأمين بولونيا وحمايتها من الحرب

الداخلية احتلت جنود روسيا فروسفيا بالاتفاق مع بروسيا فأقام السلطان مصطفى
الحجة على هذا الاحتلال فأجابته روسيا وبروسيا أن لا غرض لهما الا تأمين
بولونيا وانه واذا أراد فليشترك معها في ذلك ولم يكن ذلك الا خدعة . وتوفي
بطرس الا كبر قيصر روسيا فخلفته كاترينا الثانية أدهى نساء عصرها واقوامن
فزادت المسألة ارتباطاً كما واهية واتفق ان بعض سكان الفلاخ النصارى انهزموا
الى ارض روسيا فطلب الباب العالي اخراجهم منها فكان الجواب مبهماً اسخط
السلطان جداً فأوعز الى كريم كراي خان القرم أن يوجد سبباً للحرب فخرش بعض
القوزاق التابعين لروسيا أن يمتدوا على بعض المدن التابعة للدولة فأغاروا على
احدى المدن العثمانية وقتلوا بعضاً من سكانها فأعلنت الدولة العلية الحرب على
الروسيا واغار كريم كراي على اقليم سربيا الجديدة وخرب بعض مستعمرات
الروس واخذ بعض الاسرى منهم . وسار الوزير الاعظم محمد أمين باشا بجيش
عظيم للدفاع عن أملاك الدولة في الفلاخ والبغدان فانهمز أمام أعدائه لسوء تدبيره
فأمر السلاطان بقتله سنة ١٧٦٩ م ونصب مكانه في الصدارة وقيادة الجيش
مولدواني باشا فكان أكثر خبرة بأمور الحرب ولكن بينما كان جيشه يهبط على
جسر من السفن نهراً كان الجيش الروسي على ضفته الاخرى فاض النهر فقلب
السفن وغرق من كان عليها وقتل الروس من عبروا اليهم عن آخرهم فاحتل الروس
اياتلي الفلاخ والبغدان . وكانت روسيا في هذه الاثناء تبذل الجهد باثارة رعايا
الدولة عليها فهيئت سكان المورة على العصيان واخرجت بعض سفنها من بحر
البلتيك فدارت حول أوربا الغربية وبلغت بلاد اليونان فاستحوذت على بلاد
كورون لتجربى اليونان على خلع الطاعة فسارعت الدولة الى اطفاء الفتنة وخرجت
مراكب الروس من كورون قاصدة جزيرة ساقس فالتقت بالاسطول العثماني في
المضيق الذي بين الجزيرة وساحل اسيا الصغرى فتلظت نار الحرب ساعات وكان
النصر للاسطول العثماني الذي عاد بعد الظفر الى ميناء جشمة وتبعته سفينتان
روسيان ظن العثمانيون انهما هاربتان من الاعداء وقاصدتان الانضمام الى

اسطولهم فلم يتعرضوا لدخولهما في المرفأ فألقنا في الحال ناراً حامية على المراكب العثمانية على حين غفلة منها فاشتعل البارود الذي فيها وأحرق المراكب وغرقها في يوم ١١ ربيع الاول سنة ١١٨٤ هـ الموافق ٤ يوليو سنة ١٧٧٠ م وعزم الاميرال الروسي أن يهاجم الاسنانة فلم يوافق أحد أركان حربه وآثر احتلال جزيرة لمنوس أولاً لتكون مركزاً لاعمالهم الحربية ولكن تمكن البارون دي تون المجري الذي دخل في خدمة الدولة ان يحصن أثناء حصار لمنوس مضيق الدردنيل بما أمكن من السرعة حتى استحال على مراكب الروس العبور بهذا المضيق وحول عدة مراكب تجارية الى سفن حربية وجعلها بالمدايع بسرعة غريبة حتى تمكن حسن بك الذي تولى قيادة هذا الاسطول الجديد ان يقاتل الاسطول الروسي على لمنوس ويبعده عنها . ولم ينجح الروس في طرابزون أيضاً التي حاولوا الاستيلاء عليها لكنهم احتلوا بلاد القرم واصلوا انفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة روسيا وحمايتها وجعلوا شاهين كراي خاناً عليها خاضعاً للقبصرة كاترينا الثانية وفي سنة ١٧٧٢ م تهادن الفريقان وتفاوضوا في أمر الصلح ودامت المفاوضات الى سنة ١٧٧٣ م بلا نتيجة لان معتمدي روسيا طلبوا طلبات مجحفة بحق الدولة فلم يقبلها الباب العالي فاستأنفت الحرب وصدرت الاوامر للجيش العثماني في ٢٢ مارس سنة ١٧٧٣ م بمعاودة القتال في أعمال الدانوب فانتصر العثمانيون في عدة مواقع وتقهقر الروسيون

وكان الاسطول الروسي باقياً في البحر المتوسط وكان علي بك احد امراء المماليك في مصر لذلك الوقت قد استبد بشؤونها وأصبح مستقلاً بها ورأى ان تمام المقاصد ان يستمد الروسيون فخبار الاسطول الروسي ليده بالدخائر والاسلحة فارتاح الاميرال الى ذلك رغبة في اشغال الدولة بحروب داخلية وأمرع الى مساعدته وبذلك امكن علي بك فتح مدائن غرة وناپلس وأورشليم ويافا ودمشق وكان يتجهز للاغارة على الاناضول لكن ثار عليه أحد امرائه محمد بك الشهير بابي الذهب فماد علي بك الى مصر لمحاربتة فانهمز

وبعد أن تحصن في القلعة التجأ الى الشيخ طاهر الذي كان عاملا على مدينة
عكا من قبل الدولة العلية واستأثر بها واتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع
الروس وتخليص مدينة صيدا التي كانوا يحاصرونها فسارا الى هذه المدينة والتقىا
بالعثمانيين خارجها وانتصرا عليهم بمساعدة المراكب الروسية التي كانت ترسل
مقدوفاتها على الجيش العثماني . ثم اطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة بيروت
فأحرقت منها نحو ثلثائة بيت وبعد ذلك عاد علي بك الى مصر في محرم سنة
١١٨٧ هـ لمحاربة محمد بك أبي الذهب وانضم الى جيوشه أربعائة جندي روسي
فقابلهم أبو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسرع علي بك
وأربعة من ضباط الروس بعد أن قتل كل من كان معهم ورجع الى مصر حيث
توفي علي بك من الجراح التي أصابته فقطع أبو الذهب رأسه وسلمه مع الاربعة
ضباط الروسين الى الوالي العثماني خليل باشا وهو أرسلهم الى الاسكندرية . ثم توفي
السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ الموافق ٢١ يناير
سنة ١٧٧٤ م

٦٥٩ - السلطان عبد الحميد الاول أبه امير

من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٣ هـ أو من سنة ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م

فتولى بعده اخوه السلطان عبد الحميد الاول ابن السلطان احمد الثالث .
وكانت روسيا تستمد استعدادا هائلا لتسترد ما أخذ منها في أيام السلطان مصطفى
الثالث وتأخذ ما أمكنها من املاك الدولة العلية وقد زحفت جيوشها في يونيو سنة
١٧٧٤ م فاجتازت نهر الطونة قاصدة مدينة فارنا فالتقت بمسكرو عثماني اميره
عبد الرازق افندي فبرزته وتقدمت نحو معسكر محسن زاده الصدر الاعظم فطلب
الصدر الاعظم من أمير الجيوش الروسية المهادنة وتوقيف القتال وأرسل اليه
مندوبين للتخاطرة في الصلح وشروطه . فاجتمع المندوبان العثمانيان بسفير روسيا

بمدينة قينارجة وبعد مخاضات طويلة تم عقد الصلح على شروط أهمها استقلال القبر
وفتح أبواب كل البحر الدولة للسفن الروسية . ومع ذلك كله لم تقنع دولة روسيا بل
كانت تلعدى من حين الى حين على حدود الدولة العلية حتى انها اغارت على
القرم واستتوات عليها . وكان السلطان عبدالحميد الاول يتحمل تلك التعديات بمرارة
عظيمة زمناً طويلاً وهو غير قادر أن يأتيها بالعلاج الشافي . ولما رأى ان كل
املاك دولته ما وراء الطونة وقعت في قبضة الاجانب شرع في استعدادات
جديدة للعرب وبينما كان مهتماً على القيام وافته المنية في ٧ ابريل سنة ١٧٨٩ م
الموافق ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ هـ

٦٦٠ - السلطان سليم الثالث ابنه مصطفى

من سنة ١٢٠٣ - ١٢٢٢ هـ أو من سنة ١٧٨٩ - ١٨٠٧ م

فتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث .
وحالما تبوأ هذا السلطان مسند الخلافة همّ حالاً لنشل الدولة من تلك الحالة السيئة
وبعث بالعساكر المجهزة لمحاربة الجيوش الروسية والنمساوية فالتقى الفريقان في
البغدان وبعد قتال شديد انهزم الروسيون والنمساويون في سبتمبر سنة ١٧٨٩ م
واستحوذ الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاح والبغدان
وإساراييا . ودخل النمساويون بلغراد وفتحوا بلاد المرب فتدخلت حينئذ بروسيا
وانكلترا بين ليوبولد امبراطور جرمانيا والدولة العلية في شأن الصلح وقر القرار فيه
بأن يصير ارجاع بلغراد وكل الاراضي التي فتحتها النمسا خلاشوكزيم لحد نهاية
الحرب مع روسيا وتعينت ساقية كزارما حداً فاصلاً بينهما وذلك سنة ١٧٩١ م
أما روسيا فكانت لا تزال مقيمة الحرب على قدم وساق حتى حاصرت قلعة
اسماعيل وهي من اهم حصون الدولة العلية وامنها وبعد حصار شديد فتحتها
فتدخلت أيضاً انكلترا وبروسيا وانتهى النزاع والحرب وحملنا روسيا ان ترجع

للدولة العلية كل الاماكن التي فتحتها خلا او كزا كوف والاراضي الواقعة بين نهري بدخ وديستر (حيث اقامت الامبراطورة كاترين الثانية مدينة اودسا سنة ١٧٩٢ م) وبعد ان وضعت الحرب اوزارها سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وارسل يطلب من فرنسا مهندسين ومعلمي صنائع وضباطاً الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم على ان علاقاته الحبية مع فرنسا تكدرت سنة ١٧٩٨ م حين دخل الفرنسيون مصر بقيادة بطلم الشهير نابوليون بونابرت على غير علم الدولة (وسنذكر هذه الحادثة اكثر تفصيلاً في ذكر مقدمة الدولة المحمدية العلوية) واقاموا فيها الى سنة ١٨٠١ م فالتزمت الدولة العلية ان تشهر ضدها السلاح واخرجتها من اراضيها المصرية بمعاوضة انكلترا . ثم حدثت في مصر حوادث كان نهايتها اسناد ولاية مصر الى محمد علي باشا مؤسس الدولة المحمدية العلوية وسنذكر ذلك باوضح بيان في ذكر الدولة المحمدية العلوية ان شاء الله تعالى

وفي سنة ١٧٩٩ اتحدت روسيا مع الدولة العلية على اخذ السبع الجزر التي كانت لجمهورية البندقية وكانت فرنسا يومئذ مستولية عليها منذ سنة ١٧٩٧ م فاتحدت اساطيلها وفتحت الجزر المذكورة . وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي اتحد فيها هاتان الدولتان . وفي سنة ١٨٠٠ م صار الاتفاق بين الدولتين المشار اليهما في صيرورة الجزر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزر

وفي سنة ١٨٠٢ م عقد بونابرت معاهدة صالح مع الدولة العلية . ولما ارتقى المذكور الى منصب الامبراطورية بعث سفيراً الى الدولة العلية لكي تعرفه امبراطوراً فتأخرت من جرى تهديدات روسيا وانكلترا ولكن لما بلغها صدى انتصاراته على النمسا وروسيا في اوسترليتز سنة ١٨٠٥ م عرفته اخيراً سنة ١٨٠٦ م وجددت مع فرنسا علاقات الوداد . وارسل بونابرت الجنرال سبستيان الى الامانة وكانت له حظوة كبرى لدى السلطان ومساعدته عزل السلطان اميري

الفلاح والبغدان المحازبين لروسيا . فاستاءت روسيا من هذا العزل وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في المشرق فجهزت جيشاً احتل الامارتين المذكورتين دون اعلان حرب مدعية ان تغيير اميري الفلاح والبغدان مضر بحقوق جوارها فانثبته نار الحرب بين الدولتين وناصرت انكلترا روسيا فارسلت اسطولاً بقيادة الورد دوك فسطا على مدخل الدردنيل ورفع سفيرها بلاغاً الى الباب العالي طالباً عقد محالفة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا والتخلي عن ولايتي الفلاح والبغدان وطرد الجنرال سبستيان من الاستانة والا فتضطر انكلترا ان تعجزا بوزار الدردنيل وتطلق مدافعها على الاستانة . فابت الدولة العلية اجابة انكلترا الى هذه المطالب واخذت بتحسين البوغاز المذكور وانشاء القلاع على ضفتيه على ان الانكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحسينات بل اخترق اميرال الاسطول الانكليزي بوزار الدردنيل دون ان تناله مضرة تذكر من مقذوفات القلاع ودمر السفن العثمانية الراسية في فوضة كالبيولي ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ الشروط التي اقترحها على الباب العالي . واستولى الرعب على قلوب سكان الاستانة وحوار الوزراء فيما يملكون وبمد مداولات طويلة جزموا ان يذعنوا لمطالب انكلترا وارسلوا يكافون الجنرال سبستيان بالخروج من الاستانة خيفة من تفاقم الخطب فاستدعى الجنرال مستخدمي السفارة والضباط الافرنسيين الموظفين بجيوش الدولة وبحريتها واجاب رسول الباب العالي « لا اخرج من الاستانة الا مكرهاً » . وطالب ان يقابل السلطان فاجيب الى ذلك فعرض له ان فرنسا مستعدة لمساعدته وان امبرطورها نابوليون بونابرت اصدر اوامره لجيوشه العسكرية في سواحل الادرياتيك ان تسير مسرعة الى الاستانة لانجاده على انكلترا وبند مطالبها فاقنع جلالة السلطان بما عرضه له وامر بتحسين العاصمة وانشاء القلاع حولها وتسايحها بالمدافع الضخمة وتجنيد من نزاله الافرنسيين بالاستانة مشا مقاتل واكثرهم من المدفعية لمقاومة انكلترا وجد كل من بالاستانة بهذه التحسينات الشيوخ والاحداث والنساء وكان

السلطان بنفسه يناظر هذه الاشغال ويبحث المشتركين بها على مواصلة الليل بالنهار لانقام القلاع ولم تمر ايام الا واصبحت الاستانة في مأمن من كل طارىء ووقفت عدة سفن في مدخل البوسفور لمنع المهاجرة . فلما رأى الاميرال الانكليزي انه اصبح مستجيلاً عليه ان يدخل البوسفور وخاف من حصر اسطوله في ما بين البوغازين البوسفور والدردينيل قفل راجعاً الى البحر الابيض المتوسط سنة ١٨٠٧ واراد الاميرال الانكليزي ان يداري هزيمته فقصده ثغر الاسكندرية ومعه خمسة الاف جندي ما عدا البحرية فاحتل هذا الثغر وارسل فرقة من الجند لاحتلال ثغر رشيد فلم تنل منها مأرباً واعاد الكرة على رشيد فحباب امله من الاحتلال فيها لارسال محمد علي باشا النجيدات اليها فلما رأى الاميرال ما في فتح مصر من العقبات والمصاعب مع اشتغال دولته بالحروب باوربا عدل عن مقصده واقلم باسطوله وجنوده من مصر في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ م . وكان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاق الانكشارية ويقيم مكانه عسكرياً على الطريقة الافرنكية لانهم كانوا قد زعزعوا اركان السلطنة بمصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام السابق بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من جراء ذلك واثاروا على المدينة شغباً عظيماً وصاروا يعتدون على الاهالي ويقتلون من وقعت ايديهم عليه فاصدر السلطان امرأاً بالقضاء النظام الجديد فلم يكتف الثائرون بذلك بل قرروا خلع السلطان اثلاً يعود الى تنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك شيخ الاسلام الذي هو محرك هذه الفتنة فأفتى بان كل سلطان يدخل نظام الفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على السلوك بها لا يصلح للملك (تأمل) . واستمرت الثورة يومين ثم نودي في ٢١ ربيع الاخر سنة ١٢٢٢ هـ الموافق ٢٨ يونيو سنة ١٨٠٧ م بخلع السلطان سليم الثالث بعد ان حكم ١٩ سنة وبقي الى ان توفي في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ هـ



٦٦١ - السلطان مصطفى الرابع ابنه عبد الحميد

من سنة ١٢٢٢ - ١٢٢٣ هـ او من سنة ١٨٠٧ - ١٨٠٨ م

واقاموا مكانه السلطان مصطفى الرابع ابن السلطان عبد الحميد الاول وهذا لم يستطع ان يكبح جماح الثائرين فابث الوزراء الذين كانوا يحاربونهم . ولما بلغت اخبار ما كان بالاستانة الى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس شعر الانكشارية بما كان لرفاقهم من الفوز ولما رأوا قائد العام حلمي ابراهيم باشا الصدر الاعظم اسفاً على ما حدث في الاستانة قتلوه واقاموا مكانه چلي مصطفى باشا . ولولا اشتغال معظم جيوش الروس بمحاربة نابوليون بوناپرت لغفل الروس ما ارادوا بالجيوش العثمانية لكن نابوليون انتصر حينئذ على الروس في وقعة فريدلاند فتقهقرت الجنود الروسية المحتلة بالبغدان دون حرب . وعقب ذلك الصلح بين فرنسا وروسيا بمتنضي معاهدة تيليس سنة ١٨٠٧ وكان من شروطها ان تكف روسيا عن محاربة الدولة العلية الى ان يتوسط نابوليون الصراف بينهما وان تنجلي عساكر الروس عن ولايتي الفلاح والبغدان ولا تدخلها العساكر العثمانية الى ان ينقصد الصلح بين الدولتين . وقبل الفريقان ذلك ولكن لم تقم روسيا بما وعدت من اخلاء الولاياتين المذكورتين

اما في الاستانة فوكت الثورة وطلب بعضهم اعادة السلطان سليم الى منصة الملك فغاف السلطان مصطفى من حركتهم وامر بقتل السلطان سليم فقتل وزعي بجيشه اليهم وكان السلطان مصطفى يؤمل ان يكف الثائرون عنده ما يرون السلطان سليماً مقتولاً فجاء الامر بعكس ما امل لانهم ازدادوا هياجاً وتادوا بخلع السلطان مصطفى فتم لهم ذلك في اواخر شهر يونيو سنة ١٨٠٨ م وحجروا عليه فكان اخر المهد به



٦٦٢ - السلطان محمود الثاني ابنه عبد الحميد

من سنة ١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ او من سنة ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م



ش ١ - السلطان محمود الثاني (عن الهلال)

ولوا مكانه اخاه السلطان محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الاول . وكانت يومئذ العساكر الروسية تتقدم الى جهة الدانوب مسرعة فبعث السلطان جيشاً عظيماً لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف مسيرهم فطلبت فرنسا ان تتوسط امر الصلح بينهما فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه تأثر جداً من الشروط السرية التي عقدها نابليون مع اسكندر الروسي في تيليس التي من شأنها اقتسام دول اوربا فيما بينهما بما فيها الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسيين ومحاربتهم ولكن من غير فائدة . واستولى الروسيون على مدينة شوملة وعلى عدة مراكز حسنة وضائقوا العساكر العثمانية اشد مضايقة . وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة من كل جهة اذ اتاها الفرج من حيث لا تحتسب وذلك ان نابليون بونابرت كان قد اشهر الحرب على روسيا سنة ١٨١٢ م وسار اليها بجيوشه الجرارة فالتزم ذلك روسيا ان تسحب اكثر جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت في يناير سنة ١٨١٢ م مع الباب العالي صلحاً موافقاً جداً للدولة العثمانية وكان من شروطه بقاء ولايتي الفلاخ والبغدان للدولة العلية وعود السرب الى حوزتها مع بعض امتيازات وحفظت روسيا لنفسها بساريا وغير ذلك . ولما علم السربيون ان

معاهدة بوخارست قضت عليهم بعودهم الى حوزة العثمانيين وذهب سدّى ما بذلوه من الاموال والارواح آثروا الفناء بالدفاع عن رجوعهم الى حوزة الدولة . وارسلت الدولة العلية جيوشها عليهم فاضعتههم لسلطانها فهاجر زعماء الثورة الى النمسا والمجر ومنظرين فرصة لاهاجة الامة ثانية وبقي احدهم المدعو ميلوش او برينوفتش في بلاده مظهرًا الولاء للدولة العلية فعينه في منصب حقير . اما هو فدأب على بث روح الحرية والثورة الى ان جمع سنة ١٨١٥ م عصاة كبرى من الاهلين وجاهر بالعصيان وعاد المهاجرون الى اوطانهم وامتدت الثورة في انحاء السرب فزحفت اليهم الجيوش العثمانية فقاتلتهم سنتين الى ان قبل مليوش او برينوفتش المذكور بالنيابة عن امته الرجوع الى سلطة الدولة على شرط انها لا تداخل في شؤونهم الداخلية بل يعين لادارة البلاد مجلس مؤلف من اثني عشر عضواً ينتخبهم اعيان الامة وهم ينتخبون رئيساً عليهم يكون بمنزلة حاكم عام وتكتفي الدولة العلية بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع . ونصبت الدولة مرعشلي باشا والياً للسرب وانتخب مليوش رئيساً لمجلس الامة سنة ١٨١٧ م فاستبد كملك مطلق التصرف لا سلطة للوالي العثماني الا الاحتلال في الحصون والقلاع

وفي سنة ١٨٢١ م تحرك اليونان في المورة وجاهروا بالعصيان على الدولة وكانوا بهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويدسون القن في جميع الاطراف فشق ذلك على الدولة وارسلت العساكر لردعهم وادخلهم في حيز الطاعة فشبّت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم . وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا عزيز مصر بأمره بأن يرسل جيشاً لمحاربتهم فارسل ولده ابراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عبارة بحرية . ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة وزادت نيران الحرب انقذاً ولما يش اليونانيون من النجاة ونوال الاستقلالية استنجدوا بالدول الاوربية فبادرت دولتا فرنسا وانكلترا الى توسط امرهم لدى الدولة ولما لم يجيب السلطان محمود سؤلها ارسلتا عمارتيهما وانغمت اليهما العارة الروسية وعند وصولها الى ميناء نافارين بعثوا جميعاً الى ابراهيم باشا يطلبون اليه ان يوقف الحرب فاجاب انه لا يقدر على ذلك الا بأمر السلطان فعند ذلك دخلوا ميناء نافارين واطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوها وكان ذلك في ٢٨ ربيع الاول سنة ١٢٤٣ هـ الموافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م ولما بلغ ذلك الخبر السلطان محمود اضطرب الى اجابه سؤل الدول المتجدة وامضى الشروط التي عرضت عليه بخصوص ابطال الحرب

واستقلال اليونان

وفي وسط هرج هذه الحروب اصدر السلطان محمود أمراً بتدمير وبقا الانكشارية فهجمت عليهم العساكر المستعدة والآهلون في العاصمة وباقي الولايات وبادوم من آخرم وارتاح الناس من جورهم والدولة من اثقالهم وذلك في شهر ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ الموافق شهر يوليو سنة ١٨٢٦ م . وفي تلك الاثناء غير السلطان محمود لبسه ونزى بالزي العثماني الحالي غير ملتفت لاعتراض المعارضين



(ش ٢ اغا الانكشارية وبعض رجاله) (عن الهلال)

وفي سنة ١٨٢٩ م، زحقت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند شواطئ البانوب وسار جيش الى جهة اسيا فارسلت الدولة عسكرياً لمصادمتهم فتغلبت عليه العساكر الروسية وكسرت في سيلستريا وشوملة ثم كسرتة أيضاً كسرة اخرى عند كاليثشوفيا وقطعت مضيق البلقان واستولت على ادرنة واخذت نهب العاصمة . وكانت جنود روسيا التي قصدت جهات اسيا قد استولت على القرص وبايزيد وطراق قلعة واريزيوم ولما بلغت كل هذه المصائب السلطان محموداً اضطرب جداً علي انه اظهر الثبات وقوة الجنان والقلب في وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته ثم تدأخلت انكلترا في انهاء تلك الشهور المهلكة وسلم السلطان محمود بكل الشروط التي طلبت منه وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ م حررت معاهدة الصلح في مدينة ادرنة وخلاصة ما في معاهدة ادرنة هذه ان السلطان محموداً قبل التصديق على قرار الدول المتحدة بمؤتمر لوندرا سنة ١٨٢٧ م

باستقلال اليونان وان تعين حدود مملكتهم بمعرفة نواب عن هذه الدول وعن الباب العالي وان يكون لولايتي الفلأخ والبغدان (رومانيا) استقلال اداري بحسب الامتيازات الماضية وان اميري الولايتين يكونان لمدة حياتهما ولا يعزلان الا لدواعي كبيرة تصادق عليها روسيا والدولة العلية . وان تبقى للسرب الامتيازات المبينة في العهدة السابقة وان تعين التخوم بين روسيا والدولة العلية في اوربا وفي اسيا وان يكون لروسيا حق المرور في بوزاري البوسفور والدردنيل دون تفتيش مراكزهم وان تدفع الدولة تعويضا لتجار الروس ١٦ مليوناً فرنكاً . ثم أضيف الى هذه المعاهدة ان التعويض لتجار الروس يدفع انجماً على اربع سنين وان تدفع الدولة غرامة حرية للروس خمسة ملايين ليرة انكليزية مقسطة عشرة اقساط على عشر سنين ويكون جلاء عساكرهم تدريجياً بحسب دفع الاقساط المذكورة . وفي ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ هـ الموافق ٣٠ مايو سنة ١٨٣٠ م اعلن الباب العالي باستقلال اليونان

وفي سنة ١٨٣٠ م احتلت فرنسا اقليم جزائر الغرب بدعوى منع تعدى قرصانات البحر المسلمين على مراكزها التجارية والحقيقة ليكون لها مركز حربي بشمال الزبقية حتى لا تكون الكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الايض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة

وفي سنة ١٨٣١ م جهز محمد علي باشا عزيز مصر ولده ابراهيم باشا بثلاثين الف مقاتل لانتتاح الاقطار الشامية انتقاماً من عبد الله باشا والي عكا فسار اليها واستولى عليها وهزم الجنود العثمانية التي ارسلها الباب العالي لاستخلاص الشام منه في عدة وقائع (وسند كرهذه الحوادث اكثر تفصيلاً في ذكر الدولة للمحمدية العلوية ان شاء الله تعالى) وخصوصاً في واقعة نصيبين التي شنت فيها ابراهيم باشا شمل جيش عثماني كثيف ولم يصل خبر واقعة نصيبين هذه الى اذان السلطان محمود فانه توفي في يوم ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ الموافق اول يوليو سنة ١٨٣٩ م

٦٦٣ - السلطان عبد المجيد بهر محمود

من سنة ١٢٥٥ - ١٢٧٧ هـ او من سنة ١٨٣٩ - ١٨٦١ م

وخلفه ابنه السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثاني واول عمل باشره اجتهاده في استخلاص الشام من يد المصريين وتمكن بمساعدة انكلترا وروسيا من ارجاع المصريين على اعقابهم (وسند كذا) اكثر تفصيلاً في ذكر الدولة المحمدية العلوية) ولما عاد الشام الى حيزه الدولة العلية كما كان وعادت المياه الى مجاريها اخذ السلطان عبد المجيد في اجراء ما كان قد شرع فيه جناب والده من الترتيبات والتنظيمات على مقتضى الشرع والقوانين السياسية فاصدر فرمان الاصلاحات المعروف بفرمان الكفالة في ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ م ضمنه عدة اصلاحات ونظامات مفيدة واعلن به التسوية بين رعاياه من اي مذهب كانوا وامر بنشره في اقطار السلطنة العثمانية ليحيط الجميع به علماً فالتعشت ارواح الرعايا بجلوس هذا السلطان واستبشروا به

ومن اهم الاحداث في ايام السلطان عبد المجيد الحرب بين الدولة العلية والروسيا وهي المعروفة بحرب القرم وسببها انه كان وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منها تدعي لنفسها حق الرئاسة والتقدم على الاخرى باستلام مفاتيحها ثم اخذت هذه المسألة لتعظم بينها وتمتد يوماً بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجهد في سنة ١٨٥١ م فوقع الباب العالي في حيرة وارباك من جهة تسكينها واتحاد نازرها لان روسيا كانت تحامي عن حقوق الروم وفرنسا تنتصر لللاتين فتدخل سفير انكلترا اللورد ستراتفورد دي رد كليفد في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً موافقاً لائتلاف المائتين المتخالفتين فقبلته فرنسا واما روسيا فلم تقبله لان مقصدها الوحيد لم يكن مقتصرًا على محاربة الكاثوليك بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تفتقد على نواها وتترقب الفرص لاستحصاها وهي ابعاد الدولة العلية من قارة اوربا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها • فاتمز الامبراطور نقولا قيصر الروس تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلغ اربه فارسل الامير منشيكوف الى القسطنطينية سنة ١٨٥٢ م لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد ان كان بعث جيشاً يبلغ ١٤٤ الفاً الى نهر الدانوب

ليكون مستعداً لوقت اللزوم والحاجة • فلما وصل الامير منشيكوف الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ودخل رأساً على الحاضرة الشاهانية وصحبته سفير روسيا واعرض له طلب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة ثم قال له « ان الامبراطور يطلب ايضاً ان جميع الروم الذين من تبعة الدولة العلية يكونون تحت ظل حمايته من الآن وصاعداً استناداً على احد بنود معاهدة سنة ١٧٧٤م المعقودة في كوجك قيزحي وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الصائفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وان الشكاوي والدعاوي التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم وسلوكهم تعرض رأساً اليه لينظر فيها » فاستعظم السلطان هذه الطلبات ورفضها رفضاً باتاً لانها مخلة باستقلالية الدولة • فاتفق الامير منشيكوف راجعاً من حيث أتى وأعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضباً واصدر امراً الى العساكر التي ارسلها الى اطراف الدانوب ان تعبر نهر البروث وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشتت الغارة على امارات الفلاخ والبغدان واستولت عليها • ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى اطراف بلاده علم ان مقاصد روسيا في طلباتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فجهز جيشاً وارسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين

ولما تأكدت الدول الاوربية بغية روسيا ومقاصدها بادرت انكثرا وبروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين وارسلت كل دولة منهما معتمداً من طرفها الى مدينة فيينا حيث وافاهم سفير من طرف روسيا واخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلساً في ٣١ تموز (يوليو) سنة ١٨٥٣ م لم يأت بالمرغوب فلما لم يعد سبيل الى الصلح اشهر الباب العالي الحرب اشهاراً نهائياً وصدم سليم باشا العساكر الروسية في آسيا وانتصر عليهم في عدة مواقع بينها كان عمر باشا يهاجمهم في اوربا حيث كسرهم بالقرب من اولتيميزا وغاز عليهم عند قلفاظ واما كن أخرى • اما العماراة الروسية التي كانت في البحر الاسود تحت قيادة الاميرال ناشيموف فصدمت العماراة العثمانية عند سينوب في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) واستظمرت عليها بعد حرب شديدة فالتفتها عن آخرها

اما انكثرا وفرنسا فاذا تيقنتا سوء نتائج هذه الحرب انتصرنا لمعونة السلطان واعلنتا الحرب على روسيا في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٥٣ م وفي اوائل سنة ١٨٥٤م

ابتدأنا في نقل رجالها ومهماتهما الى ساحة الحرب واشتبكتنا في القتال . اما باقي دول
اوربا فلزمت الحياذ . وكانت الدولة الانكليزية قد ارسلت عمارة حربية الى بحر بلتيك
تحت قيادة الاميرال نايار فاستولت على قلعة بومارستود لخمس عشرة بقيت من شهر
اغسطس ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظراً لحصانتها .
واذ كانت سباستول اعظم قوات روسيا التي يعول عليها في البحر الاسود وجهت انكثارا
وفرنسا قواتهما لانتاحتها والاستيلاء عليها فارسلتا في ١٤ ايلول (سبتمبر) فرقاً من
عساكرهما يبلغ عددها ٦٠ الفاً وكان اكثرهم فرنسا وبين فنزلوا في يوباتوريا وفيما كانوا
يتقدمون الى سباستبول صادتهم العساكر الروسية . وكان الفرنسيون تحت قيادة
الماريشال سنت ارنو والانكليز تحت قيادة اللورد راكلان فاقتتل الفريقان اقتتالاً
شديداً الى ان دارت الدائرة على الروسيين فانكسروا عند نهر الماء . اما العساكر
الروسية فكانت اذ ذاك تحاصر مدينة سيلستريا ولم تقدر على اخذها فخرجت العساكر
العثمانية من المدينة واقفحتهم فانتصرت عليهم وقرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا
الى اخرين وقصدوا القرم لاجدة حصار قلعة سباستبول التي اليها وجهت روسيا كل
قوتها من عساكر ومهمات وذخائر . واما جيش الانكليز ففعلت فوارسهم فعل الاسود
الضواري اذ صادموا جيشاً عرمرماً من الروسيين عند بالا كلافا وفازوا بهم فوزه خلدت
لهم ذكراً جميلاً بعد ما فقد منهم خلق كثير . ثم ان الروسيين المعاصرين في انكرمان
وعدهم ٦٠ الفاً خرجوا من مكان حصارهم واقفحموا العساكر العثمانية والانكليزية
والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الحسرة على الفريقين النجحت بانتهزام الروسيين
ولزومهم حصن المدينة . ولم يكن حينئذ في طاقة الدول المتحدة استلام سباستبول مع
انهم كانوا يزيدون قواتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابلهم ولم يقدروا على استخلاص
تلك القلعة أو ان ينعموا المساعدة التي كانت تأتياها من داخل البلاد . ولقد فاست
العساكر المتحدة ولا سيما الانكليز في شتاء سنة ١٨٥٤ م وشتاء سنة ١٨٥٥ م اهوالاً
وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتمدادها فان الامراض والاوجاع قد اخذت في
العساكر كل مأخذ واهلكت كثيرين هذا فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك
البلاد والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات
وفي هذه الاثناء اتفق فكتور عمانوئيل ملك يابوتقي مع الدول المتحدة ضد
روسيا وارسل الى القرم ١٨ الف مقاتل بعد ما تعهدت له انكثارا بدفع مبلغ مليون

ليرة على صيبل الاعانة واشتهرت رجاله في تلك المعامع بالشجاعة والنيات
وفي خلال ذلك توفي الامبراطور نقولا في ٢ اذار (مارس) سنة ١٨٥٥ م
وخلفه ولده اسكندر الثاني وفي اليوم الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) من السنة
المذكورة حدثت واقعة هائلة بين الروسيين والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها
على الروسيين واستولت جبوش فرنسا على قلعة ملاكوف يدسالة لا مزيد عليها.
واذ لم يعد لروسيين استطاعة على حفظ مراكزهم تحركوا سباسبول في مساء ذلك
اليوم وهولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكتها
فانتمت حيثنذر مخازرات الصالح وعقدت جمعية في باريس في ٢٥ شباط (فبراير)
سنة ١٨٥٦ م حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة وهي
انكلترا وفرنسا وتركيا والنمسا وبروسيا وسردينيا . وفي ٣٠ اذار (مارس)
امضيت شروط الصلح متضمنة ٢٤ بنداً وام شروط هذه المعاهدة ان الدولة
العالية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوربا من جهة القوانين والتنظيمات
السياسية وانها تكون مسئلة في ممالكها كغيرها من الدول الافرنجية و ان البحر
الاسود يكون بمزول عن جولان مراكب حرية فيه من اي جنس كان ما عدا
روسيا وتركيا فان لها حقاً في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحرية لاجل
محافظة اساطيلها وان لا يكون لروسيا ولا لتركيا ترسختات بحرية حربية على
شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط . وهكذا انسحبت العساكر الى
مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لافتتاحها داع سوى المطامع والغايات

ولما وضعت الحرب اوزارها وعادت السكينة الى الدولة بعد تلك الاحوال انتهز
السلطان عبد المجيد هذه الفرصة لاصلاح داخلية بلاده ولكن ارباب الغايات من
الفرنج سأمهم ان يروا الدولة في هدوء وسلام فعادوا الى القاء الفتن والشقاق في
داخلية بلاد الدولة فرأوا ان الشام اكثر استعداداً من سائر ولايات الدولة
لقبول بذور الفساد لتعدد الجنسيات واختلافهم في الدين والمشرع ووجود العداوة
بينهم خصوصاً بين المارونية والدروز ومساعدة فرنسا المارونية ومساعدة انكلترا

للدروز فقامت بينهم اسباب الشقاق ودواعي الخلف الي ان تعدى المارونية بالقتل على الدروز في اواخر سنة ١٨٥٩ م وقام الدروز بالاخذ بالثار ثم امتدت الفتنة الى جميع انحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحلة ودير القمر ومنها الى مدينة دمشق الشام وامتاز الامير عبد القادر الجزائري (هو الامير الجزائري الذي دافع عن بلاده حين احتلها الفرنسيون سنة ١٨٣٠ م دفاعاً لم يسمع بمثله في بلاد المشرق التي وطئها الاجانب واستمر في دفاعه ١٧ سنة متوالية انصرف في خلالها عدة مرات واعترفت له فرنسا وجميع الامم بالمسالة والشجاعة . ولما استشهدت اغلب عساكره وكثر توارد الجيوش الفرنسية تبعاً الى الجزائر وايقن ان لا مناص له من التسليم سلم نفسه في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٧ م فاعتقلته فرنسا نحو ١٦ سنة ثم افرجت عنه سنة ١٨٦٣ م فهاجر الى مدينة بورصة ثم الى مدينة دمشق واقام بها الى ان توفي سنة ١٨٨٣ م) بحماية كثير من المسيحيين . واتهم الاروبيون عثمان بك قائمة عام حاصبيا بتهليل المذبة وكذلك اتهموا احمد باشا والي دمشق بمساعدة الدروز وقتل كل من التجأ الي دار الحكومة من المسيحيين واداعوا هذه الاخبار في جميع انحاء اوربا . فعرضت دولة فرنسا على الدول انها مستعدة لارسال جيوشها الى بلاد الشام لتقمع الفتنة ومجازاة مثيريها وحماية المارونية فلم تقبل الدول هذا الاقتراح في اول الامر خوفاً من عدم خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكرياً . ولما حصلت مذبة دمشق التي قبل فيها نحو ستة آلاف نسمة ارسلت جميع الدول الى الباب العالي تهدده بالتدخل ان لم يوضع حداً لهذه الفتن فارسل السلطان جيشاً عظيماً بقيادة فؤاد باشا لتقمع الثورة بالشام فسافر هذا البطل على جناح السرعة ووصل الى بيروت في ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ م ومنها قصد دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلساً حريباً وحاكم روءساء الفتنة بكل صرامة وبذل همه في اعادة الامن الى البلاد

وفي اثناء ذلك اتفقت الدول على ان ترسل فرنسا الى الشام ٦ آلاف جندي لمساعدة الجيش العثماني على اعادة السكينة لوعجز عن تأدية هذه المهمة . وفي ١٠

اغسطس سنة ١٨٦٠م نزلت الجنود الفرنسية الى بيروت فوجدت السكينة ضاربة
اطناها في ربوع الشام ولم تجد سبيلاً لعمل اي حركة عسكرية، ومع انه لم يكن ثمة
داعٍ لحضور العساكر الفرنسية الى الشام ولكن هكذا قضى لعنت دول اوربا .
والاغرب من ذلك ان هذه الدول قررت انه يجوز لفرنسا تكميل الجيش الى ١٢
الف جندي وانه يستمر محتلاً للشام الى ان تقاص الدولة مهبجي الثورة ويستتب
الامن في الشام فاستمرت العساكر الفرنسية بالشام الى ان خرجت منه في ٥
يونيو سنة ١٨٦١م بدون ان تعمل عملاً يذكر

وفي اثناء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة اوروية مشكلة من مندوبين
معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداولات طويلة اتفقوا
مع فؤاد باشا على ان يمطوا المسيحيين الذين حرقت دورهم بمبلغ ٧٥ مليون
غرش بصفة تعويض وان ينتج اهالي جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة
العلية يكون حاكمها مسيحياً وأن يكون للباب العالي حامية من ثلثية جندي تقيم
في حصن على الطريق الموصل من دمشق الى بيروت . واخيراً عين داود افندي
الارمني الجنس اميراً للجبل لمدة ٣ سنوات لا يمكن عزله في خلالها الا باتفاق
الدول وبذلك انتهت هذه المسألة بحسن مساعي فؤاد باشا

وفي يوم ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧م توفي السلطان عبد المجيد بعد أن حكم
٢٢ سنة ونصفاً

٦٦٤ - السلطان عبد العزيز بهه محمود

من سنة ١٢٧٧ - ١٢٩٣ هـ او من سنة ١٨٦١ - ١٨٧٦ م

وتولى بعده اخوه السلطان عبد العزيز بن محمود ومن الاحداث التي كانت
في ايامه الحرب في الجبل الاسود فان امير هذا الجبل المسمى دانيال كان قد
طلب من مفوضي الدول في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦م الاعتراف باستقلاله فلم

ينزل طلبه قبولاً بل أشاروا عليه ان ينقاد للدولة العلية وهي تقبلي له عن بعض املاكها في الهرسك لتوسيع تخومه وتولية رتبة مشير وتعين له راتباً مالياً في كل سنة . فلم يمتنع على الحدود فحصلت لذلك عدة مواقع بين الجبلين وعساكر الدولة سنة ١٨٥٨ م وقتل الامير داتال سنة ١٨٦٠ م فخلفه ابنه المسمى نقولا وساعد اهل الهرسك في ثورتهم فاخذ عمر باشا ثورتهم وحاصر امارة الجبل فارغم الامير نقولا ان يوقع على الشروط التي وضعها له عمر باشا سنة ١٨٦٢ م وفي جملتها ان تبني الدولة قلاعاً في الطريق بين اشقودرة والهرسك وتوسطت دول اوربا ولاسيا فرنسا وروسيا فمدت الدولة عن بناء القلاع في ارض الجبل على شرط ان امير الجبل يتهمد بحفظ هذه الطريق ويكفل ما يسلب من اموال التجار العثمانيين فيها فقبل الامير هذا الشرط فانهت الحرب وزال الخلاف سنة ١٨٦٤ م . وكان قد تقرر في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ م استئلال السرب تحت سيادة الباب العالي وان يكون للدولة الحق في اقامة حامية في ست قلاع في هذه البلاد فلما كانت سنة ١٨٦٢ م حصلت فتنة بين المسلمين والنصارى فيها وتداخل قائد الحامية العثمانية بنجدة المسلمين فمقد مؤتمر في الاستانة حضره مندبو الدول الموقعة على عهدة باريس وتقرر فيه اخلاء قلعتهين من الجنود العثمانية وبقاؤها في اربع قلاع من الست وان من بقي من المسلمين خارجاً عن القلاع الاربع لزمه ان يبيع املاكه ويهاجر وان لا يتداخل القواد العثمانيون في ادارة البلاد بالمرّة وجات العساكر العثمانية عن السرب سنة ١٨٦٧ م

اما القلاع والبغدان فكانت معاهدة ادرينا نوبل وضعت القلاع تحت حماية روسيا وحدها ولكن في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م جمعت تحت حماية دول اوربا الموقعة على تلك المعاهدة وفي سنة ١٨٥٩ م ضمت الى البغدان ونسبت الامارات رومانيا وكان يليها معاً الامير كوزا ولها مجلس شورى واحد ووزارة واحدة وسمي الامير كوزا المذكور يوحنا اسكندر الاول . وفي اواخر سنة ١٨٦١ م صدر الفرمان باجازة انضمام الولايتين قثار الاهلون على اميرهم يوحنا اسكندر

الاول المذكور وارغوه على الاستقالة. واجتمع مفوضو الدول في باريس يتداولون
بامر الخلافة الامير اسكندر الاول فقرروا ان يكون الوالي من اشراف البلاد فلم
يرض الاهلون بذلك بل انتخبوا الامير شارل دي هنزولرن من اسرة بروسيا
المالكة وسمي ملكاً بعد حرب روسيا الاخيرة

ومما كان في ايام السلطان عبد العزيز أيضاً ثورة اهل كريت واتحاد عالي
باشا لها وانعقاد مؤتمر بباريس من مفوضي الدول الموقعة على معاهديتها سنة
١٨٥٦ م وانتهت المسألة في ذلك الحين باصدار السلطان ارادة سنوية في ١٩
سبتمبر سنة ١٨٦٩ م منح بها الجزيرة بعض امتيازات وأعطى اهلها من دفع المال
الاميري سنتين ومن الخدمة العسكرية

ومما امتاز به السلطان عبد العزيز خلافاً لعادة اسلافه زيارته القطر المصري
سنة ١٨٦٣ م وزيارته لباريس سنة ١٨٦٧ م واقامة لجنة لتأليف مجلة الاحكام
العادية سنة ١٨٦٩ م

وتحقق السلطان عبد العزيز بضرر تدخل الدول الاوروبية في مسائل الدولة
الداخلية وعزم تلافياً لهذا الضرر على التحالف مع روسيا واكثر اجتماعه بسفير هذه
الدولة في الاستانة ويطن انه وضعت قواعد لهذه التحالفه اخصها انها تكون محالفة
هجومية ودفاعية يكون من اهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق على ان
تتبع الولايات الاسلامية او التي يغلب فيها العنصر الاسلامي للدولة العلية وضم
جميع الاقاليم المسيحية او التي يسود فيها العنصر المسيحي لروسيا . فلما شاع هذا
المشروع لم يرق في اذهن الدول الاوروبية وخصوصاً انكلترا فاخذ عمالهم وسفرائهم
الظاهرون والمسيرون يلقون الوسوس في عقول اهل الاستانة مشتين لهم بتمويهاتهم
ان جلالة السلطان عاد لا يصلح لادارة مهام الملك حتى اقنعوا الوزراء بوجوب
عزله وحملوا شيخ الاسلام خير الله افندي على الفتوى بصحة خلعه فتم لهم ما
ارادوا وخلعوه في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦ م .



٦٦٥ - السلطان مراد بن عبد المجيد

سنة ١٢٩٣ هـ او سنة ١٨٧٦ م

وباب التأمرون السلطان مراد بن السلطان عبد المجيد وغب جلوسه على سرير الملك اصدر فرماناً بابقاء الوزراء وجميع المأمورين على مناصبهم مبدئاً فيه خطة الاصلاح الذي يريد ان يجري عليها . لكنه لم يسمح له الله بابرار مقاصده الخيرية الى حيز العمل لانه ظهرت عليه امارات الاضطراب العصبي بعد المبايعة له باسبوع واحد ثم اخذت في الازدياد . وكان الصدر الاعظم يكتهم خبر انحراف صحة السلطان عن العامة ولكن كان يديه عدم احتفاله بتسليم السيف السلطاني في جامع ابي ايوب كاعادة وعدم مقابلته سفراء الدول . ولما اشتد مرضه دعا الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوي الشهير وبعد ان فحص جلالته ولازمه عدة ايام حكم بتعسر شفاه من مرضه فتشاور الوزراء وعرضوا على اخيه عبد الحميد افندي ان تسلم اليه مقاليد السلطنة لعدم لياقة اخيه لادارة شؤنها فاجابهم رعاه الله انه لا ينبغي التسرع في الامر عسى ان يمن الله على اخيه بالفرج والعود الى ما كان عليه من حسن الذهن والذكاء فامثل الوزراء على انهم رأوا بعد ذلك ان اختلال شعوره يتزايد فاجتمعوا في ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٣٠ اغسطس سنة ١٨٧٦ م وقرروا لزوم مبايعة السلطان عبد الحميد ثم اجتمعوا ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خير الله افندي وجميع الكبراء والعلماء والامراء والاعيان واستفتوا شيخ الاسلام فافتي بوجوب عزله وهذا نص الفتوى « اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقاً فقات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهده » والجواب « يصح والله اعلم »

كتبه الفقير حسن خير الله

٦٦٦ - السلطان الغازي عبد الحميد ثانياً
(اطال الله ايامه وزادها يمناً وسعداً وجعل الاقبال والرغد له رقاً وعيداً)



(ش ٣ السلطان عبد الحميد)

ولد أعزه الله في ١٦ شعبان سنة ١٢٥٨ هـ (١٩ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م) وارتقى الى عرش السلطنة في ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م فاستلم ادارة الاعمال بهمة ونشاط وظهر للوزراء رغبته في الاصلاح فأصدر فرماناً في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م موجهاً الى محمد رشدي باشا الصدر الاعظم بين فيه تقريره الوزراء في مناصبهم وشديد رغبته في الاصلاح . ثم استقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة لتقديمه في السن فعهد بهذا المنصب الى احمد مدحت باشا في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ هـ وبعد اربعة ايام اصدر اليه الخط الشريف الهادي مرفقاً اليه بالقانون الاساسي وامر بتنفيذه

وعند استواء جلالته على العرش العثماني كانت المملكة محفوفة بالخطار من قبل الثورات التي اثارها اصحاب المآرب السياسية في بلغاريا والسرب والجبل

الاسود والمرسك والبشناق واجتمع مائة مائة في الاستانة - ضربه مفوضو الدول في ٢٣
 ديسمبر سنة ١٨٧٦ م فاقترحوا على الدولة اقتراحات مغضة من كرامتها - مضرة
 بمصالحها فأبى الباب العالي الا رفضها ونبذها فاشترت روسيا الحرب على الدولة
 العلية بعد ان عقدت مع دولة رومانيا معاهدة سرية وضمت رومانيا بمقتضاها جميع
 مخازنها وموانئها وذخائرها تحت تصرف روسيا فارسلت الدولة العلية بعض مراكبها
 في الطونة لاطلاق قنابلها على سواحل رومانيا معاقبة لها على هذه الخيانة فكان
 ذلك داعياً لان تعلن رومانيا رسمياً الحرب ضد الدولة العلية واشتركت فعلاً مع
 روسيا في الحرب وانضم جيشها البالغ ٦٠ الف جندي الى الروس . وفي ٢٢
 يونيو سنة ١٨٧٧ م عبرت العساكر الروسية نهر الطونة وفي ٢٧ منه احتلت مدينة
 ترانوه . وفي اواسط يوليو احتل البارون دي كروور مدينة نيكوبلي واحتل الجنرال
 جوركو مضائق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير . وعند وصول هذه الاخبار
 الى الاستانة استولى الرعب والقلق على سكانها اذ لو اجتاز الروسيون مضيق شيبكا
 لحظف على دار السعادة نفسها من الوقوع في قبضة الروس . وفي ٢٤ مايو سنة
 ١٨٧٧ م وضعت الاستانة تحت الاحكام العرفية توقيفاً للثمن والقتل . وقد
 نسب تقهقر العثمانيين المستمر امام الروسيين لعدم كفاة المرقدار عبد الكريم باشا
 وناظر الحربية رديف باشا فعزلا في ٢٢ يوليو وتمين محمد علي باشا الروسي الاصل
 قائداً عاماً للجيش العثماني وأستدعي سليمان باشا الذي كان يحارب سكان الجبل
 الاسود وانتصر عليهم في عدة مواقع لحضوره مع جيوشه المدربة للمساعدة على
 صد الروس

وفي اثناء ذلك اتى الغازي عثمان باشا من مسكره بمدينة ودين لمساعدة مدينة
 نيكوبلي ولما وصله خبر سقوطها في ايدي الروس قصد مدينة بلغنا لاهمية موقعها
 الحربي ووجودها على ملتقى الطارق الممومية الموصلة بين مضائق جبال البلقان
 وبلغاريا الغربية والطونة واقام حولها الماقل والحصون المنيعة حتى ظن ان الاستيلاء
 عليها من رايهم المستحيلات . وفي يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٧ م هاجم الروس مدينة

بلغنا فارتدوا عنها خامسين وبعد هجوم ودفاع كثيرين تمكن الروس من حصر مدينة بلغنا في ١٢ أكتوبر سنة ١٨٧٧ م واصبح وصول المدد اليها مستحيلاً قد افهم عنها عثمان باشا دفاعاً خلد له ذكرآ لا تمعوه كرر الايام حتى نفذ ما كان هنكده من الذخائر والمؤمن فعزم على الخروج بجيوشه والمرور من وسط الروس المحاصرين للمدينة فاما ان يسلموا و يسلم معهم او يموتوا جميعاً شهداء الدفاع عن الوطن . فلما كان يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ م اخملت الجنود العثمانية جميع القلاع المحيطة بالمدينة وخرجوا جميعاً من جهة واحدة مهلين مكبرين فقابلهم الروس بمقدوفاتهم الجهنمية اما العساكر العثمانية فلم تعبأ بهم بل استمرت في سيرها عدواً نحو الاسلحكاتم التي اقامها الروس حول المدينة على ثلاثة خطوط متعاقبة ونفذوا على مدافع الخط الاول والثاني وكادت تستولي على الخط الثالث لولا ان أصيب قائدهم عثمان باشا الغازي برصاصة نفذت من ساقه الايسر وقتلت حصانه فسقط هذا الشجاع على الارض وظنت عساكره أنه استشهد وبجرد ما شاع خبر موته الكاذب استولى الفشل على جميع الجنود وارادت الرجوع الى المدينة وكلت قد استلمها الروس عقب خروجهم منها فقابلهم الروس بالنيران من الخلف فصار العثمانيون بين نارين وبعد ان دافعوا عن انفسهم دفاعاً حسناً التزموا برفع الراية البيضاء علامة التسليم قاوقف الروس اطلاق النيران وسلمت العساكر العثمانية سلاحها . اما عثمان باشا الغازي الذي وقع جريحاً في اثناء القتال فعاد بعد التسليم الى مدينة بلغنا ريثما يشفى من جرحه وهناك قابل الامبراطور اسكندر الثاني بعد دخوله بلغنا وعند ما دخل على الامبراطور قام اجلالاً له وسلم عليه واظهر له إعجاباً لحسن دفاعه وصرح له ان يتخذ سيفه ثم عاد الى منزله . وفي ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٧ م انزل في قطار مخصوص الى مدينة كركوف حيث أمر بالاقامة الى انتهاء الحرب اما في جهة اسيا فكان النصر اولاً في جانب العثمانيين وانتصر عليهم احد مختار باشا في عدة وقائع مشهورة ولكن لما قوالى ورود المدد لروس هاجم الجنرال لوريس ميكوف مدينة قارص وحاصرها وفتحها عنوة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ م

وكان مختار باشا في مدينة ارضروم وحاول مساعدة قارص وانتصر على الروس في
موقعة دوه بيون لكن لما وقعت قارص في ايدي الروس قصد جيشهم مدينة
ارضروم وحاصرها وبها مختار باشا

وبمجرد وصول خبر سقوط قارص في نوفمبر وبلغنا في ١٠ ديسمبر ايقون
السريون ان الفوز والنجاح سيكونان بجانب الروسيا فاعلنوا الحرب على الدولة
العية واتحدت عساكرهم مع عساكر الروس . وكذلك قام امير الجبل الاسود
طالباً توسيع تخومه وناوش العساكر العثمانية وكان من جراء ذلك تعطيل جزء
ليس بقليل من عساكر الدولة العلية

ولما توات الحوادث المذكورة طلب الباب العالي من الدول التوسط بينه
وبين روسيا لابرام الصلح وحقق الدماء وارسل بذلك منشوراً الى الدول الست
العظام فلم يرد له جواب شاف فاستمر القتال في الشتاء بدون انقطاع ودخلت
جيوش الروس الى ادرنة في ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ م وهددت الاستانة بالحصار
فارتأى الباب العالي ان يرسل ناصق باشا وسرور باشا لخبايرة الفرانديق نيولاً
بتوقيف الحرب فساروا اليه ومعهم نجيب باشا وعثمان باشا من جانب الجيش العثماني
وفي ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ م وقع الفريقان على اتفاقين الاول وقع عليه الفرانديق
نيولاً ونامق باشا وسرور باشا ومفاده منح الدولة العلية الاستقلال الاداري
لبلغار والاستقلال السيامي لرومانيا والجبل الاسود وتعديل تخومها والتخلي لها عن
بعض املاك الدولة وتقرر غرامة حربية لروسيا تدفع نقداً او يستعاض عنها باخذ
بعض القلاع والحصون والاتفاق الثاني وقع عليه نجيب باشا وسرور باشا ومفوضان
من قبل الجيش الروسي مفاده توقيف الحرب وشروط الهدنة

ولما بلغ دول اوربا الاتفاق على مباديء الصلح وحصول الهدنة طلبت النمسا
الى انكلترا عقد مؤتمر يجتمع فيه مفوضو الدول الموقعة على معاهدة باريس سنة
١٨٥٦ م خشية ان يكون في هذا الصلح ما يمجف بحقوق الدولة فاجابت انكلترا
النمسا الى هذا الطلب واقترحت ان يكون عقد المؤتمر في مدينة بادو وشاع حينئذ

ان روسيا ترغب في ان يكون الصلح مع الباب العالي بميزل عن الدول وشاع
ايضاً ان عساكر الروس احتلت الاستانة فامرت انكثرا اسطولها ان يدخل
البوسفور لحماية رعاياها فدخل الاسطول جبراً واكتفى الباب العالي باقامة الحجة
على دخوله فاشتتت روسيا فطلب قائد جيشها ادخال فرق من الجيش الخيم قريباً
من الاستانة الى المدينة بحجة المعاماة عن النصارى فعارضت انكثرا كل المعارضة
فعدلت روسيا عن ذلك . وطلب الفرانديق نقولا ان ينقل مركز الخابرات من
ادرنة الى سان اسطفانو بجوار القسطنطينية فقبلت الدولة ذلك . وفي ٢٤ فبراير
سنة ١٨٧٨ م انتقل الفرانديق الى البلدة المذكورة بالف جندي بصفة حرس له ثم
تزايد عدد الجنود الروسية هناك حتى بلغ نحو عشرين الف مقاتل وحضر الى هناك
صفوت باشا ناظر الخارجية وسعد الله بك سفير الباب العالي في المانيا والجنرال
اينباثيف مفوض روسيا وبعد عدة اجتماعات طلب المفوض الروسي التصديق على
اعمال المعاهدة قبل اليوم الثالث من شهر مارس الواقع فيه عيد جلالة قيصر الروس
مهدداً بابطال الهدنة وسوق العساكر الى الاستانة اذا لم يجر التصديق في اليوم
المعين فاضطر مندوب الدولة العلية الى التوقيع قبل التروي الكافي في مواد المعاهدة
وخلصة مواد هذه المعاهدة انه تقرر تصحيح الحدود بين الدولة العثمانية
والجبل الاسود بموجب خريطة صنعت لذلك وأن يثبت الباب العالي استقلال
امارة الجبل المذكور وان تكون اماره السرب مستقلة ومضبوطة تقوياً بموجب
خريطة وان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد المنتمية بالسرب لهم الخيار في ان
يأجروها او يقيموا وكلاء عنهم في ادارتها . وان يثبت الباب العالي استقلال
رومانيا وان تكون البلغار اماره ممنازة تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون
سامورو الحكومة والعسكر من النصارى وان امير بلغاريا ينتخبه الاهلون ويثبته
الباب العالي بحيث لا يكون من اقارب ملوك اوربا الجالسين على عرش الملك
ولا يبقى حق لعساكر الدولة ان تقيم في القلاع القديمة . وان اصحاب الاملاك
من المسلمين اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة ان يؤجروا املاكهم او يفوضوا

من ارادوا بادارتها وان الاصلاحات التي تقرر في اول مجلس من مؤتمرات الاستانة ينبغي تنفيذها دون تأخر في البشناق والمهرسك مع التعديلات التي سوف تقرر بين الدولة العلية ودولتي روسيا والنمسا . وان الباب العالي يتعهد باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع لجزيرة كريت سنة ١٨٦٨ م طبق طلب الاهالي وان يصدر عفواً عاماً عن جميع المتهمين بالاحداث الاخيرة ويطلق الاسرى والمسجونين لهذا الداعي وان مبالغ التعويضات التي طلبها القيصر وتعهد الباب العالي بدفعها هي ٢٤٥٢١٧٣٩١ ليرة عثمانية . واعلان القيصر ان يأخذ بقسم كبير من هذه المبالغ املاكاً للدولة العلية جري تعيينها . وان خليج الاستانة وخليج جنق قلعة يكونان مفتوحين للسفن التجارية التي تمر الى بلاد روسيا . الى غير ذلك

وقد رأت دول اوربا هذه المعاهدة معظمة للنفوذ الروسي في الممالك المحروسة ومجبهة الخوف من استحواد روسيا على الاستانة العلية فطلبت تعديل معاهدة سان اسطفانو هذه . وفي ٧ فبراير سنة ١٨٧٨ م دعت النمسا جميع الدول لعقد مؤتمر في برلين تحت رئاسة البرنس بسمارك الدائم الصيت . وطلبت انكلترا ان المؤتمر له الحق في تحميم جميع مواد معاهدة سان اسطفانو وانكرت روسيا ذلك على انها رأت انه لا بد من الاجابة الى هذا الطلب . ودعا بسمارك الدول لارسال مفوضيهم الى برلين لعقد المؤتمر في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م فعدوا عشرين مجاساً في مدة شهر الى ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م

واليك خلاصة ما تقرر في هذا المؤتمر . تقرر استيلاء اماره البلغار في امورها الداخلية وان تدفع كل سنة خراجاً للباب العالي وتبقى تحت سيادة الحضرة السلطانية ويكون حاكمها مسيحياً وعساكرها وطنية وعين المؤتمر فتحومها من كل جهاتها وقرر ان اهل البلغار لهم الحرية التامة ان ينتخبوا اميرهم والباب العالي ان يقرره برضى الدول العظم بشرط ان لا يكون من بيوت الملوك المالكة وبعد انتخابه تجتمع اعيان البلغار لسن نظاماً لامارتهم وان اختلاف المذهب بين البلغاريين

لا يخرج احدهم من الحقوق العمومية والمدنية والخراج الذي يدفعه البلغار للحضرة السلطانية يصير تقديره عند ختام السنة الاولى من العمل بالنظام الجديد باتفاق بين الدول ومراعاة حالة الدخل وقيمة ما يتحملة البلغار من ديون الدولة العامة وان تجلى المساكر العثمانية عن البلغار وتهدم القلاع التي لها في هذه البلاد . تم تقرر ان تشكل على جنوب البلغار ولاية تسمى الرومل الشرقية تبقى على تابعيتها السياسية والعسكرية للباب العالي ولكنها حائزة على استقلال اداري ويكون واليها مسيحياً الى مدة خمس سنين منصوباً من الباب العالي برضى الدول وحدد المؤتمر حدود هذه الولاية . وتعهد الباب العالي ان يجري النظام الجديد في جزيرة كريت مع بعض التعديل الذي يرى ضرورة اجرائه . وتقرر ان تحتل عساكر النمسا والمجر ولايتي البشناق والمهرسك ويناط بهما أمر ادارتهما وتتفق مع الدولة العثمانية على المواد المتعلقة باحتلال عساكرها هذه . واعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود واعترفت له بذلك الدول التي لم تقر له به قبلاً وتقرر ان اختلاف المذاهب لا يخرج احداً من اهل الجبل عن الاهلية المدنية والسياسية وعينت تخوم هذا الجبل وان المسلمين الذين يحبون السكن خارجاً عن الجبل تبقى لهم الحرية بالتصرف باملاكهم ويلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من الديون العامة على الدولة العلية . ثم وطد المؤتمر استقلالية السرب وعين تخوم هذه البلاد وان تكون معاملة رعايا السرب القاطنين في السلطنة العثمانية بحسب اصول الاحكام المتداولة بين الدول . وان تعمل السرب قسماً من ديون الدولة العامة . وتقرر ان اختلاف المذهب لا يخرج احداً رومانياً عن الحقوق المدنية والوظائف العامة في هذه الامارة وان ترد هذه الامارة على روسيا اراضي بيسارابيا التي كانت قد أخذت من روسيا في معاهدة سنة ١٨٥٦ ثم تقرر ان الباب العالي يسلم الى روسيا في اسيا واردهان وقارص وباطوم وغيرها وتميزت التخوم الفاصلة بين المملكتين وان ترد روسيا على المملكة العثمانية اودية الثغرا ومدينة بايزيد . وان الباب العالي يتعهد بان يجري دون تأخر في الولايات التي سكنها من الارمن الاصلاحات والتحسينات التي تحتاجها في

امورها الداخلية و بان يأمن الارمن من تعدي الشراكسة والاكراد وان يفيد الدول عما يصنمه بذلك وهي تراقب كيفية اجرائه . ولما كان الباب العالي اظهر رغبته في حفظ اصول حرية الدين فالدول الموقعة على هذا المؤتمر تنزل هذه الرغبة منزلة العمل فاختلف الدين لا يخرج احد العثمانيين عن الاهلية لشيء من الحقوق المدنية والسياسية والدخول في الوظائف الاميرية او نيل مراتب الشرف او استعمال الصنائع وان يؤذن لجميع الناس ان يؤدوا الشهادة في المحاكم دون تمييز في الدين ويحق لجميعهم استعمال امور دينهم بتمام الحرية ويكون الاكليروس والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية حائزين حقوقاً متساوية ومفوض الى قناصل الدول ونوابها ان يحاموهم ويحموا محلاتهم الدينية والخطيرة بحماية رسمية في الاماكن المقدسة وغيرها اما الحقوق المقررة لفرنسا فتبقى مرعية الاجراء ومن المقرر انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة . ثم قرروا اخيراً ان تبقى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م ومعاهدة لوندرد سنة ١٨٧١ م مرعيتي الاجراء في جميع المواد التي لم تنسخها او تعدلها هذه المعاهدة . ووقع نواب الدول على هذه المعاهدة ووضعو عليها اختامهم في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م وربما استغرب القاريء الكريم كيف انت الدولة التي سادت على اغلب ممالك العالم والقت الرعب في ملوكها لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزمت ان ترضخ الى شروط نظير هذه والحال انه اذا نظر الى هذه الامرين خالية من الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف امكن هذه الدولة ان تحتل كل تلك الصدمات الشديدة والمقاومات الرائعة من اعدائها في اوربا واسيا وافريقية مع عدم فنور الخلال في داخليتها بسبب اصحاب البني والفساد ولم تتزعزع اركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة او سبب آخر ان يثنيها . فهذا اعظم برهان على عظيمتها وقوتها

وبعد انهقاد الصلح ساد السلام في اطراف المملكة العثمانية فانتهز جلالة السلطان هذه الفرصة لاصلاح داخلية البلاد بنظنته المهودة فتمت الزراعة والتجارة ونهضت

البلاد العثمانية نهضة علمية عظيمة فأسست المدارس والمكتاتب والمطابع وترجمت الكتب الى اللغة التركية . وفي سنة ١٨٩٨ م كانت حرب بين الدولة العلية واليونان بسبب جزيرة كريت ومع ان جيوش الدولة العلية هزمت عساكر اليونان مرات متوالية ولكن وساطة الدول الاوروبية اضطرت الباب العالي الى توقيف الحرب ومنح الجزيرة المذكورة نوعاً من الاستقلال وتعين البرنس جورج ابن الملك جورج ملك اليونان والياً على الجزيرة المذكورة تحت مراقبة الدول نفسها . وكثيراً ما نسمع في هذه الايام من وقت الى آخر بسعي اليونان لضم الجزيرة الى املاكها ولكنها لان لم تحقق هذه الامة . وفي ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٦ استقال البرنس جورج فعينت الدول بدله المسيو زاميس . وفي سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) فترت العلاقات بين مصر والدولة العلية حتى صارت الحرب على قاب قوسين او ادنى بسبب الاختلاف على الحدود بين مصر والشام فانتصرت انكلترا لمصر وتساهل جلالة السلطان في الامر فصرف هذا المشكل بحكمته بان اجاب مصر وانكلترا الى ما طلبتا وسحب عساكره من النقط التي كان قد احتلها من الحدود المصرية

٦٦٧ - الدولة الوطاسية بمراكش

(تمهيد) بنو وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا اعماله حسبما تقدم في ذكر الدولة المرينية كان ابني وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وامصارها ورعاياها لجبايتهم وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بني عبد الحق وقد تكررت ذلك منهم حسبما مر . ثم اذعنوا الى الطاعة وراضوا انفسهم على الخدمة فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على امور دولتهم فحسن اثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها

٦٦٨ - ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الوطاسي

من سنة ٨٧٦ - ٨٩١٠ او من سنة ١٤٧٢ - ١٥٠٤ م

هو ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا يحيى بن زيان بن عمر بن علي الوطاسي كان
ابوه ابو زكريا وزيراً للسلطان عبد الحق اخرا المربطين ثم توفي فقام بالوزارة ابنه
يحيى فاستراب السلطان عبد الحق من الوطاسيين فقتل وزيره يحيى وجماعة من عشيرته
وفر اخوه ابو عبد الله محمد الملقب بالشيخ الى الصحراء وجعل يتردد ما بينها وبين البلاد
المطبية حتى ملك آصيلا وذلك قبل استيلاء البرتغال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلا
واستفحل امره بها تدفقت اليه الاعيان من اهل فاس والرؤساء من اهل دولة السلطان
عبد الحق وصاروا يكاتبونه ويقدمون اليه الوسائل سرا وربما دعوه الى القدوم على
ان يبدلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء واستمر الحال كذلك مدة

ولما ثقلت وطأة السلطان عبد الحق المربي على اهل المغرب وارهدف في الاستبداد
تشاوروا فيما بينهم وقرروا على خلعه وقتله فتم لهم ذلك يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ٨٦٩ هـ
وبه انقضت دولة بني عبد الحق المربنية . وبايع اهل المغرب من بعده ابا عبد الله محمد
ابن علي الادريسي الجوطي العمراني من بني عمران فرقة من ادارة فاس . وكان
هذا الشريف يومئذ بلي نقابة الاشراف بفاس - فاستدعوه فحضر وبايعوه في اواخر
رمضان سنة ٨٦٩ هـ . فلما علم محمد الشيخ الوطاسي بمكانه من آصيلا حدوث هذه الفتنة
بفاس طمع في الاستيلاء عليها فجمع جنداً صالحاً وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف
والتقوا باحواز مكناسة ف وقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسي ثم جمع
عسكراً اخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع ارباب دولته
وفي اثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتغال على آصيلا وعلى بيت ماله الذي كان
بها وعلى حظاياها واولاده فانرج عن فاس ورجع مبادراً الى آصيلا فحاصرها ولما امتنعت
عليه عقد مع البرتغال هدنة وعاد سريعاً الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها
حتى خرج فاراً بنفسه واسلم اليه في رمضان سنة ٨٧٦ هـ فدخلها محمد الشيخ وتمت
بيعته وصفا له ملك المغرب

وفي سنة ٨٩٧ هـ استولى الاسبانيون على مقاطعة غرناطة وطردها المسلمين منها

فتوافد المسلمون الى السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي هذا فاكرو ملتقام ورحب بهم فطلبوا منه ان يعين لهم موضعاً يسكنون فيه فعين لهم خرائب تطاوين فبنوها وسكنوها

وفي السنة المذكورة لما استولى الاسبانيون على غرناطة انتقل سلطانها ابو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد ان خاطبه من انشاء وزيره ابي عبد الله محمد العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها

مولي الملوك ملوك العرب والعجم رعيًا لما مثله يرعى من الذم
بك استعجزنا ونعم الجار انت لمن جار الزمان عليه جور منقم
حقى غدا ملكه بالرغم مستلبًا وافظع الخطب ماباتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له وهل مرد لحكم منه فتم

وهي طويلة . واستمر السلطان ابن الاحمر بفاس الى ان توفي سنة ٩٤٠ هـ وبقيت ذريته بها الى ان انقرضوا جميعاً ولم يبق منهم احد فسيحان الدائم

وفي ايام السلطان محمد الشيخ الوطاسي استولت دولة البرتغال على كثير من ارض المغرب من ذلك البريجة التي اضطروا لتشد يد الحصار عليها ان يبنوا بقربها مدينة دعوها الجديدة . ومن ذلك سواحل السوس حيث بنوا حصن فونقي قرب اكادير وفي سنة ٩١٠ هـ توفي السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي وتولى بعده ابنه

٦٦٩ - محمد بن محمد الشيخ

من سنة ٩١٠ - ٩٣١ هـ او من سنة ١٥٠٤ - ١٥٢٥ م

وهو المشهور بالبرتغالي . وكان نصارى سبتة وطنجة وآصيلا قد استخذوا على بلاد المغرب وضائقوا المسلمين بها حتى الجؤهم الى قصر كتامة فكان هذا الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى . وعني السلطان محمد البرتغالي هذا بجهاهم وترديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها فكان ذلك سبباً لظهور الدولة السعدية بها سنة ٩١٥ هـ على ما نذكره ان شاء الله تعالى

وكان دولة البرتغال عثت بضمف الدولة الوطاسية فطمعت في المغرب ورددت الغزو اليه فاستولت في مدة هذا السلطان على ثغرا آسفي وثغر ازموور وثغر الممورة ولم

يقدر السلطان محمد البرنقالي على دفعهم . وفي سنة ٩١٥ هـ ظهرت الدولة السعدية ببلاد السوس وما زال امرهم في الزيادة الى ان كانت دولة ابي العباس الاعرج منهم فاستفحل امره وبعد صيته. وقتك بنصاري السوس فكاتبه امره هنتاة اصحاب مراكش ودخلوا في طاعته فانقل اليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة . ولما اتصل خبره بالسلطان محمد البرنقالي وهو يومئذ بفاس قامت قيامته واقبل في جموع عديدة . فلما رأى ابو العباس السعدي مالا قبل به تحصن بمراكش وشحن اسوارها بالرماة فتقدم السلطان محمد ونصب الانفاط على مراكش ودام الحصار عليها اياماً . وبينما هو يحاصرها ورد عليه الخبر بان بني عمه قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته فانكفأ راجعاً الى فاس لمدافعتهم وقتلهم فاخذوا الى السكينة ثم عزم على جمع الجموع لاستخلاص مراكش من السعديين لكن لم يمهله القضاء لاتمام غرضه اذ توفي سنة ٩٣١ هـ

٦٧٠ - ابو مسعود بن محمد الشيخ

من سنة ٩٣١ - ٩٣٢ هـ او من سنة ١٥٢٥ - ١٥٢٦ م
وتولى بعده اخوه ابو الحسن علي بن محمد الشيخ ويعرف بابي حسون البادمي ولم تطل مدة ملكه اذ قام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن محمد البرنقالي وقبض عليه وخلعه . واشهد عليه بالخلف في ذي الحجة سنة ٩٣٢ هـ .

٦٧١ - ابو العباس احمد بن محمد

من سنة ٩٣٢ - ٩٥٦ هـ او من سنة ١٥٢٦ - ١٥٤٩ م
هو ابو العباس احمد بن محمد البرنقالي بن محمد الشيخ بن ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي بويج يوم خلع عمه آخر ذي الحجة متم سنة ٩٣٣ هـ وكانت باكورة اعماله عقده الصلح مع البرنقاليين ليتفرغ لقتال السعديين الذين زاحموا الوطاسيين في الدولة . فبعد ان تم عقد الصلح جمع السلطان ابو العباس جيوشه وحارب السعديين في عدة وقائع كان النصر فيها متبادلاً اشهرها وقعة انماي قرب مراكش وبعد هذه الوقعة تم

الصلح بين الوطاسيين والسعديين على ما نذكره
لما رأى اهل المغرب ما وقع بين السلطان ابي العباس احمد الوطاسي صاحب فاس
وابي العباس احمد صاحب مراکش من الثقاتل على الملك والتناك عليه وفناء
الخلق بينهم دخلوا في الصلح بينهم والتراضي على قسمة البلاد وحضر لذلك جماعة من
العلماء والاعيان وتواسطوا في الامر وقرروا الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسي
وابي العباس السعدي على أن يكون للوطاسي من تادالا الى المغرب الاوسط والسعدي
من تادالا الى السوس . فلما تم عقد الصلح على الكيفية المتقدم ذكرها عكف ابو العباس
احمد الوطاسي على اصلاح داخلية بلاده ومن اعظم آثار اصلاحه بناء قنطرة الرصيف
بفاس سنة ٩٥١ هـ . وفي ذلك يقول الفقيه ابو مالك عبد الواحد بن احمد الوائشيسي
مؤرخاً بناء هذه القنطرة

جسر الرصيف ابو العباس جدد	نخر السلاطين من ابناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفعاً	لمن يمر به من عدوئي فاس
وكان تجديده في نصف عام غنا	من هجرة المصطفى المبعوث للناس

٩٥١

الا ان الصلح بين الوطاسيين والسعديين لم يدم طويلاً لان محمداً الشيخ
السعدي الملقب بالمهدي تغلب على اخيه ابي العباس احمد السعدي الاعرج وانتزع منه
الملك وسجنه كما سيأتي ذكر ذلك في تاريخ الدولة السعدية . فلما استولى المهدي
السعدي هذا على مراکش من يد اخيه لم يعترف بعقد الصلح المعقود بين اخيه
المذكور وبين الوطاسيين بل طمع في الاستيلاء على فاس وانتزاعها من يد الوطاسيين
فردد اليهم البعوث والسرايا واكثر فيهم شن الغارات وصار يستلبهم البلاد شيئاً فشيئاً
واخيراً نهض سنة ٩٥٦ هـ بجمع كثر الى فاس وحاصرها وضيق عليها وبعد قتال
شديد انهزم الوطاسيون وتحصنوا بفاس حتى قلت الاقوات عندهم وحصل لاهل فاس
من جراء ذلك جهد عظيم وعجز الوطاسيون عن الدفاع فنزل اهل فاس على حكم السعدي
فقبض على ابي العباس احمد الوطاسي وقتله وجماعة من اهله ولم ينج من امراء الوطاسيين
الا الامير ابا حسون فانه فرّ الى الجزائر وكان من خبره ما نذكره

٦٧٢ - ابو حسونه به محمد الشيخ (ثانية)

من سنة ٩٥٦ - ٩٦١ هـ او من سنة ١٥٤٩ - ١٥٥٤ م

لما دخل السلطان محمد الشيخ السعدي الملقب بالمهدي مدينة فاس سنة ٩٥٦ هـ وقبض على بني وطاس بها حسبما تقدم فرأى ابو حسون هذا الى المغرب الاوسط وكانت قد دخلت تحت ظل السلطنة العثمانية فالتجأ ابو حسون الى الترك فآكروه صالح باشا قائد جيوش الترك لذلك العهد . ولم يزل ابو حسون عند صالح باشا يحسن له الاستيلاء على المغرب ويعظمها في عينيه ويقول « ان المتغلب عليها قد سلبني ملكي وملك آبائي وغابني على تراث اجدادي فلو ذهبت معي لقتاله لكننا نرجو من الله تعالى ان يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به ولا تعدمون انتم مع ذلك منفعه من ملء ايديكم غنائم وذخائر » ووعدهم بالمال جزيل فاجابه صالح باشا الى ما طلب ونهض معه بجيشه الظافر حتى اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ووقائع شديدة وفر عنها الشيخ السعدي . وكان دخول السلطان ابي حسون الى فاس ثالث صفر سنة ٩٦١ هـ والتقاء الناس بفرح لا مزيد عليه

ولما فر السلطان محمد الشيخ السعدي امام الاتراك بفاس وصل الى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال ابي حسون فأخذ في استنفار القبائل وانتخاب الابطال وتعبئة العساكر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به ازره وقوى به عضده ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان ابو حسون في رماة فاس ومن انضم اليهم من جيش العرب وبعد قتال شديد انهزم ابو حسون ورجع الى فاس وتحصن بها فتقدم الشيخ السعدي وحاصره الى ان ظفريه في وقعة كانت بينهما في الموضع المعروف بمسلمة فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له امرها وذلك يوم السبت ٢٤ شوال سنة ٩٦١ هـ وبقتل السلطان ابي حسون انقرضت الدولة الوطاسية بالمغرب والله وازرت الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٦٧٣ - الدولة الصغوية بإيران

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى الشيخ صفي الدين بن جبرائيل وهو اول من جمع العسكر من هذه العائلة الا انه لم يحارب احداً لان خطته كانت سلمية فكان لا يأمر بغير الطيب والاحسان وخلفه ابنه صدر الدين وهذا كان في ايام تيمورلنك التتري وقد أخذله مقررًا مدينة اردبيل فزاره يوماً تيمورلنك وسأله عما اذا كان يلزمه شيء وانه مستعد لنقضائه في الحال فطلب منه ان يطلق سبيل الامرى الذين اتى بهم من بلاد الاتراك ففعل تيمور باشارته وحفظ الاتراك لصدر الدين هذا الجليل وعائلته من بعده وعم السبب في توليتها الملك كما سيحيى

ثم توفي صدر الدين وخلفه ابنه خواجه علي ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ ابراهيم ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ جنيد وهو اول من غزا من هذه الطائفة فانه جمع عسكراً من محبيه ومحبى ابيه فغزا الكرج وقاتلهم وغنم منهم شيئاً كثيراً ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ حيدر فسلك مسلك ابيه في جمع العسكر ومباشرة الغزاة حتى اجتمع عنده من العسكر ستة آلاف مقاتل فغزا الكرج واتخذ التاج من الجوخ الاحمر باقى عشرة رقعة وسمى بتاج الحيدرية ثم طعم في الاستيلاء على ما حوله من البلدان فهاجم مدينة شروان لكنه انهزم امام صاحبها ووقع هو واولاده اسيراً بين يديه فقتلهم صاحب شروان سوى ولديه اسماعيل وعلي وظلت عائلة صفي الدين في خطر دائم حتى أتىح لاسماعيل بن حيدر جمع العساكر وتجنيد الجنود ولم تشعث الدولة كما ستري وهو في عرف المؤرخين اول ملوك هذه الدولة

٦٧٤ - شاه اسماعيل بهم حيدر

من سنة ٩٠٥ - ٩٣٠ هـ او من سنة ١٤٩٩ - ١٥٢٣ م

لما قتل الشيخ حيدر بقي ابناه اسماعيل وعلي مدة في زوايا النسيان حتى اتاح الله لاسماعيل قوماً دلوه على قوم من الاتراك احباء عائلته فذهب اليهم وعرفهم بنفسه

فقبلوه بترحاب عظيم واجابوه الى ما طلب من مساعدته على امره وصعبه منهم جند ليس بقليل فماد اسماعيل بن انضم اليه الى لاهجان . وفي اواسط محرم سنة ٩٠٥ هـ توجه اسماعيل من لاهجان بطائفة من العسكر الى اذربيجان وطلب عليها واستولى على جميع نواحيها وسمي بالشاه وخطب له على منابرها . ولما قوي امره قصد في سنة ٩٠٦ هـ صاحب شروان قاتل أبيه وقتله واستولى على بلاده ثم سار الى ديار بكر وقاتل صاحبها واستولى على غالب بلاده وتوجه الى بلاد العراق واسترد بغداد واستولى على جميع العراق وعدا على صاحب خراسان وما وراء النهر فكسره وقتله وجعل جمجمة رأسه مثل القدح يشرب منه الخمر مدة حياته

وكان شاه اسماعيل صوفياً مثل افراد عائلته وليس له اعداء واعوانه كشار فاستحسن ان يدخل مذهب الشيعة الاثنا عشرية الجمفرية الى ايران ويجمعها مذهب السلطنة ففعل ذلك وفاز بمراذه ولم يلق معارضة تذكر لان الايرانيين فضلوا مذهب القائلين بتكريم الامام علي بن أبي طالب (رضه) ومن ذلك اليوم صارت بلاد ايران مقر الشيعة بين المسلمين

وفي هذه الاثناء عصى اولاد السلطان بايزيد الثاني العثماني على أبيهم فساعد شاه اسماعيل الامير احمد ابن السلطان بايزيد على أبيه ثم على أخيه السلطان سليم من بعده وقبل من فر من اولاده عنده وراسل سلطان مصر في الاتفاق والاتحاد معاً على محاربة السلطان سليم العثماني مظهرآ له انه ان لم يتفقا حاربت الدولة كلاهما منهما على حدته وقهرته . فلما علم السلطان سليم العثماني باجراءات شاه اسماعيل العدوانية اغتاز جداً حتى أمر بقتل جميع الشيعة في بلاده المتاخمة لبلاد العجم فقتلوا بطريقة سرية وقيل ان عدد كل من قتل بلغ ٤٠ ألفاً . وبعد ذلك اعلن السلطان سليم الشاه اسماعيل بالحرب واقتل في جيوشه سنة ٩٢٠ هـ فبرز الشاه اسماعيل لمدافعته لكنه تقهقر أمامه خدعة حربية لينهك الثعب الجنود العثمانية فينقض عليهم واستمر في تقهقره الى ارباض تبريز فوق القتال بين الجيشين في ٢ رجب سنة ٩٢٠ هـ فانهضت الجنود العثمانية نصراً مبيناً وفر الشاه اسماعيل بمن بقي معه . ودخل

السلطان سليم تبريز واستولى عليها وبعد ان مكث بها ثمانية ايام لراحة جيوشه نهض متغنيا اثر الشاه اسماعيل الا ان عساكره لم تطاوعه على الايقال في بلاد العجم فاضطر ان يرجع الى بلاده تاركاً كل فتوحاته . فعاد الشاه اسماعيل من منفاه وجلس على سرير ملكه . ولما توفي السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٦ هـ طمع الشاه اسماعيل في الاستيلاء على بعض بلاد الدولة العلية العثمانية والانتقام منهم فتقدم الى بلاد الاتراك فاضطع بلاد الجركس وهي يومئذ تابعة للدولة العثمانية وعاد عنها فخرج على أردبيل ليزور اجداده فقتل نحبسه هناك سنة ٩٣٠ هـ ودفن فيها مأسوفاً عليه

٦٧٥ - شاه طهماسب بن اسماعيل

من سنة ٩٣٠ - ٩٨٤ هـ او من سنة ١٥٢٣ - ١٥٧٦ م

وتولى بعده ابنه طهماسب وهو في العاشرة من عمره فانتهزت بلاد خراسان هذه الفرصة للعصيان على عاداتها فاضطعها بغير عناء كثير ثم وقعت الممافسات بين فئات الاتراك الذين ساعدوا هذه الدولة على الملك وكثر الخصام بين طئفتين منهم فانحاز طهماسب الى احدهما ونجحت الاخرى فطلبت القبض عليه وعند ذلك هاج الدم في عروقه واستغاث برؤة جنوده واعوانه الايرانيين فاغاثوه وتقدموا معه لمحاربة هؤلاء الاتراك فنكلوا بهم واذاقوهم البلاء الاكبر وانتصروا عليهم انتصاراً تاماً . وفي سنة ٩٤٠ هـ تقدم السلطان سليمان خان القانوني العثماني على بلاد ايران فاستولى على اذربيجان وبغداد وغيرها من الاراضي الفرية التي كانت لايران بعد ان فتك بالعجم فتكاً ذريعاً ثم عاد الى بلاده . فلما علم طهماسب برجوعه جمع جيشاً كبيراً وتقدم به على بلاد الترك وملك ارمينية وما يجاورها ولكنه اضطر الى الرجوع لما بلغه ان القلاقل كثرت ببلاده بسبب قيام قبائل الاوزبك من من انتزعت على حكومته في الشرق بايعاز من السلطان سايمان العثماني وعصيان اخيه القاص ميرزا وهو الذي التجأ الى السلطان سايمان العثماني واتفق معه على اقتسام

ايران . وكان لهذا الامير اعوان كثيرون في ايران فنجشي طهماسب العاقبة ساجد ان فتح جيش الاتراك تبريز وتقدم على السلطنة . ولكن التقادير خلصت ايران بخصام القاص والسلطان العثماني وفرار الاول ورجوع الثاني من بعد ان فقد معونة اعوان الامير القاص . اما القاص ففر الى ديار بكر فقبض عليه صاحبها وارسله الى اخيه طهماسب فامر باعدامه . وقضى طهماسب كل ايامه يحارب العثمانيين من جهة والتتر من جهة اخرى الا ان ما كان فيه من الرأي وحسن التدبير مكنه من حفظ المملكة امام اعدائه الكثيرين

وهو الذي نقل كرسي مملكة ايران الى قزوین وكان متحزباً للاسلام على الطريقة الشيعية وهو اول من زاره سفراء الفرنج من ملوك ايران جاءه انكليزي اسمه جنكسن من قبل الملكة اليصابات ملكة انكلترا لذلك الوقت فسأله حال وقوع نظره بعد ان ظل يستأذن باثول لديه ستة اشهر « هل انت مسلم او كافر » قال « اني لست مسلماً ولا كافراً بل انا نصراني » قل « ليس بي حاجة الى مخافة الذين هم ليس على ديني فروح في حال سبيلك » وخرج الرجل وقد تبعه ايراني يرش الرمل من ورائه في القصر حتى يعرف محل وقع اقدامه وينظف القادر بعد خروجه

وكان لطهماسب ابناء كثيرون ابعد بعضهم واعتقل بعضهم في حياته خوفاً من مزاحته في المملكة والغريب انه وقع في ما كان يخاف منه لان ابنه الامير حيدر اوجز لوالديه بقتل ابيه ليتسلطن مكانه ففعلت هذه الفادرة باشارة ابنها وسمت زوجها شاه طهماسب فتوفي في الحال وكانت وفاته في ٧ صفر سنة ٩٨٤ هـ

٦٧٦ - شاه حيدر به طهماسب

سنة ٩٨٤ هـ او سنة ١٥٧٦ م

وتولى بعده ابنه شاه حيدر وهو ثالث ابنائه لكنه لم يمتأ بالملك بل نال جزاء خيانه وبان ذلك انه كان لطهماسب ابنة تدعى يري خان وكانت عاقلة فطنة

فلما علمت ما جرى لابيها ارسلت لاختيها حميدرا ان يزورها فأجاب طلبها وذهب الى قصرها . وكانت قد أعدت رجالاً مسلحين لفتك به حال دخوله . فلما دخل القصر انقضت عليه أولئك الرجال وقتلوه لايام من ولايته

٦٧٧ - شاه اسماعيل بن طهماسب

من سنة ٩٨٤ - ٩٨٥ هـ او من سنة ١٥٧٦ - ١٥٧٧ م
ولما قتلت بيرى خان اخاها كما تقدم أرسلت وأخرجت شقيقها اسماعيل من معتقله لانه كان محبوباً في قلعة الموت مدة حياة ابيه فأخرجته وفوضت اليه الامر جميعاً . ثم ارادت بيرى خان ان تشرك شقيقها في الامر والزهي فلما انس شاه اسماعيل منها هذا الميل امر بقتلها فقتلت . وكان شاه اسماعيل سيئ السيرة منهكاً بلذاته غير ملتفت لامر المملكة فنازعه اخوه محمد خدا بندا واستولى على خراسان واستقل بها ولم يقدر شاه اسماعيل على اخذها منه
وفي ٣ رمضان سنة ٩٨٥ هـ توفي شاه اسماعيل بن طهماسب مسموماً لانه كان يتعاطى أكل الترياق ويبالغ فيه فسموه في الترياق

٦٧٨ - محمد خدا بندا بن طهماسب

من سنة ٩٨٥ - ٩٩٣ هـ او من سنة ١٥٧٧ - ١٥٨٥ م
ولما بلغ محمد خدا بندا ملك خراسان وفاة اخيه شاه اسماعيل قدم من خراسان الى قزوین واستقر على سرير الملك وكان يرجى منه الخير والعدل ثم ظهر منه ما يخالف ذلك . وانتهم العثمانيون فرصة هذه الفتن الداخلية التي حصلت في بلاد ايران وطعموا في الاستيلاء عليها فارسل السلطان مراد خان الثالث المساکر العثمانية بقيادة لاله مصطفى باشا . فسار هذا القائد بجيوشه قاصداً اقليم الكرج من بلاد الجركس سنة ٩٨٥ هـ وكانت تابعة الى مملكة العجم ونفخها واحتل مدينة تفليس

عاصمة الكرج بعد ان انتصر على جنود الشاه ولكن اضطر العثمانيون للمود الى طرابزون لدخول فصل الشتاء الذي لا يمكن استمرار القتال في غصونه لشدة البرد وتراكم الثلوج في هذه الاصقاع وقبل ان ينقضي الشتاء توفي مصطفى باشا قائد العثمانيين فأهل اعادة الكرة على ايران

وفي سنة ٩٩٢ هـ ارسل السلطان مراد غان الثالث العثماني جيشاً كبيراً بلغ مقداره ٢٦٠ الف مقاتل بقيادة عثمان باشا لمنازلة ايران . فسار هذا الجيش المرمم قاصداً بلاد اذربيجان فاخترقها بدون كثير مقاومة ثم قصد مدينة تبريز فبرزت اليه عساكر الايرانيين بقيادة حمزة ميرزا اخي الشاه وبعد قتال شديد أظهر فيه حمزة ميرزا ما خلده ذكراً جميلاً انتصر العثمانيون بعد ان قتل حمزة ميرزا قائد جيوش ايران ودخلوا مدينة تبريز فاضطر الشاه محمد خدا بندا ان يعقد معهم صلحاً على ان يتنازل للسلطان مراد عن اقليم الكرج وشروان ولورستان وجزء من اذربيجان ومدينة تبريز وفي هذه الاثناء توفي عثمان باشا قائد العثمانيين فقوي جانب الايرانيين نوعاً ما

ولما رأى الايرانيون ضعف سلطانهم الشاه محمد خدا بندا وعدم تمكنه من حفظ الدولة اخذوا ابنه الامير عباساً وذهبوا به الى خراسان وهناك نادوا به شاهاً عليهم ثم تقدموا الى قزوین ولما قربوا منها ثار على محمد خدا بندا المساكر التي قزوین وقتلوه شر قتله وكان ذلك سنة ٩٩٣ هـ

٦٧٩ - شاه عباس الكبير بن محمد خدا بندا

من سنة ٩٩٣ - ١٠٣٧ هـ او من سنة ١٥٨٥ - ١٦٢٨ م

فدخل الشاهيون قزوین ونادوا بالامير عباس شاهاً عليهم وهو يومئذ صغير واختره صغيراً لكي يكون اطوع اليهم من غيره فجعلوا تفضيده واسطة لاعلاء كلمتهم ومنفعة انفسهم ولكن كانت علامات النجابة والشجاعة ظاهرة على الشاه عباس



(ش - شاه عباس)

الفى فلما لما ثبوا تحت السلطنة كانت البلاد كشعلة نار من جراء الثورات الداخلية وطلب كل قبيلة الاستقلال فنهض الشاه عباس واخضع الجميع في مدة قريبة . ثم عمد لاستخلاص ما التهمته الدولة العثمانية من املاك ايران فخارب العثمانيين وانتصر عليهم واحتل مدائن تبريز ووان وغيرها وكانت الدولة العثمانية مشغولة في ذلك الوقت بمعاربة البائرين عليها شرقاً وغرباً فاضطر السلطان احمد خان الاول ان يعقد مع الشاه عباس صلحاً على ان تترك الدولة العثمانية لمملكة العجم جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازي سليمان الاول ليتفرغ لاصلاح داخلية بلاده . فقبل الشاه عباس هذه الشروط وصالح العثمانيين عليها ليتفرغ هو ايضاً لقتال قبائل الاوزبك وكانوا قد ضايقوا دولته . فنهض الشاه عباس الى مدينة مشهد التي كانت قد احتلتها قبائل الاوزبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ م

وفي سنة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧ م) توفي السلطان احمد الاول سلطان العثمانيين وتولى بعده اخوه السلطان مصطفى ثم عزل سنة ١٠٢٧ هـ واقام ارباب الدولة مكانه ابن اخيه السلطان عثمان بن احمد الاول ثم عزل سنة ١٠٣١ هـ وأعيد السلطان مصطفى

ثانية ثم عزل سنة ١٠٣٢ هـ وولي مكانه السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان احمد الاول . فانتزع الشاه عباس هذا الاختلال في الدولة العثمانية لتوسيع املاكه من جهة حدودها فنقض ببغيش كشياف الى مدينة بغداد وحاصرها ثلاثة اشهر وفتحها بخيانة ابن واليها املاً في ان يوليه الشاه عليها اذا دخلها ظافراً ولكن الامر جاء بالعكس لان الشاه عباساً لما دخل مدينة بغداد امر بابن الوالي المذكور فقتل جزاء خيائته . وحاول العثمانيون استرجاع بغداد لكنهم ردوا عنها خامسين . ثم زحف شاه عباس الى نهاوند فذلك حصونها دكاً واخذها من الاتراك ثم تقدم على تبريز وتغليس وغيرها من الانحاء الشمالية لمحارب الاتراك فيها ومع ان عساكرهم كانت تقدر بضعة عساكره انتصر عليهم وكسروا مكرسة وملكت تلك البلاد منهم وأوقع الرعب في قلوبهم . فظل شاه عباس من بعد تلك المواقع يسترد شيئاً بعد شيء مما اخذه الاتراك من مملكة ايران القديمة حتى استرجع كل بلاد اذربيجان وشطوط بحر قزوين وبلاد الشراكسة والموصل وديار بكر وكردستان . ومن لهم الفضل في انتصار عساكر الشاه على العثمانيين المستروربرت شارلي الانكليزي الاصل وكان قد حضر الى ايران هو واخوه المستر انتوني شارلي فالتقيا شاه عباس واكرماهما اكراماً زائداً واستشار المستر انتوني في امر الحرب مع الاتراك فاشار عليه بتعليم جنوده مبادئ العلوم العسكرية وبمجازاة دول اوربا على الاتراك فرضي شاه عباس بقوله واثنبه سفيراً لينيوب عنه امام حكومات اوربا في عقد الاتفاق واعطاه فرماناً بذلك يدل على ثقته التامة بهذا الشريف الانكليزي . وبقي المستر روبرت شارلي في قزوين يدرب عساكر شاه عباس ويعلمهم ما يلزمهم لاتقان فن الحرب فكان ذلك سبباً في انتصارهم على الاتراك

ومن فضائل الشاه عباس انه تساهل تساهلاً لم يسبق له نظير مع الفرنج والمسيحيين اجمالاً واصدر منشوراً الى رعاياه يقول لهم فيه ان النصراني اصدقائه وحلفاءه بلادهم وانهم يأمرهم باحترامهم واكرامهم اين حنوا وفتح مين بلادهم لتجار الفرنج وأوصى ان لا تؤخذ الرسوم على ابضعتهم وان لا يتعرض لهم احد الحكام او الاهالي بسوء . وهو اول من فعل ذلك من سلاطين المسلمين في بلاد ايران

ومن الاذلة على تساهل الشاه عباس مع المسيحيين وحسن معاملته لهم انه اتم على المستروربرت شارلي الانكليزي الذي تقدم ذكره بفتاة شركسية رزق منها اولاداً وكان شاه عباس عراب اولهم وليس في التاريخ دليل اكبر من هذا على التساهل في

حربة الاديان وجعل شاه عباس مدينة اصفهان قاعدة ملكه وقرر الامن في البلاد ونظم احوالها واحسن التدبير في كل امورها حتى خطت البلاد في ايامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم سيما بعد ان كثرت مناجر الفرنج في ايران وكثر تردد التجار والسياح منهم على بلاده . وكانت علاقته طيبة مع كل الدول الاوروبية ومع سلطان الهند ايضا ولم يحارب احدى الدول الافرنجية الا مرة واحدة وذلك ان البورتغاليين انشأوا مستعمرة زاهرة زاهية في جزيرة ارموس في خليج العجم وكان عباس شاه يسمع بها وبكثرة مواردها فلم يرق له ان تكون لدولة اجنبية وهي في مياه بلاده فوجه همه الى امتلاكها وانفق مع حكومة الهند الانكليزية وهي يومئذ في يد شركة تجارية على اخراج البورتغاليين منها فارسلت له الشركة الانكليزية سفنًا اوصلت عساكره الى الجزيرة فدمروها تدميرًا وخرّبوا معاملها واخرجوا البورتغاليين منها واستولى عباس شاه عليها . ولكن لم يحسن اهل ايران ادارة ما فيها من المعامل فخربت واقترت الجزيرة ولم يستفد الشاه ولا الانكليز من هذا العمل

وانشأ عباس شاه الصروح الفخيمة وزين المدائن وامر بالعدل وترك ما يخلد له الذكر من الآثار العظيمة في البلاد منها آثاره في اصفهان التي لبس لها مثل في بلاد الشرق وهو اشهر ملوك هذه الدولة لم يبق فيها واحد اهتم اهتمامه باصلاح شؤون البلاد ولم يشعها واقامة الآثار فيها حتى ان الاهالي يطلقون عليه اسم عباس شاه الكبير ويظنون الآن ان كل ما في ايران من الآثار القديمة بني في ايامه . غير ان عباسا اشتهر بالقسوة الهائلة اشتهاره بالحكمة والبسالة وحب التقدم لبلاده فقد كان يشدد الوطأة على الولاة والامراء الذين تبدو منهم هفوة توجب العقاب واكثر من ذلك قسوته على اولاده واهل بيته . وقد كان لهذا السلطان العظيم اربعة اولاد هم فرة العين وكان ولما بهم الى أن شوا وصار يرى الناس يعظمونهم حسب عادتهم في تكريم اولاد الملوك فدخلته الشكوك وبدأ يخاف من اولاده ويسئ معاملتهم . ثم توفي سنة ١٠٣٧ هـ في مدينة فرح آباد سبعين سنة من عمره بعد ان حكم ٤٣ سنة

٦٨٠ - شاه صفى الثانى

من سنة ١٠٣٧ - ١٠٥١ هـ أو من سنة ١٦٢٨ - ١٦٤١ م
 ولما توفي الشاه عباس الكبير تولى بعده حفيده شاه صفى الثانى وكان ظالماً
 عاتياً سفاكاً للدماء لا هم له غير الاشتغال بقتل الابرياء حتى لم يبق لكبير او امير
 في بلاد ايران امان على نفسه في مدة هذا الظالم . وقتل من اعضاء العائلة المالكة
 ما بين نساء ورجال حوالي ثلثين شخصاً بلا ذنب يعرف غير خوفه من مزاحمتهم له
 ولما توفي عباس شاه انتهز التتر فرصة للهجوم على خراسان ونهب اموالها ولكن
 عساكر الايرانيين انتصرت عليهم وردتهم على اعقابهم خاسرين . وفي سنة
 ١٠٤٥ هـ تقدم السلطان مراد الرابع العثماني بنفسه في جيش كثيف لاسترجاع
 فتوحات سليمان الاول القانوني ببلاد الحجاز ففتح مدينة اريوان في ٢٥ صفر سنة
 ١٠٤٥ هـ ثم تقدم الى مدينة تبريز وفتحها عنوة في ٢٨ ربيع الاول من السنة ثم عاد الى
 القسطنطينية فاستد عزم الحجاز برجوع السلطان وحاربوا الجيوش العثمانية وانتصروا
 عليها واستردوا مدينة اريوان وتلقبوا العثمانيين حتى كسروهم كسرة شنيعة في
 وادي مهر بان سنة ١٠٤٦ هـ . ولما علم السلطان مراد الرابع العثماني بانهم زام جيوشه
 امام ساكر الشاه عاد بجيش عظيم وحاصر مدينة بغداد في ٨ رجب سنة ١٠٤٨ هـ
 وفتحها عنوة في ١٨ شعبان من السنة فخاف الشاه صفى من تقدم السلطان مراد على
 بلاده وارسل يعرض له الصلح على ان تكون بغداد تابعة للدولة العلية العثمانية
 واريوان تابعة للدولة الصفوية فقبل السلطان ذلك وتم عقد الصلح في ٢١ جمادى
 الاولى سنة ١٠٤٩ هـ

وكان الشاه صفى الثانى منغمساً في الشهوات مسلماً الادارة كلها الى وزرائه
 الذين كان يأمر بقتلهم لا قتل علة . ثم مات في مدينة كاشان سنة ١٠٥١ هـ



٦٨١ - شاه عباس الثاني به صفى

من سنة ١٠٥١ - ١٠٧٥ هـ او من سنة ١٦٤١ - ١٦٦٤ م

وتولى بعده ابنه شاه عباس الثاني بن شاه صفى الثاني وعمره اذ ذاك عشرين سنين فتولى الامر في مدة صغر هذا الشاه الوزراء وكانوا من اصحاب العقل والذمة واشتهروا بالفضائل والنقوى فامروا بابطال شرب الخمر من القصر وشددوا في عقاب الفدين يسكرون . وكان السكر رذيلة عمت في ايام عباس شاه الاول وحفيده ولما بلغ عباس الثاني اشدّه تولى الامر بيده فافرط في التمتع باللذات وعاد الى المسكر فارتكب المفوات الكثيرة واسقط مقام الملك ولكنه لم يصل الى درجة ابيه . ومع ذلك كان عباس الثاني حسن التدبير شديد البطش على الاعداء فاسترجع الايرانيون في ايامه مدينة قندهار وكان والده شاه صفى اضاعها في ايامه . وتمكن شاه عباس من عقد الصلح مع الاتراك من جهة والنتر من جهة اخرى فساد الامن في مدة حكمه السعيد ونمت المتاجر وتقدمت العلوم والصنائع ورتعت البلاد في بخرجة الامن والراحة الى ان توفي سنة ١٠٧٥ هـ

٦٨٢ - شاه سليمان بن عباس

من سنة ١٠٧٥ - ١١٠٦ هـ او من سنة ١٦٦٤ - ١٦٩٤ م

وكان لعباس الثاني ابنان اكبرهما صفى ميرزا فاتفق ارباب الدولة على تولية اصغرهما حمزة ميرزا فعارض في ذلك الخصي مبارك آغا واقنع الجميع بضرورة مبايعة صفى ميرزا لانه احق من اخيه لكبر سنه فوافقوه على ذلك وانتهت الدسيسة ورتقي صفى ميرزا على كرسي اجداده بشهادة هذا الخصي وافضل ما يروى عن صفى ميرزا انه لم ينتقم من الاشراف على خيانتهم ودسيستهم هذه . واتخذ صفى ميرزا يوم رقي عرش السلطنة اسم شاه سليمان ولم يحدث في ايامه شيء يستحق الذكر غير انه كان خاملاً ضعيف الرأي ولماً بالانفاس في اللذات والشهوات الى ان توفي سنة ١١٠٦ هـ

٦٨٣ - شاه حسين بن سليمان

من سنة ١١٠٦ - ١١٣٥ هـ او من سنة ١٦٩٤ - ١٧٢٢

وتولى بعده ابنه شاه حسين بن شاه سليمان (او صفي ميرزا) . وكان الشاه حسين طيب القلب سليم النية شديد التمسك بدينه فامر حال صعوده على تخت المملكة بإبطال السكر وكسر انية الخمر التي وجدها في قصوره وقرب المشايخ والعلماء فاعطاهم المناصب العالية وحرم الامراء والقواد منها فظلت البلاد عشرين عاماً في ايامه متمتعة بالراحة الى ان ظهر الامير محمود سلطان افغانستان الفلجائي وغاز على ايران بجيوشه واكتسحها امامه ووصل اخيراً الى مدينة اصفهان وحاصرها مدة ودافع عنها الشاه حسين دفاعاً محموداً الا ان خيانة بعض بطانته افسدت عليه الحال حتى اضطر اخيراً ان يتنازل عن الملك للامير محمود الفلجائي ولكنه قبل ان يخلف نفسه عن كرسي المملكة نزل الى الاسواق حافياً واخذ يطوف في شوارع اصفهان وهو يصبح قائلاً « لا تحزنوا ايها الناس على فراق عنكم لان الشاه محموداً هو اخبر مني وادري في تدبير اموركم واصلاح شأنكم لاسيما في ادارة الحروب وسياسة الاحكام » وكان اكثر سكان المدينة يمشون وراءه وهم يبكون وينتحبون على فراقه . وسنذكر استيلاء الشاه محمود على دولة ايران باكثر تفصيل في ذكر الدولة الفلجائية فراجعهم هناك

وكان الشاه حسين اخر ملوك الدولة الصفوية الشهيرة وباستيلاء الافغانيين على اصفهان سنة ١١٣٥ هـ انقرضت هذه الدولة والبقاء لله وحده

٦٨٤ - الدولة السعدية بمراكش

(تمهيد) تدعى هذه الدولة بدولة لاشراف السعديين ويقال لها دولة الاشراف لانصال نسبهم بآل البيت الكريم و يقال لها دولة السعديين او الدولة السعدية باسم الناس بهم واول من قام بالملك من هذه الدولة ابو عبد الله محمد القائم بامر الله

ابن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن عبد الله الاشتر بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب . واول من دخل المغرب منهم الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة الخ وهو الجد الثامن لابي عبد الله محمد القائم بأمر الله رأس هذه الدولة وكان دخوله اليه سنة ٦٦٤ هـ فاقام بدرعة ولم يزل نسله بها الى ان كانت المائة التاسعة للهجرة وانقرضت دولة بني مرين وتولى المغرب الدولة الوطاسية ولم تكن شوكتها كافية لضبط بلاد المغرب جميعه وضايقتها دولة البورتقال واستولت على كثير من ثغور ومدن المغرب كما مر ذكر ذلك في اخبار الدولة الوطاسية فلما رأى ابو عبد الله محمد القائم بأمر الله فشل ربيع الوطاسيين حدثته نفسه بالملك . وكان اهل السوس يشعرون بمدى مقدرة الدولة الوطاسية على رد هجمات البورتقالين عنهم فضايق بهم الامر جداً وصاروا يبحثون عن يولونه امرهم حتى استدلووا على الشريف ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله بدرعة فذهبوا اليه وبايعوه سنة ٩١٥ هـ

(٦٨٥) ابو عبد الله محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمن

من سنة ٩١٥ - ٩٢٣ هـ او من سنة ١٥٠٩ - ١٥١٧ م

ولما بايعه اهل السوس سنة ٩١٥ هـ جمع الجموع وجند الجنود مظهر الجهاد البرتقال واخراجهم من المغرب وقتال من سألهم من المسلمين (اذ لم يثأت له اذ ذلك التصريح بخلع السلطان الوطاسي) فحارب البرتقاليين واتصر عليهم في عدة مواقع فتعين الناس بطبعته وتفاءلوا بطائره الميمون ونقيبته . واجتمع الناس عليه واطمأنت به في البلاد السوسية الدار وطاب له بها المقام والقرار . فلما رأى من الناس حسن الولاء اليه ندهم الى يعة اكبر ولديه وهو الامير ابو العباس المعروف بالاعرج . ثم وفد عليه اشياخ حاحه والشيائمة لما بلغهم من حسن سيرته وفصره لوائه

فشكوا اليه امر البرنقال ببلادهم وشدة شوكتهم واستطالتم عليهم وطلبوا منه ان ينقل اليهم هو وولده ولي العهد المذكور فاجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه ابو العباس الى الموضع المعروف بآفغال من بلاد ساحة بعد ان استخلف ابنه الاصغر ابا عبد الله محمد الشيعي بالسوس ليرتب الامور ويهد المملكة . واستمر ابو عبد الله القائم بامر الله بكانه من آفغال مسموح الكلمة الى ان توفي سنة ٩٢٣ هـ

(٦٨٦) ابو العباس محمد بن ابي عبد الله محمد

من سنة ٩٢٣ — ٩٤٦ هـ او من سنة ١٥١٢ — ١٥٣٩ م

وتولى بعده ابنه ولي عهده ابو العباس احمد الاعرج ابن ابي عبد الله القائم بامر الله فسلط مسلط ابيه من جهاد البرنقال وكانت له معهم وقائع مشهورة انتصر في جميعها حتى بعد صيته وانتشر في البلاد ذكره واهرع اليه الناس من كل جانب ودخلت في طاعته سائر البلاد السوسية وكتبه امراته هنتانة اصحاب مراكش يخطبون مودته ويرومون الدخول في طاعته فاجاب داعيهم وانتقل الى مراكش فدخلها سنة ٩٣٠ هـ واستولى عليها

ولما استولى السلطان ابو العباس احمد الاعرج على مراكش وصفا له امرها اتصل خبره بصاحب فاس ابي عبد الله الوطاسي المعروف بالبرنقالي فاقبل في جموع عديدة . فلما رأى ابو العباس ما لا طاقة له به تحصن بمراكش وشحن اسوارها بالرماة والمقاتلة وزحف الوطاسي الى الحضرة فنصب عليها الانفاض ووالى عليها الرمي اباماً واشتد الامر على الناس . ثم بلغ ابا عبد الله الوطاسي بان بني عمه قاموا عليه بفاس فأفرج عن مراكش وانكفأ مسرعاً الى فاس وبعد ان اسكن الفتنة بها عزم على اعادة الكرة على السعديين لكنه توفي قبل اتمام غرضه سنة ٩٣١ وتولى بعده اخوه ابو حسون ثم خلع سنة ٩٣٢ هـ وتولى بعده ابن اخيه ابو العباس احمد بن ابي عبد الله وهذا حالما جلس على كرسي السلطنة بفاس اهتم بامر السعديين وجمع الجموع اقتالهم فكانت له معهم وقائع مشهورة كوقعة آتماي ووقعة ابي عقبة وغيرها انتصر السعديون في جميعها فاضطر ابو العباس الوطاسي ان يعقد مع ابي العباس السعدي صلحاً يعترف له بمراكش والسوس واستقر كل منهما بعمله الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان السلطان ابو العباس شجاعاً حسن التدبير وكان اخوه ابو عبد الله الشيخ اصغر منه سنّاً وكان تحت طاعته . وكان السلطان ابو العباس يستشير به في اموره ويفاوضه في مهماته ويستعين بنجده في الحروب والمعارك ويسضي به برأيه في الحوادث الحوالك فكانت كلمتها واحدة الى ان دخل بينهما الوشاة فانسدوا فلو بهما وافضي الحال الى الحرب والقتال وانقسم الجند حز بين وانصرفت كل طائفة الى متبوعها وقاتلا مدة . وكانت جل القبائل السوسية الى الشيخ منذ تركه ابوه عندهم عند انتقاله الى آفغال كما مر فاستفحل أمره وغلب على اخيه ابي العباس واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة اهل السوس عليه ثم اودع اخاه واولاده السجن وكان ذلك سنة ٩٤٦ هـ

٦٨٧ - ابو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابيه ابي عبد الله

من سنة سنة ٩٤٦ - ٩٦٤ هـ او من سنة ٥٣٩ - ١٥٥٧ م

ولما استقل ابو عبد الله الشيخ بالملكة صرف عزمه الى جهاد البرنقاليين وخراجهم من المغرب فخار بهم وانتصر عليهم وخرجهم من حصن فونتي سنة ٩٤٧ هـ ومن حصن اسفي سنة ٩٤٨ هـ . ولما رأى البرنقاليون شدة نكايته فيهم خافوا سطوته وتركوا اغلب ما ملكوه بالمغرب مثل حصن ازموور وغيره . وكان السلطان ابو عبد الله الشيخ بعد القبض على اخيه واستقلاله بالامر قد اقام بالبلاد السوسية مثابراً على جهاد البرنقال حتى قلع عروقهم منها . وكانت مراكش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في طاعته القاء للوطاسيين وارتياحاً من امره الى ماذا يؤول واستمر الحال الى سنة ٩٥١ هـ فانقادت له حينئذ وباعه اهلها فقدمها واستولى عليها . ولما صفت له مراكش واعمالها طحمت نفسه الى الاستيلاء على بقية بلاد الغرب وامصاره وقطع جرتومة الوطاسيين من سائر اقطاره فجمع الجموع وتقدم بهم الى اعمال فاس فافتتح مكناسة ثم تقدم يفتح بلداً بلداً ومصرّاً مصرّاً الى ان اتي عليها اجمع واخيراً حاصر حضرة فاس والح عليها القتال حتى ضاق الامر على اهلها جداً فنزلوا على حكم السلطان ابي عبد الله الشيخ السعدي وفتحوا له ابواب المدينة فدخلها وذلك سنة ٩٥٦ هـ وقبض على ابي العباس احمد الوطاسي وقتله وجماعة من اهلها ولم ينج منهم الا ابو حسون بن محمد الشيخ الوطاسي فانه تمكن من الهرب ولحق بالجزائر

ولما فتح السلطان ابو عبد الله حضرة فاس في التاريخ المتقدم تافت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم اجانب من هذا الاقليم ودخلاء فيه فيقبح باهله وملوكه ان يتركهم يغلبون على بلادهم لاسيما وقد فر اليهم عدو من اعدائه وعيص من اعياص اقاله لرأى الشيخ من الرأي وانظار القوة في الحرب ان يبدؤهم قبل ان يبدؤوه فنهض من فاس قاصداً تلمسان في جموعه الى ان نزل عليها وحاصرها تسعة اشهر وفتحها عنوة يوم الاثنين ٢٣ جمادي الاولى سنة ٩٥٧ هـ واخرج الترك منها ، لكنه لم يستقر بها طويلاً حتى كرت عليه الاتراك واخرجوه من تلمسان فعاد الى مكره في فاس

ولم يزل ابو حسون بالجزائر عند تركها يحسن لهم الاستيلاء على المغرب حتى وافقوه واجابوه الى ما طلب ونقدم ابو حسون وجيش الترك بقيادة صالح باشا حتى اتوا فاساً فبرز اليهم السلطان ابو عبد الله الشيخ وقاتلهم لكنه انهزم اخيراً وفر من امامهم فاستولى ابو حسون والترك على فاس ودخلوها في ٣ صفر سنة ٩٦١ هـ اما السلطان ابو عبد الله الشيخ فلحق بمراكش وصرف عزمه لقتال ابي حسون فاستنفر قبائل السوس وجمع الجموع وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها ابي حسون حروب شديدة كان الظفر في آخرها للشيخ فقتل ابا حسون واستولى على فاس وصفا له المغرب . وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت ٢٤ شوال سنة ٩٦١ هـ واستمر بها الى ان توفي مقتولاً قتله غيلة بعض مواليه سنة ٩٦٤ هـ في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة

(٣٨٨) ابو محمد عبد الله الغالب بالله بن محمد السبيح

من سنة ٩٦٥ - ٩٨١ هـ أو من سنة ١٥٥٧ - ١٥٧٤ م

وقولي بعده ابنه ابو محمد عبد الله واقب الغالب بالله ولم يحدث في أيامه فتن ولا حروب فساد الامن في البلاد وعم العدل وصرف هو همه الى اصلاح البلاد وبناء العمارات وتنشيط الزراعة والصناعة فخطت مراكش في أيامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم وتوفي يوم الجمعة ٢٨ رمضان سنة ٩٨١ هـ فدفن بأسواقاً

عليه في قبور اجداده وما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الايات :
 أيا زائري هب لي الدعاء ترجأ فاني الى فضل الدعاء فقير
 وقد كان أمر المؤمنين وملكهم الي وصيتي في البلاد شهير
 فها أنا ذا قد صرت ملق بجفرة ولم ين عني قائد ووزير
 تزودت حسن الظن بالله راحي وزادي بحسن الظن فيه كثير
 ومن كان مثلي عالماً بجنانة فهو بنيل العفو منه جدير
 وقد جاء ان الله قال ترجأ الى ما يظن العبدني سيصير

(٦٨٩) ابو عبد الله محمد المتوكل على الله به عهده

من سنة ٩٨١ - ٩٨٣ هـ أو من سنة ١٥٧٤ - ١٥٧٦ م

لما توفي السلطان الغالب بالله بخضرة مرا كش كان ابنه محمد بفاس وكان
 ولي عهد ابيه فاجتمع اهل الحل والعقد بمراكش واستأقوا له البيعة وكتبوا بها اليه
 وهو بفاس أوائل شوال سنة ٩٨١ هـ فبايعه اهل فاس وتم أمره وتلقب المتوكل
 على الله

ولما توفي السلطان الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ كان اخواه ابو مروان
 عبد الملك بن محمد الشيخ وابو العباس احمد بن محمد الشيخ مقيمين بالجزائر وقد
 هربا اليها خوفاً على انفسهما منه فلما علما خبر موته داخلوا الترك المستولين على
 المغرب الاوسط في مساعدتهما على استخلاص المغرب لهما فاجاب الترك صريحهما
 وبعثوا معهما العساكر فتقدم أبو مروان عبد الملك واخوه ابو العباس بمسار
 الترك حتى انتهوا الى الموضع المعروف بالركن من احواز فاس . فلما سمع السلطان
 أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بذلك برز للقائهم بنفسه ولما التقى الجمعان خالف
 علي المتوكل على الله اغلب عساكره وانضموا الى جيش عمه فلما رأى المتوكل
 على الله ذلك ارتاع جداً وأيقن الهزيمة وانقلب راجعاً الى فاس وبعد أن أخذ

منها ما يميز عليه من الذخيرة خرج على وجهه الى مراكش لا يلوي على شيء
وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٩٨٣ هـ

٦٩٠ - أبو مروان عبد الملك المنصور بالله بن محمد الشيخ

من سنة ٩٨٣ - ٩٨٦ هـ أو من سنة ١٥٧٦ - ١٥٧٨ م

ولما انهزم المتوكل على الله واجفل الى مراكش تقدم معه أبو مروان الى
فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد ٧ ذي الحجة سنة ٩٨٣ هـ وبايعه اهلها
وتلقب بالمنصور بالله ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن اخيه الى مراكش ولما عزم
على النهوض اليه طالبه الترك بأن يردم الى بلادهم وان يمهليهم ما اشترط عليه
من المال فأعطاهم ما طالب به نفوسهم وركب لوداعهم الى نهر سيوا ثم رجع
الى فاس

ثم نهض السلطان عبد الملك من فاس في جنده وتقدم الى البلاد المراكشية
قاصداً حرب ابن اخيه وتشريده عنها . ولما سمع ابن اخيه بخروجه اليه وقصده
اياها تهيأ للملاقاة وسار الى منازلته فالتقى الجمعان بموضع يسمى خندق الرياح
بالقرب من احواز سلا فكانت الهزيمة ايضاً على المتوكل على الله وفر من المعركة
ولحق بمراكش فقبضه أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ فلما سمع المتوكل باتباعه فر
عنها الى جبل درن ودخل أبو العباس أحمد مراكش نائباً عن اخيه وأخذ له
البيمة على اهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان عبد الملك فدخلها يوم الاثنين ١٩
ربيع الثاني سنة ٩٨٤ هـ وبعد أن أقام بها أياماً خرج في طلب ابن اخيه فلم
يقتله على أثر فماد الى مراكش وأقام بها وبعث أخاه أبا العباس أحمد الى فاس
نائباً عنه بها

اما أبو عبد الله المتوكل على الله فبعد فراره عن مراكش جعل يجول بلاد
السوس ويتنقل في قبائلها واحياناً الى أن التفت حوله عصاة قوية فقادهم وجاء

بههم الى مراکش فسمع به السلطان أبو مروان فخرج للاقائه فخالفه المتوكل وسلك طريقاً غير طريقه وقصد مراکش فدخاها باتفاق أهلها . وبلغ الخبر ابا مروان باستيلاء المتوكل على مراکش فرجع عوده على بدئه الى أن وافى الحضرة فحاصره بها وكتب الى اخيه ابي العباس أحمد عامله على فاس أن يأتيه بجيش منها فأناه به أحمد مسرعاً . ولما جاء أحمد بجيش فاس اسلم المتوكل شيعته من أهل مراکش وفر الى السوس وتبعه أحمد وكانت بينهما حروب انتصر فيها أحمد . اما أهل مراکش فبقوا متمادين على الحصار الى ان اتفق السلطان أبو مروان مع اعيان جراوة فادخلوه من بعض الاسوار والانقاب واستولى عليها

اما المتوكل على الله فانه بعد توالي الهزائم عليه فر الى جبل درن ومنه الى باديس فاقام بها مدة ثم ذهب الى سبتة ثم دخل طنجة واستنجد بدون سياستين . ملك البرتغال فاغتنمها فرصة للتدخل في شؤون المغرب فنهض بجيش كثيف قيل بلغ ٤٠ ألفاً واجاز البحر الى طنجة ومن هناك تقدم بجيشه ومعه أبو عبد الله محمد المتوكل على الله الى داخل بلاد المغرب واكتسح أطرافه . ولما علم السلطان عبد الملك بقدون هذا الجيش العرمم استنهض همه أهل المغرب لجهاد العدو وطاول الفرنج حيلة منه لكي يثوغلوا في داخلية البلاد فينقض عليهم . فلما وصل البرتغاليون الى وادي المخازن وجدوا جيش المسلمين على استعداد تام لقتالهم فالتمى الجمعان يوم الاثنين من سلخ جمادى الاولى سنة ٩٨٦ هـ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٥٧٨ م فدارت بينهما حرب شديدة انتصر فيها المسلمون انتصاراً ميبساً وكسروا البرتغاليين كسرة شنيعة وقتلوا ملكهم سياستين ولم ينج منهم الا طويل العمر . ومن الغريب ان السلطان ابا مروان عبد الملك لم يعلم بنتيجة هذه الحرب لانه توفي عند الصدمة الاولى وكان مريضاً فكتم حاجبه مولاة رضوان خبر موته وصار يصدر الاوامر الى قواد الجيش عن لسانه حتى تم الظفر للمسلمين وقتل المتوكل في هذه الواقعة أيضاً

٦٩١ - أبو العباس أحمد المنصور بن محمد الشيخ

من سنة ٩٨٦ - ١٠١٢ هـ او من سنة ١٥٧٨ - ١٦٠٣ م

وبعد ان توفي السلطان ابومروان عبدالملك وكنتم حاجبه خبر موته حتي تم النصر
للمسلمين كما تقدم ذاع الخبر حينئذ وبايع اهل المغرب لاختيه ابي العباس احمد
ولقب المنصور

وكان السلطان المنصور شجاعاً مقداماً حسن التدبير عظيم السياسة فساس
الرياسة بحكمة وفطنة لا مزيد عليهما حتي عم العدل وساد الامن وبلغت دولة
مراكش في ايامه الى اعلى درجات القوة والمظمة وهو اعظم سلاطين هذه الدولة
السعدية لم يقم قبله منها ولا قام بعده من هو اعظم منه . وكان محباً للغزو والفتح
فطمعت انظاره الى التغلب على بلاد ليكوارارين وتوات من ارض الصحراء فبعث
اليها جيشاً كثيفاً وبعد قتال شديد انتصر جيش المنصور واستولى على تلك النواحي
سنة ٩٩٠ هـ فذاع صيت السلطان المنصور في اقطار السودان وارسل اليه سلطان
برنو يهاديه ويدخل في بيعته فقبل المنصور منه ذلك . ثم سمت همة المنصور
الى الاستيلاء على جميع بلاد السودان ولكنه تهبب من ذلك وصار يقدم رجلاً
ويؤخر اخرى الى ان كانت سنة ٩٩٧ هـ فقوي عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب
وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهمات وبعث ان تم له تجهيز ما اراد ارسل
جيشاً كثيفاً بقيادة مولاة جوذر باشا فنهضوا من مراكش في يوم ١٦ ذي الحجة
سنة ٩٩٨ هـ فمروا بتانسفيت ثم بدرعة ثم دخلوا القفر وساروا الى مدينة تنبكتو
فغر السودان فاراحوا بها اياماً ثم ساروا قاصدين كاغو وملكها اسحق سكية . ولما
سمع اسحق سكية بقدومهم اليه احتشد امم السودان وقبائله وبرز لقتال اهل
المغرب والتقى الجمعان وتقاتلا وصبر اهل السودان امام نار المدافع صبراً لم يسمع
بمثله حتي فني اغلبهم فلاذ الباقيون بالفرار ودخل السلطان اسحق سكية كاغو وتمحصن
بها وتقدم جوذر باشا بعساكره وحاصره وضيق عليه فلما رأى اسحق سكية ماهو

فيه من الشدة راسل جوذر باشا في الصلح على ان يدفع له حالا مصاريف الحرب
وجزية سنوية وكانت عساكر جوذر باشا قد تعبت من القتال بعد هذا السفر الطويل
فقبل منه هذا الصلح وعاد الى تنبكتو ومن هناك كتب الى السلطان المنصور
بالنهر وبما اتفق عليه من امر الصلح وانتظر الجواب . ولما بلغ المنصور خبر الصلح
اشتد غيظه على جوذر باشا وبعث عسكرياً آخر بقيادة محمود باشا أخى جوذر
باشا وقلده القيادة العامة لعساكره وعزل جوذر باشا وأمره أن يستولى على كاغو
ويقطع منها دابر آل سكية المستولين عليها . فخرج محمود باشا في من معه وقطع
القفر في نصف المدة التي قطعه فيها جوذر باشا ووصل الى تنبكتو سنة ٨١٠٠
فأراح بها ثلثا واتحد مع عساكر جوذر باشا ثم تقدم بالجميع الى مدينة كاغو قاعدة
ملك السلطان اسحق سكية . فجمع اسحق جيشاً أكثر من الاول وبرز لقاء محمود
باشا ومن معه وبعد قتال شديد انهزم اسحق سكية وفر الى القفر فتقدم محمود باشا
ودخل مدينة كاغو واستولى عليها باسم السلطان المنصور . وبعد ان استراح بها
اياماً ترك اخاه جوذر باشا بمدينة كاغو وخرج هو يتبع السلطان اسحق سكية
فكانت له معه ثلاث وقائع انتصر محمود باشا في جميعها واستولى على اموال اسحق
سكية وحرره وفر الى القفر وهلك فيه . ثم عاد محمود باشا الى مدينة كاغو وكتب
الى مولاه المنصور بالفتح . ولما بلغه هذا الفتح كان عنده ذلك اليوم عيداً من
الاعياد اخرج فيه الصدقات واعتق العبيد واقام مهرجاناً عظيماً بظاهر الحضرة ونظم
الشعراء قصائدهم ورفعوا امداحهم واجازهم بما تحدث به الناس دهراً طويلاً ومما قيل
في ذلك من الشعر ما انشده الكاتب ابو فارس القهستاني

جيش الصباح على الدجا متدفق	فيياض ذا لسواد ذلك يمحق
وكأنه رايات مسكره البقي	طلعت على السودان بيضاً تفتح
نشرت لثوي منه ليلا دامساً	اضحى بسيمك ذي القمار يمرق
ارسلتهم جوائحا وجوارحا	في كل مغلها غراب ينق
سحقا لاسحق الشقي وحز به	فلقد غدا بالسيف وهو مطوق

رام النجاة وكيف ذاك وخلفه من جيش جوذرك الغضنفر فيلق
جيش اواخره بيا بك سيله عرم وارله بكافو محقق
وهي طويلة :

ومن آثار المنصور قصر البديع الذي بناه في حضرة مراكش وصرف عليه
اموالاً طائلة واستغرق بناؤه من سنة ٩٨٦ - ١٠٠٢ هـ حتى جاء قصرًا يقصر
اللسان عن وصفه وبما قبل فيه

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب المبجني وطاب المشم
منظر رائق وماء نثير وثرى عاطر وقصر اشم
ان مراكش به قد تباغت مفعراً فهي لعل الدهر نسو

وبقي المنصور كل مدة ملكه سلطاناً مطاعاً مهيباً لم ينازعه الامر احد الى ان
كانت سنة ١٠٠٣ هـ فثار عليه الناصر ابن السلطان الغالب بالله وكان من خبره
انه كان في ايام ابيه عاملاً له على تادلا ولما توفي ابوه وقام بالامر اخوه المتوكل
قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلاً عنده سائر ايامه الى ان قدم المعتصم
بالله بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما مر فاطلق الناصر من اعتقاله
واحسن اليه فلم يزل عنده في ارغد عيش الى ان توفي المعتصم يوم وادي الخازن
وافضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى اصيلا وهي للفرنج يومئذ ثم عبر البحر منها
الى اسبانيا وبقي بها مدة طويلة الى ان سرحه ملك اسبانيا الى المغرب بقصد تفريق
كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم فخرج الناصر بمليكة ونزل بها في ٣ شعبان سنة
١٠٠٣ وتسامعت به الغوغاء والظفام من اهل تلك البلاد فاقبلوا اليه وتوفرت
جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك . ثم خرج الناصر من مليكة قاصداً تازا فدخلها
واستولى عليها ونزحت اليه القبائل المجاورة كالبرانس وغيرهم ولما بلغ المنصور خبره
اهم الامر جداً وخاف العاقبة وبعث اليه جيشاً وافراً فبرزهم الناصر واستنحل
امرهم وتمكن ناموسه . فارسل المنصور اليه جيشاً كثيفاً بقيادة ابنه وولي عهده
النامون فخرج اليه في تمبية حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان انهزم الناصر وفر

من المركة فتتبعه المأمون حتى قبض عليه واحتز رأسه وارسله الى ابيه المنصور بمراكش وذلك سنة ١٠٠٥ هـ ورجع المأمون الى فاس واستقر بها الى ان كان من ثورته على ابيه ما يأتي ذكره

كان محمد الشيخ ابن السلطان المنصور الملقب بالمأمون عاملاً لايه على فاس ولكنه كان سعيه الديرة مدماً للخمر سفكاً للدماء غير مكترث بامور الدين . فلما علم الناس منه هذا الفساد شكوا امره الى والده المنصور فارسل اليه ينصحه فلم ينتصح ويردعه فلم يرتدع . فلما رأى المنصور ما عليه ابنه من خلافة وعدم طاعته لاوامره عزم على الذهاب الى فاس ليؤدب ابنه بما يكون رادعاً له وعبرة لغيره فسمع المأمون بالخبر فعزم على المعاق بتهلسان واستنجد انترك على ابيه . فلما بلغ المنصور ما عزم عليه ابنه المأمون من الذهاب الى تهلسان تخاف عن الخروج من مراكش وكتب الى ابنه يلاطفه ويأمره ان لا يفعل وولاه سجناساً ودرة وتحلى له عن خراجهما فظهر المأمون الامثال وخرج يؤم سجناساً فلما انفصل عن فاس ندم ورجع اليها واجتمع على الانتقاض . ولما علم المنصور بالخبر خرج في جيش كثيف الى فاس وسبق خبره وبغت المأمون على حين غفلة منه فلما رأى صاكر ابيه قد احاطت به لاذ بالفرار فارسل المأمون من يتعقبه قبض عليه واتى به الى ابيه في خبر طويل فاعنقه بسجناساً ودخل المنصور دار الملك من فاس الجديد وشكر الله على ما اولاه من الظفر والنصر من غير اراقة دماء وذلك سنة ١٠١١ هـ

وفي سنة ١٠١٢ هـ انتشر الوباء بالمغرب فتوفي به المنصور بفاس يوم الاثنين

١٦ ربيع سنة ١٠١٢ هـ ودفن بفاس ومما نقش على رخامة قبره هذه الايات

هذا ضريح من غدت	به المعالي تفتخر
احمد منصور اللوا	لكل مجد مبتكر
يا رحمة الله اسرعي	بكل نعمي تستمر
وباكري الرمس بما	من رضا منهمر

وطبىي ثراه من نذ كذكره العطار
وافق تاريخ الوفاة دون تفنيد ذكر
مقدم صدق داره عند ملك مقتدر

٦٩٢ - ابو الممالي زبير ابنه احمد المنصور

سنة ١٠١٢ هـ أو سنة ١٦٠٣ م

لما توفي احمد المنصور تولى بعده ابنه ابو الممالي زيدان فاس وكان اخوه
ابو فارس بمراكش فاخذ البيعة على اهلها لنفسه . ولما علم زيدان بمبايعة اهل
مراكش لاختيه ابي فارس خرج من فاس لقتالهم فاخرج ابو فارس اخاه المأمون
من محبسه وامده بجيش كثيف لقتال زيدان بعد ان اخذ عليه المواثيق ان لا
يتنقض عليه اذا تم له النصر فبرز المأمون وقاتل زيدان وانتصر عليه وهرب
زيدان الى فاس فتعقبه المأمون اليها فهرب منها ولحق بتلمسان واقام بها الى ان
كان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى

٦٩٤ - ابو فارس بن احمد المنصور

من سنة ١٠١٢ - ١٠١٥ هـ او من سنة ١٦٠٣ - ١٦٠٦ م

واستقر ابو فارس بملك مراكش واستتب امره الا انه لم يهنأ بالملك لان اخاه
محمد الشيوخ المأمون لما طرد ابا الممالي زيدان من فاس واستولى عليها طلب
البيعة من اهلها لنفسه فاجابوه الى ما طلب وبعد ان استقر امره بها ارسل جيشا
بقيادة ابنه عبدالله لاستخلاص مراكش من اختيه ابي فارس . فسار عبدالله بن
الشيوخ لحرب عمه وبرز عمه ابو فارس للقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو فارس
ونهب محلة وفر هو بنفسه الى مسفيوة ودخل عبدالله بن الشيوخ مراكش في ٢٠

شعبان سنة ١٠١٥ هـ واخذ البيعة على اهلها لابييه . اما ابو فارس فبقي فاراً الى
ان قتل سنة ١٠١٨ هـ

٦٩٤ - محمد الشيخ المأمون به احمد المنصور

من سنة ١٠١٥ - ١٠١٧ هـ او من سنة ١٦٠٦ - ١٦٠٩ م

فخلص المغرب للسلطان محمد الشيخ الملقب بالمأمون . وكان السلطان زيدان
ابن احمد (فصل ٦٩٢) لما فر من فاس الى تلمسان كما مر اقام بها مدة واستمد
ترك الجزائر فلم يصنعوا له فلما يش منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال
ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس . وكان عبدالله بن الشيخ لما اسنولى
على مراکش من يد عمه ابي فارس واستولى عليها وخطب فيها لابييه اساء السيرة
بجلا طاعة للناس باحتماله فلما اشتدت وظأته على المراكشيين بهشوا الى السلطان
زيدان بمكانه من بلاد السوس وطالبوا اليه ان يقدم اليهم على ان ينصروه على
امره فقدم اليهم واخرج عبدالله بن الشيخ من مراکش واستقر بها وذلك في
اواخر سنة ١٠١٥ هـ

اما عبد الله بن الشيخ ففر ناجياً بنفسه الى ابيه بفاس فلما رأى السلطان
محمد الشيخ ما حل بابنه قامت قيامته وجهز جيشاً كثيفاً وسيره بقيادة ابنه عبد
الله المذكور لقتال السلطان زيدان فتقدم عبد الله بن الشيخ في عساكر ابيه الى
مراكش فوصلها في شعبان سنة ١٠١٦ هـ وبرز السلطان زيدان لقتاله لكنه انهزم
امامه وفر ناجياً بنفسه وظل يتنقل بالجبال الشاخخة الى ان كان من خبره ما سذكرو
ان شاء الله تعالى . ودخل عبد الله بن الشيخ مراکش واستولى عليها واساء
السيرة في اهلها اكثر من الاول حتى ضاق الامر على المراكشيين جداً . واخيراً
هربت شردمة من اهل مراکش الى جبل جيليز واجتمع هناك منهم عصابة
واتفق رأيهم على ان يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد

الشيخ (فصل ٦٨٧) وكان رجلاً خيراً بنا فبايعه اهل مراكش هنالك والتفوا عليه فخرج عبد الله بن الشيخ لقناهم والقبض على اميرهم المذكور ولما التقى الجماع انهم عبد الله وولى اصحابه الادبار فخرج من مراكش مهزوماً في ٦ شوال سنة ١٠١٦ هـ ودخل محمد بن عبد المؤمن مراكش واستولى عليها لكنه احسن الى من بقي فيها من اصحاب عبد الله بن الشيخ فأساء ذلك اهل مراكش وكاتبوا السلطان زيدان بالجبل سرّاً فاتاهم وخيم بظاهر البلد فخرج محمد بن عبد المؤمن الى لقائه فانهم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها ولما بلغ السلطان محمد الشيخ صاحب فاس خبر استيلاء السلطان زيدان على مراكش ثانية ارسل اليه جيشاً كثيفاً بقيادة ابنه عبد الله بن الشيخ فبرز السلطان زيدان وقاتلهم وهزمهم واثنى فيهم وفر عبد الله ناجياً بنفسه وسمع الشيخ بهزيمة ابنه فخاف العاقبة وخرج من فاس ولحق بالعرائش واحتل بالقصر الكبير ولحق به هناك ابنه عبد الله مهزوماً امام السلطان زيدان ثم بعث السلطان زيدان جيشاً بقيادة قائد عساكره مصطفى باشا لمانزلة فاس فسار اليها واستولى عليها في ذى القعدة سنة ١٠١٧ هـ

٦٩٥ ابو المعالي زيد بن احمد المنصور (ثانية)

من سنة ١٠١٧ - ١٠٣٧ هـ او من سنة ١٦٠٩ - ١٦٢٧ م

وتقدم السلطان زيدان ودخل مدينة فاس واقام بها الى فاتح سنة ١٠١٨ هـ ثم اتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بذابحة مراكش فنهض اليها بعد ان استخلف على فاس قائد جيوشه مصطفى باشا ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ زحف الى فاس في من انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا والتقى الجمعان ودارت بينهما رحى الحرب واجلت الوقعة عن مقتل مصطفى باشا وانهم عساكره ودخل عبد الله بن الشيخ فاساً وذلك في يوم ١٧ ربيع الثاني سنة ١٠١٨ هـ

ولما سمع السلطان زيدان وهو بمراكش بمقتل مصطفى باشا نهض الى فاس وجاء على طريق الجبل وكان الاسبانيون يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كما سيأتي . وكان عبيد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول الاسبانيين على العرائش فتهيأ لجهادهم . وبينما هو قد نهض لذلك اذ أقبل السلطان زيدان من ناحية أدخسان وقد انزل بها محلته وتقدم الى جهة فاس وضرب بانقاضه فانهمز الناس عن عبد الله ودخل السلطان زيدان فاساً وامر عساكره بنهبها فلم يبقوا لاهلها شيئاً . ثم جمع عبد الله بن الشيخ جموعاً واعاد الكرة وقاتل السلطان زيدان وهزمه واخرجه عن فاس واستولى عليها . اما السلطان زيدان فلما اعياه أمر فاس أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادي أم ربيع الى مراكش واعمالها وتوارث بنوه ساطيته على ذلك النحو من بعده . وبقي عبد الله بن الشيخ بفاس الى أن توفي وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيابها على ما نذكره ان شاء الله تعالى . والآن نذكر خبر استيلاء الاسبانيين على العرائش فنقول . قد تقدم لنا ما كان من خبر السلطان محمد الشيخ المألون وفراره الى العرائش فبعد ان أقام بها مدة ركب البحر الى اسبانيا مستنجداً بملكها فاشترط عليه فيليب الثالث ملك اسبانيا أن ينزل له عن ثغر العرائش فاجابه الشيخ الى ما طلب فسير معه عسكراً فاستولى على العرائش في ٤ رمضان سنة ١٠١٩ هـ وسلمها الى الاسبانيين كما شرط على نفسه ثم تقدم الى تطاوين واستولى عليها . ولم يزل السلطان الشيخ يبول في بلاد الفحص ويعسف اهلها الى ان ملته القلوب واتفق الناس على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته فتلوه في ٥ رجب سنة ١٠٢٢ هـ

وفي سنة ١٠٢٠ هـ ثار على السلطان زيدان شخص يدعى ابا العباس احمد ويعرف بابي محلي وادعى انه من نسل العباس بن عبد المطلب فكثر جمعه وقوى امره وطمع في الملك فتقدم الى سجلماسة واستولى عليها . ثم استولى على درعة وتقدم الى مراكش فبرز السلطان زيدان لقتاله فانهمز امامه ودخل ابن ابي محلي مراكش

واستولى عليها سنة ١٠٣١ هـ. اما السلطان زيدان فلاحق ببلاد السوس واستنجد
بكبيرها ابي زكريا يحيى بن عبد المنعم فانجده بجيش من اهل النجدة فتقدم بهم الى
مراكش وقاتل ابن ابي محلي وقتله واستخلص منه مراكش سنة ١٠٣٢ هـ وفي
الحرم فاتح سنة ١٠٣٧ هـ توفي السلطان زيدان

٦٩٦ - ابو مروان عبد الملك بن مروان

من سنة ١٠٣٧ - ١٠٤٠ هـ او من سنة ١٦٢٧ - ١٦٣١ م
ولما توفي السلطان زيدان بويع بعده ابنه عبد الملك ولما تمت له البيعة ثار
عليه اخواه الوليد واحد فوقعت بينه وبينهما معارك وحروب الى ان هزمها
واستولى على ما كان بيدها وفر احمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم
الجمعة ٢٥ صفر سنة ١٠٣٩ هـ فانسم بسمة السلطان وضرب سكتته . وفي ٣ شوال
من السنة عدا احمد المذكور على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله
غدرًا بالقصبة . ولما كان ١١ ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ اخذ احمد المذكور ومعه
فاس الجديد على يد قائدهم عابو باها وبقي مسجونًا سبع سنين ثم خرج مستخفيًا
بين نساء سنة ١٠٤٦ هـ واعان العامة بنصره ولم يتم امره ثم توفي قتيلاً في ٢٤
ذي القعدة سنة ١٠٥١ هـ . وقد اتينا على ذكر اخبار احمد المذكور ملخصاً فيما مر
وان تجاوزنا التاريخ وذلك لقلة اخباره وعدم تشييت فكر القاري الكريم
ولنعود الى ذكر السلطان عبد الملك فانه لما استقر امره بمراكش اساء السيرة
في اهلها جداً فانتهز اخوه الوليد الفرصة وأخذ يستميل رؤساء الدولة ووجوهها
الى نفسه ويعدم بالاحسان حتى وافقوه على الفتن باخيه فترصدوه حتى غفل
البوابون ودخلوا عليه قبته وهو متكئ على طنفته فرموه برصاصة وتناولوه بالخنجر
وقامت الهيعة بالمشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فاخرج
جنازة اخيه الى المشور حتى شاهد الناس ميتاً فسكتوا وانقطع امهم . وكان مقتل
عبد الملك يوم الاحد ١٦ شعبان سنة ١٠٤٠ هـ

٦٩٧ - ابو يزيد الوليد بن زبيره

من سنة ١٠٤٠ - ١٠٤٥ هـ او من سنة ١٦٣١ - ١٦٣٦ م

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان في التاريخ المتقدم ببيع اخوه الوليد ابن زيدان وكان الوليد ابن العريكة متظاهراً بالديانة حتى رضيت له الخاصة والعامة الا انه كان شديد الوطأة على الاشراف من اخوته وبني عمه حتى افنى اكثرهم وكان مع ذلك محباً للعلم والعلماء ماثلاً اليهم بكلية متواضعاً لهم . ولم يزل امره مستقرّاً براکش الى ان قتله بعض مماليكه يوم الخميس ١٤ رمضان سنة ١٠٤٥ هـ

٦٩٨ - ابو عبد الله محمد بن زبيره

من سنة ١٠٤٥ - ١٠٦٤ هـ او من سنة ١٦٣٦ - ١٦٥٣ م

لما قتل السلطان الوليد كما تقدم اختلف الناس في من يولونه عليهم ثم اجمع رأيهم على مبايعة اخيه محمد الشيخ فاخرجوه من السجن وكان اخوه الوليد قد سمعته اذ كان يتخوف منه الخروج عليه فبويع براكش يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٠٤٥ هـ . فسفر في الناس سيرة حميدة وكان متواضعاً في نفسه صفوفاً عن المفوات محباً للسلم غير ميال اسفك الدماء الا انه كان منكوس الراية مهزوم الجيش وبسبب ذلك لم يصف له مما كان يد ابيه واخوته الا مراكش وبعض اصحابها وقد ثار عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخيس من مراكش وقام في محاربه ثعباً شديداً . ولم يزل يناوشه القتال الى ان كانت له عليه الكرة ففرق جمعه ثم خرجت عليه ايضاً قبيلة الشياطة فقصدهم والتقى بجموعهم عند جبل الحديد فانهمز هزيمة شماء . وفي ايام السلطان محمد الشيخ ابن زيدان قويت شوكة اهل الدلاء وزحف كبيرهم محمد الحاج الدلائي بمساكر البربر الى مكناسة فاستولى

عليها ثم تقدم الى فاس فاعترضه ابو عبد الله العياشي المستولي عليها في ذلك الوقت
بجمع اهل المغرب ووقعت الحرب بينهما فانهمز العياشي وسار محمد الحاج
لحصار فاس فرجع العياشي واعاد حرباً ثانية فانهمز محمد الحاج وعاد الى بلاده
وذلك سنة ١٠٥٠ هـ وفي سنة ١٠٥١ هـ توفي العياشي صاحب فاس فطعم محمد
الدلائي في الاستيلاء عليها وتقدم اليها في جموعه وحاصرها ستة اشهر حتى ضاق
الامر باهلها وغلت الاسعار فطلبوا الامان فامنهم واستولى على فاس واستفحل
امره وكان بينه وبين السلطان محمد الشيخ وقوة ابي عقبة فانهمز فيها السلطان
وهجز عن مقاومة اهل الدلاء

وفي سنة ١٠٦٤ هـ توفي السلطان محمد الشيخ ابن زيدان وتولى بعده ابنه

٦٩٩ - ابو العباس احمد بن محمد الشيخ

من سنة ١٠٦٤ - ١٠٦٩ هـ او من سنة ١٦٥٣ - ١٦٥٨ م

فقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده الا ان حي الشبانات وهم اخواله قويت
شوكتهم في ايامه وغلظ امرهم عليه ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به فضايقوه
وحاصروه بمراكش اشهرًا . ولما رأته امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلمته في
ان يذهب الى اخواله يأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه . فذهب اليهم
فلما تمكنوا منه قتلوه في سنة ١٠٦٩ هـ وهو آخر من ملك من هذه الدولة وبموته
انقرضت الدولة السعدية وسبحان من لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه لا اله الا هو
هو العزيز الحكيم

وبما ان دولة الشبانات التي استولت على مراكش بعد انقراض الدولة
السعدية لم تطل مدتها رأيت ان اذكرها هنا اتماماً للفائدة

لما قتل ابو العباس احمد بن محمد الشيخ في التاريخ المتقدم تقدم كبير حي
الشبانات وهو الرئيس عبد الكريم فدخل مراكش ودعا الناس الى بيعته فبايعوه بها

وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها . وفي ايامه في سنة ١٠٧٠ هـ حدث قحط مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى اكلوا الجيف ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش الى ان توفي بها سنة ١٠٧٩ هـ . ولما توفي بايع الناس ولده ابا بكر بن عبد الكريم فبقي الى ان قدم المولى الرشيد بن الشريف وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم . ثم تتبع الشبانات فافناهم قتلاً واخرج عبد الكريم من قبره فاحرقه بالنار وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده

٧٠٠ - دولة الاشراف العلوية الفيلالية بمراكش

(تمهيد) تدعى هذه الدولة بدولة الاشراف لاتصال نسبهم بالبيت النبوي الشريف وبالمعوية نسبة الى الامام علي بن ابي طالب وبالفيلالية لقيامها بتافيلالت . وأول من ملك من هذه الدولة المولى محمد بن محمد الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل ابن القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن عبد الله الاشراف بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب . واول من دخل منهم بلاد المغرب الحسن الداخل ابن القاسم بن محمد بن القاسم الى آخر النسب . وكان دخوله في اواخر المائة السابعة فاقام بسجلماسة وأعاقب بها نسله الى ان فشلت ريج السعديين وانحصر ملكهم في مقاطعة مراكش وبقي باقي المغرب تحت رحمة الثوار يتقلب عليه كل من حدثته نفسه بالسيادة وساعده الوقت . وفي ايام السلطان زيدان بن المنصور السعدي ظهر شخص يقال له ابو حسون السملالي واستولى على الطهر السوسي اولاً ثم تناول درعة . وكان محمد الشريف بن علي بسجلماسة . وكان له اعداء يقال لهم بنو الزبير اهل حصن تابو عصامت فضايقوه وهو لم يقدر على دفعهم فاستدعى ابا

حسون السملالي صاحب السوس ودرعة ونزل له عن سبجلماسة على ان يدفع عنه اعداءه وكان ذلك سنة ١٠٤١ هـ فاستولى ابو حسون السملالي على سبجلماسة وصارت بينه وبين المولى محمد الشريف بن علي صداقة متينة فانتظ بنو الزبير اهل حصن تابو عصامت وسعوا جهدهم في الوشاية لدى السملالي حتى وقمت بينه وبين الشريف عداوة عظيمة . وكان للشريف ابن يدعى محمداً فهذا لما رأى سمي اهل الحصن بالفساد على ابيه جمع جمعاً ممن وافقوه وهجم على الحصن المذكور على حين غفلة من اهلهم واثخن فيهم وبالغ في النكاية حتى شفى صدر ابيه مما كان يجده عليهم . ولما بلغ الخبر لابن حسون السملالي اغتاض جداً وارسل لعماله على سبجلماسة ان يحتال في القبض على الشريف . فامثل امره وتقبض على المولى الشريف وبعث به الى السوس فاعتقله ابو حسون في قلعة هناك مدة الى ان افشكه والده المولى محمد بمال جزيل وعاد المولى الشريف الى سبجلماسة في خبر طويل وكان ذلك في حدود سنة ١٠٤٧ هـ

٧٠١ - المولى محمد بن الشريف

من سنة ١٠٥ - ١٠٧٥ هـ او من سنة ١٦٤٠ - ١٦٦٤ م

لما قبض ابو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى محمد مجعاً على اهلاك من بقي من اهل حصن تابو عصامت واستئصال شأفتهم وكان قد تقوى عضده بعض الشيء بما اخذه من اموالهم في الوقعة السالفة فاتخذ بفد تفریب ابيه الى السوس جيشاً لا بأس به . وانضم اليه جمع من اهل سبجلماسة واعمالها . وكان اصحاب ابي حسون السملالي قد اساءوا السيرة بسبجلماسة ونصبوا حباله الطمع في الناس حتى ملتهم القلوب . فلما قام المولى محمد واجتمع اليه من ذكرنا دعاهم الى الايقاع باهل السوس فاجابوه واعصوا صوبوا عليه وصرفوا مزهمهم الى محو دعوة ابي حسون من بلادهم فثاروا بماله للعين واخرجوه عنها صاغرين بعد قتال شديد

ثم اجمع رأيهم على بيعه المولى محمد فبايعوه سنة ١٠٥٠ هـ في حياة ابيه فاستتب امره واستحكمت بيعته

ثم شمر المولى محمد بن الشريف لمضايقه ابي حسون السملالي واهل السوس ببلاد درعة فنهض في جمع كثير ووقعت بينهما حروب شديدة اجلت عن انتصار المولى محمد وانهمز ابي حسون وفراره الى مسقط رأسه من ارض السوس فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها وعظم صيته . ثم سميت همة المولى محمد بالاستيلاء على المغرب . وكان الرئيس ابو عبدالله محمد الحاج الدلائي يومئذ مستولياً على فاس ومكناسة واعمالها وكان اشد قوة من الشريف واكثر جمعاً فحصلت بين الفريقين وقائع مشهورة اجلت عن انهمز الشريف واستيلاء الدلائي على سجلماسة سنة ١٠٥٦ هـ ثم انعقد الصلح بينهما على ان ما حاذى الصحراء الى جبل بني عياش فهو للمولى محمد بن الشريف وما دون ذلك الى ناحية الغرب فهو لاهل الدلاء واستمر الحال على ذلك الى سنة ١٠٥٩ هـ . وفيها وقع الخلاف بين اهل فاس والدلائي صاحبها فراسل اهل فاس المولى محمد بن الشريف ليقدم عليهم على ان ينصروه ويدخلوا في دعوته فامرع المولى محمد اليهم ودخل فاساً في غيبة الدلائي . فلما سمع الدلائي بما تم جمع جيشاً كثيراً ونفدم نحو فاس واخرج محمد بن الشريف منها واستولى عليها فلحق المولى محمد بسجلماسة واستقر بها

ولما ينس المولى محمد بن الشريف من فاس والمغرب صرف عزمه لتهدد عائر الصحراء وبلاد الشرق فاستولى على وجدة وشن الغارات على بلاد المغرب الاوسط حتى امتلات ايدي اصحابه من الفنائم ثم انكفأ راجعاً الى تافيلالت واستقر بسجلماسة قاعدتها

وفي سنة ١٠٦٩ هـ توفي المولى الشريف بن علي والد المولى محمد بن الشريف فتجددت البيعة للمولى محمد ولكن فارقه اخوه المولى الرشيد ففرج الى الجبال وبقي متعلاً في احيائها الى ان كان من امره ما نذكره

لما فر المولى الرشيد من اخيه بقي مشتقلاً الى ان انتهى به المطاف الى قصبة اليهودي ابن مشعل وكان لهذا اليهودي اموال طائلة وذخائر نفيسة فلم يزل المولى الرشيد يفكر في كيفية اغتيال هذا اليهودي حتى تمكن منه في خبر طويل فقتله واستولى على امواله وذخائره وفرقها بين تبعه وانضاف اليه فقوي عضده وكثر جمعه ثم نزل وجدة واستولى عليها . واتصل الخبر باخيه المولى محمد الشريف فتخوف منه لما يعلم من صرامته وشهامته فنهض لقتاله والقبض عليه والتقى الجمان ببسيط آنكاد فكانت اول رصاصة في نحر المولى محمد بن الشريف فكان فيها حتفه وذلك يوم الجمعة ٩ محرم سنة ١٠٧٥ هـ . وكان المولى محمد شجاعاً مقداماً لا يبالي بالمعظائم ولا يخطر بباله خوف الرجال ولا يدري ما هي النكبات والاولجال

٧٠٢ - المولى الرشيد به الشريف

من سنة ١٠٧٥ - ١٠٨٢ هـ او من سنة ١٦٦٤ - ١٦٧٢ م

ولما قتل المولى محمد بن الشريف انضمت جموعه الى اخيه المولى الرشيد ابن الشريف وبأيموه . وتقدم الرشيد الى تازا وافتمحها بعد قتال شديد ثم قصد سجلماسة واستولى عليها . وبعد ان استولى على جميع اطراف المغرب قصد فاساً سنة ١٠٧٦ هـ . وبعد ان حاصرها حصاراً شديداً اقتحمها في ٣ ذي الحجة من السنة وتبع الدلايين وافنام وفر من بقي منهم . ثم قصد زاوية الدلايين واستولى عايتها بعد حرب شديدة وازال شوكة الدلايين من المغرب . ثم قصد مراکش في ٢٢ صفر سنة ١٠٧٩ هـ فاستولى عليها وقتل رئيسها ابا بكر الشباني وجماعة من اهل بيته وخلصت له الاقطار المغربية

واستقر المولى الرشيد بن الشريف بمراكش الى ان كان عيد الاضحي من سنة ١٠٨٢ هـ فلما كان ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس ركب فرساً له واجراه ففوج في إستان المسرة ولم يملك عنانه فاصابه فرع شجرة نارنج فهشم رأسه ومات لوقته

٣٠٧ - المظفر بالله ابو نصر المولى اسماعيل بن الشريف

من سنة ١٠٨٢ - ١١٣٩ هـ او من سنة ١٦٧٣ - ١٧٢٧ م

لما توفي المولى الرشيد بن الشريف كان اخوه المولى اسماعيل بن الشريف بمكناسة الزيتون عاملاً على بلاد المغرب فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه . ثم قدم عليه اعيان فاس واعلامها واشرافها ببيعتهم وقدم عليه اهل المغرب كذلك الا مراکش واعمالها فانه لم يات منها احد لانهم كانوا قد بايعوا بعد وفاة الرشيد لابي العباس احمد بن محرز بن الشريف . فلما تحقق المولى اسماعيل خبر بيعة ابي العباس بن محرز بمراكش فنض اليها في اواخر ذي الحجة سنة ١٠٨٢ هـ فبرز اليه اهلها فيمن انضم اليهم وقتلوه فانتصر عليهم وهزمهم ودخل مراكش عنوة يوم الجمعة ٧ صفر سنة ١٠٨٣ هـ ونجا ابن محرز فاراً بنفسه . ثم قفل السلطان الى مكناسة منسلخ ربيع اول من السنة . ولم يستقر بها طويلاً حتى بلغه خبر انتفاض اهل فاس عليه ومبايعتهم لابي العباس احمد بن محرز المتقدم ذكره فنض اليهم في جموعه وحاصر فاساً مدة واطال عليها الحصار حتى طلب اهلها الامان والنزول على . فاجابهم الى ما طلبوا وعفا عنهم وذلك في ١٧ رجب سنة ١٠٨٤ هـ . ثم عاد المولى اسماعيل الى مكناسة لانه كان لا ينبغي بها بدلاً وبني فيها قصوره واتخذها داراً للكر . وفي سنة ١٠٨٥ هـ ورد الخبر على المولى اسماعيل وهو بمكناسة بدخول ابن اخيه المولى احمد بن محرز مراكش واستيلائه عليها فنض في عساكره اليها وحاصرها طويلاً وقامدى الحصار الي ثاني ربيع الثاني سنة ١٠٨٨ هـ فاشتد الامر على ابن محرز وضاق ذرعاً فخرج فاراً عن مراكش ناجياً فيمن اهتته الحرب من جموعه ودخل السلطان المولى اسماعيل المدينة عنوة فاستباحها وبعد ان امتلأت أيدي جنوده من الغنائم امر بكب النهب ونادى في الناس بالامان فهدأت الاحوال وبقي فيها مدة يرتب احوالها ثم عاد الى مكناسة كرسي مملكته . وفي سنة ١٠٨٩ هـ ثار على السلطان المولى اسماعيل اخوته

الثلاثة المولى الحران والمولى هاشم والمولى احمد بنو الشريف بن علي مع ثلاثة
 اخرين من بني صهم والتفت عليهم قبائل البربر فنقض السلطان بالعساكر وهزم
 الثائرين عليه وشدت شملهم وفرادوته الثلاثة الى الصحراء . وفي سنة ١٠٩٢ هـ -
 افتتح المولى اسماعيل المعمورة (المهدية) واستخلصها من يد الاسبانيين المسؤولين
 عليها وفي سنة ١٠٩٥ هـ افتتح ثغر طنجة واخرج منها الانكيز المسؤولين عليه
 وفي سنة ١٠٩٦ هـ بلغ السلطان المولى اسماعيل وهو بمكناسة ان اخاه المولى
 الحران وابن اخيه المولى احمد بن محرز قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على
 تلك الجهات فنقض اليها ووالى السير حتى اتاخ على تارودانت وحاصرها بها
 فقتل ابن محرز في اثناء الحصار واستمر المولى الحران محصوراً والحرب قائمة على
 قدم وساق واستمر الحال الى جمادى الاولى سنة ١٠٩٨ هـ فاقتحم السلطان
 تارودانت عنوة بالسيف واستباحها واستولى عليها وفر المولى الحران الى حيث امن
 على نفسه . وفي سنة ١٠٩٩ هـ قفل السلطان الى دار ملكه
 وفي سنة ١١٠٠ هـ ارسل السلطان المولى اسماعيل جيشاً بقيادة ابي العباس
 احمد بن حدو البطوي لحصار المرائش وكانت يد الاسبانيين مذ نزل لهم عنها
 السلطان محمد الشيخ السعدي كما تقدم . فنزل القائد ابو العباس بجيشه عليها
 وحاصرها خمسة اشهر وافتتحها عنوة وطردها منها الاسبانيين . ولما فتح ابو العباس
 المذكور المرائش عمد الى مدينة آصيلا فنزل عليها بجيشه وحاصر الفرنج الذين بها
 سنة كاملة حتى جردهم الحصار وطلبوا الايمان فقامهم على ان يخلوا المدينة في مدة
 محدودة فاخلوها ودخلها المسلمون وذلك سنة ١١٠٢ هـ . ثم سار هذا الجيش
 المظفر الى سبتة وبعد حصار وقتال شديدين لم يتمكنوا منها بطائل فعادوا عنها
 وفي هذه المدة كان السلطان المولى اسماعيل مشغولاً بقتال البربر حتى
 انزلهم على حكمه وبقي الحصون العديدة في بلادهم فانسعت مملكته واشدت شوكة
 وفي سنة ١١١١ هـ فرق السلطان المولى اسماعيل احوال المغرب على اولاده
 فمقد لابنه المولى احمد على تادلا ولايته المولى محمد الملك على درعة ولايته المولى

محمد المدعو بالعالم على اقليم السوس ولائنه المأمون الكبير على سجالسة ولائنه المولى زيدان على بلاد المشرق فكان هذا التقسيم داعياً لزيادة مطامع هؤلاء الالبناء . ولم يقتصر الحال بينهم على منازعة بعضهم بعضاً بل ثار في سنة ١١١٤ هـ المولى محمد المدعو بالعالم ببلاد السوس ودعا لنفسه وزحف الى مراكش فحاصرها في رمضان من السنة المذكورة وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف فقتل ونهب . ولما اتصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان في المساكر لقتاله فقدم مراكش وكان المولى محمد العالم قد خرج عنها وعاد الى تارودانت فقبه اخوه زيدان ودامت الحرب بينهما الى ٢١ صفر سنة ١١١٦ هـ فاقنحم المولى زيدان تارودانت عنوة وقبض على اخيه المولى محمد العالم وبعثه الى والده السلطان المولى اسماعيل فأمر به فقتل

وفي سنة ١١١٣ هـ ثار على السلطان ابنه المولى ابو النصر ببلاد السوس واستمر عاصياً مدة حتى هزمته عساكر ابيه وقتلته . ولما رأى السلطان المولى اسماعيل المتاعب التي جررها عليه تقسيم المملكة على ابنائه عزلمهم عن الاعمال التي بأيديهم سنة ١١٣٠ هـ ولم يترك الا ولي العهد المولى احمد بتادلا فاستقامت الامور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه . وساد الامن وعم العدل مع الرخاء المفرط فلا قيمة للقمح ولا للباشية والعمال تجبي الاموال والزرايا تدفع بلا كلفة واستمر الحال على ذلك الى ان توفي السلطان المولى اسماعيل يوم السبت ٢٨ رجب سنة ١١٣٩ هـ وهو من اشهر سلاطين هذه الدولة استنجم لحكمه المغرب والسودان . وكانت مدة ملكه ٥٧ سنة

٧٠٤ - المولى ابو العباس احمد الذهبي به اسماعيل

من سنة ١١٣٩ - ١١٤٠ هـ او من سنة ١٧٢٧ - ١٧٢٨ م

ولما توفي السلطان المولى اسماعيل تولى بعده ابنه المولى ابو العباس المعروف

بالذهبي لقب كذلك لبسط يده بالامطاء وكان للمعيد سطاوة في دولته وكان
يستشيرهم في اغلب امور المملكة فنال الناس من جورهم ما لا يوصف
وفي سنة ١١٤٠ هـ ثار اهل فاس على ابن العباس لظلمهم وعسفهم
واتفقوا على مبايعة المولى عبد الملك بن اسماعيل فبايعوه ونقضوا البيعة ابني العباس
ولما رأى اهل مكناسة مبايعة اهل فاس لعبد الملك ثاروا بالمولى ابني العباس
وقبضوا عليه واعتقلوه وذلك في شعبان سنة ١١٤٠ هـ

٧٠٥ - المولى ابو مروان عبد الملك بن اسماعيل

سنة ١١٤٠ هـ او سنة ١٧٢٨ م

ولما خلع السلطان المولى احمد وسجن كما مر تقدم اخوه المولى ابو مروان عبد
الملك الى مكناسة ودخلها واستولى عليها وبث باخيه المولى احمد الى سجلماسة
ليسجن بها . ثم طالبه الجند باعلياتهم كما دبتهم عند تولية كل سلطان فدفع لهم
شيئا يسيرا بالنسيئة لما اعتادوا على اخذه ايام ابيه واخيه فأسقط في يدهم وتحققوا
انهم غلطوا بخلع المولى احمد الذهبي فاتفقوا فيما بينهم على خلع السلطان المولى
عبد الملك وارجاع اخيه المولى احمد الى السلطنة وعلم السلطان المولى عبد الملك
بموارعتهم هذه ففر الى فاس واستولى الجند على مكناسة وراسلوا المولى احمد
بسجلماسة في القدوم عليهم وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١١٤٠ هـ

٧٠٦ - المولى ابو العباس الذهبي بن اسماعيل (ثانية)

من سنة ١١٤٠ - ١١٤١ هـ او من سنة ١٧٢٨ - ١٧٢٩ م

فامرع المولى ابو العباس احمد باجابة طلب جنده مكناسة واغذا السير اليهم
ودخل مكناسة واستولى عليها وأخذ البيعة على اهلها ثانية ثم اتاه وفود اهل المغرب

مهنئين ومعتبين بيعتهم الا اهل فاس لان المولى عبد الملك كان قد استولى عليها و بايع اهلها له فارسل اليهم السلطان يأمرهم ان يسلموا اليه اخاه ويدخلوا فيما دخل فيه الناس فلم يجيبوا الى ما طلب وجاھروا بخلافه فنهض السلطان المولى احمد فاتح محرم سنة ١١٤١ هـ في عساكره وزحف الى فاس وحاصرها وانصب عليها المدافع واصلاها ناراً حامية حتى عمها الخراب وتهدم الكثير من دورها ومع ذلك استمر الحصار نحو خمسة اشهر حتى ضاق الامر باهل فاس وقلت بها الاقوات وغلبت الاسعار فاذعنوا للطاعة وصالحوا السلطان المولى احمد على اسلام اخيه اليه وتمكينه منه فدخل السلطان فاساً ظافراً وقبض على اخيه واعتقله . وبعد ان هدأت الاحوال بفاس قفل السلطان الى مكناسة وعند حلوله بها مرض مرض الموت . ولما احس من نفسه بالموت امر بخنق اخيه المولى عبد الملك فخنق ليلة الثلاثاء اول شعبان سنة ١١٤١ هـ ثم توفي السلطان احمد يوم السبت ٤ شعبان المذكور

٧٠٧ - المولى عبد الله بن اسماعيل (اول)

من سنة ١١٤١ - ١١٤٧ هـ او من سنة ١٧٢٩ - ١٧٣٤ م

لما توفي السلطان المولى احمد بن اسماعيل بويع بعده اخوه المولى عبد الله بن اسماعيل ولم يتخلف عن بيعته احد من اهل المغرب لكنه استعمل الظلم والعسف وارهق الحد في القتل والسلب والنهب حتى ثار عليه اهل فاس وجاھروا بخلافه وتهايأوا لقتاله فزحف اليهم بعساكره في شوال سنة ١١٤١ هـ فحاصر فاساً وضيق عليها ودافع الفاسيون عنها دفاعاً محموداً حتى كانوا لا يستريحون بالنهار ولا ينامون بالليل واستمر الحال كذلك الى ان دخلت سنة ١١٤٢ هـ فازداد الامر شدة وارتفعت الاسعار وانعدمت الاقوات وكثر الهرج فطلبوا من السلطان الصلح على أن يؤمنهم على انفسهم وعيالهم واموالهم فاجابهم الى ذلك ودخل السلطان فاساً وبعد ان

استراح بها اياماً استخلف عليها احد اخصائه وانكفاً راجعاً الى مكناسة . ولم يزل
السلطان المولى عبدالله متبعاً خطة العسف والظلم والايقاع بالكبير والصغير حتى
سئمت نفوس الرعية منه واتفقوا فيما بينهم على خلعهم وقتله واتصل الخبير بالسلطان
ففر ليلاً من مكناسة الى بلاد السوس فنزل بوادي نول على اخواله المغفرة
فاقام هناك الى ان كان من خبره ما سترأه قريباً ان شاء الله تعالى . وكان ذلك
سنة ١١٤٧ هـ

٧٠٨ - المولى ابو الحسنه على بن اسماعيل

من سنة ١١٤٧ - ١١٤٩ هـ او من سنة ١٧٣٤ - ١٧٣٧ م

لما فر السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل من مكناسة الى وادي نول اجتمع
ارباب الدولة واتفقوا على بيعته المولى ابي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بالاعرج
وكان يومئذ بسجلماسة فكتبوا اليه بذلك فاسرع بالمجيء اليهم ومر بناس فدخلها
وبايه اهلها بعد ان وعدم بازالة المكوس التي جددتها سلفه ثم نهض الى مكناسة
ولما قدمها بايحه بها الجند البيعة العامة

وفي سنة ١١٤٨ هـ نهض السلطان المولى ابو الحسن بن اسماعيل لغزو البربر
اهل جبل فازاز في جيش كثيف من البيد وبعد قتال شديد انهزم البيد اصحاب
السلطان ورجع هو مغلولاً الى مكناسة . وفي سنة ١١٤٩ هـ في شهر ذي الحجة
ورد الخبر بان السلطان المولى عبدالله قد اقبل من وادي نول الى تادلا فاهتز
البيد له وتحدثت فرقة منهم برده الى الملك وخالفهم آخرون ثم قويت شيمة
المولى عبدالله وكثروا واعلنوا بيمته . ولما سمع السلطان المولى ابو الحسن علي
بذلك فر من مكناسة وبقي تائها الى ان قبض عليه البيد وبشوا به الى اخيه
السلطان المولى عبدالله فسرعه الى تافيلالت فاستقر بها الى ان توفي

٧٠٩ - المولى عبد القريب اسماعيل (ثانية)

من سنة ١١٤٩ - ١١٥٠ هـ أو من سنة ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م

لما فر المولى ابو الحسن علي من مكناسة اجتمعت كلمة العبيد وارباب الدولة على بيعة السلطان المولى عبدالله فبايعوه وهو بآدلا وراسلوه في القدوم فاقبل اليهم مسرعاً وخرج لاقائه اهل فاس وفيهم الاشراف والعلماء وكذلك اهل مكناسة فوافوه بقبصة ابي فكران ولما مثلوا بين يديه عاتبهم وعدد ما سلف منهم ثم امر باعيانهم فقتلوا وفعل مثل ذلك باعيان مكناسة واستباحهم ورجم اهل فاس وعلماؤها مذهورين مما ناههم . واستمر السلطان مقيماً بقبصة ابي فكران ولم يتقدم الى فاس لعدم ثقته بهم

ولما رأى اهل فاس ما نزل بهم اجتمعوا وحثافوا على خلع السلطان المولى عبدالله وبيعة اخيه المولى محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية فبايعوه في ١٠ جمادي الاولى سنة ١١٥٠ هـ ثم كتب اهل فاس الى عبيد الديوان يعرفونهم ما صنعوا ويطلبون منهم موافقتهم فاجابوهم الى ذلك وبايعوا السلطان المولى محمد بن عربية وتم امره . ولما رأى السلطان المولى عبدالله امر اخيه قد تم فر الى جبال البربر وأقام هناك

٧١٠ - المولى محمد بن اسماعيل المعروف بابنه عربية

من سنة ١١٥٠ - ١١٥١ هـ أو من سنة ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م

ثم نهض المولى محمد الى مكناسة فاحتل بها وبايعه العبيد البيعة العامة . ثم طالبه العبيد باعطيتهم ففرق فيهم ما كان معه فلم يقنعهم ذلك واستزادوه فاطلق النهب في اموال المسلمين واخذ في استخراج الحبوب والاقوات من دور اهل مكناسة غصباً فكثر المهرج وصت الفتنة وفر الناس من مدينتهم وعم النهب في

خارجها وانقطعت السبل ووقع الناس في حيص بيص ثم ان السلطان المولى
عبدالله الذي كان مقبلا عند البربر قدم ذات ليلة في جماعة من اصحابه حتى دخل
الاصحاب من مكناسة وقتل من وجد به من العبيد وسحق اخصاصهم ورجع
عنده على بدته . ولما شعر به السلطان المولى محمد بن عريبة ركب في خيله ورجله
وقصد السلطان المولى عبدالله وهو بالموضع المعروف بالحاجب فلما رأى المولى
عبدالله الا قبل له به فرب نفسه وتبعه العبيد الى وادي ملوية فلم ينفوا له على اثر
ولما قفلوا راجعين اعترضهم البربر وقتلهم وهزمهم واستلبوا ما معهم من
الاثقال فرجموا بخفي حنين . ودخل السلطان المولى محمد بن عريبة مكناسة
وزاد ظلمه وطفيانته فيها وفي جميع المغرب الاقصي حتى خلت الديار من ساكنيها
واشتد الأمر على اهل المغرب واستمر الحال كذلك الى ان دخلت سنة ١١٥١ هـ
وفي ٢٤ صفر منها ثار العبيد على السلطان المولى محمد بن عريبة وغلوه وقبضوا
عليه واءتقلوه بوادي ويسلن ووكلا به من يجرسه

٧١١ - المولى المستفيء بن اسماعيل

من سنة ١١٥١ - ١١٥٢ هـ او من سنة ١٧٣٨ - ١٧٤٠ م

ثم اعلنوا بيعة اخيه المولى المستفيء بن اسماعيل وارسلوا يستدعونه فاقبل
اليهم مسرعا وتم امره الا انه لم يكن اقل من اخيه في الظلم والفساد والاستبداد
ان لم يكن أكثر منه فلم تطل مدة حكمه هذه المرة اذ شغب عليه العبيد في منتصف
ذي القعدة سنة ١١٥٢ هـ وتآمروا في عزله ومراجعة طاعة اخيه المولى عبدالله فلما
علم السلطان بموامرتهم فر الى مراكش واقام بها الى ان كان من خبره ما سيأتي
ذكره ان شاء الله

٧١٢ - المولى عبد الله بن اسماعيل (ثالثة)

من سنة ١١٥٢ - ١١٥٤ هـ او من سنة ١٧٤٠ - ١٧٤١ م

وكان المولى عبد الله مقيماً عند البربر كما تقدم فلما اتفق العبيد على البيعة له راسلوه في المعنى فقدم الى مكناسة في اوائل سنة ١١٥٣ هـ وغب حلوله بها قبض على قاضيه وبعض اشرافها وخلص عائلتهم وفضحهم وحبسهم . والغريب في هذا السلطان انه لم يتعلم مما مضى كيف ينبغي ان يسالم رعاياه لكنه ارهف حده في الاستبداد حتى ستمته رعاياه ولم يكن احد يود استمراره في الملك الا العبيد لانهم انتهزوا الفرصة في مدته وملاوا ايديهم من اموال المسلمين ومع ذلك فوئلاء ايضاً شغبوا عليه في شهر ربيع الاول سنة ١١٥٤ هـ وهما بخلافه والايقاع به فشنر السلطان منهم هذا الميل ففر ناجياً بنفسه الى البربر

٧١٣ - المولى زين العابدين بن اسماعيل

سنة ١١٥٤ هـ او سنة ١٧٤١ م

واتفق العبيد على البيعة لاختيه المولى زين العابدين وكان مقيماً بطنجة فراسلوه في المعنى فاسرع في القدوم اليهم ودخل مكناسة وتم امره بها . وكان فيه اناة وحلم ولم يظهر منه عسف ولا امتدت يده الى مال احد الا انه لقلذات يده نقص العبيد من راتبهم فكان ذلك سبب انحرافهم عنه

ولما استقر المولى زين العابدين بمحضرة مكناسة وتم امره بها اقام نحو الشهرين ثم تهيأ لنزول اهل فاس لانهم تخلفوا عن بيعته فنقض اليهم في جيش العبيد منتصف جمادى الاولى سنة ١١٥٤ هـ وقبل ان يصلوا فاساً اختلفت كلمة العبيد وعادوا الى مكناسة ونهبوا ثمار جنتها وفسدوا ما قدروا عليه منها . ثم طالبوا السلطان في الراتب وشددوا في اقتضائه فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشغبوا عليه ومرتضوا

في طاعته . هذا والساطان المولى عبدالله مقيم بيجبال البربر مطل على الحضرة
ومتحفز للوثبة فلما علم بما المولى زين العابدين فيه من الاضطراب نزل من الجبل
وتقدم حتى دخل فاساً الجديد وذلك في ١٦ جمادى الاخرى من السنة فلقية
اهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سروراً ولما اتصل خبره باخيه المولى زين
العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه واصبح غادياً من مكناسة الى حيث يأمن
على نفسه معرضاً عن الملك واسبابه فكان آخر العهد به

٧١٤ - المولى عبدالله بن اسماعيل (رابعة)

من سنة ١١٥٤ - ١١٧١ هـ او من سنة ١٧٤١ - ١٧٥٧ م

ولما فر المولى زين العابدين من مكناسة اجتمع العبيد واتفقوا ان يراجموا
طاعة الساطان المولى عبدالله فارسلوا اليه ببيعتهم بمكانه من فاس الجديد فقبلها
منهم واستقر امره ونازعه الامر اخوه المستضيء بن اسماعيل واستولى على كثير
من البلاد وحدثت بينهما حروب ووقائع يطول شرحها كان من نهايتها انتصار
المولى عبدالله على اخيه المولى المستضيء واستتاب الامر له . وكان قد تعلم طباً
مما مضى من اين تؤكل الكتف فطالت مدة ملكه هذه المرة الى ان توفي يوم
الخميس ٢٧ صفر سنة ١١٧١ هـ

٧١٥ - المولى محمد بن عبدالله

من سنة ١١٧١ - ١٢٠٤ هـ او من سنة ١٧٥٧ - ١٧٩٠ م

لما توفي المولى عبدالله بن اسماعيل بوبع بعده ابنه سيدي محمد بن عبدالله
وكان اقللاً خازماً فساد الامن في ايامه وعم المدل واستراحت البلاد بعد طول
الفتن والحروب وساح الساطان المولى محمد بن عبدالله في بلاد المغرب وثفره

متفقدًا احواله ومهدًا اموره فاجتمعت على حبه القلوب وخلصت له الضائقة . وهذا ما حدث في أيامه مرتبًا حسب السنين . في سنة ١١٧٨ هـ غنم قرصان المغرب مركبًا فرنسائيًا واتوا به الى العرائش فهجم الاسطول الفرنسي على ثغر العرائش ورماهما من مدافعه آراء حامية ولكنه اضطر الى الرجوع عنها لما اجابته طواحي العرائش بمش مارماها . وكانت هذه الحادثة سببًا في تنبيه السلطان المولى محمد بالاعتناء بامر البحر وتحصين ثغر العرائش فبنى بها الطواحي والمعاقل وشحنها بالمدافع والمساكر حتى صارت أهم حصون المغرب

وفي سنة ١١٨٢ هـ حاصر جيش السلطان سيدي محمد مدينة الجديدة وكانت في ذلك الوقت بيد البرتغاليين واستمر الحصار من اول رمضان الى ٢ ذي القعدة من السنة ولما ضاق الامن باهل المعمورة لغموا ارضها بالبارود وهزبوا في الاسطول الى بلادهم فدخل المسلمون المدينة وغب دخولهم اليها التهب البارود الملقومة به ارض المعمورة فقتل منهم اكثر من خمسة آلاف نفس وتهدم السور الجنوبي منها

وفي سنة ١١٨٤ هـ غزا السلطان سيدي محمد بن عبد الله مدينة مليلة وحاصر الاسبانيين فيها لكنه لم يفرز منها بطائل فكر راجعًا الى حضرته وفي سنة ١١٨٩ هـ ثار العبيد على السلطان سيدي محمد وبايعوا لابنه يزيد ففرق فيهم يزيد اموالًا طائلة حتى جعلهم يتسكون بدعوته وهزم يزيد على استقلال المغرب من يد ابيه فسار الى قاس فبرز له اهلها وقاتلوه هو وعبيده وهزمهم وانقلبوا مغلولين واتصل الخبث بالسلطان وكان وقتئذ يرا كش فخرج منها في عساكره يريد مكناسة ولما وصل الى سلا وسمع المولى يزيد بقدمه فر الى زرهون فلما قرب منها اتاه اشراف زرهون بابنه المولى يزيد ففقا عنه وسامحه واستنصحه الى مكناسة . ورأى السلطان المولى محمد شدة وطأة العبيد في الدولة فلا يحدث فيها شغب ان لم يكونوا هم مثيريه فاستعمل معهم الشدة وأديهم بمصا من حديد وفرق جموعهم

ثم انتفض المولى يزيد على ابيه ثانياً ولما رأى عدم مقدرته على المقاومة لحق
بالمشرق واشتقر بالحجاز الى ان كانت سنة ١٢٠٣ هـ وفيها قدم المولى يزيد من
الحجاز في ركب الحاج الفيلالي فلما وصل المغرب نزل بضرير الشيخ عبد السلام
ابن مشيش . وعلم والده السلطان سيدي محمد بقدمه فارسل اليه يراوده النزول
على طاعته فابى فنهض اليه من مراكش وأراد ان يحضر عنده بنفسه لعله يرهوي
ويذهب ما يصدره من الجزع والغرة . وكان عند خروجه من مراكش به
مرض خفيف فتحمل المشقة وجد السير فتزايد به المرض في الطريق فوصل الى
اصال رباط الفتح في ستة ايام فادر كته منيته وهو في محفته على نحو نصف يوم أو
أقل من رباط الفتح . وكانت وفاته يوم الاحد ٢٤ رجب سنة ١٢٠٤ هـ
فاسرعوا به الى داره من يومه ذلك ودفن بها مأسوفاً عليه . وكان السلطان
سيدي محمد محباً للملأه واهل الخير مكرماً لهم لا يغيبون عن مجلسه الا نادراً

٧١٦ المولى يزيد بن محمد

من سنة ١٢٠٤ — ١٢٠٦ هـ او من سنة ١٢٩ — ١٢٩٢ م

ولما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التاريخ المتقدم وبلغ خبر موته الى
ابنه المولى يزيد وهو بالحرم المشيشي بايعه الاشراف هناك وسائر اهل الجبل واثت يعة
هل المغرب الاقصى جميعه على يد اشرافه واعياناه فخرج من مكانه وتقدم الى مكناسة
ودخلها في احتفال عظيم واستقر امره بها . وهناك قدمت عليه قبائل الحوز ببيعتهم
وكان في قلب السلطان منهم شيء فلم يقابلهم كما يجب فساءت ظنونهم به ولسدت
قلوبهم عليه . ولما رجعوا الى بلادهم اتفقوا فيما بينهم على بيعه اخي السلطان المولى هشام
فبايعوه واعطوه صفقة ايديهم . فاستتب امر المولى هشام بمراكش . ولكن لما سمع المولى
يزيد بالخبر نهض في عسائره وسار الى الحوز فشرذ قبائله ووصل الى مراكش فدخلها
عنزة واثخن في اهلها . ثم استباح عليه اخوه المولى هشام قبائل دكالة وهبة وقصده
بمراكش فبرز اليه المولى يزيد . ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكودت انهزم جمع
المولى هشام وتبعهم المولى يزيد فأصيب برصاصة كانت القاضية عليه فتوفي او اخر
جمادى الثانية سنة ١٢٠٦ هـ ودفن بمراكش

٧١٧ المولى سليمان بن محمد

من سنة ١٢٠٦ هـ - ١٢٣٨ هـ او من سنة ١٧٩٢ - ١٨٢٢ م

لما توفي المولى يزيد بن محمد كان اخوه المولى سليمان بفاس فاتفق اهل فاس على البيعة له لما يعلمونه من دينه وحسن سياسته فبايعوه يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٢٠٦ هـ . ولما تمت بيعته انتقل الى فاس الجديد فاستقر بدار الملك منها وقدمت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم . وتوقف اهل الثغور الهبطية عن بيعته لانهم كانوا قد بايعوا لاختيه المولى مسلة فنقض اليهم المولى سليمان واقوع بهم حتى نزلا على طاعته وفروا اخوه المولى مسلة الى تلمسان واقام بها . فعاد المولى سليمان الى مكناسة واستقر بها الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

قد قدمنا ان اهل مراکش وقبائل الحوز كانوا قد خرجوا على السلطان المولى يزيد وبايعوا اخاه المولى هشام بن محمد ولما قتل المولى يزيد بمراكش استقرت قدم المولى هشام بها واطاعته قبائل الحوز كلها . واستمر الحال على ذلك مدة الى ان حدثت فجرة بين اهل الحوز والمولى هشام وانقسموا لذلك قسمين قسماً بقي على طاعة المولى هشام وقسماً بايع لاختيه المولى حسين بن محمد ونشأت بينهم لهذا السبب حروب تفانى فيها الخلق . فلما كانت سنة ١٢١٠ هـ قدم على السلطان بمكناسة جماعة من اعيان الرحامنة من اهل الحوز مبايعين له وسائلين منه السير معهم الى بلادهم لتجتمع كلمتهم عليه فاجاب السلطان طلبهم ونهض سنة ١٢١١ هـ في جيش كثيف الى مراکش . ولما قاربها فروا سلطانها المولى حسين بن محمد فدخل السلطان المولى سليمان الى مراکش واستولى عليها وبايعه اهلهما ثم قدم عليه اخوه المولى هشام مستأمناً فاکرم ملتقاه وسكنت الفتنة واستقامت الامور . واقام السلطان بمراكش ثم استوبأ البلد فعاد الى مكناسة . وفي سنة ١٢١٢ هـ حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره وبواديه وتوفي به اخوة السلطان الاربعة المولى الطيب والمولى هشام والمولى حسين والمولى عبد الرحمن الثلاثة الاول بمراكش والرابع بالسوس

وفي ايام السلطان المولى سليمان عمت القن سائر المغرب عربيه وبربره ونعيب السلطان جنداً في اخماد نار هذه الثورات حتى عزم على التخلي عن الملك لابن اختيه المولى عبد الرحمن بن هشام ولكنه رأى الوقت احوج اليه فاجل ذلك الى فرصة اخرى

وخيراً فعل لانه لم يمض وقت طويل حتى انتفض عليه اهل فاس وبايعوا لابن اخيه المولى ابراهيم بن يزيد بن محمد سنة ١٢٣٦ هـ وخرجوا من فاس بسلطانهم الجديد الذي لم يكن له من السلطنة سوى الاسم فقط والامر والنهي لرؤساء الثورة قاصدين المراسي بقصد الفتح والاستيلاء عليها فوصلوا تطاوين وايسئلوا عليها ومن هناك بعثوا لاهل العرائش وطنجة في الدخول في طاعة سلطانهم فمنهم من امتنع ومنهم من اجاب . ثم توفي المولى ابراهيم بن يزيد بعد سبعة واربعين يوماً من دخولهم تطاوين فأخفى رؤساء الثورة موته ثلاثة ايام ثم بايعوا لاخته المولى السعيد بن يزيد وبينما هم في ذلك اذ ورد عليهم الخبر بمجيء السلطان سليمان من مراكش وانه قد وصل الى قصر كتامة ففت ذلك في عسدهم وخرجوا مبادرين الى فاس على طريق الجبل وكان من امرهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

وكان السلطان المولى سليمان في هذه المدة مقيماً بمراكش ولما علم بما كان من بيعة المولى ابراهيم بن يزيد تربص قليلاً حتى اذا بلغه خروجه الى المراسي قلق وخرج من مراكش في جيش من العبيد وبعض قبائل الحوز يبادره اليها ولما وصل الى قصر كتامة اتاه الخبر بدخول المولى ابراهيم الى تطاوين فتقدم الى تطاوين حتى اذا صار على مرحلتين منها بلغته وفاة المولى ابراهيم ومبايعة الناصر للمولى السعيد بن يزيد وعودتهم به الى فاس فاسرع يوم فاساً ويسابق السعيد اليها حتى وافاه في يوم واحد فنزل السعيد بمحمصة بقنطرة سبوا ودخل السلطان دار الامارة بفاس الجديد . ولما كان ليل الفد اغارت عساكر السلطان على محلة السعيد فانتسفوها بما فيها وقتلوا من اصحابه خلقاً كثيراً واقتل المولى السعيد وبطائه ودخلوا فاساً فاغلقوها عليهم وحاصروا السلطان بفاس واستمر محاصراً لهم عشرة اشهر ثم بلغه خبر خروج اهل تطاوين عليه فترك بمصاً من عسكره لمحاصرة فاس ونهض هو الى طنجة واستقر بها وبعث الى اهل تطاوين وراودهم على الرجوع الى الطاعة فأبوا واستمروا على عصيانهم فبعث اليهم جيشاً كثيفاً لمحاصرتهم مدة وكانت الحرب بينهم سجالاً مرة لسكر السلطان ومرة عليهم حتى هلك خلق كثير من الفريقين . وفي هذه الاثناء ارسل السلطان الى ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام وكان حاملاً له على الصويرة في القدوم اليه بجيشه فقدم المولى عبد الرحمن بجيش كثيف فارسل السلطان بعضهم لمساعدة المحاصرين للتطاوين وتقدم هو وابن اخيه في باقي الجيش الى فاس لانتماء فتحها . وكان اهل فاس قد ملوا الحصار وشتموا الحرب ووقع الاختلاف

بينهم فانتهمز عسكر السلطان هذه الفرصة واناروا على فاس واقتحموها عنوة واستولوا عليها وجاء المولى السعيد في جوار المولى عبد الرحمن بن هشام فعفا السلطان عنه وعن اهل فاس وهدأت الفتن وبعد ان اقام بها اياماً استخلف فيها ابن اخيه المولى عبد الرحمن ونهض هو الى تطاوين فلما قربها وفد عليه اهل تطاوين تائبين فصفع عنهم واحسن اليهم ولما صفا امر تطاوين ولم يبق ببلاد الغرب منازع انقلب السلطان راجعاً الى بلاد الحوز وجد السيرالي مراکش فدخلها في رمضان سنة ١٢٣٧ هـ

وفي يوم ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٣٨ هـ توفي السلطان المولى سليمان بن محمد . وكان عاقلاً حسن السياسة شجاعاً مقداماً . وكان قد عهد بولاية العهد من بعده لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام

٧١٨ المولى عبد الرحمن بن هشام

من سنة ١٢٣٨ — ١٢٧٦ هـ أو من سنة ١٨٢٢ — ١٨٥٩ م

لما توفي السلطان المولى سليمان بن محمد كان ولي عهده المولى عبد الرحمن بن هشام بفاس فلما بلغ اهل فاس وفاة السلطان بايعوا المولى عبد الرحمن واعطوه صفقة ايدهم وامته وفود اهل المغرب الافصى جميعه ببيعتهم واستبشر الناس بهذا السلطان وأتته البشائر من كل صقع وناد فمن ذلك ما قاله وزيره الفقيه ابو عبد الله بن ادريس الفاسي

مولاي بشراك بالتأييد بشراك	قد اكمل الله بالتوفيق سرّاً
الفتح والنصر قد وافاك جيشها	والسعد واليمن قد حيا معيها
الله ألبسك الاقبال نكرمة	وبالتقى والنهى والعلم حلا
فراصة الملك المرحوم قد صدقت	لما نفرس فيك حين ولاك
أعدت للدين والدنيا جمالها	فاصبها في حل من حسن معنا
وزادك الغيث غوثاً في سمائه	فجاد بالقطر قطراً فيه ما وا

ولما فرغ السلطان المولى عبد الرحمن من امر الوفود والتهاني خرج من حضرة فاس وساح في البلاد المغربية مثقفاً اطرافها حتى اذا فصى وطره من ذلك قصد مراکش واسنقر بها . وساد الامن في ايام هذا السلطان وعمّ العدل وهدأت احوال المغرب الافصى فلم تحدث فيه فتن ولا حروب وانتهمز السلطان هذه الفرصة في تنشيط

العلم والزراعة والصناعة فخطا المغرب في ايامه خطوة محمودة
 واهم ما حدث في ايام السلطان المولى عبد الرحمن استيلاء فرنسا على المغرب
 الاوسط (اقليم الجزائر) سنة ١٨٣٠ م (سنة ١٢٤٦ هـ) بعد ان دافع عنه الامير
 عبد القادر الجزائري دفاعاً محموداً فأدى ذلك الى طلب اهل تلمسان من السلطان
 المولى عبد الرحمن الدخول في طاعته على ان يرسل لهم جيشاً بنقذهم مما هم فيه فاجاب
 السلطان صريحهم وارسل جيشاً الى تلمسان ولكن لان الامير عبد القادر الجزائري كان
 يجر النار لقرصه عرّيب مساعى هذا الجيش فرجع من حيث أتى . ولما استقر
 الفرنسيون بالجزائر اغاروا على اطراف المغرب انتقاماً من السلطان لتدخله في امر
 المغرب الاوسط وحصلت بين الفريقين عدة مواقع اهمها موقعة ايسلي التي انهزمت فيها
 عساكر السلطان هزيمة شنعاء
 واستقر السلطان المولى عبد الرحمن بمراكش الى ان توفي يوم الاثنين ٢٩ محرم
 سنة ١٢٧٦ هـ

٧١٩ المولى محمد بن عبد الرحمن

من سنة ١٢٧٦ — ١٢٩٠ هـ او من سنة ١٨٥٩ — ١٨٧٣ م

وتوفي بعده ابنه المولى محمد بن عبد الرحمن وفي اول ولايته اشتعلت نار الحرب
 بين اسبانيا وبينه وانجحت عن هزيمة عسكر السلطان بوادي الراس واستيلاء اسبانيا على
 مدينة تطاوين ضحوة يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٢٧٦ هـ . ولم يبرحوها الا بعد
 فرض غرامة قدرها ١٠٠ مليون فرنك

وفي ايامه ثار الجيلائي الروكي واصله رجل من عرب سفيان خامل الذكر وحرفته
 رعي البهائم ونحو ذلك من عمل اهل البادية ثم اغواه سلطان المفاسد ثار ببلاد كورت
 واتعب عساكر السلطان مدة وانتهى الحال بقتله

وكان بين السلطان المولى محمد وبين نابليون الثالث امبراطور فرنسا مفاوضات
 ودادية وكثرة قدم التجار الفرنسيين الى المغرب في ايامه ومنهم بعض امتيازات
 حسنة . وكان التصاري واليهود في المغرب الاتقي يسامون انواع العذاب فتعهم هذا
 السلطان الحربة ووزع المنشورات في رعيته بهذا المعنى . ثم توفي السلطان المولى محمد

يوم الخميس ١٨ رجب سنة ١٢٩٠ هـ وكان السلطان محمد عاقلاً ديناً خيراً حسن السياسة

٧٢٠ المولى الحسن بن محمد

من سنة ١٢٩٠ — ١٣١١ هـ أو من سنة ١٨٧٣ — ١٨٩٤ م

وتولى بعده ابنه المولى الحسن بن محمد وفي اول ولايته ثار عليه اهل فاس واهل آرمور وكادت الفتنة تمتد الى جميع اطراف المغرب الا انه تمكن بمكته من اخماد نارها ثم نازعه اخوه المولى عثمان في الامر وحصلت بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها انهزام المولى عثمان واستتباب الامر للسلطان المولى الحسن ومع ذلك بقي مدة ولايته كلها في حروب دائمة مع القبائل العاصية وشغل شاغل لاجباط مساعي الثائرين عليه ثم توفي ليلة الخميس ثالث ذي الحجة سنة ١٣١١ هـ

٧٣١ المولى عبد العزيز بن الحسن

حفظه الله

ولما توفي المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام في التاريخ المتقدم بوبع بعده ابنه السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن وهو السلطان الحالي واخباره وتواريخه من ثورة ابي حمارة والريسوني عليه وعقد مؤتمر الجزيرة ودخول فرنسا وبن البيضاء واحتلالهم لها وقيام اخيه مولاي الحفيظ ومنازعة السلطة وتعصيد بعض القبائل للاخير فمعلومة للجميع مما تنشره الجرائد عنه



(ش ٥) مولاي عبد العزيز

(٧٢٢) الدولة الغلجائية بافغانستان

(تمهيد) افغانستان بلاد جبلية الى الجهة الشرقية من ايران وكانت تارة تحت حكم سلاطين الهند وأخرى تحت حكم دولة ايران . ويذهب أكثر مؤرخي المسلمين ان أصل اهلها يهود من الذين سبهم نبوخذ نصر الى بابل ثم اراد ابعادهم الى أقصى ممالكه فارسلهم الى هذه البلاد القاصية ولكن ذلك غير مثبت بالادلة بل هم بقايا قوم البرثة وبلادهم قطعة اصلية من ولاية خراسان . وتألف هذه الامة من عدة قبائل اشتهرها قبيلتنا الغلجائية والعبدالية . وجميعهم قوم نشأوا على الجلادة والاندام لا يتحدرن من القديم ولا يدينون للاجنبي . وكان العرباية اشد ميلا من العبدالية الى

الاستقلال وهم الذين استوطنوا قندهار وما يليها من تلك البلاد وظلوا يعاندون الدولة الايرانية حتى حار وزراء ايران في امرهم وقرّ رأيهم في ايام السلطان شاه حسين آخر ملوك الدولة الصفوية التي تقدم ذكرها على تعيين والٍ شديد العزم كثير الاقدام ليحكم بلادهم فانتدبوا لذلك كركين خان (المسيحي الاصل) الذي كان حاكماً من طرف الشاه على كرجستان وكان قد اظهر العصيان على الشاه وحاول الاستقلال بتلك الامارة ولكنه لم ينجح ثم اعتنق الدين الاسلامي فصنع الشاه عنه وغينه لهذه الوظيفة في افغانستان . فقدم كركين خان على هذه البلاد بعشرين الف مقاتل من الايرانيين ونخبة من ابطال اهل بلاده فلم تبدُ اقل معارضة من الافغانيين في الخضوع له ولكنه اساء معاملتهم في الحال واعنبرهم كلهم من العصاة والمارقين فاطلق يد عساكره ومن معه في ابتزاز المال منهم وظلمهم . فاستغاث الاهالي من ظلم هذا الوالي بالسلطان وبعثوا بالوفود من مشائخهم الى اصفهان ليعرضوا على جلالة الشاه حال البلاد وما صارت اليه . ووجد هؤلاء المندوبون ان الوصول الى السلطان من اعسر الامور ولكنهم تمكنوا في آخر الامر من ليل بغيتهم . وكان اصحاب كركين خان قد سبقهم الى القصر وافهموا السلطان امورا غيرت افكاره فيهم ، فلما سمع شكواهم اجابهم بما اعتاده انهم عصاة كاذبون وان ثقته بالوالي عظيمة وتهددهم بعقاب صارم اذا عادوا الى مثل هذا التشكي فعاد المندوبون الى بلادهم وقد امتلأت صدورهم حقناً وغيظاً وبسطوا الامر لاخوانهم فكثرت الحقد وتعاضم الشر وعزم الافغانيون من ذلك اليوم على الخلاص من ايران وحكومتها . ولما علم كركين خان بما كان من الاهالي وقيامهم للشكوى عليه عزم على البطش بهم والانتقام منهم فوجههم في اول الامر الى اذلال امرائهم وخصوصاً الامير ويس وهو من اشهر عائلات الافغان يعد عندهم حاكم قندهار الشرعي والناس كلهم يجولون قدره لما اتصف به من حميد الخصال . فعزم كركين على التخلص منه لانه كان زعيم القوم وله بأس وسطوة عظيمة فقبض عليه في احدى الليالي بدعوى تأمره على سلامة السلطنة وارسله مكبلاً بالقيود الى اصفهان وكتب الى السلطان يقول : « ان هذا الامير هو زعيم العصاة والذين يدبرون للملكة المكائد . وانه مادام في اصفهان فلا خوف على البلاد من اعدائه واما اذا عاد من اصفهان فلا بد من الثورة العظيمة » ولما وصل الامير ويس الى اصفهان تمكن بهائيه من معرفة الاحوال ورأى ان المقربين الى السلطان قسماً قسماً يبيل الى كركين خان وقسم عليه فاتفق في الحال مع اعداء

كركين وتمكن بواسطتهم من اكتساب نفوذ عظيم وقرب كثير من السلطان . وتمكن الامير من مقابلة السلطان بعد ان استمال الوزراء بالرشوة فبسط له حكاية كركين وظلمه وشكى مرّة الشكوى مما اصابه واصاب اهل بلاده . وكان ويس فصيحاً طلق المحيا فسمي شاه حسين واستماله اليه حتى صار من اشهر المقربين الى السلطان وكان يمكنه اذ ذاك الرجوع الى قندهار الا انه بعد اطلاعه على ضعف دولة ايران واختلال امورها تمكن من نفسه فكر أعلى من هذا وهو انه يمكن أن يخلص بلاد الافغان بتماها وبفصل حكومتها عن حكومة الشاه . وعلم ان هذا الامر العظيم لا يصح الاستعجال فيه فطلب من الشاه ان يرخص له في السفر للحج فلما وصل الى مكة المكرمة رأى من المناسب ان يأخذ بعض الفتاوى من علماء اهل السنة بوجوب محاربة الشيعة ليدعو بذلك قومه الى حرب دولة الشاه التي هي دولة شيعية ويجمع كلمتهم على ذلك . فحصل على فتاوى بذلك واخفاها لحين الزوم وبعد قضاء فرضة الحج رجع الى اصفهان مخفياً امره مظهرًا للشاه غاية الاخلاص

ولما وصل الامير ويس اصفهان ساعدته التقادير على ما يريد وذلك ان رجلاً أرمنياً اسمه اسرائيل اوربي تقدمت له خدمات للدولة الروسية في المالك العثمانية فتوسل الى امبراطور الروس (بطرس الاكبر) في ان يجعله سفيراً لدى الشاه . ولحسن خدمته اقترن طلبه بالقبول فبعثه الامبراطور الى ايران وزيراً وزاد في مكافأته ان اعفى جميع الاموال التجارية المتعلقة به من الرسوم الجركية . فجمع هذا السفير كثيراً من تجار الارمن وتوجه بهم الى بلاد ايران ولما قرب من حدودها شهر نفسه بانه من أولاد سلاطين الارمن

فالتجذد الامير ويس دخول هذا السفير بهذه الكيفية احسن وسيلة لثبيل مقاصده وذلك انه اخذ يشكك في الجماع والمخافل سرّاً وعلانية بان النصارى يريدون ان ينزعوا كرجستان وارمنستان من ايدي دولة الشاه ولا بد ان يكون كركين خان حاكم قندهار هو الواسطة الفعالة في ذلك . ولقرب عهد كركين خان بالاسلام اخذ هذا الكلام من النفوس موقعاً وغلب على ظن اولياء الدولة صدقه . وعزم الشاه على خلع كركين خان في الحال ولكنه خاف عاقبة التهور وبعد ان شاور وزراءه في الامر قرر ان يرخصهم على ارجاع الامير ويس الى بلاده وجعله رقيباً على كركين خان . فاوعز السلطان الى ويس بالقيام الى وطنه . وقام ويس وصدره قد امتلا فرحاً وجهوراً على حين انه

كان يظهر عدم الرضا من هذا الامر . ولما رجع الامير ويس الى قندهار اشتد غضب كركين خان واراد ان يتخذ وسيلة لهلاكه .^١ وكان للامير ويس ابنة بارعة الجمال نادرة المثال فسمع كركين خان بجمالها وتمنى ان تكون زوجته له فخطر في باله ان يقترب بالفتاة قسراً فينال منها غايته ويذل اباه . فارسل اليه امراً لا يقبل الرد ولا التردد مفاده ان يرسل ابنته في الحال واذراى الامير ويس ان هذا الطلب على وجه قهري وأن اذعانه له يحط من قدره جمع الافغانيين وحدثهم بالقصة فاغتاظوا لذلك وحسوه على المقاومة والمدافعة عن شرفه فامتلاً لذلك مروراً ولكنه امرهم بالصبر والثبات وقال: الاولى ان تقتل الاسد في النوم الا انه يلزمكم الثبات على ما اتمت عليه واعتمدوا علي فاني سانتقم من العدو: فاطمانوا وحلفوا له بالخيل والملح والسيف والقرآن على معاضدته والقيام بطاعته وقالوا « ومن رجع عن ذلك فزوجته طالق بالثلاث »

وكان من خادmates الامير ويس بنت جميلة ارسلها الى كركين خان لينزوجها باسم انها ابنته واطهر غاية السرور والبشاشة وانه غير حاقده على كركين خان . فحبا بذلك ما في قلب كركين خان وازال احتاده ولم يمض زمن طويل حتى صار الامير ويس من اخضاء كركين خان واصحابه يجتمع به كل يوم ويتحدث معه في الامور الهامة . وظل على ذلك زمناً وكركين لا يحسب للشر حساباً . ولما احس ويس بان تمام الامر دعى خصمه الى وليمة فاخرة في احدى جنائنه ودعى معه الاخضاء والاعوان من الحكام الذين كان الافغانيون بكرهونهم فقبلوا الدعوة وجاؤا الحديقة واكلوا وشربوا وطربوا حتى اذا دارت الخمرة في الرؤوس اشار ويس الى اصحابه بالذي كان ينويه . وكان قد احاط البلدة كلها باعوانه وجاء بنخبة من الابطال فاخفاهم في انحاء الحديقة . فلما سكر الوالي ومن معه وصدرت لهم الاشارة من ويس هجموا على ضيوفهم وقتلهم عن اخرهم . ثم تردوا بملايس المقتولين وذهبوا ليلاً الى سراي الحكومة وقلعتم والجراس يظنونهم كركين واصحابه ثم نادوا في اعوانهم ممن كانوا في قندهار وحوطوا فاعملوا السيف في عساكر الابرانيين وقتلوا اكثرهم في يومين . ثم شرعوا بقتل من استوطنوا في الولاية من الفرس ومن تمذهب من الافغانيين بمذهب الشيعة وكانوا جمهوراً غفيراً ولم ينج من كل جيش كركين خان غير ٦٠٠ شركسي انوا المعجزات في محارب اهل افغانستان ومكافحتهم حتى تمكنوا من الفرار الى بلاد خراسان وهكذا تم اسلاخ افغانستان عن ايران واستتب الامر للامير ويس الفاجئي فيها . وهو رأس الدولة العجائية التي

نحن بصدها، وكان ذلك حوالي سنة ١١١٦ هـ

٧٢٣ - الامير ويس الغلجائي

ولما خلا جو قندهار من المراضين بعث الامير ويس الى رؤساء القبائل الافغانية فحضروا ثم قام فيهم خطيباً يبين فضائل الحرية ومزاياها وشدائد العبودية وبلاياها ثم قال : ان وازيتموني واتفقتم معي فسفخلص اعناقنا من غل الذل وننشر اعلام العز والحرية ونفخهم من سلطة الايرانيين الشيعيين : ثم ابرز ما عنده من الفتاوي الحاكمة بقتال الشيعة التي سبق اخذها من علماء مكة وأذن فيهم قائلاً « ألا من رجع جانب الايرانيين واختار ان يكون في ربة عبوديتهم فليطع الامل من ان يساكننا في ديارنا اذ لا يمكن له معاشرتنا ويستقبل ان ينال مودتنا ومصافاتنا فوافقه جميع الامراء واكدوا الموافقة بالايان . ولما بلغ الخبر الى الشاه حسين وحاشيته فغضبوا عن ان يرسلوا عسكرياً للتأديب العصاة ارسلوا سفيراً لتهديد الامير ويس . فلما وصل السفير الي قندهار اتى القبض عليه وسجن . فلما علم اهل البلاط في اصفهان بسجن الامير ويس للسفير ارسلوا اليه سفيراً آخر فسجنه ايضاً . فلما رأى السلطان حسين واعوانه انه لا مفر من القتال أوعزوا الي حاكم خراسان ان يبدأ بمقاتلة الافغانين فصعد الحاكم الامر ولكنه لم يلق مالم يكن في حاسبه من جرأة الافغانين واستعدادهم للحرب وانهم في موقعة جرت له معهم . وبلغ الخبر اصفهان فأمر السلطان بجمع كل قوات السلطنة وجيش جيشاً عظيماً جملة تحت قيادة خسرو خان والي كرجستان وهو ابن اخي كركين خان الذي قتلته ويس كما مر وكانت هذا الوالي بطلاً مقدماً يفتي بحاربة الافغانين حتى ينتقم منهم على قتل عمه . ونقدم هذا الجيش الجرار على مواقع الافغانين فطردهم منها وتقدم الى مدينة قندهار وحاصرها فطلب محافلها الافغانيون من خسرو خان ان يسلموا له المدينة على شرط ان يأمنهم على حياتهم فلم يرض بهذا الشرط . فلما علموا ان لا مفر من الموت اخذوا اهبة الدفاع وكانوا كل يوم يهاجمون محاصرهم والامير ويس بعد جمع المساكر المتفرقة شرع في الهجوم عليهم من الخارج حتى نفذت ذخائر خسرو خان فاضطر اترك المحاصرة وعول على الانسحاب ولحق الافغانيون منه ذلك فتأثروا وساروا به حركاً عنيفة كان النصر في آخرها لهم وقتل في هذه المعركة خسرو

خان ولم ينج من عساكره الايرانية التي كان مقدارها ٢٥ ألفا سوى ٥٠٠ شخص .
ثم ارسل الشاه جيشاً آخر لمقاتلة الافغانيين تحت قيادة محمد رستم خان فاصابه ما
اصاب الجيوش السابقة

واستقل الامير ويس استقلالاً تاماً بامارة قندهار وعزم من ذلك الحين على
الاستعداد للتقدم على امتلاك بلاد ايران ولكن عاجلته المنية قبل اتمام قصده فحزن
عليه الافغانيون حزناً مفرطاً وله عندهم شهرة في البسالة والفتنة يذكرونه بها الى
هذا اليوم

٧٢٤ - الامير عبداللہ

وكان للامير ويس ولدان اكبرهما في الثامنة عشرة من عمره ولهذا اختار
الافغانيون ان يخلفه في الحكومة اخوه الامير عبداللہ . وكان هذا الامير جباناً
شتان بينه وبين اخيه فاعتم ان استلم زمام الامر حتى بدأ بمخاطبة اصفهان في
اعادة الامارة الى حكم الشاه حسين وعارضه قومه في ذلك معارضة شديدة فلم
يرجع عن قصده وارسل نواباً من قبله الى عاصمة ايران لعرض شروط المصالحة
واهمها ان تعود الولاية الى الخضوع لاوامر الدولة الايرانية على شرط ان ترفع
عنها الجزية وان تكون الامارة وراثية في ذرية الامير عبداللہ المذكور . فلما
اطلع على ذلك الامراء الافغانيون اشتد غيظهم منه وانحرفت قلوبهم عنه واجتمع
بعضهم على الشاب محمود وهو بكر اولاد الامير ويس فاتفقوا معه على المجاهرة
بالعصيان والمناذرة به اميراً على قندهار قبل ان تعود البلاد الى قبضة اهل ايران
وكان محمود عاقلاً نجيباً وباسلاً مقداماً فتروى في الامر على صغر سنه وصرف
قومه على ان ينظر في الحكاية . ثم انتخب اربعين بطلاً من اصدقائه واخبرهم
بعزمه على قتل عمه فوافقوه على ذلك فاخذهم ودخل بهم الى بيت عمه على حين
غفلة وذبحه

٧٢٥ - شاه محمود بهه وبس

وباطلاع الافغانيين على ذلك اقاموه حاكماً على انفسهم واقبوه بشاه قندهار وفي الوقت الذي جلس فيه الامير محمود على كرسي سلطنة قندهار كانت دولة ايران في اسوأ حال وبلغ منها الضعف والفساد مبلغاً عظيماً واستولى حب الترف والخنول على اهلها وكثر الثائرون عليها فانتهز الامير محمود هذه الفرصة لتحقيق اماني المرحوم والده بالاستيلاء على ايران . وتقدم بجيشه على طريق الصحراء فوصل الى مدينة كرمان وبدأ بحاصرتها ولكن السعد لم يخدمه وقتئذ لان جيش ايران وصل لانغاة المدينة تحت قيادة لطف علي خان وكان بطلاً مقدماً فحارب محمود الافغاني واضطره الى الفرار والعود الى بلاده ثم دخل جيش ايران مدينة كرمان فأسأ معاملته الاهالي واكثر من الظلم والنمش حتى نفى الاهالي لويود الافغانيون اليهم ولم يكون مدينهم . وعاد لطف علي بعد هذا النصر الى شيراز ونواحيها ليجهش جيشاً كبيراً يقاتل به الاعداء فاطلق السراح لمساكره لنهب الاهالي وظلمهم على عادته وشكاه الناس الى السلطان فأمر بعزله . ولم تقم للجيش الايري قائمة بعد عزل هذا البطل . أما محمود فكان في هذه الاثناء يلم شعث جيشه وتجديده ما يقدر على تجديده حتى جمع في اشهر قليلة جيشاً لا بأس به ثم زحف على بلاد ايران بهذا الجيش الذي بلغ عدده عشرين الف مقاتل في الشهر الاول من سنة ١٧٢١ م عن طريق الصحراء ايضاً وسمع الايرانيون بقدمه فماتت قلوبهم من الخوف . وحدث يومئذ ان الشمس كسفت وكثر احمرارها مدة ايام فأول الناس ذلك الى سخط الاله عليهم وكثرت نغاوفهم ودار الواعظون بينهم يحضرونهم على التقوى وترك المعاصي حتى يتحول غضب الاله عنهم . وحكم المنجمون ان مدينة اصفهان ستخرب فضعفت القلوب وتدانت الهمم وانقطعت آمال هذه الامة الكبيرة من الحياة والنجاة . فلما علموا بقدم الامير محمود بجيشه الجديد ايقن الاهالي ان محموداً هذا هو غضب الله النازل على دولة

ايران لخراب اصفهان كما اخبر به العلماء والنجمون
اما الامير محمود فتقدم في مسيره بلا مقاوم ولا معارض حتى صار على مسافة
اربعة ايام من اصفهان فارسل اليه الشاه رسولا يمرض عليه المال الكثير والمصالحة
على شرط ان يعود الى بلاده فلم يصغ محمود لقول هذا السفير وظل سائراً في
سبيله حتى صار على ابواب اصفهان واستعد لمحاصرتها والهجوم عليها . فخاف الشاه
جداً من وقوع اصفهان في قبضة هذا البطل الافغاني فجمع الوزراء والاعيان
واستشارهم في الامر فاشار عليه محمد قلي خان بالامتناع داخل الاسوار ومحاربة
الافغانين بالصبر الى ان يضجر رجالهم او يقتل بعضهم على طول المدة ويعودوا
عن المدينة وعزز رأيه بالدلة على ضعف الافغانيين في الحصار وقوتهم في الهجوم
والحرب بالسلاح الابيض وكان مصيباً في رأيه الا ان والي عربستان (خان
اهواز) غير هذا الرأي وقام في المجلس معرضاً القوم على البسالة والقتال يذم في
الذي يقول باتخاذ خطة الدفاع والتساهل مع الافغانين الى هذا الحد . واحتد
الامير في كلامه فتحرك عرق حمية الشاه وبعث بخمسين الفا مع عشرين مدفعاً
لملاقاة محمود فالتقى الجمعان وبعد قتال شديد انهزمت عساكر الشاه وجمع وزراءه
للاستشارة وكان من رأيه الرحيل عن اصفهان الى جهة امنع حيث يمكن اجتماع
الانصار والاعوان حوله ووافقه العقلاء على ذلك ما خلا والي عربستان فانه هزأ
بهذا الفكر وعده موجهاً لضعف الجنود ونفرة قلوب الاهالي من الشاه وشار
بالحرب والقتال فانصاع السلطان لرأيه . وكان البعض يظنون ان والي عربستان
خائن متفق سراً مع الامير محمود الافغاني على قلب الدولة والذي سيذكر من
فعاله بعد هذا يؤيد القول بخيائنه : ثم ابتداء الامير محمود بحصار اصفهان وهجم في
اليوم الثاني مع بعض ابطاله على بعض الاستحكامات واظهروا جلادة وشدة حتى
كادت المدينة تفتح لولا حسن دفاع احمد اغا احد اغوات الحريم فانه قاوم
ببسالة وجبر الافغانين على التهقر فوقم الرعب في قلب محمود وارسل يطلب
المصالحة على شرط ان تكون حكومة قندهار وكرمان وخراسان وراثته في ذريته

وان يزوجه الشاه بابنته ويعطيه ٥٠ ألف تومان (التومان يساوي نصف جنيه انكليزي) . ولكن لم تقبل هذه المطالب عند الشاه .
 فتشاور محمود واعوانه في الامر فقرروا على اطلاق كل المزروعات والقرى والعمائر المحيطة باصفهان من كل جانب حتى يتعذر وصول المدد والزاد اليها او استحيل وقد فعلوا . ففر اهالي البلاد من اماكنهم وقصد بعضهم الانحاء القاصية والبعض لاذ بمدينة اصفهان فقبلهم الشاه بكل ترحاب ظناً منه انهم يزيدون في عدد المدافعين ولم يحسب لحصول القحط في المدينة حساباً .
 ثم شدد الافغانيون الحصار ونقدوا على اصفهان من كل جانب ولم يبق في وجههم معاند غير أهل قرية صغيرة تدعى اصفهانك على مقربة من اصفهان .
 هؤلاء القوم اظهروا بسالة واقداماً غريبين حتى انهم هجموا على قافلة افغانية كانت تنقل الزاد الى جيش محمود وملكوها فلما علم الامير الافغاني بذلك سار بنفسه واكابر اعوانه للانقاذ من هؤلاء الاشداء ولكنه لقي من بسالتهم ما لم يكن يخطر على باله واضطر الى القهقري بعد ان قتل عدد كبير من رجاله وأسرعه واخوه وابن عمه في ساعة واحدة . وفرّ الهاربون بهؤلاء الاسرى فلم يمكن لمحمود ان يخلصهم ورأى انه ان لم يسرع الى انقاذ اقراره ذبحهم اعداؤه عن آخرهم فاستغاث بمسدود الشاه حسين ورجاه ان يأمر الاهالي بالافراج عن هؤلاء الاسرى ففرح الشاه بذلك لانه كان يؤمل ان يكون هذا سبباً في خلاصه وخلاص اصفهان من الضيق فبعث بالامر الى اهالي القرية يأمرهم بالافراج عن الاسرى ولكن اوامره وصلت بعد ان قضى الامر وضربت اعناق الافغانين فلما علم الامير محمود بذلك اشتد غيظه وامر رجاله بقتل كل اسير في قبضتهم وضيق على اهالي اصفهانك بكل قوته حتى اضطرهم الى الفرار وقتل كل من وقع في يده منهم .

ولما طالت مدة الحصار اخذت الاسعار ترتفع شيئاً فشيئاً وظهرت علائم القحط في المدينة ولم يجد الشاه سوى ان ارسل ولده شاه طهماسب ولي العهد

سراً الى سائر البلاد الايرانية ليدعو الناس الى حرب الافغانين وتخليص كرسي المملكة من ايديهم فلم يتمكن من جمع كلمة الاهالي على القيام بتخليص ابيه وكثير الضيق والجوع في اصفهان وانقطع عنها الزاد انقطاعاً تاماً فاجتمع الاهالي حول السراي السلطاني ونادوا على الشاه بالخروج الى الحرب لتخليص المدينة من ايدي الاعداء فامرهم الشاه بالانصراف ريثما يتدبر الامر فلم ينصرفوا واضطر الى امر حراسه ان يطلقوا النار عليهم فمظم الخطب واوشك الاهالي ان يهجموا على السراي ومن فيها ويخربوا دولتهم بايديهم لولا ان يتدارك احمد اغا الذي مر ذكره الامر بحكمته بان وقف بين الجمهور وصاح فيهم ان هيا الى محاربة الافغانين فغرفه القوم وداروا به من كل جانب وتبعوه الى خارج الاسوار فهجموا على الافغانين هجوماً عنيفاً واستخلصوا بعض الاستحكامات من ايديهم الا ان عساكر العرب التي كانت تحت امره والي عربستان تقهروا عدداً ففضب احمد اغا لذلك وامر باطلاق البنادق على الفرقة العربية من عساكره . فلما وقع النزاع بين العساكر واشتغل بعضهم ببعض هجم الافغانيون وهزموهم . فذهب احمد اغا الى الشاه وعرفه ان والي عربستان هو سبب هذه الهزيمة لاتحاده مع محمود في المذهب . ولكن والي عربستان اتى الى الشاه مازين له عزل احمد اغا عن رئاسة المحافظين للقلمة فعزله فتناول السم ومات . وحزن الايرانيون جداً لموت احمد اغا ويشوا من النجاة وصغرت نفوسهم حتى اضطر الشاه ان يرسل الامير محموداً في الصلح على الشروط التي سبق محمود وطلبها منه فرفض الامير محمود اجابة طلب الشاه رفضاً باتاً مدعياً ان كل شيء صار له بلا شروط ولا قيد واشتد الامر على اهالي اصفهان ووقع القحط فيها حتى اكل الناس القحط والكلاب وجذور الاشجار واخيراً اضطروا لاكل لحم الادميين فكانت الاب يذبح ابنه والام تذبح ابنتها طلباً للقوت وزاد عدد الموتى زيادة هائلة حتى امتلأ النهر من الجثث وتغيرت مياهه ولم يستطع احد ان يشرب منه . فلما بلغ الحال الى هذا الحد وذلك في ٢١ اكتوبر سنة ١٧٢٢ م (سنة ١١٣٥ هـ) خرج

شاه سلطان حسين من قصره لابساً لباس الحداد مع جميع امرائه واخذ يدور في اتركة اصفهان وهو يبكي من المصائب التي نزلت في ايام دولته على البلاد والعباد ويقول « ان كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين » و بين الناس انه يريد ان يتنازل عن الملك والتاج للافغانين . فكبر ذلك على الناس ونسوا مصائبهم ومصائبه واكثروا من البكاء والنحيب ولكنهم رأوا ان التسليم اولي بهم من الموت وبهذا قضى الامر

وفي يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٧٢٢ م خرج شاه سلطان حسين مع جميع العظماء وثلاثمائة من خيالة ايران وذهبوا الى الامير محمود في فرح آباد فلما دخلوا عليه في قصره لم يتحرك من مجلسه الى ان وصلوا وسط الديوان . ثم ان الشاه خلع ريشة الملك عن رأسه وقال لمحمود « يا ابني ان الله تعالى لا يريد ان املك زماناً اكثر من هذا وقد جاءت ساعة صعودك على عرش ايران فاننا اتنازل لك عنه وعن السلطنة جعل الله حكمك سعيداً » فاجابه محمود « ان الله يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء » ثم غرز الشاه الريشة في عمامة الامير محمود ثم تصافيا وزوجه الشاه بابتته في ذلك المجلس . وفي اليوم الثاني دخل محمود مدينة اصفهان وجعل همه الاول انقاذ اهلها المساكين من غائلة الجوع والبلاء الذي حاق بهم وفي ارضاء خواطر الناس حتى مال الجميع اليه . وابقى الموظفين الايرانيين في مناصبهم الا انه جعل مع كل واحد منهم رجلاً افغانياً ليتدرب الافغانيون على الاعمال الدولية من جهة وليكن مطمئناً من جهة ما يعتل من جهة اخرى . ثم عاقب بالقتل كل من خان الشاه ودأس عليه في الحرب الا والي عربستان فانه سلمه جميع امواله وفضحه فضيحة شنعاء ولكنه لم يقتله كانه عاهد على ابقاء نفسه

ثم ارسل الامير محمود سنة الف جندي بقيادة امان الله خان لفتح مدينة قزوین فسار اليها وفي اثناء الطريق فتح مدينة قاشان وقم واخيراً دخل مدينة قزوین بلا معارض . واساء الافغانيون السيرة في قزوین وكان اهلها لا يهتمون الضيم فقاموا على الافغانين وطردهم من المدينة بعد قتل الف شخص منهم وذلك سنة ١١٣٦ هـ

وفي اثناء عودة الافغانين المنهزمين انفصل اشرف ابن عم الامير محمود عن امان الله خان وقصد قندهار

وبعد واقعة قزوين قام سائر الاهالي وعملوا بالافغانين مثل ما عمل اهل قزوين واجتمع جمع الافغانين في اصفهان . ولما رأى الامير محمود ذلك توهم ان اهالي اصفهان ربما يفعلون معه ما فعل غيرهم بقومه فقتل جميع المستخدمين الايرانيين في الحكومة من الامراء والعساكر حتى صارت مدينة اصفهان خراباً . فلما اقفرت اصفهان من اهليها جاء محمود بقبائل من الاكراد واسكنها تلك المنازل الخالية وهو يؤمل الفوز بواسطتها . ولما اجتمع الاكراد وجاء الامداد من جهة قندهار وجه بعض العساكر لفتح حلبا وكان وخنسار وقاشان ففتحوها وارسل جيشاً اخر لفتح مدينة شيراز وبعد حصار طويل فتحوا البلد عنوة وانحنوا في اهليها . ولكن السعد لم يخدم محموداً طويلاً لان عساكره انهزمت بعد ذلك في موقعةتين عظيمتين فذهبت عنه قلوب الافغانين واجبروه على ارجاع شرف من قندهار وجعله ولي العهد . ثم غلب الوسواس على الامير محمود فطلب العزلة ولم يخرج من عزلته حتى ازداد فيه الوسواس وسوء الظن حتى انه نظيره امر بقتل تسعة وثلاثين من اولاد السلاطين الصفوية ومازال به الوسواس حتى اورثه خيلاً وجنوداً . وبلغ به الجنون الى درجة ان كان ينهش لحم نفسه باسنانه . وفي اثناء ذلك سمع الافغانيون بان شاء طهماسب ابن الشاه حسين آخذ في جمع شتات الايرانيين لاستمخلاص ايران من يد الافغانين فاضطروا ان يجلسوا اشرف ابن عم الامير محمود وولي عهده علي كرسي السلطنة في حياة محمود فابى قبول السلطنة ما لم يقتلوا محموداً لانه هو الذي قتل ابيه الامير عبدالله فقطعوا رأس محمود سنة ١١٣٨ هـ وقدموها اليه فقبل الجلوس على كرسي السلطنة . وهكذا انتهت حياة هذا الامير الافغاني المعجيب وفتح ايران الشهير اسبع وعشرين سنة من عمره

٧١٦ شاه اشرف بن عبد الله

من سنة ١١٣٨ — ١١٤٢ هـ. أو من سنة ١٧٢٥ — ١٧٢٩ م

وابتداءً اشرف عمله بان اخذ يستقبح اعمال الامير محمود التي صدرت منه في آخر عمره ويبت التشنيع عليها في الملأ العام . واستماله لقلوب الاهالي اخذ تاج الملك ووضعه على رجل شاه سلطان حسين رالم عليه في لبسه . فلم يرض الشاه بذلك ورفع التاج بيده ووضعه على راس اشرف وقال « اني اخترت العزلة على العزة » وزوجه بابنته الثانية

وكان طهماسب ابن شاه سلطان حسين يسعى من يوم فراره من اصفهان برد الملك الى عائلته فلم ينجح في اول الامر وكان على وشك الانزواء حتى اذا علم بتقدم الاتراك على بلاد ايران في ايام الامير محمود السابق الذكر وسمع بهجوم الروس من جهة اخرى خطر له ان يتحد مع هاتين الدولتين وان يعطيهما ما تبغيان من البلاد على شرط ان تسعيا برد الباقي منها اليه . فخابر سلطان الاتراك ولم يفلح في الامر واما اسماعيل بك سفيره في بطرسبرج فنجح وعقد باسم مولاة معاهدة مع القيصر بطرس الاكبر مؤداها ان تنازل ايران عن ولاياتها الشمالية لروسيا وان يسعى قيصر الروس مقابل ذلك في طرد الافغانيين من ايران وردها الى العائلة الصفوية . وكان الاتراك وقتئذ يفتخرون بالبلدان المجاورة لاملاكهم ففتحوا بلاد كردستان وخوى وتيجوان واپروان ومراغة وارمينية ومعظم اذربيجان واخيراً دخلوا مدينة تبريز بعد ان تعبوا كثيراً في الاستيلاء على هذه المدينة

كل هذا حدث في ايام الامير محمود . وكانت روسيا وتركيا متفتحتين على تقسيم ايران وترك القليل الباقي منها لطهماسب بن حسين الصفوي وطرد الافغانيين من ايران

فلما جلس اشرف على كرسي السلطنة اراد ان يخدع طهماسب فكاتبه يدعوه للاتفاق معه واذ علم بذلك بعض الامراء الايرانيين الذين كانوا في خدمة اشرف كتبوا الى طهماسب يحذرونه من الاعتماد على قول اشرف . ولما استشعر اشرف بهذا امر بقتل بقية الامراء الايرانيين الذين تخلفوا من سيف محمود متعللاً بانهم يرسلون عدوه . فلما خاب امل اشرف من الغدر بطهماسب ارسل سفيراً الى

القسطنطينية معترضاً على اتحاد السلطان مع دولة روسيا المسيحية على قتال سلطان مسلم سني مثله فوافق العلماء هذا السفير وضموا صوتهم الى صوته الا ان الوزراء صرفوا هذا الوزير بدعوى ان السلطان العثماني هو امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وظل الله في الارضين ومن لم يطع امره ولم يخاطب باسمه ولم يعط الخراج فهو عدو للدين والجهاد فيه افضل من الجهاد في المصارى . فافتنع العلماء بهذه الحجة وعاد السفير بخفي حنين . وبعده امر السلطان العثماني لاحمد باشا والي مراغة وقزوین بسوق العساكر الى اصفهان . ولما سمع اشرف بذلك امر بحرق القرى وجمع عساكره واستقبل العساكر العثمانية فتلاقى اولاً مع الفين من مقدمة جيوشهم على بعد خمسة عشر فرسخاً من اصفهان فقتلهم عن آخرهم فوقع الرعب في قلوب الاتراك لهذا الخبر وامر احمد باشا بتوقيف العسكر وحفر الخنادق حولهم . اما اشرف فقد بعث باناس سرّاً ليعسوا في جمع قلوب الاكراد على ولائهم وليذبوا في المعسكر العثماني ان هذه الحرب مضادة للدين الخنفي وبعث بآخرين من العلماء جهراً الى احمد باشا ليهتملوا فؤاده الى السلم ويبينوا له ان الصالح خير فلم يسمع مقالهم بل امر بسوق العساكر وكانت ٦٠ الفاً يصحبها ٧٠ مدفعاً ولم يكن مع اشرف سوى ٢٠ الفاً يصحبها ٤٠ زنبوركا (وهو شيء يشبه المدفع يحمل على الجمل ويطلق وهو فوفه) فلما تلاقى العسكران انهزم العثمانيون شر هزيمة بعد ان قتل منهم ١٢ الفاً وتركوا جميع اسلحتهم وادواتهم وفر احمد باشا الى كرمان شاهان وخوفاً من ان يتعقبه اشرف لم يقيم فيها بل ذهب الى بغداد . فانخد اشرف من ذلك فرصة لاستمالة افئدة العثمانيين فكتب الى احمد باشا يقول « اني لا احب التصرف في اموال المسلمين فارسل اميناً من طرفك يستلم جميع ما تركتم سوى الآلات الحربية » واطلق اسرى العثمانيين فاجب ذلك اشتباره عند العثمانيين بحسن السيرة فالتزموا ان يصلحوه على ان يعترفوا له بكونه شاه ايران وان يعترف هو بكون السلطان العثماني ظل الله في الارضين

كل هذا وطهمااسب ابن شاه سلطان حسين لم ينفك عن السعي وراء ارجاع الملك الى عائلته وكان الممعد اراد خدمته فسيخر له نادر خان الذي صار فيما بعد نادر شاه وهو الفاتح الشهير وسياً في ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى) فلما اتحد نادر خان المذكور مع عسكر طهمااسب استولى على عدة مدن مثل مشهد وهرات واستفحل امره في تلك البلاد . فلما سمع اشرف بذلك وكان قد انتهى من حرب الاتراك وعقد الصلح

معهم على ما تقدم اضطرب وأخذ يحشد العساكر فجمع ٣٠ ألفاً وسار بهم الى خراسان وتلاقى مع عساكر نادر بقرب دامغان فهاجمها مرات متعددة الا ان عساكره لم تقدر على مقاومة عساكر نادر فانهمز ورجع الى اصفهان وامر بجمع الافغانيين وعسكرهم في شمال المدينة بقرب مودجه خوار وحفر خنادق واقام استحکامات . فتوجه اليه نادر فلما وصل الى معسكر اشرف وجده في غاية المناعة ومع ذلك امر بالهجوم عليه فلم تكن الا ساعة واحدة حتى انهزم الافغانيون هزيمة شنعاء وثقروا الى اصفهان وعلموا علم اليقين ان لا مقام لهم بها فباتوا ليلتهم بنأهون للرحيل وقبل طلوع الشمس خرجوا من المدينة وارتكب اشرف اثماً فظيعاً قبل فراره من اصفهان هو انه قتل السلطان شاه حسين السيي البخت الذي رأى من المصائب ما لم يره ملك من ملوك ايران

وبعد ان استولى نادر على اصفهان تقدم وراء الفارين من الافغانيين فلحق بهم في مدينة شيراز وحاصره ولما خابروه في الصلح لم يسمع لهم قولاً . فانقسم الافغانيون الى عدة فرق بأمر اشرف وفرت كل فرقة من ناحية . وهب الايرانيون في وجه هؤلاء الفارين من كل ناحية حتى قتلوا اكثرهم واذاقوهم البلاء الاكبر اما شاه اشرف فيكان يقاتل مع القبائل الى ان وصل الى بلوخستان فقابلته اهلها بالقتل والسلب حتى لم يبق معه الا شخصان واخيراً عثر به واحد من اهل بلوخستان وعرفه فقتله في الحال وبعث برأسه مع قطعة ماس كانت معه الى شاه ظهماسب . وكان ذلك في سنة ١١٤٢ هـ . وهكذا انقرضت الدولة الغلجائية الافغانية والبقاء لله وحده

٧٢٧ - الدولة الحسينية بتونس

(تمهيد) لما فتح سنان باشا تونس (راجع فصل ٥٢١) . واراد العودة الى القسطنطينية ترك فيها حرساً من الترك مؤلفاً من ٤٠٠٠ جندي وجعل لكل مائة منهم اميراً يسمى الداي وعين اضبط الامور وحماية الاموال اميرلوا يسمى الباي وجعل النظر في امور العسكر للاغناء وخطب باسم السلطان سليم وضرب السكة باسمه واستمر الحال على ذلك الى سنة ٩٩٩ هـ حيث ثار الجنود لما وقع عليهم من

انضم وانخسف واجتمع الدايات منهم وكانوا اربعين داياً فمقد لاحد هم ابراهيم رودسلي على قيادة الجبش مشاركة مع الاغا فاصبح زمام الحكومة في قبضته واتخذ لنفسه مساعدين احدهما الباي وخص بالنظر في شئون الاعراب والجنود والثاني القبطان وخص بالنظر في الشؤون البحرية. الا ان مدة حكمه لم تطل لانه احس بعد ثلاث سنوات ان حكمه بمخرج موقفه فبرح البلاد بدعوى الحج وخلفه موسى وهذا لما رأى حرج الموقف اقتدى بسلفه وتنازع السلطة من بعده عثمان داي وقرة صفر داي فاتصر عثمان داي على خصمه وخلصت له الرياسة سنة ١٠٠٧ هـ فاحسن السيرة في الرعية ثم توفي سنة ١٠١٩ هـ فخلفه صهره يوسف داي وكان ذا همة وعقل فصلحت تونس في ايامه ثم توفي سنة ١٠٤٧ هـ فخلفه مراد داي ثم احمد خوجه داي سنة ١٠٥٠ هـ الذي لم يكن له من الرياسة الا اسمها فقط والامر والنهي لحدوده باي. وفي ايامه قويت شوكة الامراء البحرين وتواترت شكوى اوروبا من القرصنة فجاء اسطول انكليزي الى حلق الوادي سنة ١٦٥٤ م والزم حكومة تونس بقبول تعيين قنصل بريطاني لديها. ثم توفي احمد خوجه سنة ١٠٥٧ هـ وخلفه محمد لاز داي الذي توفي سنة ١٠٦٣ هـ وخلفه مصطفى لاز داي ثم توفي سنة ١٠٧٥ هـ فخلفه مصطفى قره قوز داي وكان ظالماً عالياً فخلعوه ومات سنة ١٠٧٧ هـ وخلفه حاج اوغلي داي وخلع سنة ١٠٨١ هـ وخلفه شهبان خوجه داي وخلع سنة ١٠٨٣ هـ وخلفه الحاج محمد امتشالي داي وخلع سنة ١٠٨٣ هـ وخلفه الحاج علي لاز داي وكان النفوذ في هذه المدة لمراد باي بن حمودة باشا الذي ضعف بشوكنه نفوذ الدايات من هذا العهد. ثم خلع الحاج علي لاز الداي واقام الجنود مكانه عسكرياً اسمه محمد اغا ولما علم مراد باي بذلك شنت جموعه ثم قتله وولى الحاج ماي جل الذي غلب مراد اعلى امره واستر بالسلطة دونه فظل كذلك حتى توفي وتنازع السلطة بعده ولداه محمد باي وعلي باي فبويح محمد باي الذي خلع فخلفه عمه محمد الحفصي وبعد ولايته ذهب سلفه الى الكاف ورام عمه يمشد من اهلها فاضطرب امره واشهد على نفسه بالخلع فقدم محمد وجددت بيعته واخذ على من بايعوه العهد في عدم قبول عمه ولو بامر الدولة العلية. وغض

من اخيه علي فاستعان على مطلبه بشيخ الحناشة الذي زوجه ابنته . وبينما هو يدبر في امره معه اذ جاء عمه محمد الحفصي في سبع سفن عثمانية متقلداً منصب الباشا من السلطان محمد خان فبعث الداي والاهالي وفداً الى الاستانة لطلب رد الحفصي عنهم . ووصل علي باي في جمعه فهزم محمداً ولما بويع له عزل الداي مامي جمل وولي ببشارة ثم اعاد مامي وتولى الاضطراب . واراد محمد الانتقام فاتصر عليه اخوه علي ثم عزل علي باي مامي جمل ثانية وولى بعده ازن احمد ثم محمد طاباق . واعاد محمد كره القتال جملة مرار لكنه رد بالحنية وصفا الجولي وطاباق ثم فلك الاول بالثاني وولى بعده احمد جلي وكان شجاعاً غير مستسلماً لهي حتى عاقب احد اتباعه بالسجن لارتكابه امراً دينياً فعظم ذلك على الباي فقدم الى الحاضرة في ٢٥ الف فارس فاستصرخ الداي بمحمد باي وحدثت حروب بين هذا واخيه علي انتهت باتفاق الاثنين على اقتسام البلاد وقتال الداي الذي خرج لقتالهما لكن الداي انتصر عليهما فهزم محمداً وفر علي للنخاض قومه . ولما استتب الامر للداي جعل خازن داره محمد منيوط باياً فشرذ الاخوين فذهبا الى صاحب الجزائر واستصرخاه علي قتال عدوها فاعانها صاحب الجزائر على قتاله فاستولوا على الحاضرة واسروا الداي والباي وولوا الحاج بكطاش داياً . ولكن الجند لم تروق هذه الشركة في اعينهم فنادوا بولاية محمد وقتلوا علياً ثم قتل احمد جلي وصفا لمحمد الجولي فبني جملة من المدارس والمساجد والاسواق . وفي عهده ثار محمد بن شكر وتوجه الى الجزائر مستنجداً بتوليها فأنجده فهزم محمداً قرب الكاف سنة ١١٠٥ هـ وفر محمد الى الصحراء وتم الامر لابن شكر فولى داياً اسمه محمود وآخر اسمه محمد طاطار فتصرفوا في العمالة بالسلب والنهب واحقدوا عليهم الخواطر . فأرسل الاهالي الى محمد باي ينادونه من وراء الصحراء فجاء وهزم محمد بن شكر الى فاس حيث مات واستتب الامر لمحمد باي الى ان توفي سنة ١١٠٨ هـ فخلفه الباي رمضان بن مراد وكان عاكفاً على الملاهي واجتلب الآلة المعروفة بالارغن واستولى على عقله مزهود المغني فتصرف بالقتل وغيره وكانت أم رمضان مسيحية

ومات على دينها فبنى لها كنيسة في قرطاجنة . وكان مراد بن علي باي في كنف
 عمه رمضان المذكور فسمي عينيه ثم شفي وفر من حبسه فمالت اليه جموع الناس
 الذين تقموا على رمضان . فتمكن مراد المذكور من الانتصار على عمه رمضان
 وقتله وتولى مكانه سنة ١١١٠ هـ فانتهك الحرمات وجاهر بالفاحشة وعذب
 مزهوداً المغني ومن وافقوا على سمل عينيه وقتل بيده الشريف محمداً العواني
 واكل من لحمه مع ندمائه . ثم زحف على قسنطينة وهزم بايها ولكن
 وردت الى هذا الاخير الامداد ففتكت برجاله وعاد هو فخر القايروان وابث
 يمشي في البلاد حتى فتك به ابراهيم الشريف بمواطاة كهراء الجند سنة ١١١٣ هـ
 فبايع الجند ابراهيم الشريف واصله من جند الجزائريين الذين قدموا مع ابن
 شكر فخدم محمد باي حتى ترقى لمنصب الاغا . ولما تمت بيعته عزل الداوي وولى
 مكانه مصطفى داي وسار بالظلم حيث استباح الناس قتلاً ونهباً . ثم عزل مصطفى
 داي وأضاف منصب الداوي الى نفسه وصار يوقع في أوامره : ابراهيم الشريف
 باي داي . ثم اتاه تقليد منصب الباشا فصار يكتب : الباشا ابراهيم الشريف باي
 داي : وقاتل صاحب طرابلس وانتصر عليه وخرج لقتال الجزائريين سنة ١١١٧ هـ
 وكان كاهيته حسين بن علي يشبهه على المبادرة بالقتال لانفضاض أنصاره من
 حوله فأبى الا التقدم فهزمه الجزائريون فارتاع اهل تونس لهذه الهزيمة واتفقوا على
 تقليد امير قتلوا حسين بن علي السالف الذكر في ٢٠ ربيع سنة ١١١٧ هـ وهو
 رأس العائلة الحسينية التي نجح بصددتها

٧٢٨ ميسى باي بن علي

من سنة ١١١٧ - ١١٥٣ هـ أو من سنة ١٧٠٥ - ١٧٤٠ م

كان أبوه علي يوناني الاصل واعتنق الاسلام وقد أظهر في ولايته الحكمة
 والرصانة وألغى لقب لداي وجعل الولاية وراثية في عائلته للاكبر من أولاده

الذكور وكان لا عقب له فعهد بالولاية لابن اخيه علي ثم رزق بأولاده الثلاثة محمد وعلي ومحمود من زوجته الجنوبية الاصل فمنح ابن اخيه اقب الباشا تمزية له ولكن حقد عليه وثار فانهمزم هو وابنه يونس الى الصحراء وبعدها اقام بالصحراء مدة استغزته نزغات المطامع الى الاستيلاء على القيروان فلم يفلح فقصده الجزائر فاعتقه دايمها مقابل جعل قدره ١٠٠٠٠ محبوب يؤديه اليه الباي سنوياً ٠ وبعد أن استمر الحال على ذلك مدة اتفق ان يحصل الباي الارسل فأطلق الداي سراح علي وطلب من باي قسنطينة امداده فأمدته ودخل تونس وصارت تابعا لداي الجزائر يؤدي اليه الجزية وكان حسين باي قد نجا الى القيروان حيث التفت عليه اهل الساحل فحاربه يونس بن علي باي عدة سنوات وقتله في وقعة ٦ صفر سنة ١١٥٣ هـ ونجا ابنه الى الجزائر وقسنطينة

٧٢٩ علي باشا باي

من سنة ١١٥٣ - ١١٦٩ هـ او من سنة ١٧٤٠ - ١٧٥٦ م

نازع عمه حسين باي وانتزع منه الولاية واستتب امره بعد مقتل عمه المذكور سنة ١١٥٣ هـ وحاملا جلس على كرسي ولاية تونس ارفع الحد في شبة عمه وبنيه وحاول نسخ بعض المهادت المبرمة مع فرنسا فبعثت اليه اسطولا لالاخذ طبرة التي كان انتزعها من الجنوبيين فلم يفلح وأسر قائده ولكن اضطر الباي اخيراً على التوقيع على عهدة ١٢ نوفمبر سنة ١٧٤٢ م ٠ وكان ابنا حسين باي قد نجوا الى الجزائر كما قلنا فاغتنم دايمها ابراهيم كجرك هذه الفرصة وسير جيشا الى الكاف لمحاربة علي باشا ولكن باي قسنطينة حليفه في السر ثاقل من الحصار بما أوجب تقهقر الجيش فمات محمود أحد أبناء حسين باي كذاً وضماً وبعد قبل من ذلك ثار يونس على أبيه فأرغف ابوه الحد في النكاية باشياعه وشرده الى قسنطينة ٠ ونلت هذه الثورة عصيان الاترك من الجند فاستعان الباي

عليهم بقبائل الاعراب واذنهم بعد الانتصار بنهب بيوت المسيحيين واليهود .
وفي هذه الاثناء عين ابا علي داياً للجزائر وكان ناقماً على علي باشا فأنفذ اليه جيشاً
بقيادة محمد وعلي ابني عمه حسين اي وكانت خواطر اهل تونس منصرفه اليهما
فتعمدوا الجبن في الدفاع عن علي باشا فانصرف محمد وعلي عليه ودخلا تونس مع
الجزائريين وقتلا علي باشا وابنه محمداً وذلك في ذي الحجة سنة ١١٦٩ هـ



٧٣٠ محمد باي بن حسين

من سنة ١١٦٩ - ١١٧٢ هـ او من سنة ١٧٥٦ - ١٧٥٩ م

وبعد مقتل علي باشا وابنه بايع التونسيون لا كبر أبناء حسين باي محمد باي
وكان عالي المهمة واسع العلم أديباً شاعراً . لكنه لم يهتأ بالولاية طويلاً لان
الجزائريين الذين كانوا السبب في اتصال الولاية اليه اثقلوا عليه المطالب ولما لم
يجبهم الى ما طلبوا هجموا على القصبة ونهبوها ودمروا دور القناصل وخربوا
الكنائس والمساجد . فأسرع أخوه علي لتجديته وألزم الجزائريين بالجلأ . بعد أن
تعهد الباي لهم بأتارة سنوية من الزيت ثم توفي محمد باي في ١٤ جمادي الثانية
سنة ١١٧٢ هـ (١١ فبراير سنة ١٧٥٩ م) فحزن الناس كثيراً لوفاته وكتب علي
قبره قصيدة مطلعها

هذا ضريح للإمام الامجد نجم الملوك السيد ابن السيد
وختمها بشرى له اذ جاء في تاريخه يا حسن حور زينت لمحمد

٧٣١ علي باي بن حسين

من سنة ١١٧٢ - ١١٩٦ هـ أو من سنة ١٧٥٩ - ١٧٨٢ م

وتولى بعده أخوه علي باي فسار علي خطة والده وأخيه في تعصيد الزراعة
والصناعة واطلق حرية الاتجار اللاروبيين ورفع شأن البحرية والجيش وحسن

الملاق بينه وبين الدول لا سيما فرنسا . ولكن حدث بعد قليل ما كدر صفو هذه الملاق فان جزيرة قرسقة ألحقت بفرنسا وكانت تونس في حرب معها سنة ١٧٦٨ م فلم يصادق الباي على الحاقها ولا على اعطاء الجنسية الفرنسية لاسرى القرسقيين وكانت نتيجة ذلك أن أرسلت فرنسا أسطولاً فرنسائياً أطلق الفنايل على حلق الوادي وبازرت وسوسة وانجلى الامر عن عقد معاهدة باردو التي قضت باطلاق القرسقيين وتجهيد الامتياز بصيد المرجان . ولما عادت الملاق الودادية بينه وبين فرنسا الى مجراها أشرك ابنه حمودة في الحكم كماله لحقه في وراثة المملكة . ومن مآثره على إي انشاؤه التكية الموجودة الآن وغيرها من أعمال البر والخير ثم توفي في ١٢ جمادى الثانية سنة ١١٩٦ هـ

٧٣٢ . محمود باي به علي

من سنة ١١٩٦ - ١٢٢٩ هـ أو من سنة ١٧٨٢ - ١٨١٤ م

تخلله ابنه حمودة باي ولاول ولايته جدد المعاهدات بينه وبين فرنسا . وحدثت بينه وبين جمهورية البندقية حرب بسبب سفينة تجارية فجاء الاميرال البندقي ايمو باسطوله وضرب سوسة وصفاقس وحلق الوادي ولم يرض الباي بالصالح واتفق ان مات الاميرال فكانت وفاته سبباً في عقد الصالح سنة ١٧٩٢ م . وفي ايامه حصلت الثورة الفرنسية الكبرى واستولت فرنسا على مالطة واحتلت مصر فتغيرت خواطر التونسيين عليها وأخذت حكومات طرابلس والجزائر تعامل الفرنسيين بالقسوة . ثم امتنع حمودة باي عن دفع الاتاة السنوية للجزائر فسبر احمد داي جيشاً اليه ففرج التونسيون في ٥٠٠٠٠ مقاتل بقيادة سليمان كاهية وزحفوا على قسنطينة ولكنهم ردوا عنها مدحورين سنة ١٨٠٧ م فطعم الجزائريون في تونس واغاروا عليها فقهروا التونسيون في الكاف وغنموا منهم ١٠ مدافع وقتل الداي احمد وخلفه الحاج علي داي فانفذ جيشاً آخر تلقاه حمودة

بجنان ثابت . ولم يصل الجزائريون الى حدود تونس حتى بلغهم خبر ثورة
الاعراب في الجزائر فانكفأوا راجعين الى بلادهم لتسكين الثوار فيها . وما خلاص
حمودة باي من الجزائريين حتى تأمر البعض على اغتياله ولكنهم قتلوا عن آخرهم
ثم قدم اسطول جزائري ليلزم الباي الاعتراف بسيادة الجزائر عليه فقبل
بتوريد الزيت اللازم للمساجد كل سنة الا ان الجزائريين عاذوا لمهاجمته برقا
ونجرا سنة ١٨١٣ م ثم اضطروا للعود الى بلادهم لثورة القبائل مرة ثانية . ثم
توفي حمودة باي في غرة شوال سنة ١٢٢٩ هـ (١٤ سبتمبر سنة ١٨١٤ م)
ورثاه الشيخ ابراهيم الرياجي بقصيدة يقول في مطلعها
حكم المنية نافذ الاحكام والدار ما جعلت بدار مقام
وختمها بتاريخ وفاته فقال :
ولقولني حق بفضلك فيه اذ ارخت قيل ادخل لنا بسلام

٧٣٣ - عثمان باشا باي بن علي

من سنة ١٢٢٩ - ١٢٣٠ هـ او سنة ١٨١٤ م
قتل بدمه اخوه عثمان باشا ولم يحدث في ايامه حادث يذكر لانه بعد
اسابيع من ولايته خلع وقتل هو وابناؤه الارضيعة منهم ليلة عاشوراء سنة ١٢٣٠ هـ

٧٣٤ - محمود باشا باي

من سنة ١٢٣٠ - ١٢٣٩ هـ او من سنة ١٨١٤ - ١٨٢٤ م

فبيع بدمه محمود باشا باي . وأهم ما حدث في ايامه اعتداء القرصان على
سردنيا ومجيء اسطول انكليزي اطلب اطلاق الامرى فاطلقتهم الباي فمصاص
الاهالي لذلك واستولوا على حلق الوادي . وفي سنة ١٨١٩ م وقع الباي على
معاهدة قدمها اليه الاميرال والاجرافيير بالنيابة عن اوربا . وفي سنة ١٨٢١ م تم

الصالح بين تونس والجزائر. بمساعي الدولة العلية وزالت الشجواء القديمة وفرح
الاهالي لذلك فرحاً عظيماً . ومن اعمال محمود باشا ارساله اسطولا لمساعدة الدولة
العلية لاطفاء ثورة اليونان ثم توفي في ٨ رجب سنة ١٢٣٩ هـ

٧٣٥ - حسين باي بن محمود

من سنة ١١٣٩ - ١٢٥١ هـ او من سنة ١٨٢٤ - ١٨٣٥ م

تخلّفه ابنه حسين باي واهم ما يذكر عنه ارساله وفداً لحضور تكميل شارل
الماشر ملك فرنسا ومنح شركة انكليزية امتياز صيد المرجان على السواحل . ولما
حدثت واقعة نافر بن بيلاد اليونان واحرق الاسطول التونسي ضمن الدولمة
الاسلامية التي احرقت فيها حدث فتور في العلاقات بينه وبين فرنسا . وفي ايامه
فتحت فرنسا الجزائر فارسل الباي تهنئة للقائد الفرنسي ثم جدد كافة المعاهدات
مع فرنسا . وتوفي في ١١ محرم سنة ١٢٥١ هـ (سنة ١٨٣٥ م)

٧٣٦ - مصطفى باي بن محمود

من سنة ١٢٥١ - ١٢٥٣ هـ او من سنة ١٨٣٥ - ١٨٣٧ م

وتول بعده اخوه مصطفى باي بن محمود وكان يعتمد على مصطفى صاحب
الطابع وصهره مصطفى اغا وجري على سنن اخيه في الاعتناء بالمسكر الفطامي وهو
اول من صاغ نيشان افتخاره وله مآثر مشهورة في العمران الا ان مدة ولايته لم تعطل
لانه توفي في ١٠ رجب سنة ١٢٥٣ هـ

٧٣٧ - احمد باي به مصطفى

من سنة ١٢٥٣ - ١٢٧١ هـ او من سنة ١٨٣٧ - ١٨٥٥ م

وخلفه ابنه احمد باي بن مصطفى وكان عاقلاً محباً للتقدم وثق العلاقات بينه وبين فرنسا . وصدر له الخط المايوني الشريف باستقلاله . وناط بضباط فرنسا وبين ترتيب جيشه وانشأ عمارة بحرية قوية . ثم ثار عليه القبائل لكثرة اموال الجباية فاثخن فيهم حتى اخلدوا الى السكنة . وامر بابطال الاتجار في الرقيق ونسخ القوانين الخاصة بمحاكمة اليهود . ثم زار فرنسا سنة ١٨٤٦ م فاحتفلات الحكومة باستقباله واستعرضت امامه حامية باريس . ولما شبت حرب القرم بعث بعشرة الاف مقاتل لنجدة الجنود العثمانية ثم توفي في ١٦ رمضان سنة ١٢٧١ هـ (مايو سنة ١٨٥٥ م)

٧٣٨ - محمد باي به حسين

من سنة ١٢٧١ - ١٢٧٦ هـ او من سنة ١٨٥٥ - ١٨٥٩ م

وتولى بعده ابن عمه محمد باي بن حسين وهذا جنح الى سياسة وزيره مصطفى الخازندار وكانت سياسة عقيمة فناط مؤتمر الدول الذي اجتمع في باريس بالمسيو ليون روش فحصل فرنسا في تونس نصح الباي الى العدول عن خطته وقبول بعض الاصلاحات الادارية فساعدته على اداء هذه المهمة خير الدين باشا . وفي ايام هذا الباي عادت الجنود التونسية التي كانت في حزب القرم ناقصاً منها نحو اربعة الاف وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ م تلى النظام الاساسي الذي وضعه فنصل فرنسا للحكومة التونسية بحضور القناصل الاوربيين واكابر الموظفين التونسيين . وكان السبب الموجب لوضع هذا النظام انه النفق ان يهودياً سب الدين الاسلامي فحكم عليه بالاعدام كما حكم به على ايطالي ثبت عليه الزنا فتدخل فنصل فرنسا في الامر وانجلى الحال بوضع النظام المذكور . وفي سنة ١٨٥٨ م أنشئ مجلس بلدي لمدينة تونس . وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٥٩ . توفي محمد باي (٢٦ صفر سنة ١٢٧٦ هـ)

٧٣٩ - محمد الصادق باي

من سنة ١٢٧٦ - ١٢٩٩ هـ او من سنة ١٨٥٩ - ١٨٨٢ م

وتولى بعده محمد الصادق باي وكان كثير الدعة واللين فترك زمام الامر لمصطفى خزندار الذي اساء التصرف بعقد القروض حتى نتج عن ذلك تشكيل لجنة دولية لادارة ايرادات الابلالة التونسية وتنبه الباي للاخطار المحدقة به فعزل الخزندار المذكور وولى في الوزارة خير الدين باشا . وفي ايامه ثار الاعراب على الحكومة ولم يتمكن حكومة تونس من قمع هذه الثورة حتى اصحبت ارواح واموال الفرنجة في خطر دائم فلما رأت فرنسا التي يتبع معظم الافرنج في تونس لها هذه الحالة الخطرة ساءت عساكرها الى تونس بدعوى حماية الفرنسيين ووقع ثورة الاعراب وكانت نتيجة هذه الحملة احتلال فرنسا لتونس احتلالاً عسكرياً واعترف الباي بحماية فرنسا على الابلالة التونسية بماهدة وقع عليها في القصر السعيد في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ م . ومن ذلك الحين صارت فرنسا صاحبة الحل والعقد في تونس ليس للباي معها الا الاسم فقط . وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٨٢ م (١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٩ هـ) توفي محمد الصادق باي

٧٤٠ - علي الصادق باي

من سنة ١٢٩٩ - ١٣٢٠ هـ او من سنة ١٨٨٢ - ١٩٠٢ م

وتولى بعده اخوه علي الصادق باي الذي اضطر ان يسير على ما تقتضيه معاهدة القصر السعيد المعروفة بماهدة باردو والفاقية ٨ يونيو سنة ١٨٨٣ م التي تحددان سلطته وتلزماته بقبول الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية . وسمي قنصل فرنسا بالوزير المتتم وهو الذي يسن القوانين ويراقب تنفيذها وترجع اليه السلطة العامة في الامور الداخلية والخارجية والشؤون الجارية برية وبحرية . وقد اخذت ثروة البلاد في اتساع النطاق ، والتفت الناس الى تربية ابناءهم مجاراة لجوارهم من الاوربيين ومنافسة لهم في معترك الحياة . ولم يزل الحال كذلك الى ان توفي علي الصادق باي في ١٢ يونيو سنة ١٩٠٢ م (١٣٢٠ هـ)



(ش ٦ علي الصادق باي)

٧٤١ - محمد الراهي باشا باي

من سنة ١٣٢٠ - ١٣٢٤ هـ او من سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٦ م

وخلفه صاحب السمو محمد الهادي باشا باي فسار على خطة سلفه من سياسة البلاد بالحكمة والروية وتعزيد الزراعة والصناعة . ومن اهم الحوادث في عهده زيارة رئيس فرنسا له ورده لهذه الزيارة واستقبال الحكومة الفرنسية لسموه بمظاهر الحفاوة المملوكية . ولم يزل رحمه الله موضع احترام التونسيين حتى توفاه الله في شهر مايو سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) فكانت مدة امارته اربع سنين واثني عشر يوماً وعملاً بالنظام

الاساسي التونسي الذي يقضي بان الباي المتوفي يرثه اكبر امراء العائلة الحسينية سنّا
فقد خلفه صاحب السمو سيدي محمد الناصر المولود في ١٤ يوليو سنة ١٨٥٥ م وهو
الباي الحالي

٧٤٢ - دولة نادر شاه بايران

من سنة ١١٤٩ - ١١٦٠ هـ او من سنة ١٧٣٦ - ١٧٤٧ م .



(ش ٧ نادر شاه)

ولد هذا الرجل العظيم في ١١ نوفمبر سنة ١٦٨٧ م وكان والده من عشيرة
الافشار ومن عامة الناس . فلما شب رأى بلاده في حالة الفوضى من ضعف
الحكومة وهجوم قبائل النار عليها حيناً بعد حين فصارت الاحوال تتقلب عليه وهو

يوماً يؤخذ اسيراً ويوماً يخدم عمال السلطان ويوماً يترأس عصابة فرقة من
 اللصوص ويسطو بها على البلاد وينهب الاموال حتى اشتهر امره مثل اكثر
 اللصوص المشهورين واستدعاه حاكم خراسان اليه فجاءه ولقي منه الاكرام واستعان
 به الحاكم المذكور على محاربة التتر مدة ثم ظهرت منه امور اوجبت خلعها من وظيفته
 واهانتة فصعب ذلك على نادر وعاد الى حاله الاول فانشأ عصابة من اللصوص
 جعل الرجال ينضمون اليها الوفاً حتى صار عدد جيشه نيفاً وثلاثة الاف محارب
 وخافت الحكومة سلوته فسعى بهض اقراره في ضم قوته الى قوة طهماسب يوم
 كان هذا الامير يحاول طرد الافغانين من ايران وتم الامر على ذلك وصار نادر
 من اعظم اعوان طهماسب . فاغار معه على الافغانين وطردهم من ايران كما
 تقدم ذكر ذلك في الدولة الغاجانية واجلس موله طهماسب بن حسين الصفوي
 على كرسي اجداده . وكانت افكار نادر موجهة الى الجلوس على عرش ايران
 العظيم فاخذ يترقب الفرص لاتمام مقصده . وكان الاتراك في ذلك الوقت
 يهاجمون الجهات الغربية من بلاد ايران فزحف اليهم نادر وردم على اعقابهم
 الا انه بلغه اثناء ذلك ان الافغانين هاجوا خراسان وان الثورة عمت انحاءها
 ولان خراسان من الاعمال الخاصة به اضطر ان يترك الاتراك ففعل وتقدم الى
 خراسان ونكل بالافغانين واعاد السلام الى البلاد . وفي اثناء غياب نادر بخراسان
 تقدم شاه طهماسب باشارة بعض مريديه على جيش الاتراك لاتمام طردهم من
 ايران الا انه كسر كسرة هائلة وخسر كل الذي ربحه نادر حتى انه اضطر الى عقد
 الصلح مع والي بغداد على ان يترك للاتراك الاراضي الواقعة وراء نهر اركس
 ولم يشترط على الاتراك رد الاسرى الايرانيين الذين كانوا في قبضتهم . فلما
 رجع نادر من خراسان وعلم بما كان انتهز هذه الفرصة للتشبيغ باعمال طهماسب
 تمهيداً لما يريد فارسل الكتب الى كل الحكام في الولايات يعلمهم بانه لا يرضى
 لبلاده وقومه مثل هذا الصلح المزري وانه عازم على حرب الاتراك ومصالحتهم
 على شروط انسب من هذه او اخضاعهم وطلب مساعدة الحكام . فهاج هذا

المنشور على شاه طهماسب . ثم تقدم نادر الى مدينة اصفهان وحالاً وقع نظره على مولاه السلطان شاه طهماسب اخذ يوبخه على مسمع من الخدام والاعوان ثم تظاهر بالصفح عنه

وبعد قليل دعا نادر السلطان الى وليمة في حديقة قصره فلبى السلطان الدعوة في ذلك المساء فاتى نادر القبض عليه ونفاه الى خراسان بدعوى عدم كفايته وولى مكانه ابنه الطفل عباس ميرزا واقام نفسه وصياً عليه

وبعد ان تم توبيخ الطفل عباس شاه زحف نادر لمحاربة الاتراك وحاصر مدينة بغداد وكاد يفتحها لولا وصول المدد العظيم لجيش الاتراك حتى صار جيشهم يزيد عن جيشه زيادة كبرى في العدد والعدد فتقهقر الايرانيون مع ان نادراً فعل فعل الابطال ولكنه اضطر اخيراً الى الرجوع عن بغداد ونواحيها بعد ان تفرق جيشه ايدي سبا وبلغ عدد قتلائهم ٤٠ الفا . ولم يؤثر هذا القتل الكبير بنادر بل انه زاد همته وشدد عزيمته فانه حال وصوله الى همدان شرع في لم شعثه وازاحة الملل حتى اجتمع لديه خلق كثير وبدأ ينظمهم ويعلمهم الحركات العسكرية حتى صار جيشه قوياً . فلما سمع الاتراك باستعداد نادر لاعادة الكرة عليهم ارسلوا جيشاً عظيماً بقيادة المشير توبال عثمان باشا وكان بطالاً مقداماً الا ان الحظ لم يخدمه لان نادراً التقى بطلائع جيشه فهزمها . ووصل المنهزمون الى مركز الجيش والایرانيون يطاردونهم حتى اذا التقى الجيشان وانتشب القتال فاز الايرانيون فوزاً مبيناً وقتل من الاتراك عدد عظيم وفي جملتهم قائد الحملة وانتهت الحرب بعقد الصلح بين نادر وبين والي بغداد . وبعد عقد الصلح زحف نادر على بعض القبائل الثائرة ليخضعها وتم له ذلك . ولكنه علم حال انتصاره على الثائرين ان سلطان الاتراك ابى التسليم بالصلح المنعقد بينه وبين والي بغداد فارسل جيشاً آخر بقيادة صبدالله باشا لمحاربته والفوز عليه . ولما تحقق نادر هذا الخبر عاد بكل جيشه الى محاربة الاتراك والتقى بجيوشهم في سهول ارمينية وكان الاتراك اكثر عدداً من رجاله ولكن قوة نادر وشجاعته رجحت جانب الايرانيين

فهرزمو الا تراك شر هزيمة وقتلوا قائدهم عبدالله باشا . واستولى نادر بعد هذا الانتصار العظيم على مدينتي كنجه وتغليس وجميع بلاد القوقاس حتى اضطر الا تراك ان يعقدوا معه صلحاً تعهدوا بموجبه بترك دائن ايروان والقارص وكافة الاملاك الايرانية التي استولوا عليها . وعاد هذا الفاتح العظيم بعد النصر الى اصفهان سالماً غانماً واحتفل الايرانيون بدخوله احتفالاً عظيماً

واتفق في هذه الاثناء وفاة الطفل عباس شاه الذي أقامه نادر شاهاً فانتهز نادر هذه الفرصة للجلوس على عرش ايران لكنه رأى بعد الامعان انه الافضل أن يأتي هذا الامر من جانب الايرانيين فأرسل الكتب الى امراء ايران واعيانها يدعومهم الى حضور الاحتفال بيوم النوروز المشهور فجاء منهم نحو مائة الف رجل في صحراء مغان باذر بيجان . فلما تكامل الجمع وانقضى دور الاحتفال وقف نادر في وسطهم واعلنهم بوفاة ملكهم عباس وطلب اليهم أن ينتخبوا لهم ملكاً غيره يقدر على حفظ كرامة المملوكة واشترط عليهم أن ينتخبوا غيره (تأمل حسن سياسته) متظاهراً بالنعب من ادارة الاحكام والميل الى الراحة . ثم انسحب هو الى خيمته ليتداول الامراء في غيابه . ولم يمض الا القليل حتى بعث الامراء يطلبونه وأعلنوه انهم أجمعوا على تنصيبه ملكاً دون سواء . فظاهر بعدم الرضا وتمنع كثيراً حتى انه بقي شهراً كاملاً يأبى قبول هذا الشرف العظيم حتى تحقق ان الافكار كلها استعدت لما يريد فجأهر حينئذ بالقبول . ولكنه اشترط على أهل بلاده لقاء ذلك ان ينجحوا قلباً وقالباً مع السنيين وشدد في ذلك فتبعه بعض الناس ولم ير مقاومة في هذا الامر . وعلى ذلك جلس نادر على كرسي مملوكة ايران باحتفال كبير وذلك في شهر صفر سنة ١١٤٩ هـ (الموافق سنة ١٧٣٦ م) . ولقب من ذلك اليوم بنادر شاه ولاول ولايته أصدر أمراً مطولاً يدعو فيه اهل ايران الى استعمال السلاح وتعلم المعارف والمواخاة مع السنيين . وابتدأ نادر شاه يستعد لفنح الممالك فأراد التخلص قبل كل شيء من الافغانيين وسحق قوتهم فجمع جيشاً لا يقل عن ٨٠ ألفاً قصد به اخضاع امارة

قندهار وهي يومئذ لآخي السلطان محمود الفاتح الافغاني الشير . وكانت قندهار حصينة جداً ولا هلمها بسالة وعزم شديد فحاصرها نادر وبني حولها الحصون والقلاع ومكث حولها حولاً كاملاً يحاول امتلاكها وهي لا تخضع حتى تعب من طول الحصار وأشار الى جنوده بالهجوم العنيف فهجمت عساكره هجمة الاسود الكواسر وانتحوا البلدة عنوة فسلم حاكم المدينة لما لم يبق له امل في الخلاص وعامله نادر بالرفق والمودة وضم بعض الفرق الافغانية الى جيشه فكانوا من اعظم المساعدين له على افتتاح المدائن التي افتتحها في بلاد الهند بعد ذلك بقليل وكان رضا قلي ميرزا بن نادر شاه بطلاً مقداماً مثل أبيه وله جنود واعوان يساعدونها والده على النصر . فبينما كان نادر شاه محاصراً قندهار كان ابنه البطل المذكور يحارب باقي بلاد الافغان فدوخ البلدان وهزم الجيوش واثبت الحصون ثم تقدم الى بلاد التتر ليفعل فيها فعله في بلاد الافغان فلما سمع والده نادر شاه بتقدمه على بلاد التتر ارسل اليه ينهيه عن محاربتهم اكراماً لجنكز خان وتيورلنك الذين يجب اكرامهما واحترام اقوامهما . فرجع رضا قلي ميرزا عنهم . واكتسب نادر شاه مودتهم من ذلك اليوم فلم يلق منهم ما لقيه غيره من الهجوم المستمر على حدود مملكته وتمكن بذلك من التفرغ لاختضاع البلدان . وأول ما فكر نادر شاه في افتتاحه من البلاد الاجنبية بلاد الهند وصار يترقب الفرص المناسبة للهجوم عليها . واتفق بيننا كان نادر شاه يحاصر مدينة قندهار أن فر بعض الافغانيين الى بلاد الهند محتملين بولاتها فكتب نادر شاه الى محمد شاه سلطان الهند (هو من اسرة تيورلنك وبابر الشيرين) أن لا يسمح لحكام بلاده بقبول اعدائه الافغانيين ومساعدتهم . وكرر نادر شاه الكتابة اليه فلم يثنازل محمد شاه الى اجابته وأوجد بذلك سبباً للضعف ففتح لنادر شاه باباً طاماً متى افتتحه

وزحف نادر شاه سنة ١٧٤٠ م بكل ماله من القوة على بلاد الهند ولم يلق في طريقه الى دهلي مقاومة تذكر لان سلطان الهند كان غارقاً في ملذاته

وزراءه واعيان دولته مثله لا يهتمون بغير الحظ والمسررات ولا يحسبون لغوائل الدهر حساباً و يظنون ان نادر شاه لا يتجاسر على التقدم الى بلادهم . ولكن نادر شاه كان يتقدم بسرعة غريبة الى عاصمة بلاد الهند وكلها مربوطة او مدينة أخضعها حتى قرب من دهلي . فأفاق حينئذ محمد شاه من غفائه فجمع جيشاً كبيراً وبرز لقتال الايرانيين فالتقى الجمعان وبعد قتال شديد انهزم الهنود بعد ان قتل منهم نحو ٢٠ ألفاً وأسرى عدد كبير وفر الباقون هاربين . فلما رأى سلطان الهند انه لا بد مأخوذ عول على مصالحة الفاتح الايراني العظيم وأرسل اليه الامراء والوزراء ليخبروه في أمر الصلح ثم حضر هو بنفسه الى خيمة نادر شاه فاحتفل سلطان ايران به واحتفالاً عظيماً وكرمته اكراماً زائداً حتى انه وقف بنفسه في خدمته . ثم عقد معه صلحاً وأقره على سلطنة الهند وجعله حليفاً له يصدر بأوامره وأخذ منه قسماً كبيراً من الولايات الهندية الواقعة الى جهة حدود ايران . وغنم نادر شاه في هذه الحملة من الاموال والكنوز ما لا يوصف لان سلطان الهند أراد الاعراب عن شكره لجليل نادر فلم يبق في خزانته شيئاً من التحف والجواهر المشهورة الا ووجهه لهذا الفاتح العظيم واقتدى الامراء والاغنياء وكل ذي وجاهة وثرة بالسلطان فجمعوا مالاً لا يحصى وأعطوه للسلطان ثمن رقابهم واقراراً بالخضوع لسيافته وبلغت قيمة هذه الاموال مبلغاً هائلاً حتى قيل انها لا تقل عن ٤٠ مليون جنيه . وكان مما جمعه نادر شاه من الجواهر والتحف تحت الطاووس الشهير وجوهرة (در باي نور) وجوهرة (كوه نور) لثان ليس لهما نظير في العالم

ثم أصدر نادر شاه منشوراً بالصالح واقارره محمد شاه بالسلطنة وكان على وشك الرجوع الى بلاده فحدثت فنة في مدينة دهلي وقام جهلاء الاهالي على جنود نادر شاه فقتلوا بعضهم وساعدتهم في ذلك اناس من الايمان والامراء . فاشتد غيظ نادر وأقسم أن لا يترك المدينة حتى ينتقم لرجاله من أهلها . ولذلك جمع عساكره وأصدر لهم أمراً بقتل كل من وجدوه من أهالي دهلي فثار الجنود

في كل جهة يقتلون ويذبحون ونادر شاه قاعد في غرفة مظلمة وقد تولاه الفيظ والقلق . وظل الايرانيون يشتغلون في الذبح زماناً طويلاً حتى هلك من أهل دهلې نحو ٥٠ الف نفس وقيل اكثر . فلم يبق لمحمد شاه سلطان الهند صبر على هذه الاحوال فأسرع الى قصر نادر شاه ودخل غرفته مستغيثاً بشهامته ومسترجياً أن يبقّي على من بقي من أهل دهلې فأكرم نادر شاه مقدمه وأمر في الحال بتوقيف هذه المجازر البشرية فصعد الايرانيون لامره وامتنعوا عن القتل والذبح وهدأت الاحوال . ومن غرائب الامور ان ابن نادر شاه الثاني اقترب بابنة محمد شاه واحتفل بزفافها احتفالاً باهرًا في مدينة دهلې بعد هذه الحوادث الهائلة بأيام قليلة . ثم بارح نادر شاه عاصمة الهند بعد أن أقام فيها ٥٨ يوما

واحتفل الايرانيون بدخول ملكهم مدينة أصفهان احتفالاً شائقاً . وظل نادر شاه أشهرًا في أصفهان لاهم له غير ايلام الولاثم والتمتع بلذة الملك ولكنه خاف أخيرًا أن يستولي الخول على عساكره فقام بجيشه لمحاربة ملك بخارا واسمه يومشدر أبو الفيز خان وتمكن من اخضاعه ومخالفته . ثم تقدم على بلاد خوارزم وبلاد خيوة وقهر حاكمها ايلبارص وقتله وولى مكانه أحد أقارب أبي الفيز ملك بخارى بعد أن صاهره ووالاه . وتقدم بعد هذا لمحاربة أهل داغستان ورد غاراتهم عن الانحاء المجاورة لهم ولكنه لم يلق النجاح الذي تموده في حروبه السابقة . وحدث في أثناء هذه الحرب الاخيرة حادث أقلق . ذلك ان أحد الاعداء كمن له ولولا القليل لفتك به الا ان ابنه رضا قلي ميرزا أسرع لانقاذه . ولكن من الغريب ان نادر شاه أساء الظن بابنه الباسل بعد هذه الحادثة وظل يزيد كرها له يوما بعد يوم حتى أمر بسجل عينيه فحسرها الصنيع اكبر مساعد له ثم ندم نادر شاه على هذه القسوة الوحشية بعد حين ولكنه على ما يظهر أصيب بمرض الهم والقسوة مثل غيره الذين رقاوا سلم الجحيم بالاقدام والجراة ونشأ عن ذلك تأخر احواله فانه اشتبك بعد ذلك بحرب مع الاتراك لم يظهر فيها شيئاً من بسالته المعهودة وانهمز الاتراك لمجرد توههم انهم لا يقدرّون على الوقوف في

وجه نادر شاه

وجعل نادر شاه مدينة مشهد (حاص القديمة) عاصمة ملكه وعول على العدول عن مضادة اهل المذهب السني ولكنه رأى ان مجاهرته بالعدوان للمذهب الايرانيين (الشيعي) سبب نفور القوم منه فشدد في اضطهاد بعض المشايخ والائمة وكان ذلك داعيا الي انتشار الثورة فعصته ولايات فارس وشيروان ومازندران وسيستان . وظهر ان لايرانيين كلهم بدأوا يكرهونه لانه كان يسيء الظن بهم حتى أنه قدم الافغانيين عليهم . ولهذا زاد العتو في صدر نادر شاه وصار يقتل الناس بالجماعات ولا يشفي غليله حتى خاف الامراء شر الآخرة وتآمروا على قتله وفي جملتهم بعض القواد ورئيس الحرس وهم من قبيلة الافشار التي نشأ منها نادر فدخلوا مخدعه في احدى الليالي وقتلوه سنة ١٧٤٧ م (سنة ١١٦٠ هـ) . وأخذ احد الافغانيين من تاجه الجوهرة المسماة درباي نور (اي بحر النور) السابق ذكرها وهي الآن في تاج ملكة انكلترا

وكان نادر شاه من اعظم ملوك الارض واشتهر بنجبه للجواهر والمال وبدهائه في استمالة الشعوب التي يخضعها . كما انه اشتهر بكرهه الاديان عموما حتى انه ترجم بعض اسفار الانجيل ليرى اذا كانت اقرب الي ذوقه من القرآن وجمع ارباب الاديان الثلاثة الالهية يوما وباحثهم في الاديان ثم صرفهم . ولم تزل اثاره العظيمة في كل انحاء ايران الى اليوم

وبعد موت نادر شاه ارسل القواد الي ابن اخيه علي شاه فحكموه على ايران وحالما جالس على كرسي السلطنة لقب نفسه عادل شاه وقتل كل نادر ما خلا حفيده شاه رخ ميرزا وهو يومئذ ولد صغير . ثم ظهر ان عادل شاه ضعيف خامل فلم يقوَ على الحكم زماناً حتى جاء أخوه ابراهيم خان الذي حكم العراق باسمه وعزله وجلس مكانه الا ان هذا المعتدي لم يذق طعم العز زماناً فقام عليه حراسه وقتلوه وولوا مكانه شاه رخ الذي ذكرناه : وكان شاه رخ يوم رقي العرش صغيراً وكان له خصم عنيد هو ميرزا سيد محمد أحد قواد نادر شاه فتمكن هذا الخصم من

اسر شاه رخ واطفاء بهمه والجلوس على عرش المملكة . ولكن لقي سيد محمد ميرز في الحال ما يلقاه الظالمون لان يوسف تلي خان وهو رئيس جيش ايران يومئذ اسرع الى الانتقام من ظالم شاه رخ فاسره وقتله واعاد شاه رخ الاعمى الى العرش على ان العايبين في العرش كانوا في تلك الاثناء واضطرب شاه رخ بعد العناء الكثير ان يرضى ببلاد خراسان فنقل اليها وظل حاكماً عليها زماناً وصارت ايران الى قبضة كريم خان زند رأس الدولة الزندية وسياقي ذكرها . ثم مات شاه رخ بخراسان وبجوته انقرض الملك من عائلة نادر شاه الشهير والملك لله بوثيقه من يشأ وهو العزيز الحكيم

٧٤٣ الدولة العبدالية السدوزائية بافغانستان

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٧٢٢) ان افغانستان ثنائف من عدة قبائل اشهرها قبيلتنا الفاجائي والعبدل وانهم استمروا تحت حكم الدولة الصفوية مدة . فلما كانت ايام شاه عباس الكبير اساء الحاكم الايراني السيرة في اهل افغانستان وارده حده في الاستبداد بدرجة لا تطاق فذهب احد الامراء العبدالية واسمه سدو الى اصفهان ليلقي امر بلاده الى شاه عباس ويحاول انقاذها من ظلم الولاة فخطي بمقابلة جلالة الشاه المذكور وشرح له حكاية بلاده ورجاه ان يخلصها من يد الظالمين ووعد به بروضخ الاهالي بلا معارضة لكل حاكم يوليه عليهم على شرط ان يكون من اهل الانصاف والذمة فسمع عباس شكواه واهم بانصاف بلاده ثم سر من فصاحة سدو في المقابلات الاخرى ومن نبالة مقاصده فعيّنه والياً على افغانستان واعطاه فرماناً بذلك جعله في مقام الامراء المستقلين تحت سيادة سلاطين ايران وفرح اهل افغانستان بذلك فرحاً عظيماً فجعلوا ظاعة سدو واولاده من بعده فرضاً واجباً عليهم وهم الى الآن يمتدحون السدوزية او نسل سدو من اهل الكرمات الذين لا تمد اليهم يد سوء ولا تجوز معاقبتهم او الانتقام منهم على جنائهم وان تكن

جناية القتل بنفسها . ومن نسل سدو المذكور خرج احمد شاه العبدالي ^{ابرا} رأس هذه الدولة العبدالية السدوزائية التي نحن بصدددها . وبيان ذلك انه لما قامت الدولة الغلجائية واستولت على ولاية قندهار ثم اغارت على بلاد ايران واستولت عليها على ما تقدم ذكر ذلك قام ازادخان العبدالي في الوقت نفسه واستولى على مدينة هرات ورفع لواء الاستقلال ولم يزل نسله بها الى ان انقرضت الدولة الغلجائية بقيام نادر شاه الفاتح الايراني الشهير الذي استولى على جميع بلاد افغانستان وضماها الى مملكة ايران ولكن لم تطل مدة دولة هذا الفاتح لانها انقرضت بوفاته سنة ١١٦٠ هـ كما تقدم ولما مات نادر شاه قام احمد خان العبدالي واستولى على افغانستان سنة ١١٦١ هـ وهو رأس هذه الدولة

٧٤٤ - احمد شاه بابا

من سنة ١١٦١ - ١١٨٧ هـ او من سنة ١٧٤٧ - ١٧٧٣ م

لما توفي نادر شاه قام احمد خان العبدالي السدوزاي الذي كان في معسكر نادر شاه مع جموع من الافغانيين والازبك وهاجم الايرانيين ونازلهم منازل عنيقة ثم انعطف بغاية السرعة الى قندهار واستولى عليها ووضع يده على الاموال الخراجية التي كانت تجمل من كابل وبلاد السند الى نادر شاه عند مرورها بقندهار وبذلك عظم صيته وقوي جانباه وعلن استقلاله ولقب نفسه شاه افغان

ثم ارسل عساكره الى هرات ومشهد وسجستان وغيرها من بلاد خراسان وافتتح الجميع فلما دانت له جميع بلاد افغانستان اشتغل بتدبير داخلية البلاد حتى اذا تم له ما اراد طمحت نفسه الى الغزو والفتح فساق عساكره ست مرات الى الاقطار الهندية ونال الظفر في كل مرة خصوصاً في الواقعة التي وقعت بصحرأ بني بتان الواقعة بالقرب من مدينة دهلي . وكانت تلك الواقعة مع المراتيين من عبدة الاوثان الذين اعجزوا اعظم السلاطين التيمورية في الهند اذ كانوا يرومون بزعم السالطة من ايدي المسلمين . وكانت عساكرهم في تلك الواقعة ٨٠ الفاً وكانت عساكر احمد شاه ٦٠ الفاً نصفها فقط

من الافغان ولم يكن احمد شاه يعتمد الا عليهم . فهزم بهم حساكر المراتيين شر هزيمة وبالغ في النكابة حتى صارت هذه الواقعة سداً لسبيل فتوحاتهم . وزاع صيت احمد شاه بعد هذه الواقعة حتى تمكن بسهولة من الاستيلاء على كثير من الافطار الهندية كبنجاب وقشير وسند وما يتأخها

ثم فتح بلوخستان ومكران وبلخ واتسعت في ايامه الدولة الافغانية اتساعاً كبيراً وكان احمد شاه المدكور شجاعاً ذا عزم وحزم وكان واسع الاخلاق طيب النفس ذا انصاف وعدل ورحمة بالضعفاء وعناية بشأن الرعية واصلاحها . ومن اجل ذلك تمكنت محبته من قلوب رعاياه عموماً مع اختلافهم في الاجناس والمشارب ومن قلوب الافغانيين خصوصاً حتى انهم كانوا يعتقدونه من المقربين الى الله ويعدون له اباً للعموم الافغانيين . ومن ثم لقبوه بابا وهو الى الآن يعرف عندهم بهذا اللقب اذ يدعونه احمد شاه بابا واستقر عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن . ولكن المالك القائمة بقوة سلطانها فقط لا تلبث اذا هومات ان تسقط حتى يقوم من يقيمها بعده خلافاً للحكومات المؤسسة على النظام والمقيدة بالشورى فان موت الملك قلما يؤثر فيها . ولم يكن في عقب احمد شاه من يقوم بتدبير المملكة وحفظها مثله فوكت المملكة بعده في ارتباك واضطراب . وكانت وفاته سنة ١١٨٧ هـ

٧٤٥ — سليمان بن احمد

سنة ١١٨٧ هـ أو سنة ١٧٧٣ م

وتولى بعده ابنه سليمان وكان ابنه الا كبر تيمور في ذلك الوقت في هرات فلما بلغه خبر وفاة ابيه واستيلاء اخيه على كرسي المملكة جمع اعوانه وحضهم على مساعدته واستخلاص حقه من اخيه فاجابوه بالسمع والطاعة وادوا باسمه ملكاً عليهم من ذلك اليوم . ثم تقدم الى قندهار وظفر باخيه سليمان وسجنه وجلس على كرسي المملكة

٧٤٦ --- شاه تيمور بهرام

من سنة ١١٨٧ — ١٢٠٧ هـ او من سنة ١٧٧٣ — ١٧٩٣ م

وكانت الولايات الهندية التي اخضعها احمد شاه بابا قد عصت الافغانيين بعد وفاته فلما جلس تيمور على كرسي السلطنة ساق عساكره الى هندستان وقشمير ولاهور والجا الهندود الى الدخول في طاعته . وبعد ذلك بضع سنوات قلد ولده الثاني محموداً ولاية هرات ونقل كرسي السلطنة من قندهار الى كابل وجعل المتصرف في قندهار ولده الثالث زمان الذي كان على جانب عظيم من مكارم الاخلاق واتفق في تلك الايام ان شاه مراد بك امير بخارى اغار على مدينة مرو فدمرها واسر جميع اهلها فاستغاثوا بتيمور شاه فهم لا يستنقاذهم ولكن حال بينه وبين ذلك فيض الله احد القضاة حيث افق انه لا يجوز لسني ان يسعى خلاص شيعة . وتوفي تيمور شاه بكابل ليلة ٨ شوال سنة ١٢٠٧ هـ وكان حسن السيرة ابن العريكة

٧٤٧ --- شاه زمان بن تيمور

وكان هابون بن تيمور في قندهار فلما سمع خبر وفاة والده اخذ البيعة لنفسه على اهل قندهار وحشد الجنود وتوجه بها الى كابل ليستولى عليها فبلغ ذلك اخاه زمان فخرج لمقابلته بجيش جرار فتلاقيا واقتتلا شديداً فانهمز هابون وفر الى هرات والتجأ باخيه الآخر محمود والتمس منه ان يعينه على زمان فلم يجبه . ولما بئس منه ترك هرات وسلك طريق قندهار واتخذ له مقاماً بين المدينتين . فاتفق ان قافلة كانت تأتي من قندهار الى هرات فاعترضها هابون وقتل رجالها وسلب اموالها واستعان بها على حشد جيش ليعاود قتال اخيه زمان . فبلغ ذلك حيدر بن زمان فخرج لصدده فلم يقو عليه بل انهزم ودخل هابون مدينة قندهار وعامل اهلها بالخشونة وعذب تجارها ونهب اموالهم وجيش بها الجيوش . ولما سمع بذلك شاه زمان ساق جيشه نحو قندهار وحارب هابون وهزمه ففر هابون الى ملتان فقاومه والها حتى هزمه واخذته اسيراً وبعث به الى زمان شاه فسلم عينيه . وخلص عرش المملكة لشاه زمان . ولكن بعد قليل ثار عليه اخوه

محمود في هرات وادعى الاستقلال وحشد العساكر وسيرها نحو قندهار . فلما احس بذلك شاه زمان برز اليه في عساكره فتلاقيا بين كركش وزمين داود فطلب شاه زمان اولاً المصالحة من اخيه محمود فأبى اتكلاً على قوته فدارت رحى الحرب بين العسكرين وانجملت عن هزيمة محمود ففر الى هرات ووقع كثير من امرائه في الانسر . وبعد قليل تم الصلح بين الاخوين على ان تكون هرات لمحمود خاصة انما يخطب فيها لاختيه شاه زمان . وانتهاز شاه زمان هذه الفرصة لتوسيع دائرة مملكته فاغار على لاهور واستولى عليها وعلى الممالك القريبة منها .

وبنما هو في نواحي لاهور اذ بلغه ان محموداً نقض المعاهدة ويريد فتح قندهار فاسرع بالرجوع اليها ومنها توجه الى هرات . فلما سمع بذلك محمود جمع عساكره وبرز من هرات لمقاتلته الا انه بلغه ان الامراء الذين تركهم في مدينة هرات قد اثاروا الفتنة فيها ونزعوا في تسليمها فاضطر الى الرجوع . ولما دخل المدينة اظهرت عساكره العصيان عليه وفي الاثناء تقدم قيصر بن شاه زمان فلم يجد محمود بداً من الحرب ففر هو وابنه كامران الى بلاد المعجم والتجأ الى فتح علي شاه سلطانها لذلك الوقت فدخل قيصر بن شاه زمان مدينة هرات بلا ممانع ثم لحقه ابيه وجعله والياً فيها . وبعد مدة رجع محمود الى نواحي هرات وجمع بعضاً من العساكر لفتحها . الا انه لم ينجح بل انهزم وذهب الى مراد شاه امير بخاري وبعد ان مكث عنده ثمانية اشهر استأذن منه في الذهاب الى خوارزم . ثم توجه من خوارزم قاصداً فتح علي شاه سلطان ايران مرة ثانية ورجاه ان يعينه على اخيه زمان فارسل معه جيشاً ايرانياً جراراً فقدم محمود بذلك الجيش ودخل مدينة قندهار بلا ممانع ثم تقدم الى كابل فخرج شاه زمان لقتاله ولما التقى الجمعان وقعت بينهما حرب هائلة انتهت بهزيمة شاه زمان ووقوعه اسيراً بيد اخيه شاه محمود فامر بسمل عينيه . ودخل محمود كابل وجلس على كرسي السلطنة

٧٤٨ - شاه محمود به نيمور

وقاوم قيصر بن شاه زمان عمه محموداً مدة لكنه لما لم يقو عليه لحق بايران وفتت السلطة لمحمود وتسلط على كرسي كابل . وكان شاه محمود مائلاً الى مذهب الشيعة فنرت فيه قلوب السنيين وثاروا عليه ثم خذله الشيعة ايضاً واجمع راي الجميع على عزله فالتوا

القبض عليه وحبسوه في بالاحصار واخرجوا شاه زمان الاعمي من الحبس ليحكم فيهم الى ان يصل اليهم شاه شجاع

٧٤٩ - شاه شجاع بن محمود

وبعد خمسة ايام قدم شاه شجاع من البنجاب فاخرج الامراء محموداً من السجن وقدموه الى شاه زمان ليقتص منه نفعا عنه رحمة به وامر برده ليحبس في بالاحصار وبعد زمن قليل توجه شاه شجاع بجيش جرار الى قشمر لتأديب واليها عطا محمد خان حيث بلغه عصيانه فلما وصل الى مدينة مظفر آباد بقرب قشمر وانه سفير من قبل عطا محمد ليعنذر للملك عن عصيانه ويعرض عليه طاعة سيده وعبوديته له فرجع شاه شجاع بعد ما وثق من معاهدته . وبينما هو في الطريق اذ بلغه ان محموداً ومن كان معه من الامراء في الحبس قتلوا حرس القلعة وفروا الى قندهار واله قد وقع اضطراب شديد في مدينة كابل فلما وصل شاه شجاع كابل وشاهد القلق المستولي على اهلها تأسف لذلك اسفاً شديداً . اما محمود فاقام بتردد بين قندهار وهرات ويقطع الطريق على القوافل التجارية بين هاتين المدينتين حتى اغتنى في وقت قريب من اموال السلب والنهب وساعدته هذه الاموال على تجهيز جيش بلغ عدده اربعة الاف مقاتل فتقدم بهم الى مدينة قندهار واستولى عليها وامر عا ملها ثم قوي جانبها وذاع صيته فلم يرض زمن طويل حتى بلغ عدد جيشه مائة الف مقاتل فساقهم الى كابل لمحاربة شاه شجاع وبرز شاه شجاع في سلكه وبعد قتال شديد انهزم شاه شجاع وفر الى كابل ولانه لم يكن على ثقة تامه من الاهالي بارحها ولحق ببشاور بعد ان ترك فيها الامير حيدر بن شاه زمان

٧٥٠ - شاه محمود به تيمور (ثانية)

فدخل محمود كابل واستولى على عرش الملك ونصب ابنه كامران والياً على قندهار . اما شاه شجاع الذي ذكرنا خبر هربه الى بشاور فطرد منها بعد مدة فراسل عطا محمد خان والى قشمر ان يده بالمال والرجال فلم يشا عطا محمد خان ان يعطيه مالا مالم يودع

عنده بعض جواهره على سبيل الرهن فاضطر شاه شجاع ان يرسل الى عطا محمد خان الجوهرة المسماة در باري نور (وكانت وصلت الى يده في خبر طويل) فاقرضه الخان خمسة عشر لك روييه (اللك يساوي عشرة الاف جنيه) ولم يرسل له رجلاً ، فاختذ شاه شجاع المال وجيزاً به جيشاً ورجع به الى بيشاور ليسير منها الى كابل ، فلما سمع شاه محمود بخبر تقدم اخيه ارسل اليه يطلب عقد الصلح بدعوى انه حاق بالملكة الخراب وأريقت دماء المسلمين هدرًا لتوالي الحروب بينهم ، فاتخذ شاه شجاع هذا الجواب وسيلة لتهديد عطا محمد خان والى قشدير فارسل اليه يقول « ان لم تعني بالمال والرجال لا نفقت مع اخي على قلع اساسك » . فاهتم لذلك عطا محمد خان وجيز خمسة الاف مقاتل وسار بهم الى بيشاور . ففرح لذلك شاه شجاع ظنًا منه ان عطا محمد خان قادم لامداده ولم يعلم انه مضى البندر فانه حاكمًا وصل الى بيشاور هجم على الشاه وأخذ أسيرًا الى قشدير واجتهد في تحصينها . وكان حكمة الانكليز في الهند الاتفاق معه على حرب رنجيت سنك الوثني (الذي اغتصب في اثناء تلك المناوشات الاهلية بعض البنجاب من بلاد الافغانين) وتخليص البلاد التي استولى عليها وتركها بقبضة الانكليز بشرط تعضيده اذا قصده شاه محمود بسوء . واتفق ان وقعت الرسالة بيد جواسيس رنجيت سنك فقدموها له فبعث بها الى شاه محمود طالبًا منه ان يتقدم معه في الهجوم على عطا محمد خان فجهز كل منها جيشًا وفاجأه فاخذه اسيرًا . الا ان محمودًا عفا عنه وخلص اخاه شاه شجاع من الاسر واقام عظيم خان اخا وزيره فتح خان واليًا على قشدير واستصحب رنجيت سنك شاه شجاع وذها الى مدينة لاهور

وبعد مصي سنتين من هذه الحادثة طمع رنجيت سنك في الاستيلاء على قشدير فجهز ثمانين ألفًا من عبدة الاوثان البابائيين وسار بهم الى تلك المدينة ولم يكن عند واليها عظيم خان سوى عشرة الاف من المسلمين فكمن بهم حتى دخل الجيش الوثني الوادي فاحدث بهم العساكر الكامنة من الجهات الاربع ووقع بهم قتلاً واسر احدى بلغم من قتل واسر اربعين ألفًا وفر باقي العساكر الى بلادهم ناجين بانفسهم فانفعل لهذه المزيمة رنجيت سنك وكتب يستعطف محمودًا ويعتذر اليه بما فعل مدعيًا ان ما فعله فعله بالخراب شاه شجاع . فلما استشعر بذلك شاه شجاع فرّ ليلاً والتجأ الى حكومة الانكليز في الهند فأكرم الانكليز مقدمه

وفي سنة ١٢٢٢ هـ طبع فيروز الدين بن تيمور الذي كان واليًا في هرات من

طرف اخيه شاه محمود في الاستيلاء على خراسان فساق عساكره اليها ولكنه انهزم امام الايرانيين شريفة واضطر فيروز الدين ان يرسل الى شاه ايران هدايا فاخرة استماله لقلبه والبقاء لضرره بكف عساكره عنه . وتعهد ايضا ان يقدم الى سدة الشاه كل سنة جزءا وافرا من الخراج فصارت هرات بذلك احدى ابلات ايران . وكان فيروز بعد هذه المصالحة مع الايرانيين بين اقدام واحجام ومحاربة ومصالحة وتسعين وتشيع الى ان اشتدت المنافسة بينه وبين حسن علي ميرزا بن فتح علي شاه والي خراسان وخاف من اغارته على بلاده . فارسل سفيراً الى اخيه شاه محمود يستنجد فالتجذ محمد هذه الفرصة وسيلة للاستيلاء على مدينة هرات فارسل وزيره فتح محمد خان بجيش جرار ولسا وصل الى المدينة استوحش منه فيروز ولم يسمح بدخوله فيها بل امره ان يتوجه لاخت غوريان من يد الايرانيين . الا ان فتح محمد خان كان مأموراً من طرف سيده بدخول مدينة هرات فلم يرد بداً من اعمال الحيلة لاختها فارسل الى فيروز يطلب منه القدوم الى المعسكر ليستشيره فلما خرج اليه قبض عليه وارسله مع اهله اسيراً الى قندهار ودخل المدينة واقام بها وجرز اخاه كندل خان لتخفير غوريان ونشر مكاتيب في بلاد خراسان يدعوها القبائل للاتحاد معه على محاربة الايرانيين . ولما سمع بذلك حسن علي ميرزا ارسل جيشاً للدفاع عن مدينة غوريان . ثم جهز فتح محمد خان جيشاً كبيراً وسار به للاتحاد مع اخيه كندل علي فتح غوريان فلما وصل الى كوسيه بلغه ان حسن علي ميرزا وصل بعساكره الى كافر قلعة لمقاومته وكان بينهما اذ ذاك فرسخان فارسل اليه سفيراً يطلب منه تسليم غوريان ويهدده بالحرب قائلاً « من ذا الذي يدري عاقبة الحرب اهي لك او عليك وربما اوقعك كبرك واشتمت اذك الناشثان عن رويتك نفسك ابن سلطان في امر يوجب تزلزل سلطنة ابيك » فاجابه حسن علي ميرزا على لسان سفيره « بان سيدك محمود المتربي بنعمة الشاه لا يلقى به ان يتكلم بمثل هذا الكلام فضلاً عن خائن مثلك قد حارب ساداته السدوزائية » فلما رجع السفير خائباً ساق فتح محمد خان عساكره الى كافر قلعة وبعد قتال شديد انهزم فتح محمد خان فتمهمقرو الى هرات فاضطرب شاه محمود وولده كامران اللذان كانا وقتئذ في المدينة المذكورة . فارسل ملا شمس مفتي هرات وخان لاخان (أي شيخ الاسلام) الى فتح علي شاه ليخبراه ان هذه الجراة من فتح خان ولم تكن بعلم من محمود ويستعطفوا قبله اليه . فطلب فتح علي شاه من السفير الذي أدى اليه الرسالة ان يخبر شاه محمود احد امرين حتى يكون راضياً

عنه اما ان يبعث اليه فتح خان المذكور واما ان يسمل عينييه . فلما اطاع كامران بن شاه محمود على رسالة شاه ايران حملة الضعف والجبن على سمل عيني هذا البطل الشجاع الذي كان سبباً في اتصال الملك الى ابيه . ولما شاع خبر سمل عيني فتح خان ووصل الى مسامع اخيه عظيم خان والي قشغير ارسل اثنين من اخوته وهم دوست محمد (جد العائلة المالكة الآن في افغانستان) وياور محمد خان الى يشاور لطلب شاه زاده ايوب اخي محمود ليقلده السلطنة ففعلاً وناديا باسمه ودخلا في حدود جلال آباد . وهجم دوست محمد خان على كابل وافتتحها سنة ١٨٢٦م وارسل ايضاً اخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع الذي كان مقيماً في البلاد الهندية التي كانت تحت سلطة الانكليز فجاء شاه شجاع المذكور وحارب سمندر خان والي درة وطلبه وبالجملة فقد قام اخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلاً واتحد كل واحد منهم بواحد من ابناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلاً وداروا بهم في البلاد الافغانية شرقاً وغرباً وقلعوا اساس ملك محمود ولم يبق في يده سوى قندهار وهرات . ثم انتزعوا الملك من ابناء تيمور واستقل كل واحد في ولاية من ولايات افغانستان . كل هذا اخذاً بشار عيني اخيههم وبعد قليل استولوا على قندهار وانتزعوها من يد محمود ايضاً فانحصرت سلطة محمود على هرات ونواحيها وفي سنة ١٢٤١ هـ ساء ظن محمود باهنة كامران ونفرس منه العصيان وخاف من ان يقبض عليه فخرج من هرات وجمع بعضاً من قبائل قرة وتوجه لحاربته فاضطر ابنته بالالتجاء بحسن علي ميرزا والاستغاثة به فآذنه فغلب اباه وهزمه واستولى على هرات

٧٥١ - شاه كامران بهر محمود

وحاول محمود انتزاع الامر من ابنته ولكنه لم يفلح ولم يزل يسمى في رد كرسي المملكة حتى توفي بالوباء سنة ١٢٤٥ هـ وفي سنة ١٢٤٨ هـ عزم عباس ميرزا على ان يفتح هرات فوقعت بينه وبين الافغانين عدة وقائع مشهورة آلت الى حصار مدينة هرات سنة ١٢٥٠ هـ فحاصرها عباس ميرزا ابن شاه ايران وتدخل سفير انكلترا في الامر لمنعه عن مهاجمها بدعوى ان ذلك مضر بحكومة الهند الانكليزية فلما لم يصغ الشاه اكلام

هذا السفير داخل كامران في الثبات في المدينة واعدأ اياه بالنصر القريب وقد حدث ذلك فعلاً فانه بينما كان الشاه مجداً في حصار هرات وكادت المدينة تفتح ابوابها له لما اعتري اهلها من التعب والنصب جاءت سراكب الانكليز في خليج فارس واستولت على جزيرة خارق فلما بلغ الخبر مسامع الشاه رأى من الاولى ان يترك المحاصرة ويشغل بدافعة الانكليز عن بلاده فافرج عن هرات وذهب الى بلاده وكان ذلك سنة ١٢٥٥ هـ . ورأى الانكليز من امرء الافغانين الميل الى الايرانيين اذ كان دوست محمد خان امير كابل وكهندل خان والي قندهار وسائر اخوتها الذين نالوا الملك بعد تفرق كلمة ابناء تيمور يرسلون الشاه في خلال محاصرته لمدينة هرات ويوادونه ويرسلون السفراء اليه فأهمهم الامر وصاروا يترقبون الفرض لرفع رايهم على افغانستان حتى يأمنوا على الهند من هذه الجهة . فلما احسوا من الافغانين النفور والاشمئزاز من امرائهم الجدد رأوا اذعنتم لهم الفرصة ان يتخذوا شاه شجاع واسطة يتوصلون بها الى غرضهم من الاستيلاء على تلك البلاد . فجهزوه في جيش جرار بقيادة البهرة من الانكليز فسار شاه شجاع بذلك الجيش من طريق البلوج وسجستان الى قندهار فلما رأى واليها كهندل خان عدم المقدرة على المقاومة خرج منها هو وعائلته وقصد طهران فاکرم الشاه مقدمه . وقلده ولاية شهر بابك من بلاد فارس . فدخل شاه شجاع قندهار واستولى عليها وبعد ان استراح بها اياماً قصد مدينة كابل ورأى أميرها دوست محمد خان من نفسه عدم المقدرة على المدافعة فاضطر الى الخروج منها وقصد بخارى ليستعين بأميرها فلم ينجح قصده ورأى منه عدم الاحتفال به بل الاهانة والتحقير فانقلب راجعاً وسلم نفسه الى الانكليز فأخذوه أسيراً وبعثوا به الى كلكوتا . وانقسمت مملكة افغانستان الى قسمين هرات وأعمالها بيد كامران شاه بن محمود وباقي المملكة الافغانية وقاعدتها كابل بيد شاه شجاع اسماً وبيد الانكليز فعلاً . الا ان شاه شجاع والانكليز لم يهنأوا طويلاً في افغانستان لان محمد اكبر خان بن دوست محمد خان الذي أسره الانكليز وأرسلوه الى كلكوتا

على ما تقدم جمع جيشاً من الافغانيين الاشداء وأذاق عساكر الانكليز الامرين
والجأهم الى عقد صلح معه سنة ١٢٥٨ هـ تمهدوا بموجبه برد دوست محمد خان من
الاسر وبالخروج من افغانستان وقد تم ذلك فعلاً وخرج الانكليز من افغانستان
بعد أن قتل منهم خلق كثير وأطلقوا سراح دوست محمد خان من الاسر فرجع
الى افغانستان وتم له الاستيلاء على ما كان بيد شله شجاع (لاف المذكور توفي
اثناء المناوشات والحروب التي حدثت بين الانكليز والافغانيين) وحاول
الاستيلاء على هرات من يد كامران فلم يتمكن

وبقى كامران بن محمود بمدينة هرات يقاوم الاعداء من الايرانيين تارة
والافغانيين أخرى حتى غلبت عليه الشهوة واستولى عليه الهوى وانهمك في السكر
فنشرت منه قلوب الناس فانتهز وزيره ياور محمد خان البامي زائي هذه الفرصة
للمجلس على كرسي سلطنة هرات فخنق كامران شاه في قرية خارج المدينة واستولى
على الملك . ومجوت كامران انقضت الدولة القبدالية السدوزائية والبقاء
لله وحده

٧٥٢ الدولة الزندية بايران

(تمهيد) لما مات نادر شاه كثرت القلاقل في بلاد ايران وتسايق الطامعون
في الملك الى نوال المركز الاعلى فقام شخص يقال له احمد خان وسمى في اخضاع
خراسان وقام محمد حسن خان القاجاري (جد العائلة القاجارية المالكة الآن في
ايران) وجعل نفسه اميراً على استراباد وما يليه من بلاد مازنداران موطن قبيلته
وكان نادر شاه قد نكل بكثيرين من رؤساء هذه القبيلة فنفر افرادها منه ومن
عائلته وعولوا على مقاومة دولته ولهذا انضم اكثرهم الى محمد حسن خان حتى
عظمت سطوته وخشي احمد خان شره فبعث اليه جيشاً ليحاربه ويملك مازنداران
من يده ولم ينجح الجيش فزادت بذلك قوة هذا الامير القاجاري . وكانت

انولايات الاخرى تستقل واحدة بعد اخرى حتى ان اذربيجان وكيلان وبلاد
الجزاكية أصبحت ممالك منفردة لا سلطة لصاحب ايران عليها . وكانت اصفهان
في هذه الاثناء بلا قائد شهير يعرف الى أن تم امرها لاحد مشاهير القواد واسمه
علي مراد خان وأصله من طائفة البخاريه ثم خطر له ان ينصب احد افراد العائلة
الصفوية ملكاً عليها ويكون هو المدير للملكة ولكنه رأى انه لا يقدّر على القيام
بهذا الامر الخطير وحده فاستدعى بعض الامراء لمساعدته وكان بينهم شيخ قبيلة
الزندية التي هي قبيلة فارسية اصلية واسمه كريم خان ومع ان هذا الشيخ لم يشتهر
بالحسب والنسب ولكنه اشتهر بالبسالة والاقدام . فاتفق علي مراد خان وكريم
خان على اقتسام البلاد الايرانية بينهما واقامة ملك يحكم بالاسم من العائلة
الصفوية وظلا على ذلك مدة . وكانت القوة والشهرة في اول الامر كلها علي مراد
خان الا ان كريم خان اشتهر بالحلم والانصاف وحب الزعامة فاجتذب القلوب حيثما
حل وساد الامن والعدل في الاجزاء التي حكمها حتى تعلقت به القلوب . وبدأ
علي مراد خان يخشى شر هذه الشهرة ويظهر لكريم خان نفوراً وعداء حتى اشتهر
أمر هذا العداء وأصبح الزميلان عدوين معروفين . ولكن كريم خان امتاز على
خصمه بحب الذين يحكمهم له ونفور اهل اصفهان من علي مراد خان وكانت مزايا
كريم خان هذه اكبر أسباب نجاحه . وانتشب القتال بين الامير بن يرماء فلم تطل
مدته حتى قام أعوان علي مراد خان على رئيسهم وقتلوه فخلا الجو لكريم خان
وأصبح هو صاحب اصفهان والحاكم المطلق على جميع الولايات الجنوبية . وكريم
خان هذا هو رأس الدولة الزندية التي نحن بصدددها . وكان ذلك حوالي

سنة ١١٧٧ هـ



٧٥٣ - کرم خان زند

من سنة ١١٧٧ - ١١٩٣ هـ أو من سنة ١٧٦٣ - ١٧٧٩ م

ولكن لم يتم الامر لکرم خان بمجرد موت خصمه علي مراد خان لان الطامعين في الملك كانوا كثيرين كما تقدم وفي جملتهم ازاد خان صاحب اذربيجان فتحارب الاميران وانهمز کرم خان واضطر الى الفرار وترك اصفهان وشيراز وغيرها لعدوه . وبينما كان جيش ازاد خان يطارده ورأى ان قوته لا تكفي لمقاومته عزم علي اللحاق ببلاد الهند والبقاء فيها بقية عمره بعيداً عن متاعب الملك والتتال ولكن لحسن حظه التقى في طريقه برجل باسل اسمه رستم خان كان شيخاً على مدينة خشت وما يليها على حدود ايران وبلوخستان فأشار رستم عليه ان يترأس لعدوه في تلك الناحية حتى اذا جاء جيش خصمه تركه يتقدم الى وادي کوماردج وهي ضار الجيش الى هذا الوادي أمکن لعدد قليل من الحاربين ان يمحسروه فيه من الجانبين ويقتلوا افراده عن آخرهم فسمع کرم خان رأي رستم واستعد للخاطرة بجهانه وحياة الذين تبعوه من الاعوان والامناء في ذلك المضيق وتعهده له رستم بالمساعدة وتحقيق الاماني . فقدم ازاد خان وجيشه الى تلك البقعة ودخل ذلك الوادي بعينه . وكان رستم خان قد وزع الرجال في الجبال من الناحيتين ووضعهم بين الاشجار والصخور حتى يمنعوا الاعداء من الفرار ساعة القتال . فلما دخل جيش ازاد خان ذلك الوادي هجم عليه رجال رستم وکرم من كل ناحية وأعملوا السيف فيهم حتى قتلهم عن آخرهم ولكن ازاد خان تمكن من الفرار وقصد بلاد العراق فحارب فيها بعض الامراء ودار في جوانب البلاد يوماً ينتصر ويوماً يرى الاهوال حتى كره الحياة وسلم نفسه الى کرم خان طالباً منه الصفح فصفتح عنه وأحسن معاملته وجعله صديقاً له

ولما انتصر کرم خان على خصمه ازاد خان على ما تقدم قام محمد حسن خان القاجاري ورفع راية المصيان علي کرم خان وساقه الى اصفهان فاضطر

كريم خان أن يتركها ويذهب الى شيراز . فدخل محمد حسن خان القاجاري مدينة أصفهان وعامل أهلها بكل قسوة وخشونة حتى نفرت قلوبهم منه . وبعد أن أقام بها أياماً ساق عساكره الى شيراز للقبض على كريم خان فتحصن كريم خان بالمدينة فحاصره محمد حسن خان فيها ولكن تمكن كريم خان من حفظ المدينة مدة طويلة استعمل في أثناءها كل حيلة لاستمالة أصحاب محمد حسن خان اليه فنجح كثيراً حتى اضطر محمد حسن خان أن يفرج عن المدينة . وعاد محمد حسن خان الى أصفهان ولم يدم ثقته بأهلها ولأن قوته قلت تركها وعاد الى مازنداران وهي بلاده الأصلية . وعاد كريم خان الى أصفهان للاقاء الاهلي بالترحاب والاکرام الزائدين وسمعت المدائن الاخرى بفوزه فأظهرت له خضوعاً وسروراً . وكثر عدد جيش كريم خان والمتطوعين لخدمته فأرسل جيشاً بقيادة أحد أخصائه لمحاربة محمد حسن خان واسترجاع مازنداران منه . فبرز محمد حسن خان القاجاري للدفاع عن بلاده الا ان الدهر خافه وكبا به الجواد فتمكن اعداؤه من قتله . فلما قتل سقطت قلوب جنوده وفروا من امام اعدائهم فتم النصر بذلك لكريم خان وأصبح هو ملك ايران المطلق لا ينازعه في الملك منازع

وسكنت القلاقل في ايران بعد هذه الاضطرابات المستمرة فانتهز كريم خان هذه الفرصة لتحسين حال الرعية فنشط الزراعة والصناعة والتجارة وساد الأمن وعم العدل واغتنى الاهالي في هذه المدة واقبل تجار الافرنج على انشاء المهامل والمتاجرة في كل انحاء ايران

ولم يتخلل هذا السلام الذي ساد في زمن كريم خان شيء من القلاقل والحروب سوى الحرب مع الترك . وكان السبب في الحرب ان والي البصرة اساء معاملة بعض الايرانيين فطالب كريم خان من سلطان الاتراك ان يأمر بقطع رأس والي البصرة المذكور ولما لم يجيب طلبه ارسل جيشاً بقيادة اخيه صادق خان لاختضاع البصرة وقتل واليها فتم له ذلك بعد عناء كبير وحصار ثلاثة عشر شهراً وضم البصرة الى املاك ايران ولم يهتم سلطان الاتراك باسترجاعها . وبعد هذه

الحرب عادت السكينة الى بلاد ايران واستراح كريم خان راحة تامة وكانت البلاد كلها راضية بحكمه

وجعل كريم خان مدينة شيراز عاصمة للملكة وبني فيها ابنية فخيمة مثل البساتين والاسواق والحمامات والجوامع التي لا تزال باقية الى الآن . واستمر كريم خان بمدينة شيراز الى ان توفي سنة ١١٩٣ هـ

٧٥٤ - زكي خان

من سنة ١١٩٣ - ١١٩٦ هـ او من سنة ١٧٧٩ - ١٧٨١ م

وبعد وفاة كريم خان اختلس الملك ابن عمه زكي خان وكان غاماً حاتياً فكرهه الاهالي فلم يتمتع بالسلطنة زماناً طويلاً لان صادق خان اخا كريم خان الذي ذكرنا ان اخاه ارسله لفتح البصرة تقدم خلع زكي خان وسمع في طريقه ان زكي خان قتل كل الامراء من عائلة كريم خان فخاف ان يقترب منه فظل يجاربه عن بعد ولم يتنجح في اول الامر فاضطر الى الفرار

وظل زكي خان حاكماً حتى قام له خصم عنيد قوي هو آقا محمد خان القاجاري (رأس العائلة القاجارية المالكة الآن في ايران) وكان هذا الامير اسيراً في قبضة كريم خان مدة حياته فلما سمع بوفاة فرّ الى مازندران والفر جيشاً قوياً كسره شوكة زكي خان واضطره الى القيام بنفسه لمحاربه . واكثر زكي خان الظلم والعسف في رعيته فقام عليه عساكره وقتلوه

٧٥٥ - صادق خان

من سنة ١١٩٦ - ١١٩٨ هـ أو من سنة ١٧٨١ - ١٧٨٤ م

وملك بعده صادق خان ولكنه لم يتمتع بلذة الملك طويلاً لان اخضاعه من

عائلته كانوا كثيرين واشهرهم علي مراد خان فارسل اليه صادق خان جيشاً بقيادة ابنه تقي خان لمحاربه فهزم علي مراد خان وشنت شمله . ولما لم يقدر علي مراد خان على استخلاص كرسي المملكة بالقوة ظل يتربص بالفرص لاعدال الحيلة حتى رأى من صادق خان ضعفاً وميلاً الى التمتع بالملذات وترك الحكومة الى اولاده يديرونها حسب احوالهم وطيشهم . فعمل علي مراد خان الحيلة في التشنيع على اعمال صادق خان واولاده حتى مال الناس اليه وصاروا ينتهزون الفرص للتخلص من صادق خان فلما تحقق علي مراد خان منهم هذا الميل جمع جيشه وقام لمحاربة صادق خان واولاده وحاصرهم بشيراز واستولى على المدينة بلا كثير عناء واضطر صادق واولاده ان يخضعوا له فقتلهم عن آخرهم ولم يبق منهم سوى جعفر خان ابن صادق خان لانه اظهر له ميلاً وكان ذلك في ١٨ ربيع اول سنة ١١٩٨ هـ

٧٥٦ - على مراد خان

من سنة ١١٩٨ - ١١٩٩ هـ او من سنة ١٧٨٤ - ١٧٨٥ م

وحالما جلس علي مراد خان على كرسي السلطنة نزل كرسي المملكة من شيراز الى اصفهان ثم وجه همه لمحاربة آغا محمد خان القاجاري الذي قوي امره في هذه الاثناء . فانتبه جعفر خان بن صادق خان فرصة اشتغال علي مراد خان مع القاجارية وجمع جيشاً ليأخذ بثأر ابيه واخوته من علي مراد خان فعاد علي مراد خان لقتال هذا الخصم الذي لم يكن ينتظره وكان مريضاً فاشتد عليه المرض في الطريق وتوفي في ١١ فبراير سنة ١٧٨٥ م الموافق سنة ١١٩٩ هـ في قرية صغيرة على مقربة من اصفهان

٧٥٧ - جعفر خان بنه صادق خان

من سنة ١١٩٩ - ١٢٠٠ هـ او من سنة ١٧٨٥ - ١٧٨٦ م

فاستولى جعفر خان على كرسي المملكة وكان حكماً عادلاً يحب ترقية البلاد
الا ان ايامه كانت ايام شويم وبوئس فثارت عليه ولايات كثيرة . وانتهم آقا
محمد خان القاجاري فرصة وفاة علي مراد خان واستولى على عدة ولايات . وكان
قواد جيش جعفر خان ناقلين عليه لاسباب كثيرة فتآمروا عليه وقتلوه وطرحوا رأسه
في احد شوارع شيراز وذلك سنة ١٢٠٠ هـ

٧٥٨ - لطف علي خان بن جعفر خان

من سنة ١٢٠٠ - ١٢٠٢ هـ او من سنة ١٧٨٦ - ١٧٨٨ م

ولما توفي جعفر خان تولى بعده ابنه لطف علي خان وكان بطلاً مقدماً
الا ان الايام لم تراعده لانه وجد في انفس الاوقات . ذلك لان آقا محمد
خان القاجاري الذي تقدم ذكره مراراً كان قد قوي امره وعظم شأنه وبمد
صيته واراد ان يستولي على البقية الباقية من بلاد ايران وينزعها من الدولة
الزندية فاشهر الحرب على لطف علي خان . وكان عامل شيراز يدعى الحاج
ابراهيم وهو من صنائع الدولة الزندية فقام هذا الخائن نعمة اسياده وسلم مدينة
شيراز الى آقا محمد القاجاري ففت ذلك في عضد لطف علي خان البطل الشهير
ومع ذلك بقي لطف علي خان مدة يقاتل خصمه ويظهر من غرائب البسالة
والاقدام ما لم يرو عن غيره من ابطال الزمان فقد كان يحارب عشرين الفاً من
ابطال آقا محمد خان وليس معه غير بضع مئات ولا يفر من امامهم وكثيراً ما خرق
الصفوف واجتاز الالوف والحسام مشرب بدمه وهو وحيد يقاتل الابطال من هنا
ومن هنا حتى هجره الخللان وخانه الزمان فاضطر الى الاختفاء والبعث عن الاعداء

وكان يختفي ويعود حيناً بعد حين ومعه ما لا يتجاوز المئتين من المقاتلين فيفوز ويظفر ولكن تاني خصمه وكثرة معداته تغلبت على بسائته . واخيراً عول لطف علي خان على البعد عن متاعب الملك والحروب وظل سائراً بمفرده حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من أفغانستان فقابله حاكمها بالترحاب فاستراح عنده ليلة . ولكن هذا الحاكم طمع في الجائزة التي جعلها آقا محمد خان لمن يأتيه باطف علي خان . ففدّر بضيفه وهجم عليه مع بعض اعوانه فقاتل لطف علي خان عن نفسه قتال الابطال حتى اثنى العدو بالجراح فسقط من الألم فربطه القوم وساقوه وهو على هذا الحال الى آقا محمد خان فأمر بسمل عينيّه وزجه في السجن ثم امر بقتله بعد قليل وهكذا انقرضت الدولة الزندية وصارت ايران ملكاً للدولة القاجارية من ذلك الحين الى الان . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الدولة القاجارية بايران

(تمهيد) اصل هذه الدولة من قبيلة قاجار الشهيرة التي سكنت بلاد استراباد وشمالى ايران اجيالاً من قبل ان يقوم مؤسسها . ومؤسس هذه الدولة هو آقا محمد خان ابن امير من اصراء القاجارية . وسبب اتصال الملك اليه هو انه لما ملك عادل شاه بلاد ايران ارسل يطلب اثنين من امراء القاجارية فارسلوا له محمد خان واخاه فاساء عادل شاه معاملة محمد خان حتى عرف باسم آقا محمد خان . ولما صارت دولة ايران الى قبضة كريم خان زند اعتقل آقا محمد خان وبقي في اعتقاله حتى توفي كريم خان ففر حينئذ محمد خان من شيراز بسرعة فائقة ووصل الى طهران بعث ثلاثة ايام فاشهر في الحال استقلاله وجعل من ذلك اليوم بنازع الدولة الزندية وتآب حوله ابطال القاجارية لانه اكبر امرائهم ونصروه بجندهم فجعل يستعد لمحاربة الخصوم وكان اول من حاول محاربتة بعض اخوته فلم يفلحوا سعيّاً واضطروا الى الفرار وذهب اخدهم وهو مرتضى قلي خان الى امبراطورة الروس كاترينا فاتخذته هذه الامبراطورة آلة في يدها بدعوى تنصيبه ملكاً على ايران في الظاهر وبقصد ضمها الى املاك الروس في الباطن ولكن ذهبت هذه

المساعي ادراج الرباح كما سيبيجي^١ . وكان بين اخوة محمد خان اثنان مخلصان له واحدهما جعفر خان وكان بطلاً صنديداً ولولاه لما تم لمحمد خان الاستيلاء على ايران وبعد ان خلص محمد خان من متاعب اخوته وجه همه في محاربة القبائل والولايات المجاورة له حتى تمكن بعد مدة قليلة من ضم جزء كبير من بلاد ايران الى طاعته وجعل عاصمة ملكه مدينة طهران فصارت مملكة ايران قسمين القسم الشمالي تحت حكم محمد خان المذكور والقسم الجنوبي بيد الدولة الزندية وقاعدته اصفهان . فوجه محمد خان همه لالفتاح باقي المملكة واستخلاصها من يد الدولة الزندية لخارب ملوكها مراراً وانتصر عليهم في وقائع مشهورة حتى صارت الدولة الزندية الى لطف علي خان آخر ملوكها وكان بطلاً مقداماً فقاوم محمد خان مقاومة الابطال ولولا تآني محمد خان وكثرة جموعه لما تمكن من قهر لطف علي خان الذي لما رأى خدر رجاله به خصوصاً بعد خيانة الحاج ابراهيم والي شيراز وتسليمه هذه المدينة الى محمد خان ان المقاومة لا تجدي به نفعا عزم على البعد عن متاعب الملك وظل سائراً بمفرده حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من افغانستان فقايله حاكمها بالترحاب واستراح عنده ليلة . ولكن طمع الحاكم المذكور في الجائزة التي جعلها محمد خان لمن يأتيه بلطف علي خان فغدر بضيفه وهجم عليه هو وبعض اعوانه فدافع لطف علي خان عن نفسه مدافعة الاسود الكواسر حتى اشجته العدو بالجراح فسقط من الالم فربطه القوم وساقوه وهو على هذه الحالة الى محمد خان كما تقدم . فلما صار الى قبضته اسران تسمل عينيه ويزج في السجن ثم قتل به بعد ذلك بقليل وموته انقضت الدولة الزندية وصارت ايران ملكاً للدولة القاجارية وذلك سنة ١٧٨٨ م (١٢٠٢ هـ)

٧٦٠ - آغا محمد خان

من سنة ١٢٠٢ - ١٢١٢ هـ أو من سنة ١٧٨٨ - ١٧٩٧ م

وموت لطف علي خان آخر الدولة الزندية استتب الامر لمحمد خان في كل مملكة ايران فجعل همه تنظيم البلاد والضرب على ايدي الاشقياء حتي عم الأمن وساد السلام

الا ان محمد خان اتى امرأاً أغضب اخاه جعفر قلي خان الذي قلنا انه ساعده على

الاستيلاء على كرسي المملكة وذلك انه عهد بولاية العهد من بعده لابن اخيه الثاني فتأثر جعفر علي خان وطلب الي اخيه محمد خان ان ينقله الى اصفهان ليكون حاكما عليها فابى السلطان عليه ذلك وولاه علي قسم من بلاد مازندران . وحدث بعد هذا ان محمد خان استدعى اخاه جعفرًا ليأخذ رأيه في احدى المسائل فلم يحضر فاتخذ ذلك دليلاً على عصيانه ولكن جعل يستميله بالحيلة حتى اقنعه بالقدوم الى طهران ولو ليلة واحدة فغدر السلطان باخيه وقتله شر قتله . ولما سمع اهل طهران بها هاجوا وماجوا وكاد يقع مالا محمد عقباه ولولا اقناع السلطان لهم ان اخاه قتل غدرًا بيد جان اثم ولكثرة بكائه ونحيبه صدق اهل طهران قوله فلم يتعد هيا جههم حد الكلام

وحارب آقا خان قبائل التركمان المجاورة لاستراهاد وبالغ في النكابة حتى اخلدوا الى السكنية ورجعوا عما كان مشهوراً عنهم من قطع الطرق ومساءة اعداء السلطان وكانت بلاد الكرج والقوقاس من الممالك التابعة لايران ولكن اميرها وقتئذ واسمه هرقل لما رأى اشتغال سلاطين ايران بمعاربة اعداءهم الآخر فافوض دولة الروس في استقلال دولته تحت سيادتها . فعقدت الامبراطورة كاترينا معه محالفة مشهورة أهم بنودها ان بلاد الكرج اصبحت تحت سيادة روسيا وروسيا تضمين مقابل ذلك الملك على تلك الامارة لهرقل ونسله من بعده . فلما سمع محمد خان بهذا التالف سار الى بلاد الكرج وحاربها قبل ان تصلها نجدات الروس فاضعها واقتص من اهلها واضطر اميرها الى الفرار . ودخل محمد خان تفليس وخرجهما واعمل السيف في اهلها وسبي منهم ٣٠ ألفاً اكثرهم من النساء والاولاد

وكان آقا محمد خان الى ما بعد اخضاع بلاد الكرج لم يلبس التاج ولم يعد سلطاناً على ايران رسمياً فالح عليه الاعوان بذلك ورضي بعد التمتع الكثير . فتم ذلك في مدينة اورمية في يوم حافل ولكنه لم يلبس تاج نادر شاه لكثرة جواهره وزخرفته بل اكتفى بثقلد السيف الذي كان ملوك الدولة الصفوية يتقلدونه ودل بذلك على احترامه للعقائد الشيعية . ودعي شاهاً من ذلك الوقت . وكان ذلك سنة ١٢٩٤ م

وبعد قليل اتفق محمد شاه مع امير افغانستان على فتح بخارى وبلاد تركستان المستقلة واقتسامها بينهما وشرع في ذلك ولكن بلغه قبل ان يتقدم اليها ان الروس هاجوا بلاده فاضطر الى التقدم لمحاربتهم . وكان الروس بعد فرار هرقل امير الكرج قد زحفوا على الولايات الشمالية من ايران وملكوا عدة مواقع فارسل محمد شاه الاوامر المشددة

الى كل انحاء السلطنة الايرانية بجمع البखائر والرجال ليستعد استعداداً هائلاً للعرب مع أعظم دولة اوربية . وبينما الاستعداد جارٍ في ايران على قدم وساق توفيت كاترينه امبراطورة الروس وخلفها بولس الاول وهذا حالاً جلس على عرش السلطنة انفذ امراً الى جيشه بالرجوع عن ايران وانتهت المسألة بلا مصائب واهوال

اما هرقل امير الكرج فتوفي اثناء فراغه وتولى اماره الكرج بعده كركين خائف وهذا لما رأى الجنود الروسية تقدمت على املاك الدولة الايرانية اشهر رابة العصيان فلما عادت العساكر الروسية عن ايران كامر مليكها بولس الاول كما مرّ انتهى محمد شاه الفرصة لاختضاع هذا الامير وساق عساكره الى بلاد الكرج ومع انه قام في الاهوال في محاربتها لكنه تمكن من اخضاعها اخضاعاً تاماً . وبينما هو في تلك البلاد حدث ان اثنين من خدامه تخاضعا فخنق عليهما وامر بشنقهما في اليوم التالي . ومن الغريب انه تركهما في خدمته وكانا من المواطنين بخدمة سريره وتقديم اطعمته . فلما جن الليل تشاور الخادمان في اغلاق من القتل فقرر رأيهما على قتل السلطان فدخلوا غرفته في منتصف الليل وقتلاه في تلك الليلة وكان ذلك سنة ١٧٩٧ م

٧٦١ فتح على شاه

من سنة ١٢١٢ - ١٢٥٠ هـ او من سنة ١٧٩٧ - ١٨٣٤ م

ولما توفي آقا محمد شاه تولى الملك بعده ابن اخيه فتح علي شاه ولأول ولايته اعتدت روسيا على حدود دولة ايران وهاجمت شطوط بحر الخزر واستولت على كرجستان سنة ١٨٠٠ م فهاجمت عواطف الايرانيين على روسيا واعلنت الحرب بينهما سنة ١٨٠٣ م فانتصر الايرانيون في اول الامر في عدة معارك فزاد الروس قوتهم زبادة عظيمة وعززوا جيوشهم فهزموا الايرانيين واستولوا على كرجستان وداغستان وشيروان . وفي سنة ١٨٠٥ م سلمت قره باغ الى روسيا فأوقفت الحرب . وتظاهرت فرنسا بمساعدة ايران في هذه الحرب وارسل نابوليون بوناپرت بعض القواد الفرنسيين لكي ينظموا الجيش الايراني على النسق الاوربي

وخافت انكلترا من زيادة مداخلة روسيا وفرنسا في ايران واهتمت بالامر وبعثت سفيراً الى فتح علي شاه فكانت نتيجة مساعي هذا السفير الانكليزي ابرام معاهدة

كلستان في شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ م بين الروسيين والاييرانيين . ومع ذلك بقيت العلاقات بين روسيا وايران في فتور والمناوشات مستمرة وداخلية ايران مضطربة من جراء ذلك . ولما توفي امبراطور روسيا اسكندر الاول ازداد اعتداء الروس على الاملاك الايرانية فاشتد هياج الايرانيين على روسيا وقبضوا على البرنس منشييكوف الذي كان قد بعثه الامبراطور الى ايران سنة ١٨٢٦ م للتهديد بالغزو . ولم يطلقوا سبيله الا بامر مشدد من فتح علي شاه . وقد ازم الايرانيون جلاله الشاه باعلان الحرب ضد روسيا لان اعتداء هذه الدولة صار لا يحتمل . فارسل الشاه جيشا عرمرما بقيادة ابنه عباس ميرزا فسارو عبر نهر الرس وقاتل الروس وانتصر عليهم في عدة مواقع انتصارا مبينا . ثم ترك عباس ميرزا قيادة الجيش لابنه محمد ميرزا . ولما نسي الخبر الى عاصمة الروس جندوا جيشا جرارا وساقوه الى مواقع القتال . وكانت العساكر الايرانية قد تعبت من القتال ولكنهم التزموا اضطرابا ان يقاتلوا الجيش الروسي الجديد فالتقى الجمعان في شمخال على مسافة خمسة فراسخ من تفليس في ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م ودارت رحى الحرب فظهر الايرانيون من البسالة والاقدام ما حير عقول اعدائهم ولكن الشجاعة لا تغني اذا كثر العدد وزاد . فانهمزوا امام الروس بعد ان قتل منهم خلق كثير

ولما بلغ الخبر الى عباس ميرزا بن فتح علي شاه اغتاض جدا وسار بنفسه لمحاربة الروس فالتقى بجيش الجنرال بسكاويتش في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م وبعد قتال شديد انتصر الروس واعاد عباس ميرزا الكرة على الروس لكنه التزم ان يرجع القهقري بين معه فتقدم الروس كثيرا . وفي شهر يوليو سنة ١٨٢٧ م حاصر الجنرال بسكاويتش قائد الروس عباس آباد فخرج اليه عباس ميرزا باربعين الف مقاتل فالتقى الجيشان في ١٢ يوليو المذكور وبعد مواقع دموية هائلة انهزم الايرانيون وتقدم الروس وفي سبتمبر سنة ١٨٢٧ م دخل الروس مدينة تبريز بقيادة الجنرال ينكراتيف بعد حرب عنيفة قتل فيها من الروس ١٤ الفا

ولما توالى الهزائم على الجيش الايراني اهتم عباس ميرزا بامر الصلح مع الروس وبعد مفاوضات كثيرة تم عقد الصلح في ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٨ م وسمي بمعاهدة تركماني جاني واهم شروط هذه المعاهدة ان تخلي ايران خانيقي ايروان وقنجوان وان تدفع الي روسيا غرامة حربية قدرها ثمانية ملايين روبل (الروبل يساوي فرنكين) وان لروسيا

الحق في ادخال سفنها الحربية في بحر الخزر . وهكذا انتهت هذه الحرب المشؤمة . وبعد ان وضعت الحرب مع روسيا اوزارها اراد جلالة الشاه ان يعوض بلاده ما خسرت له روسيا فاعتمد على املاك الدولة العلية العثمانية واستولى على ولاية عراق العرب ووقعت بين الايرانيين والعثمانيين عدة وقائع مشهورة كان النصر في اغلبها للايرانيين واهم هذه الوقائع واقعة تراق قلعة . وكان الاوردي العثماني (اوردي كلكة تركية معناها معسكر وقد استعملها العامة فنقول اوردي او عرشي) مؤلفاً من ٥١ الفاً من العساكر و ٢٠٠ من المدافع الضخمة بقوده جلال الدين محمد باشا الشهير بجوبان اوغلي . وكان معسكر الايرانيين ١٤ الفاً من المشاة و ١١ الفاً من الفرسان ومعهم ستون مدفعاً وهم بقيادة البطل الشهير عباس ميرزا بن فتح علي شاه ولي عهده فانتشبت الحرب بين الفريقين وكادت تنهزم العساكر الايرانية في بادي الامر الا ان عباس ميرزا هجم بنفسه على مواقع الاعداء فتحركت الحمية في عسكره وهجموا على العثمانيين بقلوب لا تنهاب الردى واستعملوا السلاح الابيض بدل الاحمر ودامت المعركة ٣ ساعات وانجحت عن هزيمة العثمانيين وانتصار الايرانيين انتصاراً تاماً ثم عطف عباس ميرزا الى جهات الوان والموصل وفتحها عوة ثم عقدت شروط الصلح بين الدولتين بمعاهدة سميت بمعاهدة ادرم

وفي سنة ١٨٣٢ م توفي عباس ميرزا ولي عهد المملكة الايرانية فخنز عليه والده حزناً أدى بحياته في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٣٤ م (١٢٥٠ هـ) وكان كريماً حليماً عادلاً في ملكه وله جملة آثار من الابنية في طهران . وتوفي عن ٥٧ ابناً و ٤٦ بنتاً . وكان عدد نسله حين مماته ١٠٠٠ نفس وقد بلغ عددهم سنة ١٣٠٠ هـ عشرة آلاف

٧٦٢ محمد شاه بن عباس

من سنة ١٢٥٠ — ١٢٦٤ هـ او من سنة ١٨٣٤ — ١٨٤٨ م

وتولى بعده حفيده محمد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه فثار عليه اعداءه لكنه انتصر عليهم واستتب له الامر ولقب محمد شاه وفي ايامه اعتدأ حاكم هرات الافغاني على بعض بلاد الدولة الايرانية فساق الشاه عساكره لتأديب هذا المعتدي والنتج عدة مدن في طريقه واخيراً حاصر مدينة

هرات وكاد يفتقها لولا انتصار انكثرا الافغانيين زعماء منها ان هرات مفتاح الهند .
 فجاءت السفن الانكليزية الى خليج فارس وضربت بعض الثغور الايرانية فاضطر الشاه
 برفع الحصار عن هرات في ٩ سبتمبر سنة ١٨٣٨ م . وفي سنة ١٢٦٠ هـ ظهر رجل من
 اهالي شيراز كان مشهوراً بالزهد واعمال الرياضة الشاقة اسمه ميرزا علي محمد بن ميرزا
 رضا البزاز وادعى انه نائب المهدي المنتظر وسمى نفسه الباب رمزاً الى الحديث النبوي
 « انا مدينة العلم وعلي بابها » فثار الناس عليه وسجنته الحكومة باصفهان ثم في جهرى .
 ثم ادعى ايضاً وهو في السجن انه المهدي نفسه فانحاز اليه حزب : هم البابية : ووقع بين
 الحزب المذكور والحكومة مشاغب واخيراً قتل الباب بتبريز رمياً بالرصاص
 وفي ٦ شوال سنة ١٢٦٤ هـ توفي محمد شاه بعد ان ملك ١٤ سنة وثلاثة اشهر .
 وكان رحمه الله تقياً يضرب به المثل في الزهد والتقوى . وكان يقود عمداً كرهه بنفسه

٧٦٣ - ناصر الدين شاه بن محمد

من سنة ١٢٦٤ - ١٣١٣ هـ او من سنة ١٨٤٨ - ١٨٩٦ م



(ش ٨) ناصر الدين شاه (نقلا عن الهلال)

ولد رحمه الله في مدينة تبريز في ٦ صفر سنة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٦ يوليو سنة ١٨٣١ م وخلف والده في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٤٨ أ. ولما استتب الملك لجلالته نادى في البلاد بالامن على الارواح والاموال واطلق الحرية للاديان والتجارة فاطمأنت خواطر الرعية بملكه وتيمنت بجلوسه على عرش ايران العظيم وكان في اوائل حكمه كثير الاعتماد على مشورة وزيره الاعظم الامير مهديزاده قمي خان وكان وزيره هذا رجلاً محسناً عاقلاً فكانت له باع طولى في سائر الاصلاحات التي احدثها الشاه في بلاده وعرف الشاه له ذلك فكافأه بتزويجه اخته فوسده بعض زملائه فوشوا به الى الشاه فنفاه الى كاشان . وفي سنة ١٨٥٠ م شاع ان شهر شوال سيكون سيئ الطالع على جلالة الشاه وكان في طهران وقد خرج على عادته ليروح النفس من عناء الاشغال ويقتنم لذة الصيد والنصي فر يجامع من العمال يفلحون الارض ويظهرون كدًا ونشاطًا في منتصف النهار وهم لا يباليون بالحر فاعجب باجتهادهم وامر الذين كانوا جميعته ان يعطوهم ما يدل على انعطافه . الا ان هؤلاء الرجال لما رأوا جلالة الشاه مقبلاً اليهم امتنعوا عن الشغل وتقدم واحد منهم وفي يده عريضة وهو يستغيث ويطلب الرحمة فاشفق عليه الشاه وأمره ان يتقدم اليه بالعريضة فتقدم الرجل وتبعه اثنان آخران وراءه حتى اذا وقفوا حوله أمسك احدهم بيد جلالة وحاول الآخران قتله وأطلق احدهم رصاصة عليه اصابت فخذه وقيل احدى ذراعيه ولكنه دافع عن نفسه دفاع الابطال حتى قدم الحراس والضباط الذين كانوا جميعية لجلالته وانقضوا على هؤلاء الخونة الذين كانوا من البايية وقتلهم

وبعد ان خلع الشاه من هذه الدسيسة شرع في الاصلاح الداخلي واهدل كل العمال الذين ارتاب بامانتهم وحث الناس على الاجتهاد وكسب المصارف وسهل لهم سبل الترقى ما أمكن ثم بدأ جلالة الشاه يفكر في اخذ الثار والانقاص من انكسرتا جزاء ما ظهر منها في حرب هرات وارسلها السفن الحرية الى الخليج الفارسي ومنع المرحوم والده من اتمام مشروعاته الجليلة فاخذ يبتث الجواسيس في

البلاد الهندية ويحضر امراء الهند على الثورة والقيام في وجه الحكومة الانكليزية واعداء اياهم بتحرير بلادهم وتنصيب ملك منهم عليهم . ولما انس منهم القبول ارسل معه سلطان مراد ميرزا الملقب بحسام السلطنة بجيش جرار الى هرات وارمه بالتوغل في المفاوز والدروب الافغانية كي يصل باقرب زمن الى القوم الهندية فقامت وقتئذ قيامة الحرب بين حاكم هرات وبين عساكر الشاه من جهة وبين الهنود والحكومة الانكليزية من جهة اخرى . ولما علمت حكومة الانكليز بدخول العساكر الايرانية الى هرات عنوة وتقدمها نحو الجنوب اسرعت بإرسال المدرعات الحربية الى الخليج الفارسي واستولت على بندر ابي شهر واسرت بحفاظها حسن علي خان وارسلته الى بومباي واشاعت انها اسرت جلالة ناصر الدين شاه وجمعت للمحافظة موكبا ملكيا وانزلته في احدى سرايات الحكومة وعينت من يرافقه في الدخول والخروج ويمنعه من التكلم لثبوت على الناس انه الشاه فنجحت بذلك تمام النجاح واخذت الثورة الهندية المشهورة . ثم دخل نابليون الثالث بين الدولتين وتوسط في الصلح حتى تم بينهما بماهدة امضيت بباريس تحت رئاسته وفي سنة ١٨٧١ م اصاب مملكة ايران قحط رافقه الهواء الاصفر والحبي فاصاب الناس جهد شديد فبلغ عدد الذين ماتوا في اصفهان وحدها ١٦٠٠٠ وفي وفي تبريز ١١٠٠٠٠ نفس

فلما زالت النكبات وعاد الخصب عزم ناصر الدين شاه على السياحة في اوربا فسار في ١٢ مايو سنة ١٨٧٣ م من طهران شمالا فقطع بحر الخزر (بحر قزوين) الى استراخان ومنها الى موسكو فبطرسبرج فالمانيا فبلجيكا فانكلترا ففرنسا فسويسرا فايطاليا فسالسبورج ففينا ثم عاد الى ايطاليا وسار منها الى الاسنانه ومنها الى تفليس ومنها الى باكو بالعربة ثم عاد الى طهران فوصلها في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٣ م

وفي سنة ١٨٧٨ م ساح سياحة اخرى في روسيا . وفي سنة ١٨٨٠ م ثار عليه الاكراد قابلي فيهم بلاءا حسنا فثابروا الى السكون . وفي سنة ١٨٨٨ م مد

اول خط حديدي بين طهران وشاه عبد العزيز . وفي اوائل ١٨٨٩ م خرج للسياحة في اوربا مرة ثالثة فلاقى ترحاباً عظيماً وحضر معرض باريس الشهير ثم عاد الى بلاده . وكان في كل مرة يأتي بلاده بالفنون والصنائع ويأخذ من الاسلحة الجديدة ويستأجر الضباط والعلماء لثبوت نور التمدن وتدريب العساكر في بلاده ومما يستحق المدح والاعجاب ان جلالاته كان يكتب حوادث اسفاره بقلمه يومياً في كل مدة ويسرد فيه الحقائق والحوادث سرداً بديعاً ويصف الآلات المركبة وصفاً واضحاً ويذكر انساب الرجال العظام والقائمين في كل بلاد بغير خطأ

ومن جملة مآثره الجليلة في اوائل سلطنته انه أمر بانتخاب اربعين نفراً من الشبان النجباء من اولاد الامراء اعيان مملكته وارسلهم الى باريس تحت رئاسة حسن علي خان امير نظام احد العلماء الايرانيين فمكث التلامذة سبعة اعوام في مدارس شتى افرنسية ونالوا شهادات (دبلومة) حسنة بعد اتمام دروسهم ثم عادوا الى بلادهم ومعهم جملة علماء ومعلمين من الفرنسيين في علوم شتى فاكرم الشاه وفادتهم وامرهم بترجمة الكتب النفيسة من الافرنجية الى الفارسية ثم انشأ بناء رجباً فسيحاً سماه دار الفنون وهي تشتمل على عدة مدارس مختلفة الدرجات كدراسة طبية عالية ومدرسة حربية ومدرسة كلية للهندسة والهيئة والفلك ومدرسة صنائع ومدرسة ابتدائية كبيرة ومدرسة تجهيزية اعدادية . ثم امر جلالاته بان يكون ٧٥ في المائة من تلامذة تلك المدارس من ابناء مشاهير البلاد والبقية من ابناء الفقراء على نفقة خزائنه الخاصة

ثم وجه نظاره الى اصلاح الطرق والسبل العمومية لتسهيل المواصلات ومد الاسلاك البرقية في انحاء السلطنة ونظم البريد احسن نظام حتى صار يضاهي احسن مصلحة بريرية في اوربا وبالجملة فان دولة ايران تقدمت في ايامه تقدماً بيناً وخطت خطوة واسعة الى سبيل الرقي والتقدم

وبينا كان الايرانيون يشغلون في اعداد المعدات للاحتفال بالعام الخمسين للملك سلطانهم جلالة ناصر الدين شاه فاجأهم ذلك المصائب بمقتله بفتنة . قتلته رجل

معتوه في يوم الجمعة أول مايو سنة ١٨٩٦ م وهو داخل مسجد عبد العظيم ليصلي
الظهر فاصابت الرصاصة قلبه فمات . أما حزن الايرانيين على جلالاته فـ ' اتركه
لفطنة القارئ الكريم



٧٦٤ - جهولة مظفر الدين شاه بهمن ناصر الدين

من سنة ١٣١٣ - ١٣٢٤ هـ او من سنة ١٨٩٦ - ١٩٠٧ م



(ش ٩) مظفر الدين شاه (نقلا عن الهلال)

ولد جلالة مظفر الدين شاه يوم الجمعة ١٤ جمادى الثاني سنة ١٢٦٩ هـ وخلف

المرحوم والده على عرش المملكة واحتفل بذلك رسمياً يوم ٨ يونيو سنة ١٨٩٦ م
اما المراثي والتهاني التي رفعت الى عتابه السنية فكثيرة جداً فخص منها بالذكر
تمزئة وتمنئة لسعادة شاهين بك مكاريوس وهي :-

شلت يمينك يا يزيد الثاني	فلقد غدرت بصاحب الايوان
شلت يمينك هل علمت بما اتى	ت اليوم من اثم ومن طغيان
خنت النبي وآل بيت المصطفى	ونقضت حكم شريعة القرآن
لولا المقدرم تنل ايدي العدى	ما تبغني من (ناصر) الا ديان
غدروك يا سيف الامام ولواتوا	جبراً سقيتهم النجيع القاني
قتلوك في العراب جهلاً وبلهم	انما خشوا من هيبة الديان
قتلوا علياً قبلكم بمكيدة	من مكرم واستشهد الحسنان
قتلوك ظلماً اذ رأوك متمماً	فرض الصلاة وواجب الايمان
قد ابسوا الدنيا السوداء وسودوا	بفعلهم صفحات كل زمان
فلذا الخلائق والملائك والثوا	قب كلها اضطربت من الاحزان
في يوم مصرع (ناصر الدين) الذي	غمر الانام بفضل الهات
قد كان ركناً يستظل بظله	هذا الورى من طارق الحدان
اضى ضحية عدله في ملكه	افذا جزاء العدل والاحسان
غدر اللئيم به فعاجله القضا	تبت يدها من اثم جان
هلا درى ان (المظفر) بعده	يردي العدى بالسيف والمران
هلا درى ان (المظفر) نجله	فخر الملوك وقودة الاعيان
هلا درى ان المظفر شبلة	ليث الشرى من اعظم الشجعان
غوث العوالم بل وليث عرينها	غيث المراحم مصدر العرفان
ملك تحت الكمال صفاته	وسمت معاليه على كيوان
بطل تذلل له الضراغم هيبة	بالباس منه يشهد الثقلان
ان غاب بدرايه عن هذا الملا	فلقد بدا من وجهه القمران

عمت فضائله فكان قليلاً
(بمظفر الدين) العباد استبشرت
وتساقبت رسل التتاني نحوه
وطىء المقام بياسه فكأنه
هذي بين الله يا ابن سفيه
ابشر فان الله يحفظ ملككم
ونعز عن فتنة لا طهر والد
لا زات ما بين الملوك معظماً
أدم لنا بالين دولة ملكه
وانصره مولانا على اعدائه
وبمصلحي وزرائه اشدد ازره
بجراً كبيراً دائم الفيضات
فتوسمت خيراً ونيل امانى
لما تولى العرش في طهران
في عرشه كسرى انوشروان
مدت لترفعكم لاعلى الشان
طول الزمان مشيد الاركان
من ربه قد فاز بالغفران
ومظفراً بعناية الرحمن
وبلاده يا خالق الاكوان
ابدأ وصفه سائداً بأمان
ما غردت ورق على الاغصان

وحالما جلس رحمه الله على كرسي اجداده الفى كثيراً من الضرائب مثل
ضرائب الحبز واللحم وغيرها وابطل تلزيم الاعشار وجعلها تعطى عيناً او بدلا
ومنح حكام الاقاليم نوعاً من الاستقلال في حكوماتهم . وزاد في تنظيم الجند
الفارسي على النظام الفرنجي الجديد . وانشأ كثيراً من المدارس ينفق عليها من
الجيب الخاص في طهران وتبريز وبوشهر وغيرها

ولم يكتف رحمه الله بكل ذلك بل عمل عملاً جديراً ان يكتب بقاء الذهب
الا وهو منحه الحرية والدستور لبلاده فاستبشر الايرانيون بهذا الشاه وتعلقوا به
واخلصوا له نياتهم . وقد ارخ الدكتور مهدي خان منح الدستور لبلاده بقوله

هو الامر شوري بيننا جاءنا بها محمد المختار من خير معشر

بما آيها استبدادنا فاعادها وزان بها التاريخ عدل مظفر

١٣٢٤

وبينا الايرانيون جزلون بدستورهم الجديد وحر يتهم الممنوحة لهم من جلالة

مظفر الدين ينتظرون الخير العظيم على يديه اذ تبدل فرحهم بمحزن وطربهم
بجزع لوفاة جلالة مظفر الدين شاه اسبع بقين من ذي القعدة سنة ١٣٢٤ (الموافق
٨ يناير سنة ١٩٠٧)

وكان جلالة محمد علي شاه ولي العهد مقياً بتبريز فلما اشتد المرض على جلالة
والده استقدمه الى طهران فجاءتها . فلما توفي والده تتوج جلالة محمد علي شاهاً على
كرسي ايران العظيم باحتفال فخم وصفته الجرائد في حينه و يقولون ان جلالة محمد
علي شاه غير راض عن الدستور والاغلب غير ذلك كما سبق وتعهد لجلالة المرحوم
والده . لكن يظهر ان بين بطانته قوماً يرغبون بقاء القديم على قدمه لغايه في
النفس وهو لا كثيراً ما يؤثرون على جلالاته وحزب الاصلاح قوي بايران وبسبب
الخلاف بين هذين الحزبين نتجت الفتن الحاصلة الآن وفق الله جلالة الشاه
الجليد لما فيه خير بلاده

٧٦٥ - الدولة المحمدية العلوية بمصر

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٦٢٩) خبر استيلاء السلطان سليم العثماني على مصر
ودخوله اياها ظافراً بعد تغلبه على دولة المماليك . وبعد ان افام بها مدة ينظم احوالها
بارحها الى عاصمة سلطنته واناب عنه من يدعى خير بك الجركسي والياً عليها من قبله
وبقي خير بك في ولاية مصر الى ان توفي سنة ٩٢٩ هـ فولى بعده السلطان سليمان
مصطفى باشا وبعد تسعة اشهر و ٢٥ يوماً أُبدل باحمد باشا . وكان احمد باشا المذكور
صدراً اعظم قبل توليته مصر ثم عهد اليه السلطان سليمان ولاية مصر واستند منصب
الصدارة الى ابراهيم باشا وكان بينه وبين احمد باشا عداوة حدث بسببها اشياء يطول
شرحها فعمي احمد باشا وادعى السلطنة لنفسه بمصر واخيراً هجم عليه بعض العساكر
في الحام وقتلوه سنة ٩٣٠ هـ ثم عهدت ولاية مصر بعده الى قاسم باشا واستبدل بابراهيم
باشا سنة ٩٣٢ هـ ثم عزل وأقيم بعده سليمان باشا سنة ٩٣٣ هـ فبقي الى سنة ٩٤٤ هـ
وفيها استقدمه السلطان ليهتم بقيادة حملة اعددها لمحاربة النجم وناب عنه مدة غيابه

خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر . وفي سنة ٩٤٥ هـ عهدت ولاية مصر الى داود باشا فبقي بها الى ان توفي سنة ٩٥٦ هـ وتولى بعده علي باشا ثم عزل سنة ٩٦١ هـ وتولى بعده محمد باشا وهذا عزل عن ولاية مصر وقتل بالاستانة سنة ٩٦٣ هـ وعهدت ولاية مصر بعده الى اسكندر باشا فاقام الى سنة ٩٦٨ هـ وأبدل بعلي باشا الخادم وهذا عزل سنة ٩٦٩ هـ وتولى بعده مصطفى باشا . وفي سنة ٩٧١ هـ ابدل هذا بعلي باشا الصوفي ثم عزل سنة ٩٧٣ هـ وتولى بعده محمود باشا . وفي سنة ٩٧٥ هـ استبدل بسنان باشا ثم حسين باشا سنة ٩٨٠ هـ ثم مسيح باشا سنة ٩٨٢ هـ وهذا استمر الى سنة ٩٨٨ هـ ثم ابدل بحسون باشا الخادم ثم ابراهيم باشا سنة ٩٩١ هـ ثم سنان باشا سنة ٩٩٢ هـ ثم عويس باشا سنة ٩٩٤ هـ ثم حافظ احمد باشا سنة ٩٩٩ هـ ثم قورط باشا سنة ١٠٠٣ هـ ثم السيد محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ ثم خضر باشا سنة ١٠٠٦ هـ ثم علي باشا السلحدار سنة ١٠٠٩ هـ ثم ابراهيم باشا سنة ١٠١٢ هـ ثم محمد باشا الكورجي سنة ١٠١٣ هـ ثم حسن باشا في السنة المذكورة ثم محمد باشا الصوفي سنة ١٠١٦ هـ ثم احمد باشا سنة ١٠٢٢ هـ ثم مصطفى باشا لفغلي سنة ١٠٢٦ هـ ثم جعفر باشا سنة ١٠٢٧ هـ ثم مصطفى باشا سنة ١٠٢٨ هـ ثم حسين باشا في السنة المذكورة ثم محمد باشا سنة ١٠٣١ هـ ثم ابراهيم باشا سنة ١٠٣١ هـ ثم مصطفى باشا الخامس سنة ١٠٣٢ هـ ثم علي باشا الخامس في سنة ١٠٣٢ هـ المذكورة ثم اعيد مصطفى باشا الخامس ثانية في ذات السنة وعزل وقتل بالاستانة سنة ١٠٣٧ هـ ومن بعده اسندت ولاية مصر الى بيرام باشا ثم استدعي الى الاستانة في ذات السنة واقام بعده محمد باشا ثم موسى باشا سنة ١٠٤٠ هـ ثم خليل باشا سنة ١٠٤١ هـ ثم احمد باشا الكورجي سنة ١٠٤٢ هـ ثم حسين باشا سنة ١٠٤٣ هـ ثم محمد باشا سنة ١٠٤٥ هـ ثم مصطفى باشا البستانجي سنة ١٠٤٩ هـ ثم مقصود باشا سنة ١٠٥١ هـ ثم ايوب باشا سنة ١٠٥٤ هـ ثم محمد باشا في ذات السنة ثم احمد باشا سنة ١٠٥٨ هـ ثم عبد الرحمن باشا سنة ١٠٦٢ هـ ثم محمد باشا في ذات السنة ثم غازي باشا سنة ١٠٦٧ هـ ثم عمر باشا سنة ١٠٧٧ هـ ثم احمد باشا سنة ١٠٧٨ هـ ثم ابراهيم باشا في ذات السنة ثم حسين باشا الجنبلاط سنة ١٠٨٧ هـ ثم عثمان باشا سنة ١٠٩١ هـ ثم حسن باشا السلحدار سنة ١٠٩٩ هـ ثم احمد باشا سنة ١١٠١ هـ ثم علي باشا سنة ١١٠٢ هـ ثم اسماعيل باشا سنة ١١٠٧ هـ ثم حسين باشا سنة ١١٠٩ هـ ثم محمد قره باشا سنة ١١١١ هـ ثم محمد رامي باشا سنة ١١١٦ هـ ثم مسلم علي باشا سنة ١١١٨ هـ ثم حسين باشا سنة ١١١٩ هـ ثم ابراهيم باشا القبودان سنة ١١٢١ هـ ثم خليل باشا سنة ١١٢٢ هـ ثم ولي باشا سنة ١١٢٣ هـ ثم عابدين

باشا سنة ١١٢٧ هـ ثم علي باشا الازملي سنة ١١٢٩ هـ ثم رجب باشا سنة ١١٣٠ هـ ثم محمد
 باشا الناشجي سنة ١١٣٢ هـ ثم علي باشا سنة ١١٣٨ هـ ثم باكير باشا عام ١١٤١ هـ ثم عبدالله
 باشا الكيوري سنة ١١٤٢ هـ ثم محمد باشا السلحدار سنة ١١٤٤ هـ ثم عثمان باشا الحلبي عام
 ١١٤٦ هـ ثم باكير باشا ثانية عام ١١٤٨ هـ ثم مصطفى باشا عام ١١٤٩ هـ ثم سليمان باشا
 الشهيد بابن العظم عام ١١٥٢ هـ ثم علي باشا حكيم اوغلي عام ١١٥٣ هـ ثم سعي باشا عام
 ١١٥٤ هـ ثم محمد باشا اليد كسي عام ١١٥٦ هـ ثم محمد راجب باشا عام ١١٥٨ هـ ثم احمد باشا
 المعروف بكوروزير عام ١١٦١ هـ ثم شريف عبد الله باشا عام ١١٦٣ هـ ثم محمد امين
 باشا عام ١١٦٦ هـ ثم مصطفى باشا في ذات السنة ثم تلي باشا حكيم اوغلي ثانية عام
 ١١٦٩ هـ ثم محمد سعيد باشا عام ١١٧١ هـ ثم مصطفى باشا عام ١١٧٣ هـ ثم احمد كامل
 باشا عام ١١٧٢ هـ ثم باكير باشا عام ١١٧٥ هـ ثم حسن باشا عام ١١٧٦ هـ ثم حمزة باشا
 عام ١١٧٩ هـ ثم محمد راقم باشا عام ١١٨١ هـ ثم محمد باشا الارمني عام ١١٨٢ هـ ثم
 احمد باشا عام ١١٨٣ هـ ثم قرا خليل باشا عام ١١٨٤ هـ ثم مصطفى باشا النابلسي عام
 ١١٨٨ هـ ثم مصطفى باشا عرب كيرلي عام ١١٨٩ هـ ثم محمد عزت باشا عام ١١٩٠ هـ
 ثم اسماعيل باشا اولاً عام ١١٩٣ هـ ثم ابراهيم باشا في ذات السنة ثم اسماعيل باشا ثانية
 عام ١١٩٤ هـ ثم محمد باشا ملك عام ١١٩٥ هـ ثم الشريف علي باشا القصاب عام ١١٩٦ هـ
 ثم محمد باشا السلحدار عام ١١٩٨ هـ ثم الشريف محمد باشا يكن عام ١١٩٩ هـ ثم
 الشريف عيسى باشا عام ١٢٠١ هـ ثم اسماعيل باشا التونسي عام ١٢٠٣ هـ ثم محمد
 عزت باشا عام ١٢٠٥ هـ ثم صالح باشا القيصري عام ١٢٠٩ هـ ثم ابو بكر باشا عام ١٢١١ هـ
 وفي ايامه في سنة ١٢١٣ هـ استولى الفرنسيون على مصر بقيادة بطليم الشهير نابليون
 بوناپرت . وقبل ان نتكلم على هذه الحملة الفرنسية يليق بنا التلميح الى ما كانت
 لئالملك من السطوة في مصر حتى لم يكن للولاة العثمانيين معهم الا الاسم فقط فنقول
 اعلم ان سبب قصر مدة الولاة بمصر هو تغلب المماليك على امر الدولة فيها حتى انه لم
 يكن الباشا العثماني الا اسماً بلا رسم وتفصيل ذلك يطول شرحه فاذا اردت الوقوف عليه
 فراجعه في التواريخ الخاصة بمصر كتاريخ الجبرقي وتاريخ مصر الحديث لحضرة المؤرخ
 المحقق جرجي افندي زيدان . اما هنا فساقتصر على ذكر حالتهم منذ استبداد تلي بك
 بلوط مملوك ابراهيم كتنخدا امير الامراء وكبير السناجق واستنثاره بالسلطنة سيده مصر
 سنة ١١٧٤ هـ

بعد ان ثبت قدم علي بك بولاية مصر وتم له امرها جرد جيشاً بقيادة محمد بك ابي الذهب الى الحجاز لاجراج الشريف من مكة . ولما وصل الى جدة ملكها بالامان ثم سار الى مكة المكرمة وطرد الشريف منها واقام غيره مكانه ورجع الى مصر . فاشتهر علي بك بعد هذا الفتح بسطوته وصوله ولان الدولة العثمانية العلية كانت مشغلة في ذلك الوقت بحرب روسيا فلم تهتم بامر مصر وكان ذلك داعياً لظهور علي بك كما مر . وفي ذلك الوقت كان الوالي علي عكا الشيخ ظاهر العمر ولوقوع الفرة بينه وبين عثمان باشا الصادق والي دمشق سولت له نفسه بالخروج على الدولة العلية ولعدم مقدرة بالقيام بهذا الامر بلا مساعدة ارسل الي علي بك والي مصر هدايا وتحفاً نفيسة وزين له الخروج الى سورية علي ان يساعده على امتلاكها فطمع علي بك بالشام وجهز جيشاً عظيماً ارسله بقيادة محمد بك ابي الذهب المذكور فوصل هذا الجيش سنة ١٧٧٠ م الى جهة الرملة وهناك انضم اليه الشيخ ظاهر العمر بعسكره حتى بلغ الجيش على ما قيل ٦٠ الفاً ولما علم عثمان باشا بقصدومهم لقتاله ارتاع ومع ذلك خرج بعسكره للقتال فلم يثبت رجاله الا قليلاً وانهمزوا وخيم ابو الذهب ظاهر دمشق فخرج اليه اهل دمشق طالبين الامان فامتهم ودخل المدينة واستقر في دار الوزارة وامر باطلاق المدافع على القلعة فطلب من بها الامان وتسلم القلعة ايضاً

وبعد ان دخل محمد بك ابو الذهب دمشق وتسلم قلعتها خوفه اسماعيل بك (احد قواد العساكر المصرية) من عواقب الامور بان الدولة العلية لا بد من ان يخلو بالها من الحرب فتلثفت الى مصر بعين الانتقام ومن عصي السلطان فقد عصي الله وما زال به حتى نهض ابو الذهب ليلاً بعساكره مفارقاً دمشق فعجب الناس كثيراً لهذا التغيير الغير متظر ورجع الشيخ ظاهر العمر ومن معه كل الي محله . ولما بلغ عثمان باشا خبر رحيل ابي الذهب اسرع الي دمشق ودخلها بلا ممانع

ووصل محمد ابو الذهب مصر فجأة فنعجب الامير علي بك كل العجب اذ كان يعلم دخوله الى دمشق وطرده عثمان باشا عنها وساله عن سبب عودته بفترة فجعل السبب تصلف الشيخ ظاهر العمر وعشيرته ونسبهم الى الخيانة والمكر فكذب الامير علي بك الى الشيخ ظاهر يعاتبه فاجابه منكرآ ما عزاه اليه ابو الذهب وارسل اليه ابنه الشيخ عثمان رهينة على صدق قوله واخلاصه . فتحقق علي بك خيانة ابي الذهب . ولم يلبث ابو الذهب حتى خرج الى الصعيد وابتدأ يحشد الرجال فجمع الامير علي بك عسكراً

وارسلهم بقيادة اسماعيل بك المتقدم ذكره لقتال محمد ابي الذهب فاتنق اسماعيل بك مع محمد ابي الذهب على الامير علي بك وعادوا الى القاهرة بالجيش الكثيفة فاضطر علي بك ان يفر من القاهرة الى عكا عند الشيخ ظاهر العمر ودخل محمد ابو الذهب القاهرة واستولى عليها وخطب له فيها وكتب علي بك والشيخ ظاهر الى الكونت ارلوف امير الاسطول الروسي في البحر المتوسط ان ينجدهما فلي دعوتها بارتياح واعد علي بك بالمال والرجال وساعد الشيخ ظاهر على اخذ يافا من مدن الشام . ولما رأى علي بك مساعدة الروس له ايقن بالظفر وسار قاصداً مصر لاستخلاصها من محمد بك ابي الذهب وبرز محمد بك لقتاله فالتقى الجمعان بجوار غزة وبعد قتال شديد انهزم علي بك وفر من معه ووقع هو جريحاً فاخذه محمد بك ابو الذهب الى القاهرة واحضره الجراحين يداوون جرحه حتى اذا اوشك ان يبرأ امرم بوضع السم في جراحه فوضعوا كاهمه فمات علي بك للحال واستتب امر مصر لمحمد بك ابي الذهب . وفي سنة ١١٨٩ هـ سار محمد بك ابو الذهب الى الشام بجيش كثيرة لاستخلاص البلاد من ايدي الذين تغلبوا عليها . فحاصر يافا وضيق عليها وافتتحها عنوة واشحن في اهلها قتلاً ونهباً مما لم يسمع بمثله ثم تقدم قاصداً عكا فخاف واليها الشيخ ظاهر العمر وخرج منها هارباً فوصل اليها محمد بك ودخلها من غير مانع واذعنت له باقي البلاد وخاف الاهالي سطوته ودخلوا تحت طاعته . ثم ارسل الى الاستانة يطلب التقرير على مصر والشام فاجيب الي ذلك الا انه لم يهنا بالولاية طويلاً لانه توفي في ٨ ربيع الثاني سنة ١١٨٩ المذكورة فعمل العساكر جيشه واتوا بها الى القاهرة ودفنوه في مدرسة تجاء الازهر وتولي مصر بعده مراد بك وابراهيم بك الاول امير الحج والثاني شيخ البلد وفي ابامهما في سنة ١٢١٣ هـ اتى الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت كما سيأتي ذكر ذلك الآن في سنة ١٧٩٨ م جهز نابليون بونابرت بناء على امر الجمهورية الفرنسية في ثرطولون جيشاً مؤلفاً من ٣٦٠٠٠ مقاتل وكثيراً من المراكب والسفن لقلع الجنود والذخائر وعدد الحرب واردف بجيشه نحو ١٢٠ طالماً بارعين في علوم مختلفة . وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ م المذكورة سار نابليون بهذا الجيش دون ان ينام احد وجهه سيره فبلغ في ٢٠ يونيو الى جزيرة مالطة فاحتلها بعد ان دافع من كان فيها من جمعية فرسان القديس يوحنا الاورشليمي شديدة الدفاع . وفي ٢ يوليو رست مراكبه امام الاسكندرية وانزل جنوده على مقربة منها ثم دخلها عنوة وترك فيها القائد كلير وسار الى القاهرة

فاعترضه مراد بك بشرذمة من المماليك فهزمه وواصل سيره الى مدينة امبابه قبالة القاهرة فكانت الوقعة المعروفة بواقعة الاهرام بينه وبين ابراهيم بك ومراد بك في ٢١ يوليو من السنة المذكورة وابدى المماليك ايات الشجاعة بالدفاع الا انهم لم يقووا على مدافع الافرنسيين فدخل بونابرت وجنوده القاهرة وأعلن انه حليف السلطان ولم يأت لفتح مصر بل لتوطيد سلطته فيها ومحاربة المماليك الذين عصوا اوامرهم اما مراد بك فلحق بالصعيد فارسل نابوليون من يتبع آثاره واما ابراهيم بك فلحق بالشام . واستتب الامر بمصر للفرنساويين

ولما علمت انكترا بخروج بونابرت من طولون الى جهة غير معلومة امرت مراكبها التي كانت محاصرة مدينة قانس باسبانيا بامرة الاميرال نلسن الشهير ان يتعقب المراكب الفرنسية ويضربها حيثما وجدها فالتقى بها في ابي قبر قرب الاسكندرية فكانت وقعة هائلة بين الاسطول الفرنسي والاسطول الانكليزي انجبت عن تدمير الاسطول الفرنسي

وكانت الدولة العلية قد اخذت في الاستعداد لمحاربة فرنسا واخراج جيشها من مصر وعرضت عليها انكترا مساعدتها على اخراج الفرنسيين من مصر خوفاً من قطع طريقها الى الهند وعرضت عليها روسيا معاضدتها وامدادها بمراكبها فبرمت معاهدة بين الدول الثلاث واشهر الباب العالي الحرب على فرنسا في ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨م وسار الاسطول العثماني والاسطول الروسي نحو مصر وأخذ الباب العالي في حشد الجيوش في دمشق ورودرس لتزحف الى مصر وكانت المراكب الانكليزية باقية في البحر المتوسط وقطعت مع الاسطولين العثماني والروسي خط الاتصال بين فرنسا وجيشها الذي احتل مصر

ولما رأى بونابرت اجتماع الجيوش ومراكب الدول المذكورة لمحاربه اراد ان يباغت الدولة باخذ سورية ايضاً قبل ان يكمل استعدادها للحربه . فنهض من مصر بثلاثة عشر الف مقاتل الى سورية بطريق العريش فاحتل هذا البلد في اوائل سنة ١٧٩٩م ثم اخذ غزة ثم الرملة ثم يافا ثم بلغ الى عكا واقام الحصار عليها فدافع عنها واليه الجزار دفاعاً محموداً وعاكسته قنابل المراكب المتحدة الراسية بميناء هذه المدينة فلم يتمكن بونابرت من فتحها ثم فشا الطاعون في عسكره فلم يجد بداً من العود الى مصر فماد بمن بقي من جيشه الى القاهرة ودخلها في ٢١ مايو سنة ١٧٩٩م ثم وصل الجيش

العثماني الذي كان قد تألب في رودس وحل في أبي قبر فهب بونابرت من القاهرة
للتأوتهم وأصلى عليهم نار الحرب فتغلب عليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزم إلى
المراكب من بقي منهم حياً وأسر مصطفى باشا قائدهم وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٩م
وفي ٢٤ أغسطس من السنة المذكورة بلغ بونابرت أن أحوال الجمهورية الفرنسية
مضطربة فأنسلت خفية ومعه بعض قواد جيشه وسافروهم متكرراً ولم يشعروهم إلا بكين
مع شديد مراقبتهم وانتشار مراقبتهم في البحر المتوسط فظهر بفته في باريس في أواخر
سنة ١٧٩٩م • وترك قيادة الجيش المحتل بمصر لكليبر • • وكان هذا الجيش قد
هلك نصفه بالحروب والوباء ولا أمل له بنجدة أو إمداد لقطع خط الاتصال بينه وبين
فرنسا • وكانت الدولة العلية مجدة في أعداد حملة أخرى لاستخلاص مصر من
الفرنساويين وانكثروا وروسيا ساعدتها بما في الامكان فيئس كليبر من الثبات في هذا
الموقف فاتفق مع يوسف باشا الصدر الأعظم الذي كان قد حضر إلى العريش والأميرال
سميث الانكليزي في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠م في العريش على أن ينسحب العسكر
الفرنساوي بسلاحه راجعاً إلى فرنسا على مراكب الانكليز • ولكن لما أخذ الفرنسيون
في الجلاء عن بعض القلاع أرسل الأميرال سميث الانكليزي يبلغ كليبر أن دولته
لا تحجز الاتفاق السابق عقده إلا أن يلقى العسكر الفرنسي سلاحه بيد الانكليز • فاستشاط
كليبر غضباً وهب لمحاربة العسكر العثماني الذي كان أتى إلى مصر بقيادة الصدر
الأعظم لاستلامها من يد الفرنسيين • ومع أن الجيش العثماني كان يربو اضهاناً على
عدد الفرنسيين لكن لما تقابل الجيشان عند المطرية في ٢٤ مارس سنة ١٨٠٠م
انتصر الفرنسيون انتصاراً باهراً وكسروا العثمانيين شر كسرة • وعاد كليبر بعسكره
ظافراً إلى القاهرة فوجد أن إبراهيم بك قد استحوذ عليها في غيبته فاضرم الناس
عليها وخرب قسماً كبيراً منها واستمرت الحرب في شوارعها عشرة أيام ودخل
الفرنساويون الجامع الأزهر وربطوا خيولهم فيه وانحنوا في أهل البلد قتلاً ونهباً حتى
انهزم أمراء الثورة وقتل بعضهم وفر بعضهم فدخل كليبر القاهرة واستولى عليها
ثم قتل بعض المشايخ من ثبت أمجادهم مع الثائرين وهدات الأحوال وعادت السكينة
إلى ما كانت عليه قبل هذه الفتنة • وبينما كان كليبر يفكر في تمكين موقف جنوده
بمصر وتثبيت سلطته فيها دخل عليه صعلوك حلبي اسمه سليمان وهو يتنزه بستان
وطعنه بمعدة فكانت القاضية عليه وكان مقتله في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠م وهرب القاتل

فوجدوه في بستان قريب من البستان الذي وقع فيه القتل وبعد المحاكمة الفأولية قتلوه هو وثلاثة ثبتت عليهم تهمة التستر على هذا القاتل الاثيم وبعد مقتل كليبر اقام العسكر الفرنسي والجنرال مينو موضعه وهذا كان قد اسلم وتسلمى عبد الله فابقن العثمانيون والانكليز بعد هذا التغيير النصر على الفرنسيين وانزلوا بابي قير ثلاثين الف مقاتل فسار الجنرال مينو لقتالهم فهزموه في ٢١ مارس سنة ١٨٠١ م وسار الى الاسكندرية وتحصن بها . و تقدم العسكر العثماني الانكليزي الى القاهرة فحاصروا من بقي فيها من الفرنسيين ورأى قائدهم بيليار ان لا مناص له من التسليم فغاب القائدين العثماني والانكليزي بامر التسليم فوافقاه على الشروط التي كانت ابرمت في الاتفاق بين كليبر وانجلي الفرنسيين عن مصر في شهر يوليو سنة ١٨٠١ م بسلامتهم وعددهم ومالم وبقى الجنرال مينو محصوراً في الاسكندرية الى ان سلم في ٢ سبتمبر سنة ١٨٠١ م بعد وقعة كانت مع الجيش العثماني الانكليزي هلك فيها خلق كثير من الفريقين وبمقتضى الشروط المار ذكرها خرجوا من الاسكندرية بسلامتهم وعددهم ومالم وحملتهم جميعاً المراكب الانكليزية الى فرنسا وهكذا انتهت هذه الحملة وعادت مصر ولاية عثمانية كما كانت

وبعد انسحاب العساكر الفرنسية من مصر استلم يوسف باشا الصدر الاعظم زمام الاحكام في القاهرة باسم جلالة السلطان ودبر يوسف باشا وحسين قبطان باشا مكيده لاغتيا لالماليك فدعا الاخير امراءهم لوليمة باسطوله بابي قير وقتل بعضهم بينما كان الاول قد ادمر عساكره فنهبوا واحرقوا بيوتهم بالجيزة . ثم انسحب العساكر الانكليزية من مصر بامر الاميرال كيت وبقيت مصر يتنازعها الجنود العثمانية والماليك . ولما كان لابد من تولية وال عثماني يقوم باعباء الولاية سعى يوسف باشا الى تولية خسرو باشا كنجيا حسين باشا قبطان وكتب بذلك الى الاستانة فاجاب الباب العالي طلبه وارسل الفرمان المؤذن بذلك

فتولى خسرو باشا على مصر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٦ هـ واذ تحقق انه لا يستتب امره الا اذا افنى البقية الباقية من الماليك سعي مذ جلس على كرسي الولاية في ابادتهم . وكان الماليك في ذلك الوقت بأمره عثمان بك البرديسي ومحمد بك الانلي وقد استأثروا بالصعيد . ولم يكن اذ ذلك في ساطة الباب العالي الا القاهرة والاسكندرية وما بينهما . فلم يستطع خسرو باشا تحصيل ما يقوم بدفع مرتبات

العساكر فثاروا في ٢ مايو سنة ١٨٠٣ م واحاطوا بالخازن دار وحبسوه في بيته • فامر خسرو باشا ان تطلق عليهم المدافع حتى علت الضوضاء واشتد الخصاص فتدخل طاهر باشا اركان حرب خسرو باشا يريد صرف ذلك المشكل بالتي هي احسن فلم يوافقهم خسرو باشا واتهمه بالتحاده مع العصاة • فاغتاط طاهر باشا واتحد مع العصاة فعلا وامرهم ان يهدموا الاسوار فخاف خسرو باشا وفر بجرمه وحاشيته الى المنصورة ثم سار منها الى دمياط فانتهم طاهر باشا تلك الفرصة وجمع ارباب الديوان فاقروه على مصر بصنة قائم مقام مؤقتا حتى ترد الاوامر بتولية من يتولى عوضا عن خسرو باشا على كرمى ولاية مصر وطلب العساكر منه مرتباتهم واذا لم يكن لديه ما يدفعه لهم ثاروا عليه وقتلوه في شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ ومن سنة ١٢١٨ هـ الى سنة ١٢٢٠ هـ حصلت عدة فتن وحروب وقام بعض الولاة على ولاية مصر ولان في هذه المدة لداخل المرحوم المغفور له محمد علي باشا رأس العائلة المحمدية العلوية التي نحن بصدددها في امر مصر تداخلا فعليا فسنذكر ذلك بالتفصيل في تاريخ محمد علي باشا المذكور



(ش ١٠) محمد علي باشا (نقلا عن الهلال)

٧٦٦ - محمد علي باشا

من سنة ١٢٢٠ - ١٢٦٤ هـ او من سنة ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م

ولد رحمه الله في قواله من اعمال مكدونيا سنة ١١٨٢ هـ او سنة ١٧٦٩ م ولذا كان يفخر كثيراً بقوله انه ولد في وطن اسكندر الكبير وفي يوم ميلاد نابليون بوناپرت . وكان والده المدعو ابراهيم آغا متولياً خفارة الطرق وقد ولد له ١٧ ولداً لم يش منهم الا محمد علي . وفي سنة ١٧٧٣ م توفي ابراهيم آغا وامراته وابنه محمد علي لم يتجاوز الرابعة . فكفله عمه طوسون آغا الذي كان متسلماً على قواله غير انه قتل بعد ذلك بنليل بامر الباب العالي فاصبح محمد علي يتيماً ليس له من يعوله

وكان محافظ البلدة المعروف بيجر بتجي براوسطة صديقاً قديماً لوالد محمد علي فشفق عليه واخذه الى منزله وعني بتربيته مع ابنه فابدى من ايات الهمة والنشاط ما حمل الوالي ذات يوم على انفاذه الي قرية من الضواحي بأبي اهلها دفع الرسوم وكان مسيره اليها في عشرة رجال مسلحين فلما بلغها دخل مسجد لاداء الصلاة ثم استدعى اليه اعيان البلدة الاربعة فلما حضروا اليه كلبهم بالاغلال وسار بهم بين الاهالي شاهراً سيفه . متهدداً بقتلهم اذا هم هوا بتخليصهم فلم تكن الا ليلة وضحاها حتي اديت الرسوم المناخرة كلها . فرقاه الوالي عقب ذلك الى رتبة بلوك باشا وزوجه احدى قربياته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فوسعت حاله فترك الخدمة العسكرية وتماطى التجارة : واتفق ان تعرف في هذه الاثناء بالتاجر الفرنسي ليون الذي كان في آن واحد قنصلاً لفرنسا في قواله فاتجر في اصناف التبغ (الدخان) وحصل منها على ربح وافر

وفي سنة ١٨٠٠ م كان الباب العالي يجهز حملة لتسير الى مصر لاجراج الفرنسيين منها فوردت الاوامر الي جرجي براوسطة ان يجمع ٣٠٠ مقاتل ففعل وجعل ابنه علي آغا قائداً ومحمد علي مساعداً . فسارت تلك الكتيبة ضمن

العارية العثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا الى ابي قير ولكن انتصر الفرنسيون على تلك الحملة . فترك علي آغا كتيبتيه بعد ان عهد قيادتها لمحمد علي وعاد الى بلاده . فارتقى محمد علي الى رتبة بك باشي . ثم كانت محاربة العساكر العثمانية والانكليزية مع العساكر الفرنسية في عهد الجنرال منو وانتصارهم عليهم وانتهى الحال بانسحاب الفرنسيين من مصر كما مر بك

ولما تعين خسرو باشا والياً على مصر دخل محمد علي في خدمته فارتقى الى رتبة قبي بلوك باشي ثم نال رتبة سرششمه فاصبح قائداً لثلاثة او اربعة الاف من الالبانيين . وكان خسرو باشا يهتم بتخليص مصر من عيث المماليك وقد نجح في ذلك ولكن ليس تماماً فرأى محمد علي ان يتقرب الى المماليك ليساعده على تنفيذ ما يدور بخلفه من استخلاص مصر لنفسه فحالف البرديسي احد زعماء المماليك . وفي سنة ١٢١٨ هـ حصلت فتنة لطلب العساكر مرتباتهم انتهت بفرار خسرو باشا وتولية طاهر باشا مؤقتاً ولكن هذا لم يقيم بالولاية الا ١٦ يوماً حتى قام عليه المسكر طالبين منه مرتباتهم وانتهى الحال بقتله . فانتهمز محمد علي هذه الفرصة ودخل القلعة واستولى عليها . ولما قتل طاهر باشا اقام المسكر بعده احمد باشا فاتحد محمد علي والمماليك على معارضته حتى ارغموه ان يترك المدينة

فلما علم الباب العالي بذلك ارسل علي باشا الجزائري (الطرابلسي) ليتولي ولاية مصر بدلاً عن خسرو باشا . ولما وصل هذا الى مصر عمد الى الكيد بالمليك ومحمد علي فوقع هو في الشراك التي نصبها لهم وعادت العائدة عليه

وكانت امكثرا ترقب الحوادث بطرف خفي فلما رأت نوز البرديسي ومحمد علي وانها شرعا في اقتسام القطر المصري بينهما وجهت اليهما خصماً عنيداً وهو الانبي واصله كان مملوكاً لمراد بك فجمع بعد عثقه مالا كثيراً من الفلاحين والبدو بطريق الاغتصاب وقد أبلى بلاء حسناً في واقعة الاهرام وانسحب الى الصعيد مع مولاة حتى اذا انجلي الفرنسيون عن مصر تزايف الى الانكليز فمبنوه حاكماً على الوجه القبلي وكان يضرب المثل بترفه وبذخه حتى انه كان

اذا تنقل من بلد الى اخر اخذ ضمن متاعه كشكاً مفكك الاجزاء فتركب له اجزائه اذا اراد الإقامة او تحل اذا ارتحل . وبعد خلاصه من المكيدة التي اعدّها خسرو باشا بواسطة قبطان باشا لاعدام المالك سنة ١٨٠١ م سار في الاسطول الانكليزي الى لوندرا فانتهز الانكليز هذه الفرصة لاتخاذ آلة في ايديهم فشجعوه وامدوه فعاد الى القطر المصري من انكلترا فوصل الى ابي قبر في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ م . فلما علم البرديسي بقدمه الاافي خاف علي سلطوته من الضياع وانتهز محمد علي هذه الفرصة للتخلص من احد هذين الخصبين فاوعز الى البرديسي بعمل المكائد للآافي وساعده بجنده الالباني فدبر البرديسي مكيدة قتل فيها اهل الآافي ونجا هو الى الصعيد . واصبح محمد علي مع عساكره الالبانيين والبرديسي مع مماليكه اصحاب السيادة على مصر . وحينما خلاص الامر للبرديسي ومحمد علي لم يشاء محمد علي ان يكون له المظهر الاول بل ترك مقاليد الامر للبرديسي وهي حيلة لطيفة منه لانه كان يعلم سوء الحالة المالية التي تستحيل معها استقامة الامر . وكان للجنود الالباني متأخرات ثمانية شهور فطالبوا البرديسي بها واذ كان لا بد من دفع استحقاق الجنود لهم وهو ليس معه ما يكفي لذلك ضرب على الاهالي ضريبة جديدة . وكانت نفوس الاهالي قد سئمت هذه الحالة فابوا دفع هذه الضريبة وقتلوا بعض الحياة . ورأى محمد علي هذه الفرصة مناسبة لبذر بذور مقاصده فذهب الى احد المساجد وأعلن الغاء الضريبة فسرّ الاهالي منه وانحازوا اليه . وقد احس البرديسي واصحابه بالغاية التي يرمي محمد علي اليها بفعله فدبروا له المكائد ولكن محمد علي اسرع بمحاصرة بيت البرديسي فلم يسمع البرديسي الا ان فتح ابواب هذا البيت فجأة وخرج منه مع رجاله وامواله قاصداً القلعة ومنها الى الصحراء . ومع ان الامر خلاص لمحمد علي وكان في امكانه الجلوس على ولاية مصر الا ان لبد نظره لم يشأ ان يضع نفسه في موضع الظنة ويمهد اليها سبيل التهمة بالغدر فاستخرج خسرو باشا من مكانه بعد ان نسي الناس ذكره واجلسه في منصبه باحتفال حافل . غير انه لم تمض ثلاثة ايام حتى ثار

الجند عليه وارسلوه الى رشيد فالاستانة ثم انتخبوا خورشيد باشا حاكم الاسكندرية والياً على مصر ولما جاس هذا على منصة الاحكام حسب لمحمد علي وجنوده الالبانيين الف حساب واراد ان يتخذ لنفسه جيشاً ليرد به هجمات المعتدين عليه وقت الحاجة فاستقدم اليه جنداً من الدلاة (المغاربة) فوصلوا مصر اول سنة ١٢٢٠ هـ . وكان محمد علي في جهات الصعيد يحارب المماليك فبلغه ان خورشيد باشا استقدم هؤلاء الدلاة يستعين بهم على الالبانيين فاسرع بالعود الى القاهرة برجاله فاوجس خورشيد باشا خيفة من عودة محمد علي على هذه الصورة لكنه كظم غيظه ولم يفتح شي . اما الدلاة عسكر خورشيد باشا الجديد فأسأوا السيرة في الاهالي بدرجة لا تطاق حتى ستم الاهالي هذه الحالة وترقبوا الفرص لتغييرها

وفي ٢ صفر ورد لمحمد علي خط شريف بولاية جدة فالبسه خورشيد باشا الفروة والقاوق المختصين بهذه الرتبة . فخرج محمد علي كانه يريد الذهاب الى جدة وفي نفسه ان لا يخرج من مصر وبينما هو راجع الى منزله من عند خورشيد باشا ليستند لاسفر ثارت المساكر وطالبوه بالملوفة فقال لهم هذا هو الباشا عندكم فطالبوه وسار قاصداً بيته وصر يكثر الذهب دلى التماس طول الطريق فازداد تماق قلوب الاهالي به

ولما علم الاهالي وخصوصاً المشايخ والعلماء ان محمد علي تعين والياً على ولاية جدة وانه سيفارقهم عن قريب استأوا جدها لهذا الخبر وعزموا على الزام محمد علي بعدم الخروج من مصر (ويقال ان محمد علي هو الذي حركهم الى هذا الفعل) فاجتمعوا في ٦ صفر سنة ١٢٢٠ هـ وساروا الى منزل محمد علي وقالوا له « نحن لا نقبل خورشيد باشا والياً علينا » فقال لهم « ومن تر يدون اذا » فقالوا جميعاً « لا نقبل سواك » فامتنع اولاً ثم قبل فالبسوه الكرك والقفطان المختصين بهذه الرتبة ونادوا به والياً على مصر وارسلوا الى خورشيد باشا ان ينزل من القلعة فأبى فخاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بتولية محمد علي على

ولاية مصر في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ وعزل خورشيد باشا عنها فخرج هذا من القلعة بأمر من الاستانة وتسلمها محمد علي واستنذب له امره واشتد غيظ المماليك بولاية محمد علي لما يملونه من شجاعته وسطوته فابقنوا انه اذا بقي بمصر يضيع نفوذهم منها كاية فعمدوا الى دس الدسائس لاجراجه . وكان الالفي أحد زعماء المماليك المتقدم ذكره أشد خوفاً على مصالحهم . فهذا حالما علم بتولية محمد علي خاير حكومة انكلترا لتسعى بخلع محمد علي واشترط على نفسه ان يكون بمصر كنائب لانكلترا فيها اذا تم هذا الامر . فلم يقبضل فرنسا بمساعي انكلترا فبرقل مسماها . فلما علم الالفي بعدم نجاح مساعي انكلترا عزم على مصالحة محمد علي على شيء يرضاه الاثنان فلم يتفقا . فعاد الالفي لخبرة سفير انكلترا ففتح هذا الباب العالي فيمث واليا اسمه موسى باشا ومعه العفو عن المماليك ولولا قيام سفير فرنسا بالاستانة بتفهم الباب العالي بمقاصد المماليك من جهة وعدم قبول اهل مصر لوال غير محمد علي باشا من جهة اخرى لثم الامر وفاز الالفي بمقصده . ولكن قيام سفير فرنسا المذكور وهياج اهل مصر اضطر الباب العالي بثبت محمد علي على ولاية مصر . وبعد قليل توفي البرديسي ثم الالفي فضمفت شوكة المماليك ولم يهودوا قادرين على معارضة محمد علي

الا ان انكلترا كانت تنظر الى اعمال محمد علي بعين الاهتمام وكانت تنتهز الفرص لافتناع المسألة الشرقية ونفسي املاك الدولة العلية . وكان الجنرال سبستيان سفير فرنسا في الاستانة قد نال حظوة عظمى لدى جلالة السلطان فخافت انكلترا امتداد النفوذ الفرنسي واتحدت مع روسيا على فتح المسألة الشرقية . فسافت روسيا عساكرها واحتلت امارتي القلاخ والبندان بدون اعلان حرب . وارسلت انكلترا اسطولاً بقيادة اللورد دوك فسطا على مدخل الدردنيل . ورفع سفير انكلترا بالاستانة الى الباب العالي بلاغاً يطالب عقد محالفة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا وطرد الجنرال سبستيان من الاستانة الى غير ذلك . والا فتضطر انكلترا ان تحتاز

بوغاز الدردنيل وتطلق مدافعها على الاسطانة . فأبت الدولة العلية اجابة هذه المطالب وأخذت بتحصين البوغاز المذكور وانشاء القلاع على ضفتيه . على ان الانكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحصينات بل اخترق اميرال الاسطول الانكليزي بوغاز الدردنيل دون ان تناله مضرة تذكر وضرب ميناء كاليبولي بقنابله ودمر السفن المثمانية الراسية فيها ومكث خارج البوغاز ينتظر تنفيذ اللائحة التي قدما الى الباب العالي . ومع انه وقع المهرج والمرج في الاسطانة لكن اقنع الجنرال سبستيانى بجلالة السلطان بوجوب المدافعة وعدم التسليم لمطالب انكلترا ووعده بانتصار نابليون له . فأمر بجلالة السلطات بتحصين الاسطانة ومدخل البوسفور فلم يمض وقت طويل حتى صار يستحيل على المراكب الانكليزية دخول البوسفور . فلما تحقق الاميرال الانكليزي ذلك خاف ان يحصره اسطول آخر من الخارج فاضطر ان يرجع عن قصده فقفل راجعاً الى البحر المتوسط واراد الاميرال الانكليزي ان يداري هزيمته فقصده ثغر الاسكندرية ومعه خمسة آلاف جندي عدا البحرية بأمر الجنرال فريزر فاحتل هذا الثغر في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٧ م وارسل فرقة من الجند لاحتلال رشيد فلم تنل منهم مأرباً ولما علم محمد علي باحتلال الانكليز الاسكندرية ومحاولتهم احتلال رشيد اتقدم مع اعدائه المماليك على قتالهم وارسل النجيدات الى رشيد فخاربت هناك الانكليز الذين حاولوا مرة اخرى الاستيلاء على رشيد فهزموهم وقتلوا بعضهم واسروا بعضهم واتوا بهم الى القاهرة فاضطر الذين بقوا من الحملة ان يقتصدوا الاسرى بالخروج من الاسكندرية فتم ذلك وخرج الانكليز من الاسكندرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ م

وبعد خروج الانكليز من مصر استتب الامر لمحمد علي ولم يبق امامه الا ان يلاشي البقية الباقية من المماليك حتى يأمن على سطوته ونفوذه في القطر المصري ولكنه استعمل الحزم في هذه المسألة بما دل على حسن تدبيره وذلك انه استمال اليه المليك وقربهم وحالف كبيرهم لذلك الوقت شاهين بك واسكنه معه في

القاهرة في قصر بناء له . مترقياً الفرص لاستئصال شأفتهم . وفي هذه اثناء استفحل امر الوهابيين في شبه جزيرة العرب وهم قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية بارض العرب من بلاد الحجاز كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة . وبعد ان درس مذهب ابي حنيفة سيف بلاده سافر الى اصفهان ولاذ بهماثا واخذ عنهم حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وخصوصاً في تفسير القرآن ثم عاد الى بلاده في سنة ١١٧١ هـ فأخذ يقرر مذهب ابي حنيفة مدة . ثم بدا له ان ينشئ مذهباً مستقلاً فانشأ ذلك المذهب وقرر قواعده . وموضوع هذا المذهب اغفال كل الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن الشريف فهو بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين فدخل الناس في هذا المذهب بكثرة وشاع امره في نجد والاحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب مثل عمان وبني عتبة من ارض اليمن ولم يزل امره شائعاً حتى خاف السلطان محمود امتداد سطوتهم فكلف محمد علي باخضاعهم وتوقيفهم عند حدم فاجاب محمد علي طلب جلالة السلطان وابتدأ بالاستعداد لتسيير حملة اقتال الوهابيين فامر بانشاء السفن بالسويس لنقل الجنود الى ينبع فكانت الاخشاب الصالحة لعمل المراكب تقطع في جميع جهات القطر المصري ويؤتى بها الى الورش التي اقيمت في بولاق فتجهز فيها ثم تنقل على ظهور الجمال الى السويس فتركب بكل سهولة

ولما استعدت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب خاف محمد علي ثورة المالك عليه بعد منسبر هذه الحملة وكان يضم لهم الشر من زمن طويل ففكر الآن في كيفية ابادتهم قبل مبارحة المساكر القاهرة وكان نتيجة ذلك ان ابادهم بالكيفية الآتية . عين محمد علي يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ الموافق اول مارس سنة ١٨١١ م للاحتفال بتسليم ولده طوسون باشا الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش الزهم ارساله الى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين . ونادى مناديه يوم الخميس ٤ صفر في الاسواق يدعو كبار المسكر والامراء المصرية الاقمية وغيرهم

ليحضروا الى القلعة بالفخر حلهم للحضور في الاحتفال المذكور . فلما اصبح يوم الجمعة ركب الجميع وصعدوا الى القلعة وصعد المالك كلهم باتابهم وجنودهم ودخل امراؤهم على محمد علي باشا وحيوه وجلسوا معه حصّة وشربوا القهوة فباسطهم في الكلام ثم سار الموكب بكيفية رتبها محمد علي باشا حصر بها المالك بين عساكره . ولما صار المالك في المضيق المنحصر بين باب العزب والباب الاوسط امر محمد علي باشا لعساكره فاغلاقوا باب العزب في وجههم وكانت الجنود قد وقفت على جانبي الطريق على تفر الحيطان والحجر فصوبت عليهم البنادق فدهشوا واسلوا سيوفهم ولكن لم يمكنهم التقدم ولا التأخر فسلوا للقضاء وبقي الرصاص ينصب عليهم حتى قتلوا عن آخرهم . وفي الوقت نفسه نهبت جنود محمد علي باشا منازلهم بالمدينة وقتلت من تخلف منهم عن الحضور . ثم أرسل الى عماله في الاقاليم بقتل جميع المالك القاطنين خارج العاصمة فقتلهم وصاروا يتنافسون بارسال رؤوسهم اليه . وبذلك طهرت مصر من ادران هذه الفئة الباغية

وبعد ذلك سافر طوسون باشا بجيوشه الى بلاد العرب وحارب الوهابيين واستخلص المدينة المنورة بعد ان نسف اسوارها بالانغام ودخلها عنوة وكتب لوالده بذلك . ثم حصره الوهابيون في مدينة الطائف فمات محمد علي باشا الى مكة في ٢٨ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ وقبض على الشريف غالب شريف مكة وارسله الى مصر واقام مكانه الشريف يحيى بن سرور واحتل عدة مراكز محجة من مراكز الوهابيين فضعفت قوتهم خضع وصا بعد وفاة زعيمهم سعود في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٦ هـ فساد الامن في طريق الحج . وبعد ان حج محمد علي باشا وجميع من معه سنة ١٢٢٩ هـ عاد الى مصر فوصلها في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ هـ وقبل عودته كان قد سافر طوسون باشا الى بلاد نجد لمهاجمة الوهابيين في مدينة الدرعية عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس الواقعة على مقربة من الدرعية . ثم راسله عبد الله بن سعود الذي تولى زعامة الوهابيين بعد موت ابيه وارسل اليه رسولا يدعى الشيخ احمد الخنبلي يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لامير المؤمنين فاجابه طوسون باشا بعدم امكانه اجابة ملتمسه الا بعد اخذ

رأى والده واتفقا على مهادنة عشرين يوماً ريثما يتخار طوسون باشا والده . وعند ذلك اتى اليه خبر عودة والده الى مصر فاخذ على نفسه اتمام الصلح فاتفق مع عبد الله بن سعود الوهابي على ان يحتل طوسون باشا بجيوشه الدرعية ويرد الوهابيون ما أخذوه من المجوهرات والنفائس من الحجرة الشريفة النبوية خصوصاً الكوكب الدرري الذي زنته ١٤٣ قيراطاً من الماسين وكتب لوالده بذلك فاتي اليه الرد بتكليف عبدالله ابن سعود بالتوجه الى الاستانة وان لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربتة . وفي هذه الاثناء بلغ طوسون باشا خبر تمرد الجنود على والده فوجع الى القاهرة بعد ان اناط قيادة الجيش لبعض قواده فوصلها غاية ذي القعدة سنة ١٢٣٠ هـ (نوفمبر سنة ١٨١٥ م) والسبب في ثورة العساكر على محمد علي باشا هو انه لما رجع من بلاد العرب في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ هـ اهتم بتدريب الجند على النظام الفرنسي المتبع في سائر اوروبا في ذلك الوقت فأصدر امراً عالياً في شعبان من السنة مؤداه ان الجنود المصرية ستدرّب على النظام الحديث . فغضب على الجهادية ولا سيما الارناؤوط الامثال الى هذه الاوامر التي اعتبروها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما شدد عليهم بضرورة اتباع هذا النظام ثاروا وتجهروا الى القلعة وكاد يقع مالا تحمد عقباه لولا دراية محمد علي باشا وحسن تدبيره الذي لما رأى الشر يتفاقم اجاب الجنود الى طلبها والى الامر الذي سبق واصدره فخلدوا الى السكينة . وفي هذه الاثناء قدم طوسون باشا كما تقدم فالتقاء المصريين باحتفال واکرام زائدين ثم نزل الى الاسكندرية حيث كان ابوه مقبلاً فوجد امرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاماً دعته عباساً . وبعد يسير أصيب طوسون باشا بمرض لم يمهله الا بضع ساعات وتوفي فحزن عليه ابوه حزناً مفرطاً وبعد قليل اخذ محمد علي باشا يهتم بامر الوهابيين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبد الله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي استخرجها الوهابيون من الكمية فاجابه يعتذر عن عدم امكانه الشخصوس وقال ان تلك الاموال قد تفرقت على عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد علي باشا تلك الهدايا واخذ في تجهيز حملة جديدة لمحاربة الوهابيين فجهزها وجعل قائدها بكر اولاده ابراهيم باشا فسار هذا البطل الى بلاد العرب من طريق قنا فالقصر فجدة والبحر في ١٢ شوال سنة ١٢٣١ هـ فوصل ينبع في ٩ ذي القعدة من السنة ومنها قصد المدينة لزيارة قبر الرسول (صلعم) ثم سار بجيوشه الى بلاد نجد بعد ان رتب النقط في خط رجعتة الى فرضي ينبع وجدة

لعدم انقطاع وصول المدد اليه فاحتل الرس ومدينة عنيزة وغيرها وفي ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ هـ (٦ ابريل سنة ١٨١٨ م) وصل امام مدينة الدرعية وكان بها عبد الله بن سعود ومعظم جنوده وبعد ان حاصر ابراهيم باشا المدينة عدة اشهر استولى في اثائها على ضواحي المدينة ولم يبق امامه الا دخولها طلب اليه عبد الله بن سعود في ٧ ذي القعدة من السنة ايقاف القتال للمفاوضة في الصلح فأوقفه واتى عبد الله بن سعود الى ابراهيم باشا في معسكره فأكرمه واحسن وفادته وبعد اخذ ورد طويلا قبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية الى ابراهيم باشا بشرط عدم تعرضه للاهالي بسوء وبالسفر الى الاستانة كرجبة الحضرة السلطانية وبرد الكوكب الدرري وما بقي من المجوهرات والتحف التي اخذها الوهابيون حين استيلائهم على المدينة

فتم الصلح على هذه الكيفية ثم حضر عبد الله بن سعود الى مصر ليسير منها الى الاستانة فوصل القاهرة في ١٨ محرم سنة ١٢٣٤ هـ فقابله محمد علي باشا بالبشاشة وقام له اكراما واجلسه الى جانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال . فسأله محمد علي باشا : كيف رأيت ابراهيم باشا : فقال بذل الهمة وما قصر حتى كان ما قدره المولى

وفي ٢٠ محرم أرسل الى الاستانة نطاfoا به في شوارعها ثلاثة ايام ثم قتلوه وزالت به شوكة الوهابيين

وبعد ان انتهى محمد علي باشا من حرب الوهابيين حول افكاره الى فتح السودان للانتفاع بخيراته الكثيرة من ذهب وعبيد . وكان جماعة من الممالك قد لجأوا الى دنقلة فاتخذ الباشا بقاءهم فيها حجة لتسيير الحملة . فبعث اليها حملة عقد لواءها لابنه الاصفر اسماعيل باشا وكان قد علم جنودها بعض الفنون الحربية بارشاد الكولونل سيف Seves الفرنسي (وهو الذي سمي بعدئذ سليمان باشا الفرنسي) فسهل عليها الفوز على السودانيين . وارسل حملة اخرى عقد لواءها لصهره محمد بك الدفتردار . اما اسماعيل باشا فتقدم معاذيا للثيل حتى وصل دنقلة واغار عليها وشقت من فيها من الممالك الى وادي وشطوط البحر الاحمر ثم خضعت له الشاقية ونظم منهم فرقة من الفرسان وبعد سير حثيث بلغ بربر فاخذها ثم وصل الى ملتقى النيلين الازرق والابيض والازرق في ٢٧ مايو سنة ١٨٢١ م فمسكر في المكان الذي انشأت فيه بعد ذلك مدينة ام درمان . وكان في سدار رزيان بنة زعان عليها فقتل احدهما الآخر فقصده الملك

وانصار القتيل المعسكر المصري وطلبوا من اسماعيل باشا احتلال سنار فاحتلها في ١٢ يونيو سنة ١٨٢١ م . ثم سار زاحفاً الى اعالي النيل ولكنه مر باقوام اعترضوه في طريقه واضطروه الى التكوص على عقبه . ثم وقع المرض والدوسنطاريا في جيش اسماعيل باشا فمات اكثره وبلغ محمد علي باشا ذلك فبعث بابنه ابراهيم باشا لكي ينقذ البقية الباقية من جنود اسماعيل باشا وينظم البلاد ويتم فتحها الى منابع النيل . فلما وصل ابراهيم باشا السودان أصيب بالدوسنطاريا فعاد ادراجه الى مصر وتولى باوره طوسون بك قيادة جيشه

اما محمد بك الدفتردار فحول شبكته فتوحاته الى جهات كردفان ولكن مقاومة اهالي كردفان كانت أشد هدفاً منها في اي جهة اخرى بالسودان وافضت الى معركة هائلة فاز المصريون فيها ببنادقهم ومدافعهم وسقطت مدينة الابيض في ايديهم . وبعد ان استقر محمد بك الدفتردار في مدينة الابيض قليلاً بلغه ان الملك نمراملك شندي اغتال اسماعيل باشا فعاد الى التمتة واتخذ في اهلها . وذلك ان اسماعيل باشا عاد الى شندي لانه بلغه ان ملكها جاهر بالعصيان فلما وصلها استخضره وعنفه وفرض عليه جزية فاحشة فاضمرها له ودعاه الى وليمة هو ورجاله وسقام كثيراً من السكر وكان قد جمع فشاً وحشياً حول مكان الوليمة فاضرم فيها النار ووقف هو ورجاله بسيوفهم حول الناريقتلون من يحاول الفرار منها فمات اسماعيل باشا محروقاً ومات كل الذين معه . وانتشر الخبر في السودان فجاهر امرأوه بالعصيان . وعاد محمد بك الدفتردار الى شندي كما تقدم فقتل اهل التمتة ووجد ان الملك نمرأه هرب من وجهه فاحرق شندي وضرب في البلاد يقتص من الخارجين عن الطاعة ويحرق المدن ويقتل السكان الى ان وصله الامر من محمد علي باشا بالرجوع الى مصر فرجع اليها وقد دوخ بلاد السودان ومهدا للولاة الذين جاؤا بها بعده . ولم يحسن ولاية محمد علي باشا ادارة السودان فبقي اسم الترك عند السودانيين مرادفاً للظلم والقسوة الى الان

وبعد ان خضع السودان للقطر المصري خضوعاً تاماً وجه محمد علي باشا التفاته الى ما يحول في خاطره من امر اصلاح البلاد وترقيتها وتنظيم الجند وتدريبه فاسس مدرسة عسكرية في الخانكة وجعل مرابية مراد بك في الجيزة مدرسة للفرسان واقام فيها اساتذة من الارنيج وأنشأ مدرسة للطبجية وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع ولاصطناع جميع حاجيات الجند تحت مناظرة عملة من الفرنج . وجعل في الاسكندرية لرسخانة

أقي اليها بالسفن والدواجر من مرسيليا وفينيسيا ثم أقام فيها مدرسة أقي اليها بالاساندة الماهرين من فرنسا وانكثرا وبني حول الاسكندرية حصناً منيعاً قد هدم الآن أغلبه ثم حول التفتاته الى تحسين حالة البلاد الزراعية فأقي ببذار القطن الاميركاني وجاء بنبات النيلة من بلاد الهند واستحضر من يحسن زرعه منهم ومثل ذلك فعل بالافيون فأقي به وبمن يزرعه من اسيا الصغرى . وبعد ان اكثرت محصولات البلاد اخذ في تهديد سبل التجارة فنظر في امر انشاء ميناء أمنية تأوى اليها السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا دمياط فاختر الاسكندرية فاحتر الترع الموصلة بينها وبين النيل ودعاها المحمودية نسبة الى السلطان محمود الثاني . وكان افتتاح تلك التربة في ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٣٥ هـ (٢٠ يناير سنة ١٨٢٠ م) وكانت كثيرة الاستعمال لنقل البضائع الواردة بجزراً الى الدلتا فاكتسبت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى فتقاطر اليها التجار من اماكن مختلفة من اوروبا وغيزها وأقيمت فيها البنايات الكبيرة على النمط الاوروبي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء والمسافرين . ثم وجه محمد علي باشا نظاره الى تحسين الصناعة فأنشأ معامل للقطن والنيلة وغيرها من محصولات البلاد في اماكن مختلفة لكن لم ينجع منها الا معمل الطرايش الحمراء التونسية لرواج هذه البضاعة في الشرق عموماً

ثم التفت الى الصحة العمومية ووجه همه في اصلاح طرقها وكان القطر المصري في غاية الاحتياج لمثل هذا الاصلاح لانتشار التذجيل والتطبيب بالكتابة والحجاجة وما شاكل فعهد الى الدكتور كلوت (ثم صار كلوت بك) واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة) امر هذا الاصلاح فقام بما عهد اليه خير قيام وأنشأ مستشفيات عديدة في سائر القطر المصري وأنشأ مدرسة طبية وصيدلية مع مستشفى في ابي زعيل وراء الخانكاه ومدرسة اخرى في فن القوايل في القاهرة

ثم اهتم بالحالة العلمية فأنشأ نظارة المعارف العمومية والمدارس الابتدائية والتجهيزية الخصوصية وانفذ الى باريس في سنة ١٨٢٦ م ارسالية مصرية مؤلفة من ٤٠ طالباً وبلغ عدد الطلاب في المدارس المصرية ٩٠٠٠ طالب . اما طلاب الارسالية فقد حصلوا في اوروبا على معارف غزيرة كل فيما تفرغ اليه ولكنهم كانوا اذا عادوا الى مصر استخدموا في غير الوظائف التي تناسب معلوماتهم فالبجري كان يعين ضابطاً في الجيش البري والطبيب كاتباً والمهندس مفتشاً وهكذا

وفي ايام محمد علي باشا اكتشف شامبوليون حجر رشيد الذي عرفت بواسطته الحروف الهيروغليفية . وقسم محمد علي باشا القطر المصري الى مديريات جعل على كل منها مديراً وقسم المديرية الى اقسام جعل في كل منها مأموراً مع بعض القوة العسكرية لمساعدته في جمع الضرائب التي كانوا يستخدمون الكرباج في تحصيلها

ثم عزم محمد علي باشا على انشاء القناطر الخيرية عند فرعي النيل فاوعز الى المهندس موجل الفرنسي بالابتداء في هذا العمل الخطير فوضع التصميم لها وحشد الالف الفلاحين للعمل فيها ولكن الطاعون فشا بينهم وتحيف الالف منهم وكان بدء العمل فيها سنة ١٨٣٤ هـ ومضت عشر سنوات بعدها بدون ان ينتهي بعد ان أنقضت أموال طائلة وحرم الموظفون والجنود بسببه من استلام رواتبهم وقد ابلغه ابنه ابراهيم باشا بان من الضروري ايقاف العمل حتى تروج المالية فحنق عليه وقطع راتبه ورواتب كبار الموظفين الذين شاركوه في رأيه وظل العمل دائراً ولكن ببطء يعد ووفقاً في الحقيقة .

ومن آثار محمد علي باشا ايضا مطبعة بولاق الاميرية الموجودة الى الآن . وبعد ان فرغ محمد علي باشا من هذه الاصلاحات العمومية بنى لنفسه عدة قصور وسرايات في القاهرة والاسكندرية . وفي سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) كانت ثورة اليونان على الدولة العلية لطلب الاستقلال فاوعز الباب العالي الى محمد علي باشا بتسيير حملة ردع الثائرين فلبى رحمه الله الدعوى وجهز جيشاً من ١٢٠٠٠ رجل و ٢٠٠٠ من الارنؤود و ٢٠٠٠ فارس و ٧٠٠ طنجي و ١٤ مدفعاً و ٥٤ سفينة حربية وسير هذا الجيش بقيادة ابنه ابراهيم باشا الى المورة فاخضع السطر الاكبر منها واحتل تريبوليتزا ولما رأت دول اوربا ان ابراهيم باشا قارب ان يطفي نار الثائرين وكان يهمهم استقلال اليونان لما فيه من تجزئة املاك الدولة اهتمت بالامر واتفقت روسيا وانكلترا وفرنسا على اجبار الدولة العلية على منح اليونان الاستقلال الاداري وامهلت الدول المذكورة الباب العالي شهراً واحداً ان لم يجيبها بما طلبت في اثنائه اضطرت الى اعلان الحرب ولما لم يجيب الباب العالي بمطالب الدول لما فيه من الاجحاف بحق الدولة اصدورت الدول الثلاث اوامرها الى قواد اساطيلها ان يسيروا الى سواحل اليونان فاجتمعت هذه الاساطيل خارج ميناء نافارين التي كان الاسطول العثماني والمصري بها . ولسبب وامر سلطت اساطيل الدول في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م مدافعها على الاسطولين العثماني والمصري فدمرتهما ولم يبق منهما الا ١٥ مركبة معوثة . ولما رأى ابراهيم باشا تألب

الدول على الدولة العلية وان فرنسا امرت بارسال جيش لمحاربته وانقام استقلال اليونان اتفق بامر والده مع مندوبي الدول المتحدة على اخلاء المورة والعود الى مصر واخذ يسحب عساكره وكانت كلما جات عن محل دخله الفرنسيون . ولما تم جلاء المصريين عن بلاد اليونان اهتم محمد علي باشا بانشاء عدة سفن حربية بدل التي دمرها اساطيل الدول المتحدة في واقعة نافارين المتقدم ذكرها والتزم بضرب ضرائب جديدة على الاهالي للقيام بمصاريف بناء هذه السفن وغيرها من المشروعات المفيدة فضاق الاهالي ذرعاً لكثرة الضرائب واتخذوا باب الغايات هذه الفرصة للافساد على محمد علي باشا فاستألفوا الاهالي للمهاجرة الى الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأوا الى عبد الله باشا والي عكا المشهور بالجزار . وطلب منه محمد علي باشا ارجاعهم فلم يجبه الى ما طلب . فاغتاظ محمد علي باشا وامر في سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) باعداد الجيوش والشأب للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش براً وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين . وعين ولده ابراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المزمع ارسالها للشام وسليمان بك الفرنسي قائماً له . فسار هذا الشبل بجرّاً في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هـ (٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ م) الى مدينة حيفا وكانت الجيوش البرية سبقته من طريق العريش وفتحت في مسيرها مدائن غزة ويافا وبيت المقدس ونابلس . وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقراً لاعماله ومركزاً لاركان حربه ومستودعاً للثمن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة عكا فحاصرها براً وبحراً في ٢٠ جمادى آخرة من السنة . فلما علم الباب العالي بدخول العساكر المصرية الى بلاد الشام وحصارهم مدينة عكا اعتبر ذلك عصباناً من محمد علي باشا واوزع الى والي حلب المدعو عثمان باشا بالمسير لمحاربة المصريين وردم الى حدود مصر . فجمع هذا الوالي نحو ٢٠ الف جندي وقصد مدينة عكا وعلم ابراهيم باشا بقدم هذا الجيش لقتاله فلم يمهله حتى يصل الى عكا بل ترك حول عكا عدداً قليلاً من الجنود لاستمرار الحصار وسار هو بمعظم الجيش للملاقاة الجيش العثماني فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة حمص وبعد قتال شديد انتصر المصريون انتصاراً باهراً ثم عاد ابراهيم باشا الى عكا وشدد عليها الحصار ودخلها عنوة في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هـ (٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ م) وقبض على عبد الله باشا الجزار وسيره الى مصر ولما علم السلطان محمود بسقوط مدينة عكا في ايدي المصريين امر حالاً بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنتظمة فجمع في اقرب وقت نحو ٦٠ الفاً ارسالهم

الى الشام بقيادة حسين باشا . وعلم ابراهيم باشا بذلك فاستعد لمقاولة هذه الجيوش بقدر ما في امكانه . وبرز ابراهيم باشا متقدماً نحو الاناطول فالتقى في ١٠ صفر سنة ١٢٤٨ هـ بمقدمة جيوش حسين باشا فاشتبك معها في قتال كان النصر فيه حليفه ففر العثمانيون امامه واقتفى هو اثرهم حتى دخل مدينة حلب الشهباء في ١٨ صفر من السنة

ولما علم حسين باشا بانهمزام مقدمته تفهقر بمن معه من الجيوش ونحصر في أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول ويسمى هذا المضيق بمضيق ييلان . فلحقه ابراهيم باشا هناك وفاز عليه فوزاً عظيماً وفرق شمل جيوشه وذلك في غرة ربيع اول سنة ١٢٤٨ هـ (٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ م) وقطع ابراهيم باشا جبال طوروس ودخل بلاد الاناطول فاتحاً فاستولى على عدة مدن حتى انتهى الى مدينة قونية وهناك التقى بجيش عثماني جديد ارسله السلطان محمود بقيادة رشيد باشا لصد هجمات المصريين فحصلت بين الفريقين معركة هائلة انتصر فيها المصريون انتصاراً مجيباً ووقع رشيد باشا اسيراً في يد ابراهيم باشا وذلك في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ هـ (٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ م) وتقدم ابراهيم باشا بجيشه الظفر الى مدينة بورصة فمظم القلق في الاستانة وخيف من مهاجمة ابراهيم باشا لها

ولما تواترت اخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت دول اوربا ان يكون قصد محمد علي باشا احتلال الاستانة واسقاط عائلة بني عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل اضطراب عمومي في التوازن الاورربي وكانت روسيا اشد قلقاً من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة في قبضة من يمكنه الذب عنها اكثر من الملوك العثمانيين فلا يمكنها تنفيذ وصية بطرس الاكبر ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وانزلت فعلاً على شواطىء الاناطول خمسة عشر الف جندي لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكلترا وخشينا سوء عاقبة تداخل روسيا بصفة عسكرية والحلتا على الباب العالي بسرعة الاتفاق مع محمد علي باشا قبل ان يتفاقم الخطب . وبعد محادثات ومدارات طويلة اتفق الطرفون على ان

يخلي المصريون اقليم الاناطول وترجع جيوشهم الى ما وراء جبال طوروس وتمطى لمحمد علي باشا ولاية مصر مدة حياته ويعين هو والياً على ولايات الشام الاربع صكا وطرابلس وحلب ودمشق . وعلى جزيرة كريت . وان يعين ابنه ابراهيم باشا والياً على اقليم اطيه . وصدرت بذلك ارادة سنية في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ م . ودعيت هذه المعاهدة بمعاهدة كوتاهية نسبة الى المدينة التي كان بها ابراهيم باشا عند اتمامها . على ان السلطان لم يقبل هذه التسوية الا ليكون له وقت للاستعداد للحرب واسترداد ما اخذ من مملكته قهراً . ولم يسر محمد علي باشا بهذه الشروط ايضاً لانها تخالف مقاصده

وبعد اتمام هذه المعاهدة اهتم ابراهيم باشا بتدبير احكام سورية وجعل مقامه مدينة انطاكية وولى على ولايات الشام بعض خواصه واظهر من حسن التدبير ما كان ينتظر منه

الا ان ارباب الغايات لم يشاؤا ان يسكنوا امام نجاح ابراهيم باشا والمصريين بالشام فدرسوا الى اهل الشام عموماً والدروز خصوصاً بالثورة على الحكومة المصرية فثاروا في اماكن مختلفة وساعدت انكساراً الثائرين سرّاً واما ابراهيم باشا فاستعمل الصرامة الزائدة في معاقبة الثائرين لاختصاصهم لسلطانه . وعلم محمد علي باشا بشورة الشاميين فسار الى يافا بجراً واتحد مع ابنه في اخضاع الثائرين فلم يمض وقت طويل حتى اخضع اهل الشام جميعاً وجردهم من السلاح ثم عاد محمد علي باشا الى مصر . وكأنه قد ستم طول القتال فارادمان يثبت ما فتحه من البلاد له ولنسله من بعده ففاتح بعض وكلاء الدول بمصر بانه يرغب ان تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولاولاده من بعده فاباغ الوكلاء ذلك لدولهم وهي خابرت الدولة العلية بذلك . وعضدت فرنسا مطالب محمد علي باشا اما باقي الدول فحسنت للباب العالي محاربه بكل شدة واخضاعه خوفاً من نطامه الى غير ما في يده من الاقاليم . ولكن لما لسفير فرنسا من النفوذ في الباب العالي قبل جلالة السلطان ارسال مندوب من طرفه للاتفاق على حل مرض للطرفين وارسل

الى مصر من يدعى سار بن افندي احد موظفي الخارجية فاقى هذا المندوب الى مصر سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وبعد مداولات طويلة بينه وبين محمد علي باشا اتفقا على ان تعطي الدولة لمحمد علي باشا ولا يقي مصر والعرب ارضا ولا ولاده وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته . واد سار بن افندي الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالي واصر على ان تكون جبال طوروس ومفاوزها بيد العثمانيين وصمم محمد علي باشا على عكس ذلك بدعوى ان هذه المفاوز بمثابة ابواب لبلاد الشام باجمعها فلو احتلتها الدولة العلية امكنها الاغارة على الشام متى شئت . وبذلك عاد الحلاف الى ما كان عليه واهز الباب العالي الى حافظ باشا الذي عين سر عسكر الجيوش المخبئة في سيواس بارمينية بالزحف الى الشام . فقدم اليها اوائل سنة ١٢٥٥ هـ (سنة ١٨٣٩ م) وعلم محمد علي باشا بتقدم هذا الجيش فارسل الى ابنه ابراهيم باشا بالزحف ايضا فالتقى الجيشان عند بلدة نصيبين في ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ (٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ م) وبعد قتل شديد اتهمر المصريون وغنموا من العثمانيين ١٦٦ مدفعاً وعشرين الف بندقية وغير ذلك من الزخائر الحربية

وكان السلطان محمود قد ارسل الاسطول العثماني لضرب الاسكندرية بقيادة احمد باشا . ولان المذكور كان حاقداً على الباب العالي لعدم توليته الصدارة العظمى كما كان ينتظر قبل الان فحال وصوله الى الاسكندرية سلم مراكيه بلا قتال يذكر الى محمد علي باشا

وفي اثناء هذه الارتباكات والهزائم المتوالية على العثمانيين توفي السلطان محمود الثاني في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ (اول يوليو سنة ١٨٣٩ م) وجلس مكانه على كرسي الخلافة العظمى السلطان عبد المجيد خان

ولما علمت دول اوربا بانتصار المصريين في واقعة نصيبين وبأخذهم الاسطول العثماني بخيانة احمد باشا المتقدم ذكره خشيت تقدم ابراهيم باشا الى الاستانة فترسل روسيا جيشها لمحاربته اعتماداً على اتفاقها السابق ذكره . فارسل سفراء

الدول الى الباب العالي لائحة في ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ م طلبوا بها منه ان لا يقرر شيئاً في المسئلة المصرية الا باطلاعهم ققبل الباب العالي هذه اللائحة فاجتمع سفراء الدول مراراً بلا فائدة واخيراً قرروا عقد مؤتمر بلندن لتقرير المسئلة المصرية فاجتمع المؤتمر سنة ١٨٤٠ م وطلبت فرنسا ابقاء سورية كلها تحت ولاية محمد علي باشا فعارضتها انكلترا واصرت على انه لا يعطى الا نصف سورية الجنوبي بشرط أن يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل لذريته بل يعود بعد موته الى الدولة العلية وعرضتها روسيا وبروسيا والنمسا فلم يحصل وفاق بين الدول وكادت الحرب تقع بين فرنسا وانكلترا لانتصار الاولى للمصر بين ولما كسب الثانية لهم وفعلاً أمرت فرنسا مراكبها وعساكرها بالاستعداد للحرب . لكن بالمستوفى وزير انكلترا تمكن بدعائه من عقد اتفاق مع روسيا والنمسا وبروسيا على ارجاع محمد علي الى حدود مصر واجباره بالقوة على ذلك وقمع مندوبو هذه الدول مع مندوب الدولة العلية على معاهدة في ١٥ يونيو سنة ١٨٤٠ وأخص مواد هذه انه يلزم محمد علي باشا على ان يرد البلاد التي فتحها الى الدولة العلية وبقية لنفسه القسم الجنوبي من سورية ماعدا عكا وان يكون لانكلترا والنمسا الحق ان تحاصر وتفتح مواني سورية بمساعدة كل من أراد من سكان سورية خلع طاعة المصر بين والرجوع الى الدولة العلية . وان يكون لمراكب روسيا والنمسا وانكلترا حق الدخول معاً الى البوسفور لوقاية الامتانة اذا تقدمت اليها العساكر المصرية واعلم سفير فرنسا محمد علي باشا بهذه المعاهدة سرّاً فارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنسيين بالاستعداد للحرب ودفع القوة بالقوة . أما فرنسا فلانها رأت انها لا تقدر على مساعدة محمد علي باشا لتأب أعظم دول اوربا ضده سمجت مراكبها من البحر الايض المتوسط تاركة السلطة فيه بيد الانكليز يفعلون ما يشاؤون

اما انكلترا ففرقت في اهالي سورية حكومة المعاهدة التي تمت بين الدول ودعتهم الى الثورة والعصيان على الحكمة المصرية هذا من جهة وأمرت اسطولها

الذي يقوده الاميرال نابير ان يسير الى الشام ويضرب موانئها ويجلي المهر بين
عنها ففعل ووصل الى بيروت في ١٤ اغسطس سنة ١٨٠٠ م . وفي النهار نفسه
حضر قناصل الدول المتحدة الى محمد علي باشا والبلغوه قرار الدول فحنق عليهم
وطردهم . وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ م وصلت مراكب النمسا والدولة العلية
الى بيروت نزل نحر عشرة آلاف جندي عثمانيين وانكليز . وفي ١١ سبتمبر
أنزلت هذه المساكر الى البر . وفي ظهر ذلك اليوم اسل اميرال الاسطول
الانكليزي واميرال الاسطول النمساوي بلاغا الى سليمان باشا بان يخلي مدينة
بيروت حالا فطلب منهم مهلة ٢٤ ساعة كي يتداول مع ابراهيم باشا في الامر
فلم يقبلوا طلبة . وفي فجر ١٢ سبتمبر اطلقوا مدافعهم على المدينة فهدمت واحرقت
دورا كثيرة وفر سليمان باشا بعساكره الى الحازمية . واحرقت اساطيل الدول
المتحدة كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا . وبعد عدة وقائع
انهزم فيها العسكر المصري أمام عساكر الدول المتحدة لم ير محمد علي باشا بدا من
الاذعان الى مطالب الدول فاصدر اوامره الى ولده ابراهيم باشا بتوقيف القتال
والجلاء عن الشام . فأجاب ابراهيم باشا طائعا وانسحب بعساكره من الشام في
شوال سنة ١٢٥٦ هـ ولم يصل الى مصر الا بعد ان هلك اكثر من معه

وفي هذه الاثناء عرض الكومودور نابير على محمد علي باشا ان الحكومة
الانكليزية تسمى لدى الباب العالي في اعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن
الشام ورد الاسطول العثماني الذي سلمه اليه احمد باشا الى الدولة العلية فقبل محمد
علي هذه الشرط وتم الاتفاق في ٢ شوال سنة ١٢٥٦ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر
سنة ١٨٤٠ م

وبعد مخاضات ومداولات بين الدول والدولة العلية تم الاتفاق بين جلالة
السلطان و محمد علي باشا بان تكون ولاية مصر وراثية لنسل محمد علي باشا
بشرط ان يكون لجلالة السلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي باشا من
يريد لتوليها . واذا انقرض الذكور من ذريته لا يكون لاولاد نساء اسرته حق

في الولاية الى غير ذلك من الشروط وصدر بذلك خط شريف بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م . ثم صدر فرمان آخر بتاريخ ١٩ ابريل من السنة بتثبيت ولايته على نوبيا ودارفور وكردفان وسنار . فاصبحت حكومة محمد علي بمسد ذينك الغرباين محصورة في مصر والسودان . فقام محمد علي باشا بذلك واسل ولده سعيداً لتقديم فروض العبودية لجلالة السلطان . وهكذا انتهت هذه المشكلة وعادت المياه الى مجاريها . وفي سنة ١٨٤٥ م سافر ابراهيم باشا الى اوربا لانحراف ألم بصحته فاصاب ترحاباً عظيماً في سائر الممالك الاوروبية ولا سيما في فرنسا وانكثروا عاد الى مصر في اواخر صيف سنة ١٨٤٦ م وفيها سار محمد علي باشا الى الاسكندرية بدعوى رسمية من جلالة السالان فوصاها في ١٩ يوليو سنة ١٨٤٦ م فترحب به جلالة السلطان ترحباً عظيماً . وفي ١٧ اغسطس من السنة برح محمد علي باشا الاسكندرية قاصداً قوله مسقط رأسه فأقام فيها عدة ايام لتعليم الفقراء واعانة الضعفاء والمساكين ثم بارحها قديماً الى الاسكندرية فقابله الاهالي بكل ترحيل وتهظيم ثم سار الى القاهرة فدخلها بين اصوات الدهاء والتكبير

وفي سنة ١٨٤٨ م توءك مزاج محمد علي باشا وازدادت فيه ظواهر الخرف فصار يهذي في القول فسافر الى اوربا طلباً للاستشفاء فلما وصل الى نابلي اتصل به خبر سقوط صديقه لويس فيليب ملك فرنسا فاستشاط غضباً وحادث من حوله بان في عزه ارسال جيش الى مرسيليا لاعادة هذا الملك الى عرشه . وكان قد تولى الحكم في غيابه بمصادقة من الباب العالي ابنه ابراهيم باشا الا ان مدته لم تطل فتوفي في نوفمبر سنة ١٨٤٨ م وولى الامر بمسده عباس باشا الاول ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا . أما محمد علي باشا فلم يزل على حاله يهزل جسماً وهقلاً حتى أدركته الوفاة في ١٣ اغسطس سنة ١٨٤٩ م . فنقلت جثته من الاسكندرية حيث توفي ودفن في جامع القلعة الذي كان قد شرع في بنائه ولم يكن تام البناء

٧٦٧ - ابراهيم باشا به محمد علي

سنة ١٢٦٤ هـ أو سنة ١٨٤٨ م



« ش ١١ ابراهيم باشا »

لما مرض محمد علي باشا على ما تقدم تولى الامر عوضاً عنه ابنه ابراهيم باشا
وتوجه الى الاستانة في اغسطس من السنة لاجل تثبيتته على ولاية مصر خلفاً لايه
فثبتته جلالة السلطان بنفسه فعاد الى مصر لمعاينة الاحكام . الا ان مدة حكمه لم
تطُل لانه توفي في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م



٧٦٨ - عباس باشا الاول ابن طوسون

من سنة ١٢٦٥ - ١٢٧ هـ او من سنة ١٨٤٨ - ١٨٥٤ م



(ش ١٢ عباس باشا الاول)

هو عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٤) وكان يوم وفاة عمه ابراهيم باشا في مكة فاستندم حالاً لاستلام زمام الاحكام لانه كان اكبر ابناء المائلة فوصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٤٨ م بعد ان قضى فروض الحج واستلم زمام الاحكام . ومن اعماله انه استبدل الجيش الذي شكله جده من المصريين بسنة الاف من الارنود الذين اذ اطلق لهم اعنان عاثوا في الارض فساداً . وانشأ لهم الشكنات الواسعة في ضاحية القاهرة وسفر

في تشييدها البنائين والنجارين والنحاتين قهراً . وسار في خطة على عكس ما رسمه جده لنفسه فنقم على كافة اكابر الرجال الذين كان يستعين بهم في ادارة شؤون الحكومة . وبلغ من الامر ان اضطر الكثيرون من الامراء الى الاقامة بالاسنانة ليأمنوا على حياتهم . وكان مدير الشؤون الخارجية وقتئذ ارتين بك فاضطره الخوف من بطش عباس باشا ان يلجأ الى قنصلية فرنسا وان يفر منها الى الشام . ثم امر عباس باشا باقفال الملبأ الذي نبط بكوت بك امر تأسيده للمفقر من الاهالي طلباً للاقتصاد بينما كان يذشيء القصور الباذخة في الخلوات بالاموال الطائلة

وكان عباس باشا شديد الاحترام للدولة العلية والنعاق بجلالة السلطان . وكان يقول في ذلك « كان جدي يظن نفسه انه ملك . طاق نعم قد كان كذلك نحونا ونحو اتباعه وابنائيه ولكنه كان مقيداً بارادة قناصل الدول واذا كان من الملتزم ان اكون خاضعاً لاحد فاحب الي ان يكون خضوعي لامير كفاة المؤمنين لا للمسيحيين الذين اكرههم كرهاً شديداً »

وبالرغم عن كرهه عباس باشا للاروبيين وفنور العلائق بينه وبين حكومات اوروبا فقد اعطى امتياز مد السكة الحديد بين الاسكندرية والقاهرة لشركة انكليزية التي قامت باتمام هذا المشروع المفيد خير قيام

وفي سنة ١٨٥١ م وردت اليه الاوامر من الباب العالي بادخال التنظيمات في مصر مثل الغاء السخرة والضرب بالكر باج والخدمة العسكرية لمدة طويلة . فعارض عباس باشا في ذلك . فاجاب الباب العالي بان محمد علي باشا كان قد عهد بان يحكم مصر بمقتضى القوانين العامة للدولة العلية وارسات الحكومة العثمانية فواد افندي مبعوثاً فوق العادة لتنفيذ اوامرها وقد نفذت وكافأ السلطان عباس باشا بحق العفو

وبعد ذلك بقليل شبت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وهي المعروفة بحرب القرم فارسل عباس باشا لاجدة الدولة حملة مؤلفة من ١٥٠٠٠ مقاتل وقد

اتت هذه الجنود بايات البسالة والاقدام فانها صدمت جيش الجبرال باسكيتش
في سلاسترة ومنعته من الزحف على الاستانة واضطرت به حصار ٣٩ يوماً الى
القتال منسحباً

وكان لعباس باشا غلام يدعى البرنس ابراهيم الهامي باشا وكان على جانب
عظيم من الجمال والذكاء والاطف والمعرفة زار الاستانة سنة ١٢٧٠ هـ وتشرف
بمقابلة جلالة السلطان عبد المجيد خان فاحبه وازوجه بابنته وغمره بنعمه فرجع الى
مصر شاكراً حامداً . والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات العفاف والعصمة حرم
المرحوم الخديوي السابق محمد توفيق باشا ووالدة خديونا الحالي . وعباس باشا
هو الذي وضع الحجر الاول لمسجد السيدة زينب بيده باحتفال عظيم ذبحت فيه
الذبايح وقرئت الصدقات على الفقراء بكثرة . وفي عهده الفيت الاحتكارات
التجارية فبدأ التجار الاجانب بالايفال في البلاد لشراء المحصولات من
الفلاحين مباشرة

وتوفي عباس باشا في شوال سنة ١٢٧٠ هـ (يوليو سنة ١٨٥٤ م) في
سرايته في مدينة بنها العسل وقيل في سبب وفاته انه توفي اثر اصابة شديدة
بالنقطة وقيل بل مات قتيلاً بيد اثنين من المماليك الجركس انتقاماً او خوفاً من
عقاب والله اعلم . وبعد موته نقل ودفن بمدفن العائلة الخديوية بالقاهرة



٧٦٩ - سعيد باشا به محمد علي باشا

من سنة ١٢٧٠ - ١٢٧٩ هـ او من سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٣ م



« ش ١٣ سعيد باشا » نقلا عن الهلال

ولد سعيد باشا بالاسكندرية سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٣) وتلقى العلوم علي اسانذة من الفراساوين فبرع في علوم كثيرة . وتولى زمام الاحكام بعد وفاة ابن اخيه عباس باشا . وكان شهبا كريما كثير النسخ اذ عهد بابنائه الى مربية انكليزية وعين علي السودان حاكما مسيحيا . وفي سنة ١٨٥٦ م منع الاتجار بالرقيق وحرر الموجودين منهم بمصر . وفي سنة ١٨٦١ م النى العقوبات البدنية وكانت حكومة مصر في ابان ولايته على اختلال تام فاجتهد في اصلاح الخلل

بان النى وظائف المديرين لسيرهم بالظلم بين الفلاح وضرب على ايدي مشائخ البلاد الذين كانوا عوناً للمديرين في مظالمهم . وانظم لوائح الاطيان واسترجعها من المتعديين الى اربابها وانشأ مجلساً خول له حق المناقشة في المشاريع العمومية قبل مصادقته عليها وثلاث نظارات للداخلية والحربية والمالية و باشر تعيين القضاة بنفسه بعد ان كان يعينهم قاضي القضاة وطرد الالبانيين الذين احضرم عباس باشا الاول وجعل الخدمة العسكرية الزامية على كافة الناس لامد قصير . وتم الخطوط الحديدية والتلغرافية بين الاسكندرية والقاهرة وشرع في مدغورها . وظهر ترعة الحمودية في ٢٢ يوماً بواسطة ١١٥٠٠٠ عامل . وساد السلم في ايام سعيد باشا فاغتنم هذه الفرصة لاتمام اصلاحات عادت على مصر بالنفع العميم على ان اتمام تلك الاصلاحات اقتضى مالا كثيراً بتعاقب السنين وبما اظهره سعيد باشا من الرفق بالفلاح حتى انه احرق بيده ذات يوم سندات تبلغ ٨٠ مليون غرش اضطر الى الاقتراض الذي كان مشغوم العاقبة على مصر في عهدخلبه فان اول قرض اقترضته الحكومة المصرية كان في سنة ١٨٥٨ م ثم تلاه قرضان في سنتي ١٨٦١ م و ١٨٦٢ م وقام بتغطية الثاني جماعة من اصحاب الاموال الانكليز وقدره ٧٢ مليون فرنك بسعر ٧ في المائة . ولما توفي سعيد باشا كان مجموع ديون مصر ٢٥٠ مليون فرنك

وفي ايامه ثارت مديريةية الفيوم على الحكومة فبعث اليها واخذ الثورة فهدأت الاحوال

وفي سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) توجه سعيد باشا لزيارة سورية فمكث في بيروت مدة ثلاثة ايام ونزل ضيفا كريما على وجهاء المدينة وكان اثناء مروره في الطرقات ينثر الذهب على الناس

وام ما تم في عهد سعيد باشا الشروع في حفر قنال السويس . وتاريخ هذه المسألة ان شركة شكلت سنة ١٨٤٦ م بمعرفة المسيو انفتان للبحث في هذا المشروع . وجاء الى مصر المهندس الانكليزي ستفنسن لمثل هذا

البحث فقرر ان النشاء مستحيل . واتفق ان وصل الى الاسكندرية في سنة ١٨٣٠ م المسيو فردينندي لسبس معيناً من حكومته بمهمة مساعد في قنصلية فرنسا فمضى مدة الحجر القورنثيني في تلاوة مذكرة كان المهندس لو بير كتبها في تلك المسئلة ايام الحملة الفرنسية فعول في نفسه على التعلق بهذا المشروع وفي مدة وجوده بالاسكندرية تعرف على سعيد باشا (قبل ولايته) فوثقت بينهما علائق المحبة . وبعد قليل تخلى المسيو فردينندي لسبس عن الوظائف القنصلية بعد ان ثقل قلب فيها كثيراً وسافر الى بلدة بري بفرنسا واقام بها . وبينما هو جالس يقرأ الجرائد في احد ايام سنة ١٨٥٤ م وجد فيها نبأ وفاة عباس وتولية صديقه سعيد باشا فلم يتردد بالاسراع في السفر الى الاسكندرية ومنها الى صحراء ليبيا حيثما كان سعيد باشا مطلباً بجيشه والنقى به في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ م وقدم اليه مشروعه فطلب منه سعيد باشا ان يحرره بضمونه تقريراً . فلم تكن الا هنيئة حتى وافاه بهذا التقرير في صحيفة ونصف . وترجمه سعيد باشا بالتركية لمن حوله من رجال حاشيته ثم منح دي لسبس الامتياز في الوقت بانشاء القنال ولما عاد الى القاهرة اصدر اليه فرمانا بتشكيل شركة مالية لحفره . ولما لهذا المشروع من الماس بصوالح متضادة واراة مختلفة فلاغربة اذا لاقى صعوبات حمة وقد حصل فعلاً فان المسيو دي لسبس بعد ان ابان التصميمات الهندسية التي وضعها بمساعدة لبنان وموجل بامكان انشاء القنال خلافا لما زعمه المهندس الانكليزي وغيره قصد الاسفانة فاستصدر الاراد السنية بالموافقة موقتا على فرمان المعطى اليه من سعيد باشا بالرغم عن معارضة السفير الانكليزي ثم اجتمع دي لسبس في استمالة الرأي العام الاوروبي اليه لا سيما في انكلترا فزارها ثلاث مرات من سنة ١٧٥٥ م الى سنة ١٨٥٨ م فكان يستقبل فيها بالافتور لا سيما من المرمستون رئيس الوزارة وقد عقد في ٤٥ يوما ٢٢ اجتماعا ليقنع فيه نائله والمعارضين عليه بامكان حفر القنال . اما اللورد المرمستون فكان اكبر المعارضين في هذا المشروع فجاءه بعداء دي لسبس والقي الخطب في البرلمان مخدراً من عاقبة مشروعه قائلاً « ان هذا المشروع مضاد للسياسة

التي اتبعتها انكلترا في كل زمان مع مصر وتركيا « على ان دي اسبس انتصر على اعدائه وتحولت الاميال اليه مع الزمن حتى ان اللورد دربي قال في البرلمان انه غير معارض لهذا المشروع وعلى اثر هذا عقد قرض من ٢٠٠ مليون فرنك وقسم ٤٠٠٠٠٠ سهم قيمة كل سهم ٥٠ فرنك وصدرت الاسهم المذكورة في نوفمبر سنة ١٨٥٨ م وخص فرنسا منها ٢٠٧١١١ والدولة العلوية ٩٦٥١٧ وسعيد باشا ٦٨٥٥ ولم يحصل اكتاب في انكلترا ولا النمسا ولا روسيا ولا الولايات المتحدة وفي ٧ مارس سنة ١٨٥٩ م استأذن دي اسبس من سعيد باشا بالبدء في العمل فاذن له بذلك فشرع في العمل من يوم ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ م وفي يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ الموافق ١٧ يناير سنة ١٨٦٣ م توفي سعيد باشا بالاسكندرية ودفن فيها



« ش ١٤ اسماعيل باشا نقلا عن الهلال

٧٧٠ - اسماعيل باشا بن ابراهيم

من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ أو من سنة ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م

هو اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) وبعد تربيته الاولى تلقى العلوم العسكرية في مدرسة سان سيرو بفرنسا وحينما عاد الى مصر وجد عباس باشا حائقا عليه ففرض مدة ولايته بعيدا عن مفاطنه . ولما تولى سعيد باشا اكرمه وقرّبه اليه وعهد اليه بمهمة في فرنسا سنة ١٨٥٤م فلما وصل الى رومة استقبله البابا بيوس التاسع واكرمه واتحفه بالهدايا النفيسة . وفي سنة ١٨٦٠ م تقلد أعمال الحكومة مدة سياحة سعيد باشا باوربا ولما توفي سعيد باشا سنة ١٨٦٣ م تولى اسماعيل باشا بعده لانه كان ارشد العائلة . وفي سنة توليته شرف هذه الديار بحلول اعتابه الشريفة جلالة المغفور له السلطان عبد العزيز خان فلاقى ترحابا عظيما . ولما كان بين اسماعيل باشا وبين جلالة السلطان من الروابط الخصوصية وما كان له بين حاشية السلطان ووزرائه من المساعدين جعلت ولاية مصر خديوية تنحصر في ذرية اسماعيل باشا بموجب فرمان مؤرخ ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ هـ الموافق سنة ١٨٧٣ م وأهم ما جاء في فرمان المذكور ان يعطى لاسماعيل باشا لقب خديو مصر (خديو كلمة فارسية معناها المولى او الرب وكان يعطى سابقا في فارس وتركيا الى بعض حكام الاقاليم المستقلة) ومنحه الاستقلال بالاحكام الادارية وحق اقامة المعاهدات مع الدول الاجنبية واستنقراض القروض بدون أخذ تصريح من الباب العالي وحقوق الوراثة لاول ابنائه وابلاغ الجزية التي تدفع للدولة العلية ١٥٠٠٠٠ كيس بدلا عن ٨٠٠٠٠ كيس

وفي سنة ١٨٦٩ م تم حفر قنال السويس الذي تقدم ذكر البدء فيه في عهد سعيد باشا فسافر اسماعيل باشا في شهر مارس من السنة المذكورة الى اوربا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال بافتتاحه ثم عاد الى مصر وأخذ في الاستعداد لاستقبال

الزائرين بما يليق بمقامهم ولما لم يكن بمصر تياترو وكان وجوده أمراً لا بد منه لتام النظام امر المهندس فرنس النمساوي ببناء تياترو الاوبرا ولضيق الوقت استمر العمل ليلاً ونهاراً حتى تم بناؤه في أقل من خمسة اشهر ولا تسلم عما تكلفه من المصاريف الباهظة لاتمامه في مثل هذه السرعة . وأخذ يجهز ما يلزم لاقامة الملوك والوزراء من السرايات اللاتقة بمقامهم وانشأ لهم سراية بمدينة الاسماعيليه انشأتها الشركة على نفقة الحكومة بليونين من الفرنكات

وفي ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٩ م قدم الوافدون على البرزخ وفي مقدمتهم الامبراطورة اوجيني امبراطورة فرنسا وامبراطور النمسا ووليا عهد المانيا وايطاليا فقضوا الليلة في مدينة بورسعيد في غاية السرور وفي صباح اليوم التالي قام الجميع على الواورات البحرية التي أعدت لذلك ونزلوا في مدينة الاسماعيليه حيث قضوا الليلة في الملاهي والمراقص . وفي اليوم الثالث ساروا جميعاً الى السويس ثم اتوا الى القاهرة ومنها رجع كل منهم الى بلاده الا من اراد السياحة الى الجهات القبلية لمشاهدة آثار مصر القديمة . وقد وجه الخديو كل حمة الى اكرام امبراطورة فرنسا وتوفير اسباب الراحة لها اثناء سباحتها في صعيد مصر فاصحبها بنجله حسين باشا والوزير الخطير رياض باشا وعين لخدمتها ستة عشر وابوراً بحرياً اختص بمضا لركوبها ومميتها والبعض الآخر لاحضار كل ما يلزمها من المأكول والمشرب والفواكه وغير ذلك من القاهرة يومياً . واستمرت مشغولة بالنفقات الخضره الخديوية مدة الاثنين وعشرين يوماً التي قضتها في هذا السفر ولم تنزل كذلك حتي عادت الى بلادها مسرورة شاكرة . وبالاختصار ان ما تضمنه هذا الاحتفال من مظاهر الهدخ والترف التي يتمدر علي القارىء التصديق بها احياناً فاق ما تضمنه كتاب الف ليلة وليلة بوصف الاوربيين انفسهم وما من أوروبي شاهد الاحتفال وقدر ما صرف فيه الا وبرح ضفاف القتال معتقدا ان مصر دولة عظمى وان خديويها اسماعيل باشا من الملوك الذين لا يعد ولا يحصى ما عندهم من الاموال

وفي سنة ١٨٧٢ م تعدى الحبشة على حدود مصر مما يلي بلادهم وأسروا بعضاً من رعايا مصر فبعثت الحكومة المصرية تطلب ردهم فجرت المغازبات فآل ذلك الى حرب جرد فيها اسماعيل باشا حملة لاختضاع الحبشة الا انها لم تنجح واضطرت بمقد الصلح مع الاحباش بعد هزومات متوالية وعادت الى مصر بنجي حنين

وكان اسماعيل باشا كثير الميل الى تحسين المدن الى ما يقربها من زبي مدن اوربا فشرع في ذلك من بدء ولايته فنظم طرق القاهرة ووسعها واكثر من فتح الشوارع الجديدة وبناء الابنية الفاخرة كالاورا الخديوية والقصور الباذخة في القاهرة والاسكندرية . وبنى سراي الجيزة وانشأ المتحف المصري في بولاق والمكتبة الخديوية وهما من اجل الآثار وانفعها . وجر الماء بالانابيب الى بيوت القاهرة وعمم زرع الاشجار في المدن وضواحيها وأثار القاهرة بالغاز واستجلب لها آلات اطفاء الحريق

وهو الذي نظم فروع الادارة على ما هي عليه الان فقسم القطر المصري الى ١٤ مديرية وعين لها المراكز واسس مجلس نواب ونظمه ونظم مجالس القضاء الاهلي والقضاء الشرعي وجعل لكل روابط وحدوداً . ووضع نظام المجالس الحسبية وانشأ مجلس حسبي القاهرة . وانشأ مصلحة البوستة المصرية وجعلها مصلحة اميرية بعد ان كانت في يد شركات اجنبية . وحسن مطبعة بولاق وزاد فيها وامر بترجمة الكتب المفيدة وطبعها ونشرها . واسس معمل للورق ونشط المطبوعات . وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد العربية . وانشأ كثيراً من الخطوط الحديدية في جميع انحاء القطر المصري ومد اسلاك التلغراف حتى اوصلها الى السودان . وبنى مدينة الاسماعيلية على قنال السويس ومماها باسمه وجعل فيها الحدائق والقصور . وانشأ المنارات في البحرين الابيض والاحمر وبنى ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية في حلوان وبنى المرصد بالعباسية وكثيراً من معامل السكر في سائر انحاء القطر فضلاً عن الزرع الكثيرة والجسور الهائلة كترعة

الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس وكوبري قصر النيل بين القاهرة والجيزة

ومن الاعمال العظيمة التي تمت على يده ابطال تجارة الرقيق واتمام فتح السودان واخضاعها فافتتح مملكة دارفور وبحر الغزال سنة ١٢٩١ هـ وما بعدها فتحها باسم مصر زير باشا رحمت وكان قبل ذلك يتجر في العبيد فاستأثته الحكومة الى المدول عن هذه التجارة بمنحه الباشوية . وبعد فتحه الاقليمين المذكورين جاء الى مصر لاداء واجب الشكر فاستقبل بالحفاوة ولكن لم يؤذن له بالعودة الى بلاده . وبأمت العساكر المصرية الدرجة الرابعة من العرض وراء خط الاستواء وعني اسماعيل باشا بتحسين احوال السودان فهد شلال عبكة وفتح سدا كبيرا جنوبي مدينة فاشودة طوله سنون ميلا كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فتسهلت طرق التجارة كثيرا ومن مآثره تسهيل اكتشاف ما غمض من قارة افريقية بمد اصحاب الخبرة

وبالجملة فاسماعيل باشا لم يترك شيئا الا وأصلحه فنشط العلم والعلماء وبني المدارس الكثيرة وسهل التجارة وأصلح الزراعة ومهد الصناعة حتى صارت مصر في ايامه زاهرة زاوية والناس في رغد ورخاء . وقد اتفق ان وقعت في عهده باميركا حرب الانشقاق فارتفعت اثمان القطن المصري حتى بيع القطنار بسنة عشر جنيها فزادت ثروة مصر الزراعية زيادت فائقة

على ان كل ما اتاه اسماعيل باشا من الاصلاحات في هذا القطر السعيد لم يواز الخسائر التي نتجت من تراكم الديون على مصر بسبب زيادة المصاريف . وكان سعيد باشا نيه اسماعيل باشا الى طرق باب الاقتراض فبلغ ما اقترضه من سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٧ مبلغ ٥٦٧ مليون فرنك . وفي سنة ١٨٦٨ م اقترض مبلغ ٢٩٦ مليون فرنك قابلة للسداد في ٣٠ عاما بسعر ٧ في المائة وكان مجهز المالية يزداد في كل عام استفحالا حتى ان يونات نظارة المالية كانت تباع في اسواق الاسكندرية بحطبة ١٤ في المائة فشكل بياريس بنك فرنسوي مصري قام باقراض الجديو

في ابريل سنة ١٨٧٠ م بمبلغ ١٧٦ مليون فرنك على حساب الدائرة
واتفق ان شئت في هذه السنة نار الحرب بين فرنسا والمانيا وأغلقت لهذا
السبب بورصة باريس فاضطرت حكومة مصر ان تعقد قروضا أخرى لمدد قصيرة
وبلغت حطية البون ٣٠ في المائة على ان سوء الاحوال المالية لهذا الحد لم يشبط
عزيمة الخديوي فعقد في سنة ١٨٧٣ م قرضا قدره ٨٠٠ مليون فرنك بسعر
٧ المائة قابلاً للسداد في مدة ٣٠ عاماً ومضموناً بإيرادات السكة الحديد واستهلاك
الديون الاخرى والمقابلة وهي اقتضاء ضريبة ست سنوات مقدماً من الفلاحين في
مقابل التنازل لهم عن الاراضي التي لم يكونوا لهذا الهد الامتنعين بها . على ان
اوربا هبت من نومها وادركت ان ما بهرهما من مصر انما كان طلاء زائلاً اذ
سقطت سندات ذلك الدين من ٤٢١,٨٥ فرنكاً الى ٣٢٦ فرنكاً . ولما شعر
اسماعيل باشا بشدة الحاجة للمال عزم على اقتراض ١٢٥ مليوناً من اهالي القطر
واستعمل لنوال مرغوبه كل طرق السعف

وبلغ مجموع الدين العمومي ٩٥٠ مليون فرنك ودين الدائرة ٣٢٣ مليوناً
والديون الاخرى ١٠٠ مليون . ومنذ سنة ١٨٧٤ م لم يستبق من املك الدائرة
باسمه سوى معامل السكر . وفي سنة ١٨٧٥ م هبطت اسعار الاوراق المصرية
هبوطاً اضطر الخديوي الى بيع اسهم قفال الدويس الخاصة بالحكومة المصرية
وعندها ١٧٦٦.٠٢ الى انكلترا بمبلغ ١٠٠ مليون فرنك اي بسعر ٥٦٨ فرنكاً
السهم الواحد (مع ان سعر السهم منها في السنوات الاخيرة بلغ ٣٥٦٠ فرنكاً)
فعلت اسعار السندات الى ٧١ ولكنها لم تلبث ان هبطت الى ٦١ في يناير
سنة ١٨٧٦ م فهاجت خواطر الدائنين واحس اسماعيل باشا بضرورة تهدئة
خواطرهم فاصدر امراً عالياً في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ م بأنشاء صندوق للدين العمومي
يعين فيه مندوبون عن فرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا وايطاليا والروسيا وسن
قانون التصفية الذي تعهدت الحكومة فيه ان لا تعدل الضرائب ولا تصدر قرضا
قبل مراجعتهم

وفي ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ م عين الخديوي مراقبين احدهما انكليزي والاخر فرانسوي لمراقبة جباية الضرائب وحسابات الحكومة ومشاركتها في وضع الميزانية ولما لم يأت هذا النظم بالنتيجة المطلوبة شككت في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ م لجنة للبحث عن اسباب العجز المستمر في الميزانية فثبت لها ان اعمال الحكومة لم تكن قائمة على اساس الاستقامة والصدق وان موظفي الحكومة لم يتناولوا منذ ١٦ شهرا شيئا من مرتباتهم التي كان مخصصا لها ١٢٠ الف جنيه شهرياً وانه يكفي صدور ارادة شفاهية لوضع ضريبة جديدة والشروع في جبايتها وان السخرة لا تزال موجودة بالرغم من ابطالها . فلما قرأ الخديوي تقرير تلك اللجنة عول على الحكم بواسطة مجلس النظار . وبالفعل شكل هذا المجلس من ريفرس ولسن وزيرا للمالية ودي بلنير للاشغال العمومية ورياض باشا للداخلية ونوبار باشا للخارجية . وخذ هذا المجلس يوالي عقد جاساته فقرردفع مرتبات الموظفين ، ثم سافر الى باريس ولوندر حيث عقد مع بيت روتشلد قرضا مضمونا باملاك العائلة الخديوية فنجحوا في عقده (٨ ملايين من الجنيهات)

ولكن الاحوال كانت ازدادت سوءا لتعذر جباية الاموال ولاضطراب خواطر الاهلين بسبب مداخله الاجانب فرأى مجلس النظار وجوب توفير شيء من نفقات الجيش فرفت عددا كبيرا من العساكر والضباط ولم يدفع لهم المتأخر لهم . فثار المرفوتون في ٢٥ صفر سنة ١٢٩٦ هـ (١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م) وجاء نحو من الف نفر واربعائة ضابط منهم الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا والمستر ويسن وطلبوا اليهما ما كان متأخرا ثم علت الضوضاء بما اوجب تداخل الخديو حيث امر حرسه الخاص بالحلة على المتجمهرين وتبديد شملهم فانصرفوا . وحينما سئل الخديوي من القناصل : هل الاوروبيون في امن على حياتهم : اجاب : كلا ما دام نوبار بالوزارة : وعليه فصل نوبار باشا من الوزارة ثم استعفى منها بعد قليل رياض باشا وعلي باشا مبارك . فشكل اسماعيل باشا وزارة ثانية برئاسة ابنه المغفور له توفيق باشا

وفي ١٤ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ هـ (٧ ابريل سنة ١٨٧٩ م) قلب اسماعيل باشا هيئة مجلس النظار وعزل كل من كان فيه من الاجانب وجعل بدلاً عنهم نظاراً وطنيين تحت رئاسة المرحوم شريف باشا وامر ان تزداد القوة العسكرية ٦٠ ألفاً فشق ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتا عزله للناظرين الانكليزي والفرنساوي اغير ثلة من الاعمال العدوانية وطلبتا منه ان يتقاعد فرفض فاستعانتا بالدولة العلية التي اضطرته الى التنازل بارادة شاهانية صدرت في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ م ، فتنازل عن الحكم لاكبر انجاله

٧٧١ - توفيق باشا بن اسماعيل

من سنة ١٢٩٦ - ١٣٠٩ هـ او من سنة ١٨٧٩ - ١٨٩٢ م



(ش ١٥) توفيق باشا نقلا عن الهلال

تولى المرحوم توفيق باشا خديوية مصر يوم الخميس ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ وكان مشهوراً بحبه للوطن المصري فشمر باحتياجه الى الحرية والرفق بالرعية فخفف الضرائب . وانظر في تأمين اصحاب الديون فصادق على قانون التصفية الذي قدمته اللجنة التي انتدبت لانشاءه . ثم طاف القطر المصري لينتقد الرعية واستطلاع احوالهم فدرس في اثناء تلك الرحلة ما يحتاج اليه القطر من الاصلاح وحالما عاد عمل على اصلاح حال الفلاح من حيث ما عليه من الضرائب فأمر بتبسيط الاموال والعشور على اشهر معلومة وان تقتضى من الكبير والصغير على السواء . مع اتخاذ الرفق في تحصيلها ومن تأخر عن السداد تباع ارضه . فانتظمت الاحوال احسن نظام . ثم وجه عنايته الى اصلاح شوئون المعارف فأمر بانشاء المدارس العالية والابتدائية ووسع دوائر المدارس التي انشأها أباه ونظم شوئونها وجعل للبلاد نظمات شورية وشكل مجالس المديريات ومجالس شوري القوانين والجمعيات العمومية وانتشرت الحرية بمصر انتشاراً زائداً ولان البلاد لم تكن قد استعدت لقبول هذه الحرية بعد انعكست الحال وآت الى الضرر وكانت السبب في حدوث الثورة العراقية

(الثورة العراقية) ولد احمد عراقي في ٧ صفر سنة ١٢٥٨ هـ في قرية هريزة من مديرية الشريعة فلما بلغ اشدّه سلمه والده الى شخص قبلي يدعي نخايل غطاس علمه مباهي القراءة والكتابة . وفي سنة ١٢٦٥ هـ ادخله والده الى الجامع الازهر وبعد ان مكث فيه اربع سنوات حفظ في اثنائها القرآن الشريف وتلقى بعض الدروس النحوية والفقه خرج منه . وفي صفر سنة ١٢٧١ هـ التحق بالجهادية بصفة عسكري ثم رقي الى درجة بلوك امين . وفي سنة ١٢٧٣ هـ ترقى الى رتبة الملازم . وفي سنة ١٢٧٤ هـ ترقى الى رتبة اليوز باشي ولم يأت عام ١٢٧٦ هـ الا وقد رقي الى رتبة البكباشي . وفي سنة ١٢٧٧ هـ رقي الى رتبة القائمقام . ثم اعتزل الخدمة قليلاً واعيد اليهامن ابتداء ولاية اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ هـ واستمر في الخدمة الى ان وقعت بينه وبين خسرو باشا الشركسي خصومة انتهت به فت احمد عراقي

وفي غضون تلك المدة اقترن بابنة مرضعة المرحوم الهامى باشا التي هي اخت حرم الخديو المرحوم توفيق باشا من الرضاع . وبعد قليل أرسل خسرو باشا الى السودان فعرض احمد عرابي على الخديوي الاسبق اسماعيل باشا بما كان من ظلم خسرو باشا له فقبل الخديوي طلبه . واعاده الى وظيفته في احد الالايات سنة ١٢٩٢ هـ وفي سنة ١٢٩٦ هـ أقيل اسماعيل باشا من خديوية مصر وتولاها ا كبر انجالة توفيق باشا فرقي احمد عرابي الى رتبة الميرالاي . وكان عثمان باشا رفيق الجركسي ناظر الجهادية في ذلك الوقت قد سن قانوناً يقضي بعدم ترقية احد المصريين من العسكر العامل في الالايات والا كنفاء بمن يستخرج من المدارس الحربية و باحالة عبد العال حلمي بك اميرالاي السودان على ديوان الجهادية بصفة معاون و بتعيين خورشيد نعمان بك الشركسي بدلاً عنه . و برفت احمد بك عبد الغفار قائمقام السواري و تعيين شاكرك بك الشركسي بدلاً عنه

فصعبت هذه الاوامر على المصريين واتحد معظمهم على تأليف حزب وطني يقاوم هذا التيار الجركسي فذهبوا الى احمد عرابي بمنزله وعرضوا عليه واقعة الحال وما عن لهم من تأليف حزب وطني تحت رئاسته فقبل احمد عرابي ان يترأس هذا الحزب بعد ان استخاف المجتهدون على الطاعة له طاعة عمياء . وبعد ان حلفوا له على السيف والمصحف اجمع رأيهم على كتابة تقرير وقع عليه احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمي واحمد عبد الغفار ورفعوه الى مجلس النظار يطالبون بتنزيل ناظر الجهادية وتنصيب غيره من الوطنيين . فلما وصل هذا التقرير الى مجلس النظار احاله علي ناظر الجهادية وامره بسجن الموقعين على هذا التقرير وتشكيل مجلس عسكري لها كمتهم . فبلغهم ذلك الخبر فاحترسوا غاية الاحتراس واعطوا التعاليم اللازمة لا لا ياتهم بما يفعلونه اذا وقعوا في شدة . ثم وردت عليهم الاوامر بطلبهم الى ديوان الحربية فامثلوا الامر وتوجهوا وراهم بعض الضباط لبيانوا اخوانهم ما يحصل لهم . ولدى وصولهم الى قصر النيل كان الديوان غاصاً بكثير من امراء العسكرية ولما تمثلوا امام ناظر الجهادية تلى عليهم الامر القاضي بسجنهم

وفي الحال نزعنا سيوفهم واخذوا الى السجن وتعين من يقوم مقامهم . فعند ذلك اسرع الضباط الذين كانوا خائفهم واخبروا ضباط الاي عابدين بما تم على رؤسائهم وفي الحال دخل الاي عابدين تحت السلاح وسار بقيادة محمد افندي عبيد البكباشي الى قصر النيل وهجم على السجن حيثما سجن احمد عرابي ورفاقه واخرجهم منه قوة واقتداراً . ثم اصدر الضباط اوامره الى الاي طره والاي العباسية بانظارهم في ساحة عابدين باسلحتهم . وبعد يسير اجتمعت الايلات امام سراي عابدين ولما تم اجتماعهم وقف احمد عرابي خطيباً فيهم فشكرهم على ما ابدوه من الهمّة في انقاذهم . ثم تقدم احمد عرابي امام سمو الخديوي توفيق باشا وطلب منه العفو عما فرط منهم وان يملز عثمان باشا رفيق حالاً . فاجاب الخديوي طلبه حسناً للتزاع فزل رفيق باشا وجعل مكانه محمود سامي . ورجع عرابي واخوانه الى مناصبهم ونوجوهوا الى الاياتهم وقد وقع في قلوبهم الرعب الشديد فاكثر من التحفظ على انفسهم وصاروا يسهرون كل ليلة في منزل عرابي ويعقدون المجالس السرية . ثم قويت شوكة عرابي واستمال قلوب الضباط والعساكر اليه وصار يث افكاره بين الاهالي وعهد ومشائخ البلاد وطلب منهم ان يساعده على رغبته في استخلاص البلاد من التداخل الاجنبي التي كانت الوزارة الرياضية سببته بزعمه وفي ٢٨ شعبان سنة ١٢٩٨ هـ كان الجناب العالي الخديوي بالاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت عسكرياً من الطبقية صدمة قضت عليه فحمله رفاقوه الى سراي رأس التين وطلبوا من الخديوي النظر في الامر فوعدهم خيراً . وبعد بضعة ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكماً على الزمر الذي حمل رفقاه على المسير الى رأس التين بالاشغال الشاقة مؤبداً امارقفاؤه وعددهم ثمانية فحكم عليهم بالسجن ٣ سنوات في اللجان ثم يرسلون للسودان انصاراً للجهادية فبعث عبد المال امير الفرقة السودانية الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من ظلم هذا الحكم . فرفع سامي تلك الشكوى الى الخديوي فشكر جداً واستدعى للجمال الوزراء لتفراغاً الى الاسكندرية هو صرعا تي ٧ رمضان وعقدوا برئاسته

مجالساً تقرر فيه استعفاء ناظر الجهادية محمود سامي وعين بدله دواد باشا يكن واستلم الاعمال وعاد النظار الى العاصمة وهدأت الاحوال . ولما علم عرابي بما كان استئشاط غيظاً . واستمرت الحال على هذا المنوال لغاية شوال (اغسطس) ثم صدر امر من نظارة الجهادية الى الاي القلعة بالنوجه الى الاسكندرية وامر اخر الى الاي الاسكندرية بالتقدم الى العاصمة فاضطرب عرابي ورفقاؤه وزعوا ان الحكومة لم تقصد بهذه الاجراءات الا تفريق كلمتهم فانفقوا على نبذ تلك الاوامر وفعلوا تم . وفي هذه الاثناء اعز عرابي الى جميع الولايات بأمرهم بالاستعداد للحضور الى سراي عابدين في اول سبتمبر سنة ١٨٨١ م . وكتب عرابي الى الحضرة الخديوية والنظار بان الجيش سيحضر لعابدين لاجل طلبات عادلة . وكتب ايضاً الى قناصل الدول بان لاخوف على رعاياهم من هذه الحركة فلما علم الخديوي بذلك ارسل وفداً الى رؤساء الثورة وهم عرابي وعبد العال واحمد عبد الغفار ينصحهم ان يكفوا عن اجراءاتهم ولما لم تجد نصائحه لهم نفعا توجه سموه بنفسه الى الاي عابدين واخذ ينصحهم ولكن بلا فائدة

وفي يوم الجمعة ١٥ شوال (سبتمبر سنة ١٨٨١ م) حضر الى عابدين الالاي الاول السواري قيادة احمد بك عبد الغفار وحضر معه الاي احمد عرابي ثم الاي الطنجية وتكامل الجيش في ساحة عابدين وكانت غاصة بجهابذة المتفرجين من اناث وذكور وقناصل الدول داخل السراي . فاشرف الجناب العالي من السللك وامر باحضار احمد عرابي فحضر راكباً جواداً سالماً سيفه وحوله عشرة من الضباط السواري راكبين خيولهم . فأمره الخديوي برد سيفه الى غمده ونزوله من على جواده وابعاد الضباط عنه ففعل . فقال له الخديوي الم لك سيدك ومولاك : فاجاب عرابي : نعم : فقال الخديوي : الم ارقك الى رتبة الميرالاي : فاجابه : نعم ولكن بعد ترقية الاربمائة : فقال الخديوي : وما هي اسباب حضورك بالمساكر الى هنا : فاجاب عرابي : لتل طلبات عادلة : فقال الخديوي : وما هي هذه الطلبات : فاجاب عرابي : هي اسقاط الوزارة وتشكيل



ش ١٦ - احمد عرابي نقلا عن الهلال

مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام : فقال له الخديوي : كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية فسكت عرابي : واشارت قنصل الدول على الخديوي بالدخول الى السراي ففعل ثم تقدم قنصل انكلترا وقال لعرابي بالنيابة عن الجناب العالي : ان اسقاط الوزارة من متعلقات خصائص الخديو وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات الامة ولا وجه لزيادة الجيش بما ان البلاد في امان وهدوء فضلاً عن ان مالية البلاد لا تساعد على ذلك اما التصديق على القانون العسكري فينفذ بعد اطلاع الوزارة عليه اما عزل شيخ الاسلام فلا بد من اسناده الى اسباب : فقال له عرابي : اعلم يا حضرة القنصل ان طلباتي المتعلقة بالا هالي لم اقدم عليها الا لانهم انا ابوني في تنفيذها بواسطة هؤلاء الجنود لانهم اخوانهم واولادهم واعلم اننا لا تنازل عن هذه الطلبات ولا نبارح هذا المكان

ما لم تنفذ : فقال له القنصل : اذا تريد تنفيذ اقتراحاتك بالقوة الامر الذي يخشى معه ضياع بلادكم ، فقال عرابي : ذلك لا يكون ومن الذي ينازعنا في اصلاح داخلينا فاعلم اننا نقاومه اشد المقاومة الى ان نفى عن آخرنا : فقال له القنصل : واين هذه القوة التي ستقاوم بها : فقال عرابي : في وسمي اجمع في وقت قليل مليوناً من المساكين طوع ارادتي : وماذا تفعل اذا لم تنل طلباتك : فقال عرابي : اقول كلمة ثانية : . فقال القنصل : ما هي : فقال عرابي : لا اقولها الا عند القنوط : . ثم انقطعت المخابرات بين الفريقين نحواً من ثلاث ساعات تداول القناصل والحدوي في خلالها واستقر الرأي على اجابة طلبات عرابي وتنفيذها شيئاً فشيئاً . فاصر عرابي على تنزيل الوزارة قبل انصرافه فأجيب طلبه ثم تعين شريف باشا للوزارة الجديدة ومحمود سامي ناظرًا للجهادية . ثم امرت الوزارة ان يتوجه عرابي بالآلثة الى رأس الوادي وعبد العال يتوجه بالآلثة الى دمياط فامثلا الامر وسافرا بمحفل عظيم كل منهما الى محل مأموريته . ولما استقر عرابي في رأس الوادي صار يتجول في النحاء المديرية بضباطه ويبحث افكاره بين العمد ومشايخ العربان فاستدعته الحكومة الى العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ووظيفة وكيل نظارة الجهادية فقبل الثانية ورفض الاولى ليقبى الا لاي في عهده ولما استوى عرابي على منصبه الجديد صار يعقد المحافل في منزله علناً وتوسط بالمفو عن حسن موسى العقاد احد تجار المعروسة لانه كان منفياً في السودان فاجابه الجناب العالي الى ذلك . ثم سعى في عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامباري

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات عرابي يوم حادثة عابدين . وفي ١١ ذي القعدة من السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مزيلاً بالف وستاية توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي . ثم توجهت مناية شريف الى تنظيم

الحاكم الاهلية فأنصرفوا الى الانظار الى مشروع تنظيمها وفي ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٨ هـ صدر الامر العالي مؤذناً بذلك مع لائحة ترتيب الحاكم . وفي يوم الثلاثاء ١١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ هـ سقطت وزارة شريف باشا وتعين محمود سامي رئيساً للنظار واحمد عرابي ناظرًا للجهادية وعلي صادق العاليه ومصطفى باشا فهمي للخارجية وعبد الله باشا فكري المعارف وحسن باشا الشريفي للاوقاف ومحمود باشا فهمي للاشغال . وقد اجتمع عقيب ذلك ضباط الجهادية في سراي قصر النيل واطهروا الفرح والسرور لاوزارة الجديدة وشكروا الخديوي على ذلك وهنوا محمود سامي برئاسة النظار واحمد عرابي بوزارة الجهادية ولما جلس عرابي على مسند الجهادية احسن عليه وعلى عبد العال برتبة لواء (باشا) . ثم طلب عرابي من الحضرة الخديوية ترقية كثيرين من رفقاءه الضباط فأجيب طلبه . وفي هذه الاثناء بلغ عرابي ان بعض الضباط الجراكسة المتأهبين للسفر الى السودان يتكلمون في شأنه بما لا يليق وانهم عزموا على الكيد به . فأمر بالقاء القبض عليهم وعلى غيرهم قبض على اربعين شخصاً بينهم عثمان باشا رفقي ناظر الجهادية سابقاً واودعهم السجن في قصر النيل وعاملهم بالقسوة والعاظ ثم شكل مجلساً حربياً لمحاكمتهم تحت رئاسة راشد باشا الجركسي فصدر حكم المجلس عليهم بالنفي الى اقصى السودان ومراحم الخديوي خففت هذا الحكم بما عاودهم عن القطر المصري فقط فعند ذلك وقع خلاف بين الخديوي والنظار في هذا الشأن فأجتمع مجلس النظار في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م على اثر الخلاف واستمرت جلسته ثماني ساعات وفي اثناء الجلسة حضر وكلاء الدول وسألوا النظار عن حال الاوروبيين في مصر فاخبرهم بان لا بأس عليهم . ثم بحث النظار الى النواب الاجتماع فصدرت الاوامر الى جميع المديريات بشأن ذلك فلما اجتمعوا ارادوا اصلاح الخلاف فلم ينجحوا وسار وفد منهم الى الجناب الخديوي يرجون اجابة طلبهم فاجابهم اسفاً لعدم امكان ذلك . فتشكلت لجنة ثانية في ٢٥ جمادى الاخرى سنة ١٢٩٩ هـ لتعرض على سموه قبول الاقتراح بشرط تنزيل رئيس النظار فقط وان يجعل مكانه مصطفى

باشا فهمي فتوجهوا وعرضوا ذلك على الحضرة الخديوية فقبل سموه بذلك بعد التردد ثم توجهوا الى مصطفى باشا فهمي للاستغفار منه اذا كان يقبل تلك الرئاسة ام لا فابى فعادت المسألة الى مركزها الاول بل زادت تحسباً فوقفت حركة الاعمال . واجتهد سلطان باشا في ازالة الخلاف فلم يمكنه ذلك . وكل ذلك ناشئ من عدم تصديق الحضرة الخديوية على حكم المجلس الصادر على الشراكسة . وما زال النواب يسعون في حل ذلك المشكل عبثاً فاستدعوا العلماء والوجهاء وعقدوا اجتماعاً عمومياً فتخابروا فيه وتشاوروا في كيفية حل المشكل فلم يمكنهم فضه . فشاع انه سيحضر الى الاسكندرية اسطول مؤلف من سفن انكليزية وفرنساوية وان خمس دوارع خرجت من الاسنانة قاصدة مصر بمسافر عثمانية لاجل تسوية هذا الخلاف وبينما هم في ذلك وقد تعاظم الخلاف اذ ورد تلغراف من باريس ينبئ بان الاسطولين الانكليزي والفرنساوي قادمان لمصر . وفي عصر يوم الجمعة ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ م (غرة رجب سنة ١٢٩٩ هـ) وفد على الاسكندرية دارعة انكليزية وفي صباح السبت وصل اليها دارعتان انكليزيتان وثلاث دوارع فرنساوية ثم جعلت البواخر ترد الى ذلك الثغر حتى تكامل الاسطولان ولم يكن معها اسطول عثماني كما شاع فكثر القيل والقال . ثم اشيع ان قدوما كان بوفاق مع الباب العالي وبارتياح باقي الدول

وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ (٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ م) كتب قنصلا انكادرا وفرنسا للنظار يتطلبان سقوط الوزارة وابعاد عرابي من القطر مع حفظ راتبه والقابله ونياشينه واقامة عبد العال حلمي وعلي فهمي بالارياض في جهات لا يخرجان منها مع حفظ راتبهما ايضاً . فلما تلقى النظار هذه الكتابة ابوا التصديق عليها واطهروا الاستمداد للمقاومة بايعاز عرابي ومحمود سامي . ورأى المرحوم فقيد الوطن سلطان باشا ان هذا التعمت وخيم العاقبة واخذ يسعى في التوفيق فلم ينجح . وفي ٨ رجب استعفت الوزارة محتجة على بلاغ الدولتين وطلبتهما فكلف شريف بتشكيل وزارة جديدة فأبى ذلك ما لم تنفذ الجهادية مآل طلبات الدولتين . فعقدت لذلك جلسة



« ش ١٧ ، عرابي في سيلان »

عند الخديوي للنظر في هذا الامر وكان من ضمن الحضور طلبة عصمت وهذا لما علم بان شريف باشا لا يقبل تشكيل وزارة جديدة الا بعد تنفيذ طلبات انكثرا وفرنسا وقف وقال متهورا : يستحيل علينا تنفيذها : وخرج من الجلسة بدون استئذان وتبعه الضباط جميعا . وفي هذه الاثناء ورد التلغراف من الضباط الموجودين بالاسكندرية يقولون فيه انهم لا يقبلون سوى احمد عرابي ناظرا للجهادية وانه ان لم يرجع لمنصبه في اثناء ١٢ ساعة فهم غير مسئولين عما يحدث . فازداد الاضطراب . ثم صرح شريف باشا وغيره من الوزراء انهم لا يقبلون تشكيل مجلس النظار . وعند الغروب اجتمع النواب عند رئيسهم ووفد عليهم ا كابر العلماء فعقدوا مجلسا تم جاءهم عرابي فاخذ يخطب فيهم بحالة ثهور وتبعه عبد العال حلمي وعلى فهمي ومحمد عبيد وغيرهم . وكان الخديوي قد ارسل بالتلغراف الى الحضرة السلطانية ينبتها باستمعفاء الوزارة فورد من لديها جواب بالتلغراف ايضا تهتة على

صهرف المشكل فارسل اليها في اليوم التالي يخبرها بان الجند غير راض بما حصل
فورد الرد من الباب العالي مفاده ان الحضرة السلطانية أمرت بتشكيل لجنة عثمانية
تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذه المسألة . وبقى الجند في هذين اليومين
مبظاهرين بعدم الرضا . وثبت ان انكلترا وفرنسا ارسلنا للباب العالي لائحة نطلبان
بها استقدام عراقي وحزبه الى الاسكندرية . وان دولة انكلترا كتبت للباب العالي انها
تريد فقط نشر العلم العثماني في القطر المصري وتأيد الراحة العمومية به . وفي هذه
الاثناء سعي الدراويون في خلع الخديوي توفيق باشا وتولية حليم باشا وصرحوا
بذلك في مجالسهم وعزموا على التأهب والتحسين وحينئذ صرح غلادستون
وزير انكلترا ان مراكب الانكليز لم تجسر للاسكندرية الا بتأييد مركز الخديوي
توفيق باشا لما اظهره من الصداقة والاخلاص . وفي ٢٠ رجب الموافق ٧ يونيو
وصل الى ثغر الاسكندرية اليخت الشاهاني يقل درويش باشا المأمود العثماني
فساروا الى العاصمة للنظر في ما هو واقع بين الخديوي وجنده . وكان الاضطراب
والقلق قد بلغ بالاهاى مبلغاً عظيماً وزادت بواث الخوف فزع الاجانب الى
الجملاء ومن بقي صاروا يتأهبون للدفاع بما امكنهم من اقتناء الاسلحة وغيره وزاد
تمهور سفلة الاهالى زيادة اوجبت مذبحه ١١ يونيو بالاسكندرية . وابتدأت هذه
المذبحه بنحاص بسيط بين احد الحارة ومالطي ثم اتسع الخرق وتجمعت الجماهير
وانتهز الاوباش هذه الفرصة للقتل والنهب والسلب فطفقوا في شوارع الاسكندرية
يقتلون كل من يلاقونه من الاجانب ويهجمون على المنازل ويهتكون الاعراض
وينهبون الاموال بحالة تقشعر منها الابدان وجرح قنصل اليونان وقنصل انكلترا
في الاسكندرية وقنصل ايطاليا وقنصل روسيا وكثيرون غيرهم . ولما امر عمر باشا
لطفاني محافظ الاسكندرية سليمان داود الاميرالاي ان يرسل العساكر لاختاد الفتنة
وقمع الثائرين اجاب انه لا يستطيع ذلك ان بعد الا بآتيه امر من عراقي وتمارض
مأمور الضبطية السيد قنديل ولم ينزل ذلك اليوم . واستمرت هذه المذبحه طول
النهار وعند غروب الشمس هدأت الفتنة نوعاً وحملت الجرحى الى الاسبتيالية ودفنت

القتلى . وهاجر الاهالى الى بلاد الريف وأغلقت الدكاكين والحواليت حتى خيل للناس انه لم يبق بالمدينة احد . ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالعاصمة اضطرب اهالها وفي صباح ١٢ يونيو خاطبت قناصل الدول درويش باشا معتمد الحضرة السلطانية بكلام شديد وطلبوا منه ان يتخذ التدابير اللازمة لصيانة الاوروبوا بين واموالهم فمقد مجاساً في عابدين حضره الخديو وشرىف باشا ووكلاء الدول العظمى وبعد المذاكرة اقروا ان تعطي للقناصل ضمانات قوية تكفل اعادة الامن والمحافظة على ارواح الاورو باو بين واموالهم ومن اخص تلك الضمانات ان يمثل عرابى للاوامر التي تصدر له من الخديوي . فاستحضر عرابى وسئل فاجاب بالقبول وتعهد باستئجاب الامن . ثم تعين اسماعيل باشا راغب ناظر النظار فكتب اليه الخديوي بتحقيق هذه المسألة المشؤومة ومعرفة السبب والمتسبب فيها والمسؤول عن عدم تلافيها وفي هذه الاثناء انعم جلالة السلطان على احمد عرابى بنيشان فظن الناس ان هذا النيشان لم يأت عرابى الا لرضا الحضرة السلطانية عنه وانتهز هو هذه الفرصة لتأيد مركزه وصار يوهم الناس ان كل الدول تساعد على حرب انكلترا اذا مست الحاجة . وبناء عليه اخذ العربا يوتنأهبون للحرب لاجاء المراكب الانكليزية الراسية في ميناء الاسكندرية على تركها قوة واقتداراً فشرعوا في تحصين الطواى وتركيب المدافع وغير ذلك من الاستعدادات اللازمة في مثل هذه الاحوال . فلما رأى الاميرال سيمور الانكليزي ذلك وتحقق استبداد عرابى ارسل مذكرة الى الحكومة المصرية يطلب فيها الكف عن اجراء الاستعدادات الحربية . فلم يجد اذناً صاغية فكرر الكتابة وقال : ان لم يرجع عرابى عن استعداداته فانه يضطر الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية : فسمي عرابى ومحمود سامي الى كاتب سر مجلس النظار وطلبوا اليه ان يكتب تقريراً في المسألة مفاده : ان الاميرال تجاوز الحدود فيما يطالب وانه لا بد من مقاومته وان عرابى وقومه مفوضون في أمر الدفاع عن البلاد : فاخذوا هذا التقرير وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوقع بعضهم اختياراً وبعضهم اضطراراً ويقال ان الخديوي نفسه صدق عليه أو أجبى للتصديق . ثم ارسلوه الى الاميرال سيمور . وارسل عرابى منشوراً

الى المدراء يطلب اليهم ان يكونوا مستعدين للامداد بالجند والمال . وفي مساء ٢٢ شعبان (٩ يوليو) جاء المستر كارترايت الى الخديو واعلمته رسمياً عن عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح ١١ يوليو وألح عليه ان يترك سراي راس التين ويلجأ الى سراي الرمل ففعل . وفي ٢٣ شعبان (١٠ يوليو) رسل الاميرال سيمور كتابات رسمية الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة باعلان الحرب وقطع العلاقات الودية . وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنسي متجهراً تاركا سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٤ شعبان اطلقت المارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية فاجابتها الطواحي المصرية واستمر القتال الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر حتى تهدمت معظم الطواحي وانفجر مستودع البارود في قلعة أطه . ولما علم الخديوي بذلك ارسل طلبية عصمت الى الاميرال ثم عاد طلبية باشا من عند الاميرال واخبر جناب الخديو ان الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلاع والا فانه يعود الى القتال الساعة ٢ بعد الظهر فعقد الخديو مجلساً تشاوروا فيه فلم يبدوا فكراً صائباً . وفي تلك الاثناء توجهت قوة عسكرية الى سراي الخديو وحاصروها زاعمين ان الخديو ربما ينحاز الى الدولة الانكليزية . ولما تحقق الخديو خيانة رؤساء الجهادية توجه الى الاميرال سيمور فقابلته بالترحيب والتعظيم اللاتقيين بمقامه . ثم تحقق العراقيون انه لا بد من وقوع الاسكندرية في قبضة الانكليز فانتشر سليمان سامي (سليمان داود) احدر رؤساء الثورة بعساكرة ونهبوا المدينة واشعلوا النيران فيها واحرقوا بعضاً منها . فلما رأى الانكليز هذا الفعل الشنيع هربت الجنود الانكليزية وبذات جهدها في اطفاء تلك الحريق

ثم تفهقرت العساكر المصرية من الاسكندرية الى كفر الدوار . وفي اليوم التالي احتل الانكليز مدينة الاسكندرية ونظفوا شوارعها من جثث الموتي وفي ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ اصدر الخديو امراً بعزل احمد عرابي من

وظيفته . فلما وصل امر العزل الى عرابي اغتاض جداً وارسل الامر الى المجلس العرفي الذي جملة العصاة آلة صماء في ايديهم لينظر فيه . فقرر رأى المجلس على عدم سماع اوامر الخديو والمداومة على الحرب وبقاء عرابي في نظارة الجهادية اما عرابي فلم ينكف عن الاستعداد للحرب والتحصين بمساعدة رفقائه وحاول سد ترعة المحمودية بجهة كفر الدوار فلم يفلح وصار يشيم في البلاد كذباً وبهتاناً ان الخديو مشترك مع الانكليز . وكتب للمدبريات بتاريخ ١٢ اغسطس ان يجمعوا جنوداً يبلغ مجموعه ٢٥ الف مقاتل وفرض ايضاً على المديرين اموالاً يجمعونها من الأهالي امداداً للعرب ولا تسئل عن الطرق التي استعملت لجمع تلك الاموال . واخذ عرابي في تقوية الاستحكامات وتشديد الطوابي فدها فيما بين فوق الرملة باربعة كيلو مترات الى كفر الدوار . وأنشأ في كفر الدوار سداً عرضه ٣٠ متراً وخندقاً عرضه اربعة امتار وعمل جملة خطوط نارية

ولما رأى الانكليز الذين في الاسكندرية هذا التحصين وذلك الاستعداد طلبوا من دولتهم الامداد فارسلت لهم الدولة جملة قوات كانت تأتي من طريق السويس وفي اواسط شهر اغسطس بلغت القوات الانكليزية ٢٥ الفاً وحضر الجنرال ولسلي الى الاسكندرية واستلم قيادة الجيش فتحقق الناس انتصار الانكليز وقرب فوزهم لشجاعة وحسن تدبير ولسلي المذكور . وأعلن الجنرال ولسلي انه لم يحضر الا للضرب على ايدي البغاة وتأيد سلطة الجناب العالي الخديو

وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٩ هـ حصلت بين الانكليز والعرايين معركة مهمة في كفر الدوار استمرت نحو الساعتين وكان فيها عدد العرايين ضعف عدد الانكليز ولكن انتصر الانكليز انتصاراً مبهيناً وشتتوا شمل العرايين بعد ان قتلوا منهم ١٦٨ واسروا ٦٢ وحصلت مقتلة اخرى في اليوم التالي لم يفر فيها احد الطرفين . وفي اليوم الثالث اقتتل الفريقان قتالاً شديداً فانهمز العرايون

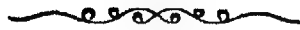
وفي ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ اشتبك العرايون مع الانكليز القادمين عن طريق الاسماعيلية في معركة هائلة بين المسخوطة والاسماعيلية انتصر فيها الانكليز

واستولوا على المحسمة . وفي ١٤ شوال (٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢ م) هجم العراييون على مراكز الانكاز في القصاصين بقصد الاستيلاء على سدود النقرة التي كانت في حوزة فرقة من الجيش الانكليزي ولكنهم ردوا خاسرين . فالتخذ العراييون التل الكبير حصناً لهم تحصنوا فيه بكل قواتهم وبلغ جيشهم فيه ٣٠ الف مقاتل معهم ٧٠ مدفعاً فهجم الانكليز عليهم بقيادة الجنرال ولسلي بقوة ١٣ الف مقاتل و ٦٠ مدفعاً فلم يلبث العراييون امام الانكاز طويلاً حتى ولوا مدبرين تاركين زخائرم الحربية غنيمة للانكليز ولم يجدعرايي مناصاً من الفرار فامتطى صهوة جواده وفر هارباً والانكليز يتقبونه ولم يدركوه حتى وصل الى محطة ابي حماد فوجد قطراً بها فنزل فيه وأمر سائقه بالمسير الى القاهرة حالاً ولما توقف السائق تهدده عرايي بالقتل ان لم يفعل فامثل الامر . وصل القاهرة في ١٣ سبتمبر وذهب توجاً الى قصر النيل وعقد مجلساً من امراء العسكرية والملكية واخبرهم بما كان واستشارهم فاختلعت الاراء فوقف البرنس ابراهيم باشا (ابن عم الجناب الخديوي) وخطب خطبة حرض فيها الحضور بوجوب الدفاع فوافقوه بحسب الظاهر واستقر الرأي على انشاء خط دفاعي في ضواحي القاهرة . فتوجه عرايي ومعه بعض الضباط المهندسين الى العباسية ليتخذوا محلاً مناسباً للدفاع . وبينما هم في البحث عن ضالهم المشودة اذ وقف احد الضباط وخاطب عرايي بكلام شديد قائلاً له : انك بجهلك وسوء تدبيرك قد احرقت الاسكندرية وتريد ان تحرق مصر أيضاً فاذا لم يكن لك فيها ما يهلك فاعلم ان لما فيها نساء واطفالاً واملاكاً لا نسلم بضياعها تنفيذاً لاغراضك الشخصية الا تدري انك تعرض مصر للخطر العظيم بانشاء الاستحكامات وتجميل منازلها عرضة لكرات المدافع فنحن لا نوافقك على ذلك واني اقول لك ذلك بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع اخواني الضباط الحاضرين فلا ترج منا مساعدة وقد كفى ما جرى : . فلما سمع عرايي مقال ذلك الضباط اسقط في يده خصوصاً لما رأى الباقيين مستحسنين ما قوله رفيعهم فأنكمأ رجماً الى قصر النيل واجتمع باصدقائه ثانية ودعاهم الى النظر في

الامر . فلم يجدوا احسن من رفع عريضة الى الجناب الخديوي يتشدرون فيها عن
افعالهم وانهم ممثلون خاضعون وفعلآ كتبوا عريضتهم وارسلوها بوفد الى الجناب
العالي فلم يقبل منهم كلاما بل امر بالقبض على رئيس وفدهم
اما الجنود الانكليزية فبعد استيلائها على التل الكبير سارت فمرت ببلبيس
فلزقازيق واستولت عليها حتى اتت العباسية في مساء الخميس ١٤ سبتمبر سنة
١٨٨٢م واحتلت قشلاقات العباسية والقلمة وقصر النيل . وكان الناس يظنون
ان الجنود الانكليزية سيدخلون فاتحين قيةقتلون وينهبون ولكن الامر جاء بالعكس
لان الجنود الانكليزية دخلت القاهرة بحالة سلمية في يوم الجمعة ١٥ منه والقت
القبض على عرابي وباقي زعماء هذه الثورة . ثم تسلم الانكليز القلاع والحصون في
بور سعيد ورشيد واخيرا دمياط فانها لم تسلم الا في ٢١ منه
وهكذا انتهت هذه الثورة التي كانت سببا في خراب البلاد وقتل الالوف
بدون وجه حق ولا تسلم عن التهامي التلغرافية التي وردت للجناب العالي الخديوي
وللجنرال ولسلي بما اتاهما الله من النصر والظفر
ثم حوكم عرابي وزملاؤه امام مجلس عسكري لمحكم عليه بالاعدام لكن خفف
هذا الحكم بالنفي الى سيلان فني اليها وما زال بها حتى انهم عليه سمو خديونا
عباس حلمي باشا بالعودة لهذه الديار سنة ١٩٠١ م فماد اليها
ولم تنكد الحكومة المصرية تستريح من الثورة المرامية حتى كانت الحوادث
السودانية المشهورة التي كان من خبرها ان احد السودانين المدعو محمد احمد ادعى
انه المهدي المنتظر فالتف حوله عصابة قوية من السودانين فنبذ طاعة الحكومة
المصرية وناولها القتال وانتصر على رجالها مرارا حتى استولى على الابيض عاصمة
كردفان واتخذها قاعدة ولكنه . فرأت الحكومة المصرية ان تكسر شوكة هذا
التمهدي قبل فوات الفرصة فارسلت له حملة لهذا الغرض مؤلفة من ١١ الف
مقاتل بقيادة هيكل باشا فانها المهدي واتباعه عن آخرها . وازدادت قوة
المهدي بهذا الانتصار فرأت الحكومة الانكليزية بضرورة اخلاء السودان فاشارت

على الحكومة المصرية بذلك وهذه قبلت هذا الاقتراح وارسلت غوردون باشا ليرى الطريقة المناسبة لانسحاب العساكر المصرية بكيفية ملائمة لشرف الحكومة المصرية . وكان غوردون باشا عالما باحوال السودان فلما اتى الخرطوم رأى ضرورة كبح جماح المهدي قبل الانسحاب من السودان خوفا من تطاوله فيما بعد لهاجمة الحدود المصرية فارسل يطلب النجدة لهذا الغرض فارسلت اليه الحكومة الانكليزية نجدة عن طريق النيل لكن المهدي ودراويشه لم ينتظروا حتى تأتي غوردون باشا النجدة بل حاصروه بالخرطوم وضيقوا عليه واخيرا دخلوا الخرطوم فاتحين بخيانة احد المصريين المدعو فرج باشا فلما رأى غوردون باشا ان الاعداء دخلوا الخرطوم تقلد سيفه ونزل قاصدا المهدي فالتناه على سلام القصر ثلاثة دراويش فقال لهم اين سيدكم المهدي فاجابه احدهم بضربة كانت القاضية عليه ثم احتزوا رأسه وارسلوها للمهدي كل هذا والحلة التي كانت آتية لانقاذ غوردون باشا لم تصل فلما علم قائدها بسقوط الخرطوم وقتل غوردون انكساراً راجعاً من حيث أتى بامر دولته . وهكذا استولى المهدي على الاقطار السودانية وانحصرت مصر بين الاسكندرية ووادي حلفا . والحوادث السودانية هذه ستذكر اكثر تفصيلا في ذكر دولة الدراويش بالسودان فان شئت الزيادة فراجعها هناك .

وفي ١٤ يونيو سنة ١٨٨٣ م صدر الامر الخديوي بترتيب الحكم ولائحتها وترتيب القوانين الجاري العمل بمقتضاها الآن . وفي سنة ١٨٨٣ م حصلت بمصر كوابر افنت نحو ٦٠ الف نسمة . وفي ليلة الاثنين ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م توفي سمو الخديوي توفيق باشا بمدينة حلوان ونقل نعشه الى العاصمة . وأسف الناس عليه اسما عظيما للين عريكته وحسن طويته



٧٧٢ - سمو المديوي المعظم عباس حلمي باشا الثاني
(أيد الله سلطانه)



« ش ١٨ سمو المديوي عباس حلمي باشا الثاني نقلا عن الهلال
ولد أعزه الله في ١٤ يوليو ١٨٧٤ هـ وبعد ان انتف في مدرسة هابدين التي
شادها والده ولدولة شقيقه ابرنس محمد علي واتمادرونها فيها ارسامها والدهما الى مدرسة

جنيف بسو يسرة فسكتا فيها مدة يجدان في تحصيل العلوم ثم برحاها الى فينا وانتظما في مدرستها الملوكية العليا . وفي اثناء اقامتهما في هذه المدرسة استأذنا والدهما بالترحول في أنحاء اوروبا لاستطلاع احوال تلك المدنية من مصادرها فزارا المانيا وانكلترا وروسيا وايطاليا وفرنسا والممالك الاخرى واقيا حيثما حللا ترحاباً حسناً . وفي سنة ١٨٩١ م عادا الى مصر في اثناء الراحة المدرسية ثم رجعا الى المدرسة في فينا . وفي ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م جاءها البناء البرقي بوقاة والدهما الخديوي فاصبح سموا كبرهما مولانا الامير خديويًا على مصر من ذلك اليوم . ثم جاءت رسالة الصدر الاعظم بتعيينه على ذلك العرش فاسرع الى مقر حكمه فوصل الاسكندرية في ١٦ يناير المذكور فاحتفل القطر بقدومه احتفالاً يليق بمقامه الكريم وحالما جلس حفظه الله على عرش اجداده اخذ في الاهتمام بما يؤول الى راحة ورفاهية الاهالى فرفع عن عاتقهم كثيراً من الضرائب فبعد ان كان يخص الفرد الواحد من اهالى القطر المصري ١٠٤ غروش من الضرائب السنوية تنازل هذا المبلغ الى ٨٢ غرشاً سنة ١٨٩٨ م . وفي السنة التالية من جلوسه أنشئت لهاكم بالوجه القبلى وافتتحت السكة الحديد بين اسبوط وجرجا . وفي سنة ١٨٩٦ م اتحدت حكومتا مصر وانكلترا على تسيير حملة لاستخلاص السودان من ايدي الدراويش وبعد وقائع متعددة وحروب يطول شرحها سقطت الخرطوم في ايدي المصريين والانكليز في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م . وما زال الجيش المصري الانكليزي يطارد التمايشي خليفة المهدي حتى ظفر به سنة ١٩٠٠ م وقتله وبه انقرضت دولة الدراويش وصار السودان حكومة مصرية انكليزية مشتركة ومن حسنات الحكم العباسي الزاهر اتساع نطاق الصحافة واطلاق الحرية للمطبوعات وتكاثر المطابع والجرائد والمجلات والمسكاتب وسائر النهضة العلمية ولما كانت مصر بلاداً زراعية وجهت الحكومة المصرية في هذا العصر السعيد همها لاصلاح طرق الري فانشأت خزان اصوان وقناطر اسبوط وشرعت منذ سنة ١٩٠٢ م بتحويل ري الاراضي من نيلي الى صيفي فابتدأت من شالى اسبوط

وانتهت في هذه السنة الى مديرية الجيزة وقد شرعت الان في انشاء خزائن
باسما لتتمكن من تحويل ربي قبلي اسبوط لصيفي اذ ثبت لها منافع هذا التحويل
ومما يجب ذكره وتدوينه في بطون الدفاتر المهمة التي ابدأها سعادة اسماعيل
سري باشا مفتش مشروعات الري الجديدة لانه قام بما عهد اليه خير قيام
وفي سنة ١٩٠٢ م انتشر بمصر الوباء المعروف بالهواء الاصفر (الكولرا)
فاهلك من اهله ٦٠ ألفا حسب تقرير الصحة
وفي سنة ١٩٠٦ م فترت العلائق بين مهر والدولة العلية بسبب الاختلاف
على الحدود بين مهر والشام وكاد الامر يقضى الى ما لا تحمد عقباه لكن انخسعت
هذه النازلة بسلام

وفي يونيه سنة ١٩٠٦ م سارت فرقة من جيش الاحتلال قاصدة الاسكندرية
فلما وصلت الى ناحية قرية من بلدة دنشواي قام قائدها واربعة من ضباطها
الى مزارع دنشواي لصيد الحمام فعارضهم الاهالي في الامر وتمعدوا عليهم بالضرب
واللصم حتى مات احد الضباط المدعوا الكبتن بول وأصيب الآخرون فهاج الاحتلاليون
لهذا العمل حتى تشكلت المحكمة المختصة لها كمة المعتدين فحكمت على بعضهم
بالاعدام وعلى بعضهم بالجلد وعلى بعضهم بالحبس لمدات مختلفة واستصعب المهربيون
هذا الحكم ولم يبدأ روعهم حتى اصدر الخديوي المظلم المفوع عن المسجونين في هذا العام
وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م تعين صاحب السعادة سعد باشا زغلول نظرا
لنظارة المعارف العمومية فجاء تعينه دليلا على رغبة الحكومة في تميم ونشر العلوم
لان سعادته ممن يشار اليهم بالبنان في هذا المضمار ومنذ اقيم لهذا المنصب
الخطير طفق يوجب البلاد محبة الاهالي على اقامة الكنائس فكان من وراء ذلك
نهضة علمية لا يستهان بها

ومن حوادث سنة ١٩٠٧ م استعفاء جناب ارل اف كرومر لانحراف صحته
وتعيين جناب السرالدين غورست بدلا عنه . وحدثت الأزمة المالية . وقام
الجرائد لتأليف احزاب مختلفة المآرب والاغراض فبعضها يؤيد الاحتلال ويطلب

الاستقلال الآجل بترقية مصر علمياً وأدياً وبعضها يرى افضلية الاستقلال العاجل
وان مصر قادرة ان تحكم نفسها بنفسها وفق الله الجميع الى ما فيه خير البلاد والعباد

الدولة الباركرائية بافغانستان

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى العائلة الباركرائية التي هي احدى عمائر قبيلة
عبدل من قبائل افغانستان المشهورة . وسبب اتصال الملك الى هذه العائلة هو انه لما
كان محمود خان العبدالي حاكماً على افغانستان استوزر فتح خان الباركرائي وهذا
استعمل اخوته الكثيري العدد على البلاد . وكان فتح خان الوزير المذكور بطلاً
شجاعاً فسمى في توسع نطاقه : ملكة الافغانية وجمع جيشاً وسار قاصداً فتح خراسان
وهي وقتئذ من ضمن المملكة الايرانية فارسل شاه ايران جيشاً لصد هجمات الافغانيين
فانتصروا عليهم وتشتت شمل الافغانيين وحينئذ ارسل شاه ايران الى محمود خان
العبدالي صاحب افغانستان وابنه كامران يخبرها بين امرين اما ان يسلم اليه فتح خان
او يسلموا عينيه والا اضطر لمهاجمة افغانستان وافتتاحها بخاف كامران بن محمود العاقبة
وسلم بعيني فتح خان فقام اخوته عظيم خان ودوست محمد خان (والمذكور هو
رأس هذه الدولة) وياور محمد خان وغيرهم البالغ عددهم ٣٢ وثاروا في البلاد طويلاً
وعرضاً وقبلوا ملك محمود اخذاً ابشار بعيني اخيهم حتى انحصرت مملكة محمود في هرات
ونواحيها . واقتسم اخوة فتح خان البلاد بينهم فكانت مدينة كابل عاصمة المملكة
واعمالها من حصّة دوست محمد خان الذي هو رأس هذه العائلة التي نحن بصدددها .
وانتهز الايرانيون فرصة وقوع هذه الفتن بافغانستان للاستيلاء عليها وضمها الى املاك
الدولة الايرانية فعزم عباس ميرزا (ابن شاه ايران في ذلك الحين) على فتح هرات
وارسل لهذا القصد جيشاً بقيادة ابنه محمد ميرزا فقامت دولة انكتر وتمدت لهذه النبا
وعوّلت على معارضة دولة ايران بدعوى ان هرات مفتاح الهند حتى اضطرتها الى تركها
بعد ان كادت تفتحها

وكان عند حكومة الهند الانكليزية شاه شجاع العبدالي هارباً من وجه اخيه شاه
محمود فانتهزت هذه الفرصة لسوق عساكرها الى افغانستان بدعوى اعادة شاه شجاع الى
كرسيه وفعلاً تم ذلك وانتصر الانكليز على اخوة فتح خان المتغلبين على افغانستان

وأمروا دوست محمد خان وارسلوه الى كلكتا واجلسوا شاه شجاع على كرسي كابل .
فصارت بلاد افغانستان بالامم تحت حكم شاه شجاع وبالفعل تحت حكم الانكليز الا
ان الانكليز وشاه شجاع لم يهناوا بلذة الحكم في افغانستان لان الشجاع محمد اكبر
خان بن دوست محمد خان صار يحول في البلاد الافغانية مذاسر أبوه ليجمع لنفسه
الاحزاب لاستخلاص افغانستان من الانكليز وشاه شجاع فنجح فيما اراد وانتصر
بمعاودة الافغانيين له على الانكليز في عدة وقائع مشهورة حتى اضطرهم الى الانسحاب
من افغانستان بخفي حنين بعد ان اخذ عليهم تعهداً ببرد والده دوست محمد خان من
الامر . فانسحب الانكليز من افغانستان راجعين الى الهند ثم اطلقوا دوست محمد خان
من الاسر فرجع الي كابل واستولى عليها وعلى جلال آباد وما يجاورها من البلاد وذلك
في اكتوبر سنة ١٨٤٢ م — ١٢٥٨ هـ

دوست محمد خان

٧٧٤

من سنة ١٢٥٨ — ١٢٧٩ هـ او من سنة ١٨٤٢ — ١٨٦٣ م

ولما قدم دوست محمد خان من بلاد الهند بعد فكاكه من الاسر واستولى على كابل
وجلال آباد واعمالها كان اخوه كهندل خان قد استولى على مدينة قندهار بساغدة شاه
ايران ف وقعت بين الاخوين عدة حروب كن النصر فيها للامير دوست محمد خان
وبعد بضع سنين اعدى رنجيت سنك الوثني على الحدود الافغانية فجند الامير
دوست محمد خان جنداً وقادماً الى بيشاور حيث وقع بينه وبين رنجيت سنك المذكور
معاربة مهولة . ولما رأى الانكليز ان مدينة بيشاور ستقع بيد الافغانيين وهذا مما يوجب
زيادة نفوذ الامير ويورث الخلل في الممالك الانكليزية الهندية اسرعت الى التوسط بمقد
الصلح بينهما على ان تكون مدينة بيشاور بيد رنجيت سنك فتم الصلح على هذه الكيفية
ولا يستغرب القارئ الكريم اذا علم ان الانكليز استولوا على مدينة بيشاور بعد ذلك
بقليل بتنازل رنجيت سنك لهم عنها فانهم انما كانوا يهرون النار لقرصهم
وبعد قليل توفي كهندل خان (اخو الامير دوست محمد خان) صاحب مدينة
قندهار ووقعت المنازعة بين اخوته وابنائهم في الملك وآل الامر الى الطعن والضرب
حتى وقع المرح والمزج في المدينة فانفقوا جميعاً على جعل دوست محمد خان
حكماً بينهم

فسار الى قندهار بعسكره حين بلغه ذلك واستولى عليها وعين لكل من المحكمين مرتباً شهرياً سداً لمطامعهم وتمت له بذلك السلطة في غالب البلاد الافغانية . وكانت مدينة هرات في ذلك الوقت تحت سلطنة كامران شاه بن محمود شاه الغبدالي وبعد ان تمكن من حفظها من الاعداء مدة انهمك في السكر واللعب فقام غليسه وزيره ياور محمد خان البامي زائي وقتله واستولى على هرات وراسل شاه ايران ، وفاداه واختفى به صيانة لبلاده من سلطة سائر الامراء الافغانيين . وبعد موته خلفه ابنه صيد محمد خان باعانة الشاه الا ان هذا الخلف كان سيئ السيرة سفياً فانتقلت قلوب الاهالي منه غيظاً واثاروا الفتنة عليه وطلبوا شاه زاده يوسف السدوزائي (الذي كان وقتئذ في مدينة مشهد) واتمسوا من الشاه ان يجهزه ويرسله ففعل ودخل مدينة هرات بلا مانع وقتل صيد محمد خان . ثم وقع في هرات بعض الفتن فاعتزم ناصر الدين شاه فرصة للاستيلاء عليها فارسل جيشاً جراراً سنة ١٢٧٤ هـ بقيادة سلطان مراد ميرزا وبعد محاصرتها اباناً تم له فتحها ودخل قطر هرات تحت حكم ايران

فاستشاطت انكثرا غيظاً من هذا الفتح بدعوى ان هرات محتاح الهند فازسلبت مراكبها الى خليج فارس واستولت على بندر ابى شهر وجزيرة خارق و بلدة عمدة ارباباً للشاه وتسكيناً للثورة التي فشت في الهند عند ماشاع فيها توجه العساكر الايرانية نحو افغانستان وبعد سنة من هذه الواقعة تم الصالح بينهما وترك الانكليز الفرض الايرانية على شرط ان يقيم الشاه رجلاً افغانياً حاكماً على هرات ويسحب عساكره منها . فعين الشاه سلطان احمد خان ابن عم الامير دوست محمد خاں وصهره والياً على هرات باستصواب انكثرا بعد ان شرط عليه ان يضرب السكة ويقرأ الخطبة باسمه . وفع ذلك لم يسكن روع الانكليز بل اغروا الامير دوست محمد خان بعد بضع سنين باخذ مدينة هرات وتمهدوا بان يعطوه مرتباً سنوياً كافياً لتجديد العساكر وتحصين القلاع ليكون الامارة الافغانية سداً منيعاً بين الهند وبين الممالك الروسية في آسية الوسطى من جهة وايران من جهة اخرى . فجند الامير جيشاً وسار به الى هرات وحاصرها زمناً طويلاً ماث في اثنائه سلطان احمد صاحب هرات داخل القلعة . وتوفي اليك الانير ذؤنت محمد خان سنة ١٢٧٩ هـ (٢٩ مايو ١٨٦٣) في معسكره . وبعد موته اتخذ رؤساء العساكر وهجموا على هرات وافتتحوها عنوة في ذات السنة

٧٧٥ شير علي خان بن دوست محمد خان

من سنة ١٢٢٩ - ١٢٨٥ هـ او من سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٨ م

كان للامير دوست محمد خان عدة ابناء اشهرهم اربعة محمد اكبر خان وافضل خان واعظم خان وشير علي خان وكان اكبرهم محمد اكبر خان وهو الذي تمكن من اعادة الملك لايه بعد ان اسره الانكايي كما تقدم فاحبه ابوه حباً مفرطاً وجعله ولي عهده لكن اتفق ان توفي محمد اكبر خان المذكور قبل ابيه واذا كان شير علي خان اصغر اولاد الامير دوست محمد خان شقيق محمد اكبر خان فعهد اليه الامير بولاية العهد . فلما توفي الامير اثناء محاصرته لمرات كما تقدم بايع الناس لابنه شير علي خان حسب وصيته . وكان لشير علي خان وزير من طائفة الغلجاني يدعى محمد رفيق فاشار علي الامير بقتل اخوته بدعوى انه لا يتم امره الا بقتلهم فعزم الامير علي ذلك من ذلك الوقت ولكن شاع الخبر في المعسكر قبل تنفيذه فهرب اخوة شير علي خان خوفاً منه وذهب كل منهم الى الجبهة التي كان والياً عليها في حياة ابيه واستولى عليها

ولما علم شير علي خان بهروب اخوته وكان قد انتح هرات اسرع في تنظيمها وبعد ان استخلف عليها ابنه محمد يعقوب خان اسرع قاصداً بلخ بدون ان يتعرض للبلاد التي استولى عليها اخوته الذين هربوا من المعسكر أو يظهر لهم غضباً . قصد بذلك ان يمدح اخاه الاكبر محمد افضل خان صاحب بلخ الذي كان محبوباً من الناس وكانت قوته العسكرية اشد من سائر الاخوة ويقبض عليه . فلما وصل الى حدود بلخ ارسل الى اخيه كتاباً يقول له فيه : « انك انت الاخ الاكبر فيجب عليك ان تجهز في اصلاح البلاد ورفع الفساد وجمع كلمة الاخوة وأما انا فانههد ان لا انبذ لك اسراً وان لا اخالف لك نصحاً وان لا اخرج من ربة طاعتك » فلما قرأ محمد افضل خان ذلك الكتاب انخدع وسار بنفسه الى اخيه شير علي خان الذي لما تمكن منه قبض عليه . وهرب ابنه عبد الرحمن خان وقتل الى بخاري . ودخلت بلخ تحت طاعة شير علي خان وبعد ان أقام عليها احد اخوته المدعو فيض محمد خان والياً عليها عاد الى كابل . وكثرت بعد ذلك الحروب بين شير علي خان واخوته وطالت الفتن واخيراً اتحد محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان بن افضل الذي كان قد رجع من بخاري وجمع جيشاً لا بأس به وحاربا شير علي وانتصرا عليه في عدة وقائع واخيراً استولوا على مدينة كابل عاصمة ملكه بخانية وزيره محمد رفيق الغلجاني ودخلها بلا معارضة وفر شير علي منها الى قندهار

٧٧٦ - محمد اعظم خان به دوست محمد خان

من سنة ١٢٨٥ - ١٢٨٦ هـ او من سنة ١٨٦٨ - ١٨٦٩ م

ولما استولى محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان على كابل فودي باولها اميراً على البلاد الافغانية فاستقر اظه . وبعد قليل قتل محمد رفيق الوزير الغلجاني الخائن المتقدم ذكره فنال جزاء خيائه . ثم جمع محمد اعظم خان العساكر وسار قاصداً قندهار لاستخلاصها من اخيه شير علي خان وبرز شير علي خان اتتاه فالتقى الجمعان في كلات الغلجاني وبعد قتال شديد انهزم شير علي وفر الى هرات واستولى محمد اعظم خان على قندهار . ثم حاول شير علي خان ان ينتزع الامر من يد اخيه ولكنه لم ينجح فلما استتب الامر لمحمد اعظم خان ولي الامير عبد الرحمن خان ابن اخيه محمد افضل خان على بلخ ونصب ابنه (ابن محمد اعظم خان) محمد سرور والياً على قندهار وجعل ابنه الآخر السمي بعبد العزيز خان الذي كان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة رئيساً على العساكر الموجودة فيها . وهذا الرئيس الشاب ساقه الفرور وحب الظهور الى جمع العساكر وسوقها الى هرات بدون علم ابيه وعند وصوله الى قرية كركشك صادمه محمد يعقوب خان بن شير علي خان بعساكره فهزمه وشتت شمل عساكره واسرع بين يديه الى مدينة قندهار واستولى عليها اذ لم يكن من يدافع عنها . فقوي عزم شير علي خان بهذا الانتصار وجد فيه العزم على استرجاع ملكه فجمع جيشاً قوياً وسار قاصداً كابل فلما علم محمد اعظم خان بتقدم اخيه شير علي خان بالعساكر لقتاله استمد أحد الخوئين المدعو اسماعيل خان فتقدم اسماعيل هذا بجيش جرار ولكنه عوضاً عن ان يقاتل شير علي خان اتحد معه على قتال محمد اعظم خان على ان يوليه قندهار اذا تم امره . فهجم العسكران على كابل واستولوا عليها وفر محمد اعظم خان الى بلخ عند ابن اخيه عبد الرحمن خان وبذلوا غاية الجهد في جمع عساكر من الازبك والافغان وذهبوا الى غزنة من طريق هزاره فبارزها شير علي خان وبعد حروب شديدة انهزمت عساكر محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان وهربا الى مدينة مشهد (طوس القديمة) من بلاد ايران وهناك انفصلا فذهب عبد الرحمن خان الى بخارى واقام بمدينة سمرقند . وتوفي محمد اعظم خان بمدينة نيسابور حين ذهابه الى طهران . وكان محمد اعظم خان عاقلاً مدبراً محباً للعدل الا انه كان سيئ البخت

٧٧٧ - شير علي خان به دوست محمد خان (ثانية)

وابنه يعقوب خان

من سنة ١٢٨٦ - ١٢٩٨ هـ او من سنة ١٨٦٩ - ١٨٨٠ م

أما شير علي خان فدخل مدينة كابل واستقر بها ونفى اسماعيل خان الخائن واخوته الى الهند . وبعد قليل جدد مع الانكليز المعاهدة التي كان قد عقدها ابوه معهم وكان لشير علي خان ابنان هما محمد يعقوب خان وهو الاكبر وعبد الله خان وهو الاصغر . وكان محمد يعقوب خان ولي عهد ابيه وكان بطلاً شجاعاً وهو الذي اعاد الملك لاپيه كما تقدم . الا ان شير علي خان لم يراع حقه ولجبه لوالده عبد الله خان الاصغر جعل ابنها هذا ولي عهده فصعب ذلك على محمد يعقوب خان وقرر الى مدينة هرات واظهر العصيان . فارسل اليه والده عساكراً لقتاله فشنت محمد يعقوب خان شملهم ومع ذلك لما دعاه والده للضور الى كابل لبي دعوته والامير عوضاً عن ان يجامله اودعه الحبس . ومع كل ذلك لم ينل الامير بغيته لان الموت قد اسرع الى ولي عهده الجديد

وفي سنة ١٢٩٥ هـ شعر الانكليز بزيادة النفوذ الروسي في بلاد افغانستان فخافوا العاقبة وارسلوا سفارة مؤلفة من عدة مهندسين والف خيال فتنعها الامير شير علي خان بدعوي ان انكثرا قطعت المرتب الذي تعهدت بدفعه كل شهر من عدة سنين بلا سبب . فاحتفظ الانكليز لذلك وارسلوا عساكرهم بقيادة السير روبرتسن الى الامارة الافغانية لنزول شير علي من كرسي الامارة فاحتل قندهار سنة ١٨٧٩ م . ولكن اتفق ان مات شير علي في تلك الاثناء فقام ابنه يعقوب خان يحارب الانكليز مما اضطر هؤلاء للتوغل في بلاد الافغان واحتلوا كابل العاصمة فعقد معهم يعقوب خان حينذاك الصلح وقيل الحماية الانكليزية . ولكن لم يمض شهران حتى ثارت عليه البلاد فهرب الامير يعقوب خان الى معسكر الانكليز فاعاد الانكليز الكرة على بلاد الافغان واحتلوا كابل ثانية ومع ذلك لم تهدأ الاحوال بها الا بعد تنصيب عبد الرحمن خان بن افضل خان بن دوست محمد خان الآتي ذكره



٧٨٨ عبيد الرحمن خان بن محمد افضل خان

من سنة ١٢٩٨ — ١٣١٩ هـ او من سنة ١٨٨٠ — ١٩٠١ م



« ش ١٩ الامير عبد الرحمن » نقلا عن الهلال

هو عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان بن دوست محمد خان وقد تقدم ذكره
مراراً . ولما خلا كرسي الملك في كابل سنة ١٨٨٠ م اقامه الانكليز عليها على ان
يراعي جانبهم
ثم أخذوا بناصره وعضدوه وبالقوا في تقريبه بالهدايا والرواتب ومن جملة ذلك
راتب مقداره ١٨٠٠٠ جنيه في العام فضلاً عن النياشين والرتب ولقبوه السير

عبد الرحمن خان . وجهزوه بكثير من الاسلحة والمدافع وتقدوا معه معاهدة هجومية دفاعية وانشأوا له في كابل ترسانة للأسلحة وادوه بالعملة والمهندسين . حتى صاروا يعتقدون انه صنيعتهم وخادم مصالحهم . اما هو فلم يكن يعترف بذلك ولا يريد ان يعترف به بل كان يعتبر نفسه معالفاً لانكثرا ويؤيد ذلك انه اراد ان يرسل سفيراً من قبله يقيم في لندن كما تفعل سائر الممالك المستقلة . على انه كثيراً ما صرح بصداقة انكثرا جهاراً ومن ذلك انه التقى باللورد دوفرين في بندي ربيع عام ١٨٨٥ م فاعرب الامير عما في نفسه من الاحترام لجلالة الملكة فيكتوريا ورجال حكومتها . وكانوا في وليمة جمعت جماعاً غفيراً من رجال الدولتين فاستل الامير عبد الرحمن سيفه ولفظ خطاباً قال في ختامه انه سيقتل عدو انكثرا بحد ذلك السيف . ولم يكن جلوس الامير عبد الرحمن خان على كرسي الملك كافياً لتأيد سلطانه بل حارب حروباً كثيرة قبل ان يستتب الامر له من جملة ان ابوب خان احد منازعيه ثار في قندهار فارسل اليه الامير جيشاً شقت ابوب خان شمله . فجمع عبد الرحمن خان جيشاً آخر وسار بنفسه وحمل على ابوب خان وقهره . ففر ابوب الى بلاد ايران

واستعمل الامير عبد الرحمن خان القسوة في معاملة رعاياه حتى قتل كل من يخشى منه على نفوذه فازداد الناس كرهاً له ورعباً منه . على ان ذلك لم يمنع ظهور ثورات اخرى بل ربما كان داعياً لها فان الفلزية حاربوه مراراً ولم ينتج من مطامعهم الا بسفك الدماء

وفي سنة ١٨٨٨ م حاربته ابن عمه اسمق خان وكان حاكماً في افغانستان تركستان وسبب حربه ان الامير عبد الرحمن دعاه الى كابل دعوة ظاهرها حبي فخاف اسمق خان تلك الدعوة لما يملحه من عاقبة المدعوين قبله فاعتذر عن القدوم فاعاد الامير الدعوة وتفنن باساليب النجمل فلم ينخدع اسمق خان وظل على عزمه . فاتهمه الامير عبد الرحمن بالعصيان وانفذ اليه جيشاً لاقبض عليه فشنت اسمق خان شمله وطمع بكابل فجعل عليها . فاسرع عبد الرحمن للملاقاة وحاربته ففر اسمق الى بلاد الروس واقام في سمرقند هو وانصاره تحت رعاية روسيا وحمايتها وهي تنفق عليهم وتبالغ في اكرامهم

ثم نار عليه الهزارية بين كابل وهرات وهم شيعة (بخلاف باقي الافغانيين لانهم من اهل السنة) فغار به واتعبوه ولكنه تغلب عليهم واستتب له الملك ثم أصيب بمرض النقرس ولا يزال يتردد عليه العام بعد العام حتى ذهب بحياته في ١٣ أكتوبر سنة ١٩٠١ م

٧٧٩ - حبيب الله خان به عمر الرحمن خان
(حفظه الله)



ش ٢٠ حبيب الله خان نقلا عن الهلال

ولد الامير حبيب الله خان سنة ١٨٤٥ م وقد تولى نيابة حكومة كابل في

حياة ابيه وهو يجارب اسمعق خان سنة ١٨٨٨ م . ورأى الامير بعد رجوعه ما حقق ظنه في ولده حتى عهد اليه مراجعة ما يرد من كتب الولايات فلا يقرأها هو الا بعد ان ينظر فيها ابنه ثم ولاء بيت المال سنة ١٨٩٧ م وعهد اليه القضاء الاعلى . ثم تولى في حياة ابيه ايضا نظارة الخارجية فكانت المخابرات مع الدول الاوروبية على يده

ولما توفي والده الامير عبد الرحمن خان في اكتوبر سنة ١٩٠١ م جلس هو على كرسي ساطنة كابل ويقال ان والده أطلعه على اسرار السياسة التي كانت متجربة في صدره واهمها ان يكون موالياً لانكليترا حليفاً لها . وفقه الله الى ما فيه خير بلاده

٧٨٠ - دولة الدراويش بالسودان

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور محمد احمد المهدي السوداني الذي هو من قبيلة الدناقلة . ولد في جزيرة أسما نبت مقابل دنقلة سنة ١٨٤٨ م ويقال ان نسبه ينتهي الى الشيخ القرني صاحب كتاب الفروق . اشتهرت عائلته باصطناع سفن سودانية يضرب المثل بدقتها . هاجر والده عبد الله الى شندي باولاده كاهم ومحمد احمد هذا لا يزال طفلاً . فقضى محمد احمد حياته في صناعة السفن ولم يكن ميالاً اليها على انه كان يستردد في اثناء ذلك الى المدرسة فحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره . ويقال انهم عهدوا بتربيته وتدريبه في اتقان صناعة السفن الى عمه شريف الدين في جزيرة شبكة بالقرب من سنار . فاتفق ان عمه هذا ضربه مرة ففر الى الخرطوم والنظم في سلك طلبة طريقة الفقراء وهي من الطرق الشهيرة في السودان بمدرسة خوجلي بالقرب من الخرطوم . فقضى في هذه المدرسة بضع سنين ثم انتقل الى بربر فدخل مدرستها ثم انتقل منها الى

قرية ارداب وتناول العلم فيها على الشيخ نور الهدائم وعنه تناول سر طريقة الفقراء سنة ١٨٧١ م وقال بمضمون انه اخذها عن القرشي وكان استبداد جباة الاموال ضارباً اطنابه في السوادات والقلقل والاضطرابات غير منتظمة فكان محمد احمد هذا اذا ذكر الضيق الذي اصابهم من ظلم الجباة نسب ذلك الى خطية بني الانسان وان العالم قد فسد والناس قد ضلوا عن سواء السبيل فنالهم ما نالهم من غضب الله . وان الله سيبعث رجلاً يصلح ما فسد ويملا الارض قسطاً وعدلاً هو المهدي المنتظر . وقد كان ذلك حديث الناس في سائر انحاء السودان . فحيثما اجتمعوا تحدثوا في ما يقاسونه من ظلم الجباة وما ينتظرونه من الفرج على يد ذلك المنتظر حتى اصبح لفظ « المهدي » يدوي في مجتمعاتهم حيثما حلوا

فلما رأى محمد احمد ذلك وآمن من الناس ارتياحاً الى اقواله واصفاه الى مواعظه خطر له ان يكون هو صاحب ذلك الامر . علي انه لم ينطق به حتى سأله : « الملك المهدي المنتظر » فقال : « اجل انا هو » ثم أخذ يثبت تعاليمه في الناس شيئاً فشيئاً والناس بتقاطرون عليه رويداً رويداً حتى آمن به جمع كثير بينهم قبيلة البقارة ورئيسها علي ولد الحلو فقويت شوكة المهدي من ذلك الحين وكان في جملة الذين يجتمعون عليه عبد الله النعاشي من قبيلة النعاشة وكان يشتغل بالتنجيم وكتابة الاحجية وله شأن كبير في قبيلته فقال له محمد احمد « انت وزير المهدي » فقال عبد الله « اني في انتظار مجيئه فاذا كنت اياه فاظهر انا ناصرك » فقال محمد احمد « نعم انا هو » فآمن به فاستوزره فكان هو وقبيلته انصاراً له . وانفق ظهور نجم ذي ذنب سنة ظهوره فاعتقد اهل السودان ان ذلك انما هو راية المهدي تحملها الملائكة . هكذا كان مبدأ ظهور المهدي الذي به قامت دولة الدراويش وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ م



٧٨١ — محمد احمد المهدي

من سنة ١٢٩٧ — ١٣٠٢ هـ أو من سنة ١٨٨٠ — ١٨٨٥ م



س ٢١ احمد محمد المهدي (نقلا عن الهلال)

ولم يمض زمن طويل حتى رآه صدى دعوة المهدي بجميع مديرية الخرطوم وعلم رؤوف باشا حاكم دار الخرطوم بذلك سنة ١٨٨١ م فانفذ اليه رجلاً من خاصته اسمه ابو السعود يستقدمه الى الخرطوم . فسار في اربعة من العلماء على باخرة حتى اتوا جزيرة ابا . فلما نزلوا الشاطئ نادوا باعلى صوتهم « اين المهدي » فجاه محمد احمد وجلس

على عنقريب (مقعد سوداني) بجانب ابي السعود . فقال له ابو السعود « ما هذا الذي قت به » فاجابه محمد احمد بلطف « انا المهدي » فقال ابو السعود « ولكن يجب ان تذهب » فنهض محمد مفضياً ويده على قبضة حسامه وصاح به « لا لا اذهب » يخاف ابو السعود وترك الرجل للحال واخذ علماء وعاد بياخرته الى الخرطوم فوصلها ليلاً فابقظ رؤوف باشا من فراشه وانبأه بما كان وقال له « اعطني خمسين رجلاً وانا آتيك بهذا المنافق » فاذن له فसार بهم حتى اتوا الجزيرة فنزلوا اليها وبقي ابو السعود في الباخرة وفيما هم يفكرون في كيفية الهجوم على المهدي هجم رجاله عليهم بغتة وقتلهم عن آخرهم فاشتد ازر المهدي وتمكن اعتقاد اتباعه بدعوته . على انه خاف ان يؤخذ بغتة وهو قريب من مركز الحكومة فقادرا با بعد ان استخلف عليها احد اتباعه المدعو احمد المكاشف قاصداً جبال كوردفان وسمي انتقاله هذا « الهجرة »

وكان في كاوا على النيل الازرق على مسافة ٥٠ ميلاً من ابا شمالاً قوة عسكرية مصرية مؤلفة من ١٤٠٠ رجل تحت قيادة محمد سعيد باشا فتابع آثار محمد احمد فاوغل هو في جنوبي كوردفان فتعقبته شهراً حتى هلك ولم تدرك منه وطراً . ثم انتقل محمد احمد الى جبل قدير فحارب رشيد بك حاكم دار فاشودة وتغلب عليه في ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ م وكتب الى القبائل بدعوتهم الى الاعتقاد بدعوته والاخذ بناصره فامتدت الثورة في اغلب نواحي السودان

وفي مارس سنة ١٨٨٢ م أقبل رؤوف باشا فقام مقامه موقتاً جيكر باشا فانفذ يوسف باشا الشلالي لمحاربة المتمهدي فجنحت به السفينة عند كاوا فتركه رجاله وفروا فلما علم احمد المكاشف بذلك خرج برجاله على سنار ومديرها حسين بك شكري فدخلها وقتل بعض حاميتها وتجارها وحاصر المدير ورجاله في المديرية فبلغ ذلك جيكر باشا فارسل لانقاذهم ٥٠٠ جندي بقيادة صالح بك فاجاوا المدينة ودخلوها ورفعوا الحصار عن المديرية فتقهقر الدراويش الى كركوح وراء سنار فخرجت عليهم الجنود المصرية من ابي حراز ومعهم ٥٠٠ مقاتل من الشكرية بقيادة اميرهم عوض الكريم باشا ابي سن فلقبهم الدراويش في المسلية وارجعهم على اعقابهم بعد ان قتلوا منهم جمعاً كثيراً . فخرج جيكر باشا باشا على الدراويش بنفسه فلقبهم في ابي حراز وفي موقعة بالقرب من سنار ثم عاد الى الخرطوم . وكان قد وصلها عبد القادر باشا حاكماً بدلاً عن رؤوف باشا في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م

وكان الشلالي باشا قد اعد حملة في كاوا للخروج على المهدي في جبل قدير فسار بجراً في ستة آلاف مقاتل حتى اتي فاشودة في مايو ومنها سار برا حتى دنا من العدو في ٧ يونيو ولكنه استخف بمهمته ولم يحسن التحصن فهاجمه المهدي واتبعه وكسره شراً كسرة واخذوا كل ما كان معه من المؤن والذخائر . وانتشر ذكر المهدي بعد هذا الانتصار ودخل الناس في دعوته افواجاً بعد ما رأوا ما ناله من النصر مع قلة من معه وكثرة عدوه

واهتم عبد القادر باشا بالامر واخذ في تحصين الخرطوم وفرض لمن يقتل الدراويش جنيتين عن كل درويش و ١٨ جنيتها عن كل امير . واخذ يجمع الجند حتى اجتمع لديه ١٢ الف مقاتل . كل هذا والمهدي لا يزال في جبل قدير لا يبدى سراكاً اما قواده فكانوا يسببون برجالهم يفتحون البلاد في جهات كوردفان . ثم سار المهدي برجاله الى الايض عاصمة كوردفان وفيها محمد سعيد باشا . وهذا لما علم بقدم الدراويش جمع جنده من الجهات وحصن المدينة

وفي اوائل سبتمبر سنة ١٨٨٢ م اطلت مقدمة المهدي على الايض ثم تكامل الجيش وهجم على المدينة فردتهم حاميتها خائبين بعد ان قتل من قواد المهدي عدد ليس بقليل . فعول المهدي من ذلك الوقت على المطاولة في الحصار حتى تسلم المدينة جوعاً . وكان كما اراد فانه حاصر المدينة من جميع جهاتها واخذت سراياه تفتح ما حولها حتى تم فتح كوردفان واخيراً اضطرت حامية الايض الى التسليم من الجوع في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ م فدخلت كوردفان جميعها في حوزة الدراويش وغنموا منها شيئاً كثيراً . وبعد دخول المهدي الايض قبض على محمد سعيد باشا وقتله

وكان عبد القادر باشا حكام الخرطوم قد سار بنفسه وجنده لقمع العصاة في جهات سنار فوشي به بعضهم في مصر فاستقدمته الحكومة اليها على حين غفلة وعينت مكانه علاء الدين باشا الذي كان قبلاً في مصر . وعمدت بقيادة الجند الذي كان في سنار الى حسين باشا وعزمت على ارسال حملة جديدة لاستخلاص الايض من يد المهدي

وكان الكولونيل هيكنس (هيكنس باشا) الانكليزي قد جاء الى الخرطوم وبعد أن اقام بها مدة بلغه ان جيشاً من الدراويش من قبيلة البقارة بقيادة الامير احمد المكاشف



ش ٢٢ هيكس باشا

مسكرًا بالقرب من جزيرة ابا نفرج اليهم هيكس وحاربهم وقتل المكاشف رئيسهم
وكثيرين من رجاله وفر الباقون . فلما علمت الحكومة المصرية بانتصار هيكس طمعت في
استرجاع الابيض من يد المهدي وصممت على ارسال حملة لهذا الغرض بعد ان كانت
تتردد في هذا الامر . وأوعزت الى علاء الدين باشا حاكم دار الخروطوم بجمع العساكر
فكتب هيكس باشا الى الحكومة المصرية انه لا يتحمل تبعه هذه الحملة الا اذا كانت
قيادتها له وحده فسمحت له الحكومة بذلك . وبعد ان اتم اعداد الجنود اللازمة للحملة
وجميع ادواتها خرجت من الخروطوم فاصدة الابيض وسلكت طريقاً وعراً حتى اخذ
الجهد والتعب من الجنود مأخذاً عظيماً . وكان المهدي قد علم بخروج حملة هيكس
اقتاله فاستعد لمقابلتها استعداداً تاماً . اما الحملة فسارت سيراً بطيئاً حتى وصلت عقيلة
(ايجلا) في ١١ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م . وفي ١٤ منه وصلت بجيرة شركلا ثم استمرت

في مسيرها وقبل ان تصل الى الرهد فرّ منها رجل الماني اسمه كلوتس من صف الضابطان والتجأ الى الدراويش واخبر المهدي عن الضيق المحدث بالحملة وما هي فيه من اليأس فكانت خيانة هذا الالماني سبباً في هلاك هذه الحملة لان المهدي حمل بعساكره عليها وقد اضنى رجالها التعب فقتل هيكلش باشا وكل قواده وجنوده البالغ عددهم ١١ الفاً ولم ينج منهم الا نحو ٣٠٠ شخص فقط . اما كلوتس الالماني فاسلم وتسمى مصداقاً وكان لهذا الانتصار الباهر الذي ناله المهدي ودراويشه رنة في جميع اقطار السودان وكان الضربة القاضية على البقية الباقية من نفوذ الحكومة المصرية فيه . وكان سلاتين بك (سلاتين باشا الآن) في ذلك الحين حاكماً دارفور وقد قامى مشقات جسيمة في مناواة العصاة وتمردهم وكان يرجو الفرج على يد حملة هيكلش باشا فلما علم بفشلها لم ير بداً من التسليم فبعث الى المهدي بذلك وان ينفذ اليه بعض اقاربه ليسلم البلاد له فارسل اليه الامير محمد خالد ويكفي زقلاً اميراً على دارفور واوصاه سلاتين خيراً . فوصات الدراويش دارا ونهبوها . وجاء سلاتين مخفوقاً الى الابيض وبايع المهدي واظهر الاسلام وسمى عبد القادر



ش ٢٣ سلاتين باشا

وفي هذه الاوقات بعينها كان عثمان دقنه ينشر دعوة محمد احمد المهدي في السودان الشرقي وكان السودانيون في تلك الجهات قد نبذوا طاعة الحكومة المصرية لسوء سيرة توفيق بك محافظ سواكن . فلما جاء عثمان دقنه بدعوة المهدي دخلوا جميعاً فيها فاشتد ازهر بهم فصار لما وااة الحكومة في سواكن وضواحيها . فهاجموا سنكات في ٥ اغسطس سنة ١٨٨٣ م ولكنهم عادوا خاسرين فصاروا الى طوكر وحاصروها فارسلت الحكومة محمود طلم باشا قائد حامية السودان الشرقي لاقتادها فباغته الدراويش وكسروه شر كسرة . وما زالت سنكات وطوكر محاصرتين تطلبان المدد فاعدت الحكومة المصرية في اوائل سنة ١٨٨٤ م حملة تحت قيادة باكر باشا سارت الى سواكن لفتح الطريق بين سواكن وبربر وطرده العصابة من البلاد الواقعة بينها . فسارت ومعها نجدة من مصوع وكسلا فلاقاها الدراويش في التب بغتة في ٢ فبراير فحاربوها وهزوها فعدت بخفي حنين . كل ذلك وحامية سنكات لا تزال محاصرة وفيها توفيق بك محافظ سواكن المتقدم ذكره وكان رجلاً شجاعاً مقداماً وقد اظهر في حصاره شجاعة غريبة خلدت له ذكرًا مجيداً . وكان قد جاء سنكات عرضاً وحاميتها لانز يدعن ستين رجلاً وقد ضيق عثمان دقنه السبل عليها وقطع المروء عنها حتى كاد انهارا ان يهلكوا . ولما رأى توفيق بك ان المروء قد فقدت والجند جاءت واهل البلد مات جمع اليه رجاله واهل سنكات وشاورهم في الامر وحشهم على الثبات وعلى ولاء الحكومة فقالوا له نحن على ما تريد . فقال لهم اذ قد نفذ زادنا والطريق مقطوع بيننا وبين المدد فلنخرج مستقملين فاما ان نسير الى سواكن واما ان يلاقينا العدو فنندافع عن انفسنا حتى الموت فخرجوا في اوائل فبراير سنة ١٨٨٤ م بعد ان هدووا العواوي واخربوا المنازل وما ساروا مياين حتى لاقاهم عثمان دقنه برجاله . وهاجموهم فقاتل توفيق بك حتى قتل شهيد الامانة والشهانة ولم ينبج من رجاله واهل القرية الا نفر قليلون . فلما رأت الحكومة المصرية ان الهبة قد امتدت في جميع اطراف السودان وان ناموس المهدي قد تمكن من قلوب الاهالي حتى صار يصعب عليهم

امادة نفوذها مرة اخرى عوات بإشارة انكلترا على سحب جنودها من السودان وتركه للدراويش . واصدرت بذلك امراً بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٨٤م وانفذت الحكومة الانكليزية الجنرال غوردون باشا الى السودان للنظر في افضل الوسائل لسحب حامية السودان وسكانها من الافرنج وغيرهم

وبعد ان وصل غوردون باشا الى الخرطوم رأى امتداد سطوة المهدي امتداداً هائلاً ورأى ان سحب المساكر المصرية قبل سحق قوة هذا التمهيدي مما ربما يطعم المهدي في مهاجمة الحدود المصرية فنصح الى الحكومة المصرية بان ترسل جيشاً لقمع ثورة المهدي حتى تأمن غوائله في المستقبل ثم تسحب عساكرها فيما بعد

وترددت الحكومة طويلاً في امر ارسال هذه الحملة فكاتب غوردون باشا الى دولته يطلب المدد وهي لم تفر على ارسالها حتى كانت جنود المهدي قد حاصرت الخرطوم وضيقت عليها واحاطت بها احاطت السوار بالمعصم وقل الزاد بين اهلها وجاعوا وغوردون باشا يصبرهم ويدمهم بقرب وصول الحملة الانكليزية لانقاذهم . ولكنها تأخرت كثيراً فعمل الناس الانتظار واشتد الجوع حتى اكلوا لحوم القطط والكلاب ومضفوا سمف الفحل وجذور الدرة

اما الحملة الانكليزية التي اقروا على ارسالها لانقاذ غوردون فبرحت مصر في اوائل الخريف وعدد رجالها ستة الاف من نخبة المجند الانكليزي واكثر قوادها من الاشراف لان الانكليز قد تسابقوا الى الانتظام في سلك هذه الحملة لزعيمها انها عبارة عن فسحة على النيل فلم يصل من رجالها الى كورتي الا بعضهم وتفرق الباقون في نقط خط الاتصال : ومن كورتي سارت حملة في عظمور صحراء بيوضة الى المثة بقيادة اترال ستيوارث والقصد بها سرعة الوصول الى الخرطوم وسارت حملة اخرى على النيل الى بربر بقيادة الجنرال آرل قطعت الحملة جيكدول قابا طليح فلاقاها العرب على الآبار

فحصات بين الفريقين واقعة شفت عن انهزام الدراويش فمقتبهم الانكليز الى
المنمة وهالك حصلت واقعة اخرى انهزم بها الدراويش ايضا وعادوا على اعقابهم
وقبيل هذه الواقعة اصيب الجنرال ستوارث برصاصة كانت القاضية عليه واحيت
القيادة الى السير شارلس ولسن . فنزلت الجنود الانكليزية على ضفاف النيل في
مساء ١٨ يناير سنة ١٨٨٥ م وكان غوردون باشا قد انفذ اليهم اربع بوخرا كانت
في مياه الخرطوم يستعينون بها في الوصول اليه وبعث يقول لهم اذا لم تصلوا البنا في
بضعة ايام ذهبنا هباءً ممشوراً . فغادر السير شارلس المنمة في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ م
على باخرتين ولكنه لم يصل الخرطوم الا في ٢٨ منه وكانت قد سقطت وقتل
غوردون باشا في ٢٦ منه فعاد السير شارلس كاسف البال ولم يصل المنمة الا بعد
شق الانفس



(ش ٢٤) غوردون باشا

اما كيفية محاصرة المهدي للخرطوم وسقوطها فعلى ما يأتي . لما انتصر المهدي على حملة هيكس باشا انتقل الى الرهد في أواسط ابريل سنة ١٨٨٤ م ومن هناك ارسل الشيخ محمد الخيزر الى بربر فافتتحها وارسل مديرها حسين باشا خليفة أسيرا اليه معسكر المهدي في كوردفان . وأقام محمد احمد المهدي في مكانه بالرهد حتى حتى انتقضا رمضان من السنة فقال لاتباعه أنه أوحى اليه في الرؤيا (الخرصة) ان ينزل لمحاصرة الخرطوم . ثم جمع رجاله وزحف بهم من الرهد في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٨٤ م فوصلوا الى جوار الخرطوم في أواسط أكتوبر من السنة فمكثوا على مسافة يوم منها . ومن هناك أمر المهدي سلاتين (عبد القادر) بكتابة رسالة الى غوردون باشا بمنى المسلم . فكتب اليه سلاتين تقريراً مطولاً بالنساية وارسله المهدي مع أحد أتباعه (ظناً منه انه كتب حسب مقصده) ولكن لما عاد الرسول بجواب مقتضب لم يشف غليلاً ارتاب المهدي بنية سلاتين وثقله بالحديد

ثم تقدم الى الخرطوم وحاصرها وضيق عليها تضيقاً شديداً . ثم علم بقدم حملة انكليزية لانتقاذ الخرطوم واخراج غوردون منها فاستمحت رجاله على الهجوم وحضهم على الاستماتة في سبيل الجهاد فهجموا في صباح ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ م الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل ودخلوا السور من ثنوب كانت فيه من جهة البحر . وكان قائد الحراس يدعي فرج باشا فلما رأى الدراويش اقتحموا المدينة ففتح لهم الابواب وادخلهم منها . فانتهال الدراويش على المدينة كالصواعق وامنعوا في الاهالي المساكين قتلاً ونهباً ولم يبقوا ولم يندروا . وسار بضعة منهم الى السراي حيث يقيم غوردون باشا وكان قد يش من قدوم الحملة وبات تلك الليلة حوالى نصف الليل ولم يغمض جفنه حتى سمع اطلاق النار قصد الى سطح السراي واشرف على الاسوار فرأى الدراويش قد دخلوا السور ولم يعد بالبدحيلة . فلبس ثيابه وتقلد سلاحه وهم بالنزول فلاقاه ثلاثة من الدراويش عند أعلى السلم فسأل اولهم قائلاً : اين سيدك المهدي : فاجابه بطعنة قاضية وضربه اخر بالسيف فخر قليلاً لم يبد دفاعاً . ثم قدم ولد النجوي ورأى غوردون قتيلاً فساد قتله ولكنه

امهم بجرجته الى ساحة السراي وأن يقطع رأسه ويحمل الى المهدي الذي كان مقياً في ام درمان . فعملوه اليه في مندبل كبير في الساعة الاولى من النهار فظهر كدره لمقتل غوردون باشا كثيراً . هكذا سقطت الخرطوم عاصمة السودان في ايدي الدراويش ولم يتخذها المهدي عاصمة للملكه بل جعل عاصمته ام درمان اما الحلة الانكليزية فانها انسحبت من المنة الى كورقي فاقامت هناك مدة ثم عادت الى دنقلة فمصر وسحبت معها كل من اراد مرافقتها من سكان السودان شمالي كورقي . وخلص السودان للمهدي من ذلك الحين . وازدادت ثقة السودانيين بالمهدي بعد هذا الفتح المبين وازداد هو اعجاباً بنفسه وكثيراً ما صرح انه لن يموت حتى يفتح الحرمين وبيت المقدس ثم ينزل الكوفة ويموت فيها ولكن سأفأله فانه لم يكذب يوثيد سلطته ويقيم في عاصمة ام درمان بضعة اشهر حتى دامته الوفاة في ٢١ يونيو سنة ١٨٨٥ م على اثر اصابة شديدة بالحمى التيفوس . وكان لموته ضجة عظيمة بين السودانيين ولكنهم لم يبكوا عليه اذا أوعز اليهم ان البكاء والندب على المهدي حرام ففعلوا جثته ولفوها بالا كفان واحنقروا لها حفرة في ذات الغرفة التي توفي فيها ودفنوها وجعلوا فوقها بمد ذلك مناماً سموه . قبة المهدي . وقام بامر الدولة بعده عبد الله التعايشي بعهد منه

٧٨٢ - عبد الله التعايشي .

من سنة ١٣٠٢ - ١٣١٨ هـ او من ١٨٨٥ - ١٩٠٠ م

هو السيد عبد بن السيد محمد التقي ويتصل نسبه بعشيرة الحبيرات من قبيلة التعايشة والتعايشة من قبائل البقارة . والبقارة اسم يطلق على القبائل القاطنة غربي النيل الابيض وهم بدوا كثر اشتغالهم برعاية البقر والخفاصة وتجارة الرقيق . ويقيم التعايشة في الغرب الجنوبي من دارفور
وكان السيد محمد التقي (والد عبد الله) مشهوراً في قبيلته بالتقوى والكرامة والاستقامة وقد ولد له اربعة اولاد ذكر وانثى وهم عبد الله ويعقوب ويوسف وسمافي

وفاطمة . وكان عبد الله ويوسف اقلهم ميلاً الى العلم فلم يحفظا القرآن الا بعد الجهد الجهد وكثرة المزاولة وكانا اكثر ميلاً الى الخفاسة (اقتناص العبيد) . اما يعقوب وسامي فكانا اقرب الى الهدوء والسكينة فحفظا القرآن سريعاً ولازما اباهما يساعدانه في صلاته وسائر اعماله



ش ٢٥ عبد الله التياشي

وانفق في اثناء حرب الزبير باشا لدار فوران عائلة السيد التقي هذا كانت في جملة القائمين على الزبير فوقع عبد الله اسيراً في بعض المواقع واراد الزبير قتله فتوسط بعض العلماء في دفعه فابقى عليه . فلما فتحت دار فوران نزح التقي وعائلته من وطنهم الى شكا وبعد ان اقاموا فيها سنتين ساروا الى دار الحر فالا بيض فدار القمر ونزلوا اضيافاً على شيخه عساكر ابي كلام بضعة اشهر وهناك توفي السيد محمد التقي ودفن في شركة . وقبل مماته اوصى عبد الله ابنه الاكبر ان يلازم بعض مشيخ الدين في وادي النيل مدة ثم يهاجر الى مكة فيقيم فيها ولا يعود الى السودان . فترك عبد الله اخوته عند الشيخ عساكر وسار قاصداً وادي النيل فسمع في اثناء طريقه بمحمد احمد المتحمدي وما يتحدث به الناس من كرامته فذهب اليه وبايعه واتحد معه وكان ساعده اليه من في جميع حروبه ومغازيه ولحق الماهدي بعبد الله التياشي عهد اليه بولاية العهد من

بعده . فلما توفي المهدي في التاريخ المتقدم اجتمع الدراويش وابعوا لعبد الله التعايشي واستقر امره . ثم ثار عليه بعض الطامعين في الملك ولكنه تمكن من قهر اعدائه . ثم ابداً يفكر في توسيع تخوم مملكته

واتفق في هذه الاثناء ان تملدي بعض السودانيين على الاحباش في بلاد الحبشة وخرى بواكنيسة والتجأ الممعدون الى قلايات وهي في بلاد الدراويش مما يلي حدود الحبشة فحماهم حاكم المدينة فجاء الاحباش بجند كبير تحت قيادة الراس عادل وخرى بوا البلدة واحرقوها حتى صارت قاعاً صافصفاً . فبلغ عبد الله التعايشي ذلك فاغناط جداً وكتب الى يوحنا نجاشي الحبشة في ذلك الوقت ان يطلق الاسري ويعين المدينة التي يريدونها منهم . ومع ذلك لم ينتظر حتى يأتيه جواب النجاشي بل ارسل جيشاً بقيادة ابي عنقر الاشارة على بلاد الاحباش . فسار ابو عنقر بجيشه وحارب رأس عادل وهزمه وأسر امرأة رأس عادل وابنته وتقدم الى عنقر واحرقها ثم كر راجعاً سائماً امامه جيشاً عظيماً من الاسرى منهم من النساء والاطفال ولم يصل الى قلايات حتى كان قد مات من هؤلاء المساكين عدد كبير بينهم ابنة عادل وابنة . وعلم التعايشي ان الاحباش لا يسكتون عن الانتقام فأنزعز الى ابي عنقر بتجديد قلايات لكن المنية عاجلت ابا عنقر قبل اتمام ما يريد وبعد قليل جند النجاشي يوحنا ملك الحبشة جيشاً كثيفاً للانتقام من الدراويش على خراب عنقر فحمل على قلايات وكانت جنود ابي عنقر لا تزال هناك ولم يتقدم الا قائدها فتأهبوا للدفاع . فوصل النجاشي وعسكر بالقرب من قلايات وقسم جنده فرقتين هاجمت المدينة من ناحيتين فدخلت احدها المدينة من اثلام في السور واشتغلت بالنهب والقتل وبقيت الاخرى تهاجم السور من الخارج وفيها النجاشي نفسه واقفاً يستحث رجاله ويحرضهم على القتال فاصابته رصاصة قتله فبعد ان كان النصر للاحباش عادت المائدة عليهم فحافوا وتقهقروا في اثناء الليل . فاصبح الدراويش وهم يحسبون لهجمة الاحباش الف حساب فاذا بالارض خالية من الخليم فبمشوا الجواسيس فعلموا ان النجاشي قتل فتهبوا بهم . وكان

الاحباش قد عسكروا على مسافة نصف يوم من قلابات فباغتهم الدراويش ففروا وتركوا المعسكر غنيمة باردة للدراويش فوجدوا في جملة الغنائم تاج النجاشي يوحنا مصنوعاً من الفضة ومجلى بالذهب وسيفه وكتاباً مرسلًا اليه من جلالة الملكة فكشور يا ملكة الانكليز فعملوا ذلك الى ام درمان

ومن غرب اوهام التمايشي عزمه على فتح مصر وضماها الى سلطنته فانه حالما جلس على عرش ام درمان أرسل كتاباً الى جلالة الساطان وآخر الى سمو الحديوي (المرحوم توفيق باشا) وآخر الى ملكة الانكليز يطلب اليهم جميعاً ان يذعنوا لسلطانته ويخطبوا له على اعمالهم وارسل الكتب مع رسل خصوصيين الى مصر فماد الرسل ولم ينالوا جواباً غير الاحتقار والازدراء فشق ذلك على التمايشي وحقد عليهم

فلما انتصر على النجاشي كما تقدم سمت همته لانتتاح مصر واستشار ارباب شوره في هذا الامر فحسوا له انها وشوقوا اليه سكنها ووصفوا له قصورها وغياضها واموالها ونساءها فتأقت نفس التمايشي الى فتحها وجمع جيشاً من قبائل الجعاليين والاناقلة وغيرهم ممن جاؤوا حدود مصر العليا وارسلهم بقيادة اشهر قواده عبد الرحمن ولد النجومي . فسار هذا بجيشه الى دنقلة سنة ١٨٨٩ م وجعلها قاعدة لاعماله الحربية . ثم ارسل التمايشي كتاباً آخر الى مصر وفيه الانذار الاخير فبقي الرسل مدة في اصوان ثم أعيدوا بلا جواب فبعث التمايشي رأس النجاشي يوحنا الى امير دنقلة على ان يرسله الى وادي حلما تهديداً للمصريين وامر ولد النجومي ان يسير بجملته الى مصر فلا يحرك ساكناً في حلما بل يتقدم الى اصوان ويهاجمها فاذا فتحها يقيم فيها حتى تأتبه اوامر أخرى . فخرج ولد النجومي من دنقلة في شهر مايو سنة ١٨٨٩ م قاصداً بلاد الفراطنة ولم تكن الحكومة المصرية غافلة عن حركاته بل كانت عالمة بكل حركته من حله وترحاله وكان سر دار الجيش المصري اذ ذاك الجنرال غرانفل باشا فحضر حلما واصوان وسائر الحدود فلما دنت حملة الدراويش من ارجين بجوار حلما تقدمت شزيمة منهم بدون علم ولد النجومي فخرجت اليها الحامية المصرية بقيادة وود هاوس باشا وكسرتها شر كسرة وكان غرانفل باشا قد خرج من اصوان فبعث الى ولد النجومي يبين له خطر موقفه وينصح له ان يسلم فيسلم فاجب . فسار السردار بجيش معظمه الى البر الغربي للنيل

وبعضه على البر الشرقي فحصلت بينهم وبين الدراويش مناوشات ليست بذات بال
حتى وصلوا الى توشكي (توشكي قرية صغيرة على البر الشرقي وبعضها على البر الغربي
للنيل بين كروسكو وحلفا على بضعة اميال من هيكل ابي سمبل شمالاً) فعسكر السردار
في هذه القرية

وفي صباح ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩ م ارسل السردار طلائعه باكرًا لاستكشاف
معسكر العدو فعادوا واخبروا بان العرب يستعدون للمسير فخرج السردار بنفسه
ليستكشف الحقيقة فلم يكذب يشرف على معسكرهم حتى رآهم هاجمين كالجراد المنتشر .
فبعث الى الجند في توشكي وكان بعضهم لم يتناول طعاماً ولا تهيأ للمسير ومع ذلك
ساروا باسرع من لمح البصر وحملوا على الدراويش حملة شتتت شملهم وفرت جموعهم
شذرمذرة . وبلغ عدد قتلى الدراويش ١٢٠٠ قتيل وزاد عدد اسراهم على اربعة
آلاف ولم يقتل من الجيش المصري الا ٢٥ وجرح ١٤٠ . وفي هذه الواقعة قتل
عبد الرحمن ولد النجومي قائد الحملة وكثيرون من امراء الدراويش

فكان ذلك النصر نصراً مبيناً سر به المغفور له الخديو السابق توفيق باشا
فبعث الى السردار يهنئه به لعلمه انه امثلة عمت التعاشي مالم يكن يعلم . اما الذين
قتلوا من الجنود المصرية فابتنوا لهم مقاماً قرب مكان الواقعة ضموهم اليه وبنا فوقه قبراً
نقشوا فوقه باللغة العربية تاريخ الواقعة وسببها

وبعيد الواقعة سار الخديو المغفور له توفيق باشا في بعض رجال معيته لتفقد
احوال الحدود فركب الى مكان تلك الواقعة ووقف امام قبر شهدائها يتأمل ما اظهره
جنده من البسالة في ذلك القتال

اما الدراويش بام درمان فحزنوا جداً لهذه الهزيمة وصغرت نفوسهم . ولم يكادوا
يتخلصون من عواقب تلك الكسرة حتى دهمهم قحط عظيم حتى اضطر الاهالي الى اكل
المية ولم يتركوا شيئاً لم يأكلوه الا التراب

وتراكت البلايا على عبد الله التعاشي فلم ينج من ذلك القحط العظيم حتى
اكتشف مؤامرة اعددها ابناه المهدي محمد احمد لاعتياله ولكنه تمكن من التغلب عليهم
والزامهم الى طاعة اوامره

ثم توالى الفخوس على مملكته فجندت الحكومتان الانكليزية والمصرية ٣ ثلة سنة
١٨٩٦ م ارسلتها بقيادة الجنرال كينشور باشا (اللورد كينشور) لتفتح السودان فسارت

ش ٣٦ محمد توفيق باشا امام مدافن واقعة توشكي
هذه الحملة ولم تزل تفتح مدائن السودان مدينة مدينة ومقاطعة مقاطعة حتى فتحت
ام درمان سنة ١٨٩٨ م وقرع النعائشي ورجاله الى جبال كوردفان فتعاقبه الجيش
الانكليزي المعبري حتى ظفر به سنة ١٩٠٠ م وقتله وجموته انقضت دولة الدراويش
والملك لله يؤتية من يشاء وهو العزيز الحكيم

تم الجزء الثالث من كتاب تاريخ دول الاسلام

وبه تم الكتاب

والحمد لله في المبدل والختام



ورجائي من المطلعين عليه ان يسبلوا ذيل المائدة على ما

فيه من الخطأ والغلط لان العصمة

لله وحده

